المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة (ماجستير مسائي)



كتاب العاقبة في أحوال الآخرة

للحافظ المحدث أبي محمد عبد الحق الأزدي الإشبيلي (٥٨١هـ)
من بداية الكتاب إلى نهاية (فصل في تلقين الميت بعد الدفن)
دراسة وتحقيقا

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية الماجستير

إعداد
إبراهيم بن إبراهيم بن محمد التميمي

إشراف
د. عبد الكريم بن عيسى الرحيلي حفظه الله

العام الدراسي
١٤٣٦هـ/١٤٣٧هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3]، أَمَّا بعدُ[4]:

فإنَّ الإيمان بحقيقة الموت وما يكون بعده من البعث والنشور والثواب والعقاب هو من الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان العظيمة التي لا يصحُّ الإيمان إلا بها، وقد ورد التذكيرُ بالموت في نصوص كثيرة من الكتاب والسُّنَّة إذ هو من أعظم ما يُوقظ القلوبَ من رقدتها ويُنبِّهُها من غفلتها، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾[5] وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾[6] وقال تعالى: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ

---

(١) السورة: آل عمران، الآية:١٠٢.

(٢) السورة: النساء، الآية:١.

(٣) السورة: الأحزاب، الآية:٧٠-٧١.

(٤) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه كما ورد عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد خرّجها أصحاب السنن، كأبي داود في سننه في كتاب النكاح، باب: في خطبة الحاجة (ح٢١١٨)، وممّن جمع طرقها واعتنى بتخريجها في رسالة مستقلة الشيخ الألباني وعنون لها بـ(خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه).

(٥) السورة: آل عمران، الآية:١٨٥.

(٦) السورة: الأنبياء، الآية: ٣٥.

﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[2] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3]، وقال ﷺ: «**أكثروا ذِكْرَ هاذم اللذَّات: الموت**»[4]؛ ولذا كان التفقُّهُ في الموت ومسائله، ومعرفة براهينه ودلائله، وما يُشرع من ذلك وما لا يُشرع من الأهمية بمكان.

«فإنَّ الموتَ أمرٌ كُبَّار، أنجد وأغار، وكأس تدار فيمن أقام أو سار،... خبرٌ -عَلِمَ اللهُ- يُصِمُّ الأسماع، ويغير الطباع، ويكثر من الآلام والأوجاع... ولو لم يكن في الموت إلا الإعدام، وانحلال الأجسام، ونسيانك أخرى الليالي والأيام، لكان -والله- لأهل اللذات مُكدِّرا، ولأصحاب النعيم مُغيِّرا، ولأرباب العقول عن الرغبة في هذه الدار زاجراً ومُنفِّرا»[5].

وقد اهتمَّ علماء الإسلام بهذا الموضوع في القديم والحديث، وكتبوا فيه وألَّفوا، وممن كتب في ذلك الحافظُ أبو محمد عبدالحق بن عبدالرحمن الأَزدِيِّ الأندلُسيِّ الإشبيلِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المتوفى سنة ٥٨١هـ، في كتابه الموسوم بـ«كتاب العاقبة في أحوال الآخرة»، وقد وقع عليه اختياري ليكون تحقيق النصف الأول من الكتاب موضوعا لرسالتي الماجستير، وذلك من بداية الكتاب إلى نهاية (فصل تلقين الميت بعد الدفن) دراسة وتحقيقا، ويقع في ١٢٨ لوحة.

---

(١) السورة: النساء، الآية: ٧٨.

(٢) السورة: ق، الآية: ١٩.

(٣) السورة: الجمعة، الآية: ٨.

(٤) سيأتي تخريجه في القسم المحقق.

(٥) من كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص:٥٨).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. إن موضوع الكتاب يتعلق بركن من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر.

٢. شموله على مباحث ومسائل عقدية، وفق الله تعالى فيها أهل السنة والجماعة للإيمان بها على الوجه الذي أُمر به، كالكلام عن حقيقة الموت ومقدماته وما بعده والكلام على أشراط الساعة وأهوال يوم القيامة، وغير ذلك مما يحتاج إلى التأكيد عليها وبيان مذهب أهل السنة والجماعة فيها.

٣. اشتمال الكتاب على عدد كبير من الأحاديث والآثار الواردة في الموت والتذكير به حتى جاوزت الأحاديث فيه (١٠٠) حديث قد حكم المصنف على بعضها ، وأكثر من (٤٠٠) أثر[١].

٤. مكانة مؤلف الكتاب، حيث عرف بسعة العلم والتحقيق والتدقيق ولزوم السنة، فقد نقل الذهبي عن ابن الأبار[٢] عنه أنه: (كان فقيها حافظا، عالما بالحديث وعلله، عارفا بالرجال، موصوفا بالخير والصلاح والورع ولزوم السنة...)[٣].

٥. نَقْلُ بعض المحققين من أهل العلم عن المؤلف من هذا الكتاب كالقرطبي في التذكرة وفي تفسيره، وابن القيِّم في الداء والدواء، وابن كثير والثعالبي في تفاسيرهما، وابن عبدالهادي في الصارم المنكي والسفاريني في لوامع الأنوار، وغيرهم، مما يُبيِّن مكانة الكتاب العلمية[٤].

٦. حاجة الكتاب للتحقيق العلمي لإخراجه بأحسن صورة، وذلك للبعد عن الأخطاء التي

---

(١) في القسم الذي حققتُه.

(٢) محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، المعروف بابن الأبار، الحافظ، كان من رجال الأنلس الذين برعوا وأتقنوا، وكان واسع المعارف، محدثا ضابطا، عنى بالتأليف، وأخذ عن كبار أهل زمانه، صاحب شعر وأدب، ولد ببلنسية سنة ٥٩٥هـ، ومات بتونس سنة ٦٥٨هـ، انظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٢٧٦/٤).

(٣) وسيأتي بيان مكانة المؤلف العلمية ونقل العلماء لأقواله، في (ص: ٢٨).

(٤) انظر (ص:٢٨).

وقعت في الطبعات السابقة لهذا الكتاب[1].

٧. حاجة الكتاب لبيان ما اشتمل عليه من أحاديث ضعيفة، وكذلك ما اشتمل عليه من بعض الحكايات الواهية التي ينبغي التنبيه عليها.

---

(١) وسأتكلم عن هذه الطبعات السابقة في (ص:٣٣).

خطة البحث

قسمت البحث إلى مقدمة وقسمين:

المقدمة:

تشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهج التحقيق.

القسم الأول: الدراسة

ويشمل فصلين:

الفصل الأول: ترجمة المؤلف، وتحته ستة مباحث:

المبحث الأول: حياته الشخصية (اسمه، مولده، وفاته).

المبحث الثاني: نشأته العلمية.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الرابع: مؤلفاته.

المبحث الخامس: عقيدته.

المبحث السادس: مذهبه الفقهي.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالكتاب، ومنهج المؤلف فيه، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تحقيق عنوان الكتاب وإثبات نسبته إلى المؤلف.

المطلب الثاني: موضوع الكتاب.

المطلب الثالث: مصادر المؤلف لمادة الكتاب.

المطلب الرابع: منهج المؤلف في الكتاب.

المطلب الخامس: قيمة الكتاب العلمية.

المطلب السادس: المآخذ على الكتاب.

المبحث الثاني: التعريف بطبعات الكتاب والنسخ الخطية المعتمدة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طبعات الكتاب السابقة، وذكر أهم نقائصها.

المطلب الثاني: وصف النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق، وذكر نماذج منها.

القسم الثاني: النص المحقق

من بداية الكتاب إلى نهاية فصل (تلقين الميت بعد الدفن).

الفهارس:

ذيلت البحث عند نهايته بفهارس علمية على النحو التالي:

١. فهرس الآيات القرآنية.

٢. فهرس الأحاديث النبوية.

٣. فهرس الآثار.

٤. فهرس الفرق والطوائف.

٥. فهرس الأعلام.

٦. فهرس الأماكن.

٧. فهرس مصادر ومراجع التحقيق.

٨. فهرس الموضوعات.

منهج التحقيق

قد سرت في تحقيق الكتاب على المنهج التالي:

أولا: نسخ الكتاب من النسخة التي اعتمدتها أصلا، وأثبت بداية أرقام صفحاتها على الهامش، وأضع خطا مائلا هكذا / للدلالة على نهاية اللوحة.

ثانيا: أقارن بين النسخ الخطية وأثبت الفروق بينها، إلا في الآيات القرآنية، وصيغ التمجيد والثناء على الله تبارك وتعالى، وصيغ الصلاة على النبي ﷺ، وصيغ الترضي عن الصحابة، وصيغ الترحم على العلماء، فإني أذكرها على أكمل صورة، ولا أشير في الحاشية إلى الفروق فيها؛ لعدم الفائدة.

ثالثا: اعتماد الكتابة الإملائية في كتابة المخطوط حسب القواعد المتعارف عليها.

رابعا: عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع بيان رقم الآية.

خامسا: عزو الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما؛ فإني أكتفي بتخريج الحديث منهما، إلا إذا عزاه المصنف إلى غيرهما فإني أبين موطنه من الكتاب الذي عزاه إليه المصنف، وإن لم يكن الحديث في الصحيحين أو في أحد منهما؛ فإني أقوم بتخريجه من كتب الحديث المعتمدة، مع نقل أقوال أهل العلم في الحكم عليه إن أمكن ذلك.

سادسا: عزو الآثار إلى مصادرها.

سابعا: إيضاح المسائل العقدية والتعليق عليها حسب ما يقتضيه المقام.

ثامنا: توثيق النقول والأقوال من مصادرها المعتمدة.

تاسعا: التعريف بالكلمات الغريبة، والمصطلحات العلمية، والأماكن والبلدان، والفرق والطوائف تعريفا موجزا.

عاشرا: الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم ترجمة موجزة.

الحادي عشر: وضع فهارس علمية في آخر الكتاب حسب ما ذكرت في الخطة.

الثاني عشر: أما بالنسبة للأشعار فإني لا أعزوها إلا إذا تأكدت أنها لغير المؤلف[1].

(١) وذلك لأن الإشبيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يثبت أن نسب لنفسه في كتبه قط ولو بيتا شعريا واحدا، وإنما يقول: «وأنشدوا»، أو «وأنشد بعضهم»، أو «وقال القائل» وقد ثبت أن كثيرا من هذه الأشعار من إنشائه وذلك إما بإيراد المترجمين له إياها، أو بفضل ما ذكره تلميذه أبو الحجاج البلوي في كتابه «ألف باء» حيث ذكر جملة كبيرة مما أنشده إياه عبدالحق الإشبيلي. انظر: كتاب «عبدالحق الإشبيلي وآثاره الحديثية» للدكتور محمد الوشيق (ص:١٨٢).

شكر وتقدير

أحمد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأشكره على تيسيره لهذا الموضوع، وعلى امتنانه عليَّ بإنجاز هذا البحث وإتمامه، وقد بذلت فيه قدر وسعي ومع ذلك فإنني لم أوف الموضوع حقه فما كان من صوابٍ فمن الله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي وأستغفر الله منه.

وإني لأدعو الله لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يرزقه الله الفردوس الأعلى على ما كان له من فضلٍ عليَّ، وأشكر والدتي على حسن تربيتها لي ودعواتها الكريمة، وأسأل الله أن يعينني على برِّها، وأسأل الله أن يجزيهما عني خير الجزاء.

كما أشكر زوجتي الكريمة على ما تحمّلته وما قامت به من مساعدة لي فجزاها الله خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر للجامعة الإسلامية ممثلة بمديرها، وإلى جميع العاملين فيها، على ما أبدوه من رعاية وعناية لطلبة العلم، فأسأل الله أن يبارك فيها، وأن يمد في نفعها للإسلام والمسلمين.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى الشيخ الدكتور عبدالكريم بن عيسى الرحيلي الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين على إشرافه عليّ في مرحلة الماجستير، وعلى ما بذله من عناية واهتمام وحسن معاملة، وعلى ما بذله من توجيهات وملاحظات كان لها الأثر في إتمام هذه الرسالة، فأسأل الله تعالى أن يبارك في عمره وعمله، وأن يجزيه عني خيرا.

والشكر موصول أيضا إلى صاحبي الفضيلة: الشيخ الدكتور بدر بن مقبل الظفيري حفظه الله الأستاذ المشارك وعميد كلية الدعوة وأصول الدين والشيخ الدكتور عبدالعزيز بن جليدان الظفيري حفظه الله الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين على تفضلهما بالموافقة على مناقشة الرسالة فجزاهما الله خير الجزاء وأوفاه.

وأشكر كل من أفادني وأعانني من مشايخي وزملائي فجزاهم الله خيرا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قسم الدراسة

الفصل الأول: ترجمة المؤلف، وتحته ستة مباحث:

المبحث الأول: حياته الشخصية (اسمه، مولده، وفاته).

المبحث الثاني: نشأته العلمية.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الرابع: مؤلفاته.

المبحث الخامس: عقيدته.

المبحث السادس: مذهبه الفقهي.

المبحث الأول: حياته الشخصية (اسمه، مولده، وفاته)

هو عبد الحق بن عبدالرحمن بن عبدالله بن الحسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الإشبيلي[١] البجائي[٢]، أبو محمد، ويعرف بابن الخَرّاط[٣].

ولد في شهر ربيع الأول سنة ٥١٠هـ، وقيل ٥١٤هـ، وقيل ٥١٦هـ، ولم أقف على من صرّح بمكان ولادته، ولكن لعله ولد بإشبيليا؛ لأنها بلده، ونسبته إليها، ونشأته بها، حيث قال أبو جعفر ابن الزبير عنه: «من أهل إشبيلية، يكنى أبا محمد، نشأ بها»[٤].

رحل من وطنه إلى بجاية بسبب فتنة وقعت في بلاد الأندلس[٥][٦]، إلى أن توفي فيها سنة ٥٨٢هـ، وقيل: ٥٨١هـ[٧].

---

(١) الإشبيلي: نسبة إلي إشبيلية، وهي مدينة عظيمة تقع غربي قرطبة من بلاد الأندلس، جنوب دولة إسبانيا الحالية، انظر: معجم البلدان (١/١٩٥)، وأطلس التاريخ العربي الإسلامي (ص:١٠٧).

(٢) البجائي: نسبة إلى بجاية: وهي مدينة على ساحل البحر المتوسط، وهي موضع هام، تقع اليوم في الجزائر، بين جبال شاهقة، والبحر يحيط بها في ثلاث جهات، انظر: معجم البلدان (١/٣٣٩)، وأطلس دول العالم الإسلامي لشوقي خليل (ص:٥٠).

(٣) انظر: التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (٣/١٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٢١/١٩٨)، والديباج المذهب لابن فرحون (ص:٢٧٦).

(٤) انظر: الصلة ومعه صلة الصلة (٣/١٨٤).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/١٩٨)، والديباج المذهب (ص:٢٧٧).

(٦) وهي الفتنة التي كانت في أواخر عهد المرابطين وأوائل دولة الموحدين، وبسبب هذه الفتنة زالت دولة المرابطين، وللوقوف على تفاصيل هذه الفتنة، وحال الإشبيلي فيها انظر رسالة دكتوراة بعنوان: الصناعة الحديثية عند الإمام عبدالحق الإشبيلي للدكتور برهان الشعيبي (١/٥٨).

(٧) انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/٦٧٣)، والتكملة لكتاب الصلة (٣/١٢١)، وسير أعلام النبلاء (٢١/١٩٩).

المبحث الثاني: نشأته العلمية:

لم أقف على من ذكر نشأة الحافظ الإشبيلي العلمية، حيث المعلومات المتوفرة عنه قليلة وفيها نقص، خاصة في إشبيلية قبل الهجرة، وكذلك حياته الخاصة وأسرته، فيها شيء من الغموض[1]، إلا أنه ابتدأ طلب العلم في ريعان شبابه، ويدل على ذلك أنه روى عن أبي الحكم بن برجان[2]، كما ذكره ابن الأبار في تكملة الصلة (١٢٠/٣)، وابن فرحون في الديباج المذهب(ص:٢٧٦)، بل ذكره الشيخ عبدالحق نفسه في كتابنا هذا - العاقبة – حيث قال: «حدثني الفقيه أبو الحكم بن برجان، وكان من أهل العلم والعمل...ونحن إذ ذاك نسمع عليه صحيح مسلم»[3]، والشيخ ابن برجان توفي سنة ٥٣٦هـ[4]، فيكون عمر المؤلف عند وفاة ابن برجان ستة وعشرين سنة إن قلنا أنه ولد سنة ٥١٠هـ، وإن قلنا أنه ولد سنة ٥١٤هـ، فيكون عمره عند وفاة شيخه اثنين وعشرين سنة، والله أعلم.

---

(١) انظر كتاب: عبدالحق الإشبيلي وآثاره الحديثية لمحمد الوشيق (ص:٨٨).

(٢) ستأتي ترجمة ابن برجان عند ذكر شيوخ المؤلف في (ص:١٣).

(٣) في القسم الثاني من الكتاب.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٧٣/٢٠).

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه:

إن الحافظ عبدالحق طلب العلم صغيرا، وقد أخذ العلم عن عدد من العلماء، ونشر ما علمه على عدد من الطلاب، وقد ذكرت لنا كتب التراجم عددا من شيوخه وتلاميذه، وسأذكر بعضهم لا على سبيل الاستقصاء، ولكن المشهور منهم.

شيوخه:

١. أبو الحكم بن برجان[١]، وقد نقل عنه المصنف في كتابنا هذا في قسمه الثاني.
٢. أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن أحمد النفطي، المعروف بابن الصباغ[٢].
٣. أبو الطاهر السلفي[٣]، وقد نقل عنه المصنف في كتابنا هذا (ص:٣١٣).
٤. أبو القاسم ابن عساكر[٤].
٥. أبو بكر ابن مدير الأزدي[٥].

---

(١) عبدالسلام بن عبدالرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبدالرحمن المغربي الإفريقي الأندلسي الإشبيلي، كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث، هذا مع الزهد والعبادة، وكان من المتصوفة، وقد أخذ عنه عبدالحق الإشبيلي، توفي سنة ٥٣٦هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٧٢).

(٢) كان من كبار العلماء، وجلة الفقهاء، دخل الأندلس وروى بها عن جماعة، منهم ابن العربي، وقد حدث عنه عبدالحق كتاب الموطأ والنسائي ومسند البزار وسنن الدارقطني، والعلل للدارقطني، وغير ذلك من الكتب، انظر: صلة الصلة (٣/١٨٤)، والمعجم في أصحاب القاضي الصدفي (ص:٢٣٨).

(٣) أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني، أحد الحفاظ المكثرين، ولد بأصبهان سنة ٤٧٢هـ، ورحل في طلب الحديث، ثم دخل ثغر الإسكندرية سنة ٥١١هـ وأقام به، وقصده الناس من الأماكن البعيدة، مات سنة ٥٧٦هـ، انظر: وفيات الأعيان (١/١٠٥).

(٤) علي بن الحسين بن عساكر، الحافظ الكبير، محدث الشام، أبو القاسم الدمشقي، الشافعي، صاحب تاريخ دمشق، وهو من الشيوخ الذين كتبوا إلى عبدالحق الإشبيلي وأجاز له، مات سنة ٥٧١هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٥٥٤)، والديباج المذهب (ص:٢٧٧).

(٥) عبدالعزيز بن خلف بن عبدالله بن مدير الأزدي، من أهل قرطبة، روى عن أبي الوليد الباجي وغيره، وروى عنه عبدالحق الإشبيلي، كان من أهل المعرفة والذكاء والفهم، مات سنة ٥٤٤هـ، انظر: الصلة ومعه صلة الصلة (٢/٦٣)، والديباج المذهب (ص:٢٧٧).

٦. أبو الحسن، شريح الرعيني المقرئ[١].

٧. أبو حفص، عمر بن عباد اليحصبي[٢].

٨. أبو القاسم عبد الرحمن بن يحيى بن الحسن بن محمَّد القرشي[٣].

٩. أبو عمر أحمد بن أبي مروان[٤].

تلاميذه:

١. محمد بن عبدالرحمن التجيبي[٥].

٢. محمد بن جعفر المخزومي[٦].

٣. علي بن محمد المعافري[٧].

---

(١) شريح بن محمد بن أحمد بن شريح الرعيني، المقرئ، أبو الحسن، خطيب إشبيليا، روى عن أبيه، وأبي الحسن بن محمد الباجي وغيرهم، وأجاز له أبو محمد بن حزم إجازة، كان من جلة المقرئين، وعدوه في المحدثين والأدباء، مات سنة ٥٣٩هـ، انظر: الصلة ومعه صلة الصلة (١/ ٢٦٠)، والديباج المذهب (ص:٢٧٦).

(٢) عمر بن عباد بن أيوب اليحصبي، رحل وحج، وكان خيرا زاهدا فاضلا، روى عن جمع من العلماء، وروى عنه جمع منهم عبدالحق الإشبيلي إجازة، مات سنة ٥٤٥هـ، انظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٣/ ٣٧٩).

(٣) عبد الرحمن بن يحيى بن الحسن بن محمَّد القرشي، أبو القاسم الأموي، من أهل إشبيلية، وكان مقرئا مُحدثا، وَله كتاب في الجمع بين الصَّحِيحينِ، وحدَّثَ عنه -المصنّف- عبد الحق الإشبيلي وغيره. انظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص:٣٧٢)، والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (٣/ ٣٣).

(٤) أبو عمر أحمد بن أبي مروان عبدالملك ابن محمد، الأنصاري الإشبيلي، سمع من شريح بن محمد، وأبي الحكم بن حجاج، ومفرج بن سعادة، وكان حافظا محدثا، فقيها ظاهريا، له كتاب «المنتخب المنتقى» في الحديث، وعليه بنى عبد الحق «أحكامه»، تلمذ له عبد الحق، واستشهد في كائنة لبلة في سنة ٥٤٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٤٩).

(٥) محمد بن عبدالرحمن بن علي بن سليمان التجيبي المرسيّ، أبو عبدالله، محدِّث تلمسان، أخذ القراءات وجودها، وأكثر من الأخذ عن الشيوخ، كان خيّرا حافظا للحديث ضابطا، مات سنة ٦١٠هـ، انظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٤/ ٣٨٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٤).

(٦) محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر المخزومي، أبو عبدالرحمن، رحل إلى المشرق وحج، ولقي في طريقه عبدَالحق، فأخذ عنه الحديث وسمع منه، مات سنة ٦٣٢هـ، انظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٤/ ١٦٥).

(٧) علي بن محمد بن علي بن جميل المعافري المالقيّ، أبو الحسن، روى عن بعض شيوخ الأندلس ثم رحل إلى المشرق، استوطن الشام، كان ورعا زاهدا فاضلا، حافظا للحديث، عارفا بالقراءات، إماما في النحو، وكان ممن أخذ عنهم

٤. موسى بن عبدالرحمن بن يحيى، ابن السخان[١].

٥. مصعب بن محمد الخشني[٢].

٦. علي بن أحمد بن محمد بن خِيْرة[٣].

٧. أحمد بن علي بن يحيى الحصّار[٤].

٨. أبو الحجاج يوسف البلوي[٥].

عبدالحق الإشبيلي، لما فتح صلاح الدين بيت المقدس جعله إمامه وخطيبه، مات سنة ٦٠٥هـ، انظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٣/٢٦٥).

(١) هو موسى بن عبدالرحمن بن يحيى، أبو غمران، ويعرف بابن السخان، من أهل غرناطة، روى عن جماعة من العلماء منهم الشيخ عبدالحق، كان مقرئا نحويا لغويا، معلما بذلك، مات قريبا من سنة ٦٢٨هـ، انظر: التكملة لكتاب الصلة (٢/١٨١).

(٢) مصعب بن محمد بن مسعود الخشني، أبو ذر، ويعرف بابن ركب، من أهل حيان، أخذ عن عدد من العلماء من الشيخ عبدالحق الإشبيلي، وكان رأسا في علم العربية، قائما عليها، درسها حياته كلها، ورحل الناس إليه فيها، وكان وقور المجلس، حسن السمت والهدي، مات سنة ٦٠٤هـ، انظر: التكملة لكتاب الصلة (٢/١٨٨).

(٣) علي بن أحمد بن محمد بن خيْرة البلنسي المقرئ، أبو الحسن، رحل وروى عن جماعة منهم عبدالحق الإشبيلي، وكان مقرئا مجودا للقرآن، محدثا حسن السمت، راجح العقل، مات سنة ٦٣٤هـ، انظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٣/١٣٣).

(٤) هو أحمد بن علي بن يحيى بن عون الله الأنصاري الحصّار، من أهل الأندلس، كان خاتمة المقرئين، لم يكن أحد يدانيه في الضبط والتجويد والإتقان وحسن الأداء، رحل إليه الناس، مات سنة ٦٠٩هـ، انظر: التكملة لكتاب الصلة (١/٨٩)، والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (١/٥١٨).

(٥) يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب بن محمد بن عبد العزيز البَلَويّ، من أهل مالقة يعرف بابن الشيخ ويكنى أبا الحجاج ولد سنة ٥٢٧هـ، وسمع من أبي محمد عبد الحق الإشبيلي تأليفه الكبير في الأحكام الشرعية وأخذ عنه جماعة وكان عابدا زاهدا كثير المعروف توفي سنة ٦٠٤هـ. انظر: التكملة لكتاب الصلة (٤/ ٢١٩)، وتاريخ الإسلام (١٣/١٠٧).

المبحث الرابع: مؤلفاته:

لقد ترك الحافظ عبدالحق الإشبيلي عددا من الكتب، نفع الله بها، واستفاد منها العلماء وطلاب العلم، وما ذاك إلا لرسوخ هذا العالم وطول باعه في العلم الشرعي، لا سيما في علم الحديث، وقد تجاوزت مؤلفاته الثلاثين كتابا[١]، ومن أهم هذه الكتب:

١. الأحكام الكبرى[٢].

٢. الأحكام الوسطى[٣].

٣. الأحكام الصغرى[٤].

٤. الجمع بين الصحيحين[٥].

٥. الجمع بين الكتب الستة[٦].

٦. الرقاق[٧].

٧. المرشد، ويتضمن صحيح مسلم كله مع زيادات البخاري، وزيادات أخرى[٨].

٨. الجامع الكبير في الحديث[٩].

٩. التوبة[١٠].

---

(١) انظر: الصناعة الحديثية عند الإمام عبدالحق الإشبيلي (١٠٥/١).

(٢) انظر: التكملة لكتاب الصلة (١٢٠/٣)، والصلة ومعه صلة الصلة (١٨٤/٣)، والديباج المذهب (ص:٢٧٧).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١٩٩/٢١).

(٤) التكملة لكتاب الصلة (١٢٠/٣)، والصلة ومعها صلة الصلة (١٨٤/٣)، وسير أعلام النبلاء (١٩٩/٢١)، والديباج المذهب (ص:٢٧٧).

(٥) انظر: المصادر السابقة.

(٦) انظر: المصادر السابقة.

(٧) انظر: المصادر السابقة.

(٨) انظر: الديباج المذهب (ص:٢٧٧).

(٩) انظر: المصدر السابق.

(١٠) انظر: التكملة لكتاب الصلة (١٢٠/٣)، والديباج المذهب (ص:٢٧٧).

١٠. معجزات الرسول ﷺ[١].

١١. الصلاة والتهجد[٢].

١٢. العاقبة[٣]، وهو كتابنا هذا.

١٣. تلقين الوليد في الحديث وهو سفر صغير[٤].

١٤. الأنيس في الأمثال والمواعظ والحِكَم والآداب من كلام النبي ﷺ والصالحين[٥].

١٥. فضل الحج والزيارة[٦].

١٦. الواعي في اللغة[٧].

---

(١) انظر: الديباج المذهب ص(٢٧٧).

(٢) انظر: التكملة لكتاب الصلة (٣/ ١٢٠)، والصلة معه صلة الصلة (٣/ ١٨٤)، والديباج المذهب (ص:٢٧٧).

(٣) انظر: التكملة لكتاب الصلة (٣/ ١٢١)، والصلة معه صلة الصلة (٣/ ١٨٤)، وسير أعلام النبلاء (٢١/ ١٩٩)، والديباج المذهب (ص:٢٧٧).

(٤) انظر: التكملة لكتاب الصلة (٣/ ١٢١)، والصلة معه صلة الصلة (٣/ ١٨٤)، والديباج المذهب (ص:٢٧٨).

(٥) انظر: الديباج المذهب (ص:٢٧٨).

(٦) التكملة لكتاب الصلة (٣/ ١٢٠)، والديباج المذهب (ص:٢٧٨).

(٧) قال ابن الأبار: وله في اللغة كتاب حافل ضاهى به كتاب الغريبين للهروي أبي عبيد، قال ابن فرحون: وهو نحو خمسة وعشرين سفراً، وقد نص على اسمه في الديباج بالواعي، وقال الغِبريني: سمعت من بعض الطلبة إنه ألف كتابا في اللغة سماه «بالحاوي» وهو في ثمانية عشر مجلدا. انظر: عنوان الدراية للغبريني (ص:٤٣)، وسير أعلام النبلاء (٢١/ ١٩٩)، والديباج المذهب (٢/ ٦١).

المبحث الخامس: عقيدته:

أما من ناحية العقيدة فإني لم أقف على من رماه ببدعة ممن ترجم له، وقد وصفه ابن الأبار بلزوم السنة[١]، وأما من ناحية النظر في كتبه فيتبين أنه تأثر ببعض الانحرافات العقدية، وبيان ذلك فيما يلي:

- في باب الأسماء والصفات فإنه يُمرُّ النصوص ولا يتعرض لها بتأويل يخالف ظاهرها، إلا في موضع واحد من الكتاب[٢] في (ص:٣١٣) حيث نقل عن الدقاق قوله: «إذا كان الرِّضا والغضبُ صفةً أزلية، فما تَفعل الأذيالُ المُقصِّرة...»[٣].
- أما من ناحية التصوف فمن الواضح أن المؤلف تأثر بمنهج الصوفية من اعتقاد البركة في القبور، وفي الصالحين، وكثرة إيراد المنامات، ونحو ذلك، منها قوله في (ص:٢٤٠): «وكان أبو علي هذا ممن كان يعبد الله لذاته، وكان يقول: لا أريد الجنة ونعيمها، وإنما أريدك يا رب»[٤]، ومنها كذلك قوله في [القسم الثاني من الكتاب]: «واعلم أن قبور الصالحين لا تخلو من بركة»، وكذلك نقل نقولا في هذا الكتاب لا تخلو من مثل هذه الأخطاء[٥].

---

(١) كما في التكملة لكتاب الصلة (٣/١٢٠).

(٢) من القسم الذي قمتُ بتحقيقه.

(٣) وقد علقت على كلامه بما هو مناسب للمقام في مكانه.

(٤) وقد علقت على كلامه بما هو مناسب للمقام في مكانه.

(٥) وقد ذكرت الأمثلة على ذلك في (ص:٣٠) من هذه المقدمة.

المبحث السادس: مذهبه الفقهي:

كثير ممن ترجم للحافظ عبدالحق وصفه بالفقيه والمحدث، ولم أقف على أحد من أوائل من ترجم له أنه نسبه إلى مذهب معين، فقد قال عنه ابن الأبار: «وكان فقيها حافظا، عالما بالحديث وعلله...»[1]، وكذلك هو لم ينسب نفسه لمذهب معين[2]، ثم جاء بعد ذلك ابن فرحون فذكره في كتابه الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب[3]، فعده من أعيان علماء المذهب المالكي[4]، والذي يظهر أنه كان من الفقهاء المحدثين الذين لم يتمذهبوا ولم يعتمدوا على مذهب معين في اجتهادهم الخاص، بل يأخذ من المذاهب ما يظنه صوابا، ومما يدل على ذلك أبيات له ذكرها تلميذه أبو الحجاج البلوي حيث قال:

يـــا طالبـــا للعلـــم مسترشـــدا   مستنصـــحا إن قبـــل الناصـــحا
إن كنـــت تبغـــي ســـننا قاصـــدا   وتســـألني علـــما واضـــحا
فـاركض إلى الـنص مطـي السـرى   فـــإن فيـــه المتجـــر الرابحـــا
واطـــرح الـــرأي وأصـــحابه   ولا تكـــونن لـــه لامحـــا[5]

(١) التكملة لكتاب الصلة (١٢٠/٣).
(٢) انظر كتاب: عبدالحق الإشبيلي وآثاره الحديثية (ص:١٨٥).
(٣) (ص:٢٧٦).
(٤) انظر كتاب: عبدالحق الإشبيلي وآثاره الحديثية (ص:١٨٦).
(٥) انظر: ألف باء للبلوي (٢٣/١).

الفصل الثاني: دراسة الكتاب، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالكتاب، ومنهج المؤلف فيه، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تحقيق عنوان الكتاب، وإثبات نسبته إلى المؤلف.

المطلب الثاني: موضوع الكتاب.

المطلب الثالث: مصادر المؤلف لمادة الكتاب.

المطلب الرابع: منهج المؤلف في الكتاب.

المطلب الخامس: قيمة الكتاب العلمية.

المطلب السادس: المآخذ على الكتاب.

المطلب الأول: تحقيق عنوان الكتاب، وإثبات نسبته إلى المؤلف:

أولا: تحقيق عنوان الكتاب:

أما من ترجم للإشبيلي فقد نسبه إليه باسم العاقبة، كابن الأبار والذهبي وابن فرحون وغيرهم(١)، وكذلك سماه حاجي خليفة في كشف الظنون(٢).

والذي يظهر أن هذه التسمية وقعت اختصارا، كما يقال: كتاب المستدرك للحاكم، والتذكرة للقرطبي، ومنهاج السنة لابن تيمية، ونحو ذلك، فإن لهذه الكتب أسماء أطول من ذلك، ولكنها تنسب إلى أصحابها مختصَرة الأسماء، فكذلك كتاب العاقبة للإشبيلي، فإن اسمه: (العاقبة في أحوال الآخرة)، حيث وقع هذا الاسم في النسخة الخطية الأصل (ت) – التركية- ، وكذلك مخطوطة رواق المغاربة، أما مخطوطة مكتبة الأحقاف اليمنية فاللوحة الأولى غير واضحة، وأما بالنسبة لنسخة شستربتي فاسم الكتاب فيها: (العاقبة الكبرى)، والذي يظهر أن اسم الكتاب: (العاقبة في أحوال الآخرة)، والله أعلم.

ثانيا: إثبات نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

لا يوجد أدنى شك في أن كتاب العاقبة للحافظ أبي محمد عبدالحق الإشبيلي، فكل من وقفت عليه ممن ترجم له نسب له هذا الكتاب، كابن الأبار، وأبي جعفر بن الزبير، والذهبي وابن فرحون(٣)، وكذلك نسبه إليه العلماء المحققون بعده، كالقرطبي في كتابه التذكرة حيث قال: (وذكر أبو محمد عبدالحق هذه الحكاية في كتاب العاقبة...)(٤)، وكذلك ابن القيم في كتابه الداء والدواء قال: (ذكر هذا عبدالحق في كتاب العاقبة له)(٥)، وكذلك ابن حجر في فتح الباري

---

(١) انظر: التكملة لكتاب الصلة (١٢١/٣)، والصلة معه صلة الصلة (١٨٤/٣)، وسير أعلام النبلاء (١٩٩/٢١)، والديباج المذهب (ص:٢٧٧).

(٢) (١٤٣٧/٢).

(٣) انظر (ص:١٧).

(٤) انظر: التذكرة (١٨٩/١).

(٥) انظر: الداء والدواء (ص:٥٠٥).

قال: (وأما ما قال عبدالحق في كتاب العاقبة...)[1]، فنسبة هؤلاء العلماء المحققين مع ما نسبه إليه من ترجم له لا تدع أدنى شك في نسبة الكتاب إلى مؤلفه، والله تعالى أعلم.

(١) انظر: فتح الباري (١١/٥٩٦).

المطلب الثاني: موضوع الكتاب:

إن عنوان الكتاب مطابق لموضوعه، فعنوانه: (العاقبة في أحوال الآخرة)، وموضوعه في أحوال الآخرة، فابتدأ المؤلف الكتاب عن الموت وما يتعلق به، ثم ذكر القبور وما يتعلق بها، ثم ذكر منامات للصالحين وأخرى لغير الصالحين، ثم تكلم عن الأرواح وحالها بعد الموت، وعذاب القبر، ثم ذكر يوم القيامة وأهواله، ثم ذكر طول يوم القيامة وحال الناس فيه، ثم ذكر الحوض والشفاعة والمسائلة والتقرير، وذكر بعد ذلك الصراط ودرجات الناس في المرور عليه، ثم ذكر بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، ثم ذكر ما جاء في أهل الفترة، ثم ذكر الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وذكر الشفاعة الثانية في الخروج من النار، وبعد ذلك ذكر الذين يخرجون من النار برحمة الله تبارك وتعالى من غير شفاعة أحد، ثم ذكر الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، ثم ختم كتابه بالخلود في الدارين.

المطلب الثالث: مصادر المؤلف لمادة الكتاب:

لقد اعتمد المؤلف اعتمادا كبيرا في كتابه على القرآن الكريم والسنة النبوية[1]، وهذا واضح عند من يقرأ الكتاب، كما أنه اعتمد على كتب أخرى، على ما يلي:

١. إحياء علوم الدين للغزالي.
٢. الأسامي والكنى لأبي أحمد الحاكم.
٣. الاستذكار لابن عبدالبر.
٤. الأهوال لابن أبي الدنيا.
٥. الأولياء لابن أبي الدنيا.
٦. البعث لابن أبي داود.
٧. بهجة الأسرار لابن جهضم (مفقود).
٨. البيان والتبيين للجاحظ.
٩. التاريخ لأبي بكر بن أبي خيثمة.
١٠. تفسير ابن جرير الطبري.
١١. التهجد لابن مغيث (مفقود).
١٢. تهذيب الأسرار للخركوشي.
١٣. التمثيل والمحاضرة للثعالبي.
١٤. جامع الترمذي.
١٥. حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني.
١٦. الرعاية في حقوق الله للحارث المحاسبي.
١٧. الزهد لابن المبارك.
١٨. الزهد لهناد بن السري.

(١) في القسم الذي حققتُه.

١٩. سنن أبي داود.
٢٠. سنن ابن ماجه.
٢١. سنن الدارقطني.
٢٢. سنن النسائي.
٢٣. السيرة النبوية لابن إسحاق.
٢٤. شرح مشكل الآثار للطحاوي.
٢٥. شعب الإيمان للبيهقي.
٢٦. صحيح البخاري.
٢٧. صحيح ابن حبان.
٢٨. صحيح ابن السكن (مفقود).
٢٩. صحيح مسلم.
٣٠. الضعفاء لأبي جعفر العقيلي.
٣١. الفوائد للحسن بن صخر (مفقود).
٣٢. القبور لابن أبي الدنيا.
٣٣. المؤتلف والمختلف للدارقطني.
٣٤. المتمنين لابن أبي الدنيا.
٣٥. المجالسة وجواهر العلم للدينوري.
٣٦. محاسبة النفس لابن أبي الدنيا.
٣٧. المحتضرين لابن أبي الدنيا.
٣٨. مسند أبي بكر الشافعي.
٣٩. مسند أبي داود الطيالسي.
٤٠. مسند الإمام أحمد.

٤١. مسند أحمد بن خالد.

٤٢. مسند البزار.

٤٣. مسند ابن أبي شيبة.

٤٤. مسند الحارث بن أبي أسامة.

٤٥. مسند عبد بن حميد.

٤٦. مصنف ابن أبي شيبة.

٤٧. مصنف عبدالرزاق.

٤٨. مصنف قاسم بن أصبغ (مفقود).

٤٩. المعجم الأوسط للطبراني.

٥٠. المنامات لابن أبي الدنيا.

٥١. موطأ الإمام مالك.

المطلب الرابع: منهج المصنف في الكتاب:

يتلخص منهج المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتابه العاقبة في عدة نقاط، على ما يلي:

- اتخذ المؤلف أسلوب التقرير في عرض المسائل، فلا يستطرد في ذكر الخلاف وأقوال العلماء، بل يذكر المسائل مع أدلتها بحسب ما يترجح لديه.
- اعتماده على الأحاديث النبوية في غالب الأبواب، فيورد أحاديث كثيرة تحت الباب الواحد، وتكون الأحاديث منسجمة مرتبة في موضوعها، فتجده في باب صفة الجنة مثلا يذكر الأحاديث التي تدل على أن الله تعالى أعد في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم يذكر بعد ذلك أحاديث في صفة شجر الجنة، ثم الأحاديث التي فيها رؤية الله تبارك وتعالى، ثم الأحاديث التي فيها صفة الحور العين، وهكذا إلى نهاية الباب.
- يعزو الأحاديث إلى مصادرها، ويذكر صحابي الحديث، وأحيانا يذكر حكمه على الحديث.
- بعض الأبواب يبدأ بها بذكر آيات قرآنية.
- يختم الباب بذكر كلام وعظي مسجوع مؤثر، وكذلك أشعار يصف فيه الباب الذي ذكره.

المطلب الخامس: قيمة الكتاب العلمية:

تتبين قيمة الكتاب العلمية من ناحيتين: الأولى قيمة مؤلفه واعتماد العلماء على أقواله، والناحية الثانية قيمة الكتاب نفسه واعتماد العلماء عليه، أما بالنسبة لقيمة المؤلف فإن العلماء عموما والمحدثين خصوصا تناقلوا أقواله وأحكامه على الأحاديث والرجال، وهذه النقول كثيرة لا تحصى، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- قال ابن القطان: (فإن أبا مُحمَّد عبد الحق بن عبد الرَّحمن الأَزْدِيّ ثمَّ الإشبيلي رحمة الله عليه قد خلد فِي كتابه الَّذي جمع فيه أحاديث أحكام أفعال المكلّفين علما نافعًا، وأَجرا قَائِما، زكا به عمله، ونجح فِيهِ سَعيه، وظهر عليه ما صلح فيه من نِيَّته، وَصَحَّ من طويته فلذلِك شاع الكتاب المذكور وانتشر، وتلقي بالقبول، وحقّ لَهُ ذلك، لجودة تصنيفه، وبراعة تأليفه واقتصاده وجودة اختِيَاره، فلَقَد أحسن فيه ما شَاءَ وأبدع فوق ما أَرَادَ، وأربى على الغَاية وزاد، وَدلّ منهُ على حفظ وإتقان، وعلم، وفهم، واطلاع، واتساع)(١).
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد قواه عبدالحق الإشبيلي)(٢)، وقال في موضع آخر: (وثبت ذلك عن النبي ﷺ وصححه عبدالحق صاحب الأحكام)(٣).
- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد ضعفه عبدالحق في أحكامه)(٤).
- وقال الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أحد الرواة: (وقال عبدالحق: الغالب في روايته الوهم)(٥).
- قال ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال عبدالحق في كتاب الجمع بين الصحيحين: إن الصواب في ضبط هذه الكلمة بالرفع)(٦)، وقال في موضع آخر: (وقول عبدالحق في

---

(١) انظر: بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٢/٧)

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣/٢٤١).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢٤/٣٣١).

(٤) انظر: إغاثة اللهفان (١/٥٥٠).

(٥) انظر: مجمع الفوائد (٤/٥٣٤).

(٦) انظر: فتح الباري (١٠/٥١٥).

تضعيفه أولى)[1].

- وقال بدر الدين العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال الإشبيلي: الصحيح في هذا فعل النبي ﷺ)[2]، وقال في موضع آخر: (وقال عبدالحق في الأحكام الكبرى: ولا يصح هذا الحديث في القضاء)[3].
- وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أحد الأحاديث: (رمز المصنف لصحته اغترارا بتصحيح الحاكم، وهو وهم، فقد أعله عبدالحق بأن فيه زهير بن محمد...)[4]، وقال في موضع آخر وهو يتكلم عن أحد الأحاديث: (وردّه عبدالحق بأن فيه عمارة بن ثوبان، ليس بالقوي)[5].
- وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلم عن أحد الرواة: (وقال عبدالحق الإشبيلي: وزرارة هذا لا يحتج بحديثه)[6].

وأما بالنسبة لاهتمام العلماء لكتاب العاقبة على وجه الخصوص فيتبين من نقول أهل العلم عنه، فقد نقل عنه القرطبي، وابن القيم، وابن عبدالهادي، وابن حجر، والثعالبي، والسفاريني، وغيرهم من العلماء، بل إن القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ اعتمد عليه في كتابه «التذكرة» اعتمادا كبيرا، حتى إنه نقل عنه أكثر من أربعين قولا[7]، وذكر الثعالبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/١١٩) أنه اعتمد على كتابين في الترغيب والترهيب وأحوال الآخرة وهما «التذكرة» للقرطبي، و«العاقبة» لعبد الحقّ الإشبيلي، ونقل عنه نقولا كثيرة في ثنايا تفسيره.

---

(١) انظر: المصدر السابق (١١/٤٤٨).

(٢) انظر: عمدة القاري (٥/٢٩٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٠/٣٠٤).

(٤) انظر: فيض القدير (١/١١٨).

(٥) انظر: المصدر السابق (٣/٤٦٦).

(٦) انظر: إرواء الغليل (٤/٤١٠).

(٧) انظر: قسم الدراسة من تحقيق كتاب التذكرة للدكتور الصادق إبراهيم (١/٥٦).

المطلب السادس: المآخذ على الكتاب:

لا شك ولا ريب أن كتاب العاقبة للإشبيلي عمدة في بابه، استفاد منه واعتمد عليه من جاء بعده، فجزاه الله خير الجزاء، ولكن الخطأ لا يسلم منه أحد من العلماء، فكان لهذا الكتاب بعض المآخذ، تتلخص فيما يلي(1):

- وجود بعض الأحاديث الضعيفة، مع عدم التنبيه عليها، انظر على سبيل المثال (ص:١٢٥، ١٤٣، ١٧٥، ١٨٥، ١٩٩).
- نقله لبعض القصص والأشعار التي يكون فيها بعض المخالفات الشرعية، ولا ينبه عليها، انظر (ص:٢٨، ٣٦، ٣٨).
- الإكثار من ذكر الرؤى والمنامات، وبعضها لا يخلو من أخطاء عقدية، ولا ينبه عليها، انظر ص(٧٧، ١٠٧).
- وقوع الأخطاء العقدية في الكتاب، وهي ليست بالقليلة(2)، وهي كما يلي:

١. في (ص:٨٠) قال المؤلف: (وكذلك كان ممشاد الدينوري لما نزل به الموت جعل بعض المشايخ يدعو له، فضحك وقال: منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها، فما نظرت إليها).
٢. في (ص:١٣٤) قال المؤلف: (وكان أبو علي هذا ممن كان يعبد الله لذاته، وكان يقول: لا أريد الجنة ونعيمها، وإنما أريدك يا رب).
٣. في (ص:١٥٨) نقل المؤلف خبرا عن جنازة الأوزاعي وهو: (قال: أرى قوما ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة).
٤. في (ص:١٦١) قال المؤلف: (ويروى عن أبي علي الروذباري قال: قدم علينا فقير فمات فدفناه، فكشفت عن خده فجعلته على التراب ليرحم الله غربته،

---

(١) ترقيم الصفحات بحسب طبعة الأقصى.

(٢) وقد نبهت على هذه الأخطاء في مواضعها في القسم الذي حققتُه.

ففتح عينيه وقال: يا أبا علي، أتذللني بين يدي من يدللني؟ فقلت: يا سيدي، أحياة بعد ممات؟! فقال: بلى، أنا محبٌّ لله، وكل محبٍّ لله فهو حي، يا روذباري، لأنصرنك غداً لجاهي عنده).

٥. وفي (ص:١٨٢) قال: (الباب السابع تلقين الميت بعد الدفن، والدعاء له، وقراءة القرآن عنده).

٦. في (ص:١٩٨) ذكر المؤلف بيتا من الشعر وفي شطره الأول: (يا قبر سيدنا المجن سماحة...) ثم ذكر المحقق في الحاشية أن معنى المجن: الحامي والواقي.

٧. في (ص:١٩٩) ذكر أن فاطمة بنت الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ضربت على قبر زوجها الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فسطاطا، وأقامت عليه سنة.

٨. في (ص:٢٠١) قال المؤلف: (ولعلك أيضا ممن يرفع قبر وليه ويزخرفه ويشيده...) ثم ذكر أن الصدقة عن الميت أفضل من ذلك، ولم يبين المؤلف ولا المحقق حرمة البناء على القبور وتشييدها.

٩. في (ص:٢٠٣) قال المؤلف: (ويروى أن رجلا جاء إلى القبور فصلى ركعتين...) وكذلك في نفس الصفحة ذكر رجلا أوصى أن يكتب على قبره، وكذلك ما بعدها من الصفحات ذكر آثارا كثيرة في الكتابة على القبور.

١٠. في (ص:٢١٦) ذكر المؤلف حكاية عن رجل اسمه أبو مروان، ثم قال: (وفي بعض طرقها أن ابنه قال: سبحان الذي جعل أبا مروان وكيلا علينا في حياته وبعد مماته).

١١. في (ص:٢١٨) قال المؤلف: (واعلم أن قبور الصالحين لا تخلوا من بركة).

المبحث الثاني: التعريف بطبعات الكتاب السابقة، والنسخ الخطية المعتمدة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طبعات الكتاب السابقة، وذكر أهم نقائصها.

المطلب الثاني: وصف النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق، وذكر نماذج منها.

المطلب الأول: طبعات الكتاب السابقة، وذكر أهم نقائصها.

طبع الكتاب حسب اطلاعي ثلاث طبعات، ولا تخلو طبعة منها من أخطاء أو قصور، وأفضل هذه الطبعات طبعة دار الأقصى، ولذلك سيكون الكلام على أخطائها أكثر من الكلام على الطبعات الأخرى، فالطبعات الأخرى فيها من السقط والتبديل في الأبواب ما يغني عن تطويل الكلام، فالطبعات السابقة على ما يلي:

١- طبعة دار الأقصى، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، وهو بعنوان (العاقبة في ذكر الموت والآخرة) تحقيق الشيخ خضر محمد خضر.

أهم الملاحظات:

- يوجد بها بعض السقط، كما في (ص:٣٧٢)، فإنه ذكر ما كانت في نسخة اليمن، ولم يذكر الزيادة من نسخة ليدن (نفس نسخة لا له لي التركية) [٢٧١/ب]، وهو حديث: **(إن أهون أهل النار عذابا رجل منتعل بنعلين من نار، يغلي منهما دماغه)**، فقد جاءت زيادة في الحديث لم يذكرها المؤلف.
- يوجد بعض الآيات لم تعزى، انظر على سبيل المثال (ص:٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٧، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٠، ١٤٤، ٢٠٣، ٢٢١، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٧٤، ٢٩٦، ٣٤١).
- لم يعزو كثيرا من الأحاديث، انظر (ص:٢٨، ٣٠، ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٥٠، ٦٨، ٧٩، ٨٠، ١١٣، ١١٥، ١٤٣، ١٤٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٢، ١٨٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢١،

٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٠، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٧٥).

- لم يعزو الآثار الواردة، سواء عن الصحابة أو عن غيرهم.
- لم يعلق على الأخطاء العقدية، مثل:

١- في (ص:٨٠) قال المؤلف: (وكذلك كان ممشاد الدينوري لما نزل به الموت جعل بعض المشايخ يدعو له، فضحك وقال: منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها، فما نظرت إليها).

٢- في (ص:١٣٤) قال المؤلف: (وكان أبو علي هذا ممن كان يعبد الله لذاته، وكان يقول: لا أريد الجنة ونعيمها، وإنما أريدك يا رب).

٣- في (ص:١٥٨) نقل المؤلف خبرا عن جنازة الأوزاعي وهو: (قال: أرى قوما ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة).

٤- في (ص:١٦١) قال المؤلف: (ويروى عن أبي علي الروذباري قال: قدم علينا فقير فمات فدفناه، فكشفت عن خده فجعلته على التراب ليرحم الله غربته، ففتح عينيه وقال: يا أبا علي، أتذللني بين يدي من يدللني؟ فقلت: يا سيدي، أحياة بعد ممات؟! فقال: بلى، أنا محبٌّ لله، وكل محبٍّ لله فهو حي، يا روذباري، لأنصرنك غداً لجاهي عنده).

٥- وفي (ص:١٨٢) قال: (الباب السابع تلقين الميت بعد الدفن، والدعاء له، وقراءة القرآن عنده).

٦- في (ص:١٩٨) ذكر المؤلف بيتا من الشعر وفي شطره الأول: (يا قبر سيدنا المجن سماحة...) ثم ذكر المحقق في الحاشية أن معنى المجن: الحامي والواقي.

٧- في (ص:١٩٩) ذكر أن فاطمة بنت الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ضربت على قبر زوجها الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فسطاطا، وأقامت عليه سنة.

٨- في (ص:٢٠١) قال المؤلف: (ولعلك أيضا ممن يرفع قبر وليه ويزخرفه ويشيده...) ثم ذكر أن الصدقة عن الميت أفضل من ذلك، ولم يبين المؤلف ولا المحقق حرمة البناء على القبور وتشييدها.

٩- في (ص:٢٠٣) قال المؤلف: (ويروى أن رجلا جاء إلى القبور فصلى ركعتين...) وكذلك في نفس الصفحة ذكر رجلا أوصى أن يكتب على قبره، وكذلك ما بعدها من الصفحات ذكر آثارا كثيرة في الكتابة على القبور.

١٠- في (ص:٢١٦) ذكر المؤلف حكاية عن رجل اسمه أبو مروان، ثم قال: (وفي بعض طرقها أن ابنه قال: سبحان الذي جعل أبا مروان وكيلا علينا في حياته وبعد مماته).

١١- في (ص:٢١٨) قال المؤلف: (واعلم أن قبور الصالحين لا تخلوا من بركة).

- يوجد بها أخطاء في المتن، وأخطاء مطبعية، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- في (ص:٤٠) في أول الصفحة: (قال لعتبة)، والصحيح: (قال لعنبسة) كما في أصل المخطوط.
- في (ص:٤٧) في السطر (١١) كلمة (وللملك أبيك)، والصحيح (ولملك أبيك).
- في (ص:٧٧) في الحاشية رقم (١٤٨) كلمة (الوثين)، والصحيح (والوتين).
- في (ص:٨٩) في السطر (٨) اسم (أبو عبيدة الناجي)، والصحيح (أبو عبيدة

الباجي) كما في أصل المخطوط.

- في (ص:١٢٨) في السطر (٩) كلمة (شهادة إن لا إله إلا الله)، والصحيح حرف (أن) بدل (إن).
- في (ص:١٤٦) في السطر (٣) كلمة (يستعجبون)، والصحيح (يستحبون) كما في أصل المخطوط.
- في (ص:٢٨٣) في السطر (١٠) سقطت بعض الكلمات، قال المؤلف كما في المطبوع: (في ساعة من ساعاته، أو فيما شاء الله)، وفي المخطوط: (وفي ساعة من ساعاته، أو في أقل من ذلك، أو فيما شاء الله).
- في (ص:٢٨٩) في السطر (٣) في الحديث (بينا إنا قائم اذا)، والصحيح (بينا أنا قائم إذا).
- في (ص:٣١٨) في السطر (١٢) كلمة (لا اله الله)، والصحيح (لا إله إلا الله).
- في (ص:٢٤٩) في السطر (١٩) سقط في الحديث (ونصيفها –يعني خمارها– خير من الدنيا)، والصحيح (ونصيفها على رأسها خير من الدنيا)، فالمحقق وضع كلمة في المتن لشرح كلمة (نصيفها)، وحذف (على رأسها)، والأولى أن يوضع هذا الشرح في الحاشية.
- وفي (ص:٣٥٨) السطر (١٤) في أبيات الشعر كلمة (الحميد)، وفي أصل المخطوط (المجيد).

• هناك كلمات غريبة كثيرة جدا، سواء في الأحاديث النبوة أو في الأشعار أو في كلام المؤلف، لم يتعرض إليها المحقق إلا قليلا، ومن أمثلة ذلك:
  - في (ص:٥٣) في السطر (٧) كلمة (الدساكر).
  - في (ص:٦٦) في السطر (١٦) كلمة (خُصًّا).

- في (ص:٧٤) في السطر (٤) كلمة (ثوبان خلقان).
- في (ص:٨٤) في السطر (٨) كلمة (البحر الثماد).
- في (ص:١٨٨) في السطر (٤) كلمة (الرسنا).
- في (ص:١٩٧) في السطر (١٨) كلمة (الشرى).
- في (ص:٢٦٧) في السطر (٨) كلمة (ظهر طود).
- في (ص:٣٧٥) في السطر (٢٤) كلمة (ذي الحجى).

• لم يترجم للأعلام.

٢- طبعة دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، وهو بعنوان (كتاب العاقبة أو الموت والحشر والنشور)، تحقيق عبيد الله أبو عبدالرحمن المصري الأثري.

وأهم الملاحظات:

• يوجد في هذه الطبعة سقط كبير، حيث سقط منها ما يقارب ١٣ لوحة، ويوجد كذلك سقط كثير في بعض المواضع، وكذلك فيها أخطاء في ترتيب أبواب الكتاب، فقد سقط منها الأبواب التالية:

- الباب الأول: من أخبار بعض الأموات.
- الباب السادس: ما يحذر من سوء الخاتمة.
- الباب التاسع: زيارة القبور.

• ذكر المحقق في المقدمة أن هذا الكتاب ينشر لأول مرة، وهذا ليس بصحيح، فإن الكتاب طبع بدار الأقصى كما تقدم ذكرها قريبا، ولعل المحقق لم يطلع عليها.

• ذكر المحقق الكتاب أنه اعتمد على مخطوطة معهد المخطوطات بعد أن راجعها على النسخ الموجودة بدار الكتب المصرية، ولم يبين المحقق الفروق بين المخطوطات، كما إنه صور أول صفحة من المخطوطة التي اعتمدها في أول

الكتاب، ولكنها غير التي اعتمدها، بل هي مخطوطة أخرى.

- لم يعزو بعض الأحاديث.
- لم يترجم للأعلام.
- إذا وجد المحقق سقطا جعله بين المعقوفتين، وقال: (سقط استدركناه من النسخ التي قابلناها)، ولم يذكر أي نسخة ولا رقمها.
- يوجد فيها أخطاء مطبعية كثيرة، خاصة في النقط.
- ذكر في الفهارس عناوين غير موجودة في الأصل، وإنما هي من وضع المحقق لها.

٣- طبعة دار الكتب العلمية ببيروت – لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، وهو بعنوان (كتاب العاقبة) تحقيق أبي عبدالله محمد بن حسن إسماعيل.

أهم الملاحظات:

- اعتمد المحقق على ثلاث نسخ خطية، ولم يقارن بينها، ولم يوضح السقط منها، ولم يذكر النسخة التي اعتمد عليها.
- يوجد فيها سقط كبير مقارنة، وهو نفس السقط الموجود في طبعة دار الصحابة للتراث بطنطا.
- يوجد تقديم وتأخير في المخطوطات، وأخطاء في ترتيبها.
- لم يعزو بعض الأحاديث والآثار، هذا مع وجود خطأ في تخريج بعض الأحاديث.
- لم يترجم للأعلام.
- لم يشرح الكلمات الغريبة إلا نادرا.
- التفاصيل والاستطرادات الطويلة في بعض الحواشي، يصل بعضها إلى أربع صفحات.

المطلب الثاني: وصف النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق، وذكر نماذج منها:

لكتاب العاقبة نسخ خطية عديدة، للاطلاع عليها فإنها موجودة في إدارة المخطوطات التابعة لوزارة الأوقاف الكويتية، ومكتبة جابر الأحمد المركزية التابعة لجامعة الكويت، ومكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ومركز الملك فيصل في الرياض، ومركز جمعة الماجد في دبي، وقد وقع الاختيار على أربع مخطوطات للعمل من خلالها في تحقيق هذا الكتاب[1]، وهي على النحو التالي:

النسخة الأولى: من مخطوطات مكتبة لا له لي في تركية – اسطنبول –، ووصفها كما يلي:

- اسم المخطوط: العاقبة في أحوال الآخرة.
- المؤلف: عبدالحق الأزدي، في عنوان المخطوط الخط غير واضح، ولكن ذكر في الصفحة الأولى من المخطوط اسمه كاملا.
- صوّرتها مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية برقم (٥٢٤٦).
- عدد اللوحات: تقع في (٢٧٤) لوحة، كاملة لا نقص فيها إلا أسطر قليلة غير واضحة، حوالي ستة أسطر من اللوحة الثانية، وستة أسطر من اللوحة الرابعة، وخطها واضح جدا.
- عدد الأسطر في كل لوحة (١٥) سطرا.
- عدد الكلمات في كل سطر ما بين (١٠) إلى (١١) كلمة.
- تاريخ النسخ: لا يوجد.
- اسم الناسخ: لا يوجد.
- نوع الخط: نسخ.

(١) وذلك لأنها أجود ما وقفت عليه من المخطوطات.

- جاء في نهاية المخطوط كلمة (قوبلت) على الهامش، وهذا مما يدل على أنها قوبلت على الأصل.

وهذه النسخة هي النسخة الوحيدة الكاملة من بين النسخ التي اعتمدتها، وبسبب ذلك جعلتها هي الأصل والنقص فيها يسير جدا.

- وقد رمزت لها بحرف (ت).

النسخة الثانية: من مخطوطات شستربتي - إيرلندا -، ووصفها كما يلي:

- اسم المخطوط: العاقبة.
- المؤلف: أبو محمد عبدالحق الأزدي الإشبيلي.
- صورتها مكتبة جابر الأحمد المركزية التابعة لجامعة الكويت تحت رقم: (٣٢٦٤).
- عدد اللوحات: تقع في (١٤٥) لوحة، وخطها واضح، ولكن بها نقص في بعض المواضع، وكذلك سقط منها أربعة أبواب وهي (باب في أهل الفترة)، و(باب في سعة رحمة الله)، و(باب في الشفاعة الثانية)، و(باب ذكر من يخرج من النار برحمة الله تعالى من غير شفاعة أحد).
- عدد الأسطر في كل لوحة (١٩) سطرا.
- عدد الكلمات في كل سطر ما بين (١٠) إلى (١٢) كلمة.
- تاريخ النسخ: أربعة مضت من شهر محرم سنة سبع وأربعين وسبعمائة.
- اسم الناسخ: أحمد بن محمد بن نجم الدين السرياقوسي.
- نوع الخط: نسخ معتاد.
- وقد رمزت لها بحرف (ش).

النسخة الثالثة: من مخطوطات خزانة رواق المغاربة الموقوفة في المكتبة الأزهرية في الأزهر في مصر، تحت رقم: (٢٦٥٧)، ووصفها كما يلي:

- اسم المخطوط: العاقبة في أحوال الآخرة.

- المؤلف: عبدالحق الإشبيلي.
- صورتها إدارة المخطوطات التابعة لوزارة الأوقاف الكويتية تحت رقم: (٣٥١١٧).
- عدد اللوحات: تقع في (١٤٩) لوحة، وخطها واضح وجميل، كتبت الفواصل بالمداد الأحمر، لكن بها نقص في بعض المواضع، وسقط منها أربعة أبواب، وهي نفس الأبواب الساقطة من مخطوطة شستربتي.
- عدد الأسطر في كل لوحة (١٩) سطرا.
- عدد الكلمات في كل سطر ما بين (٩) إلى (١١) كلمة.
- تاريخ النسخ: رابع صفر سنة أربع وثمانين وسبعمائة.
- اسم الناسخ: حسن القاسمي.
- نوع الخط: نسخ.
- وقد رمزت لها بحرف (م).

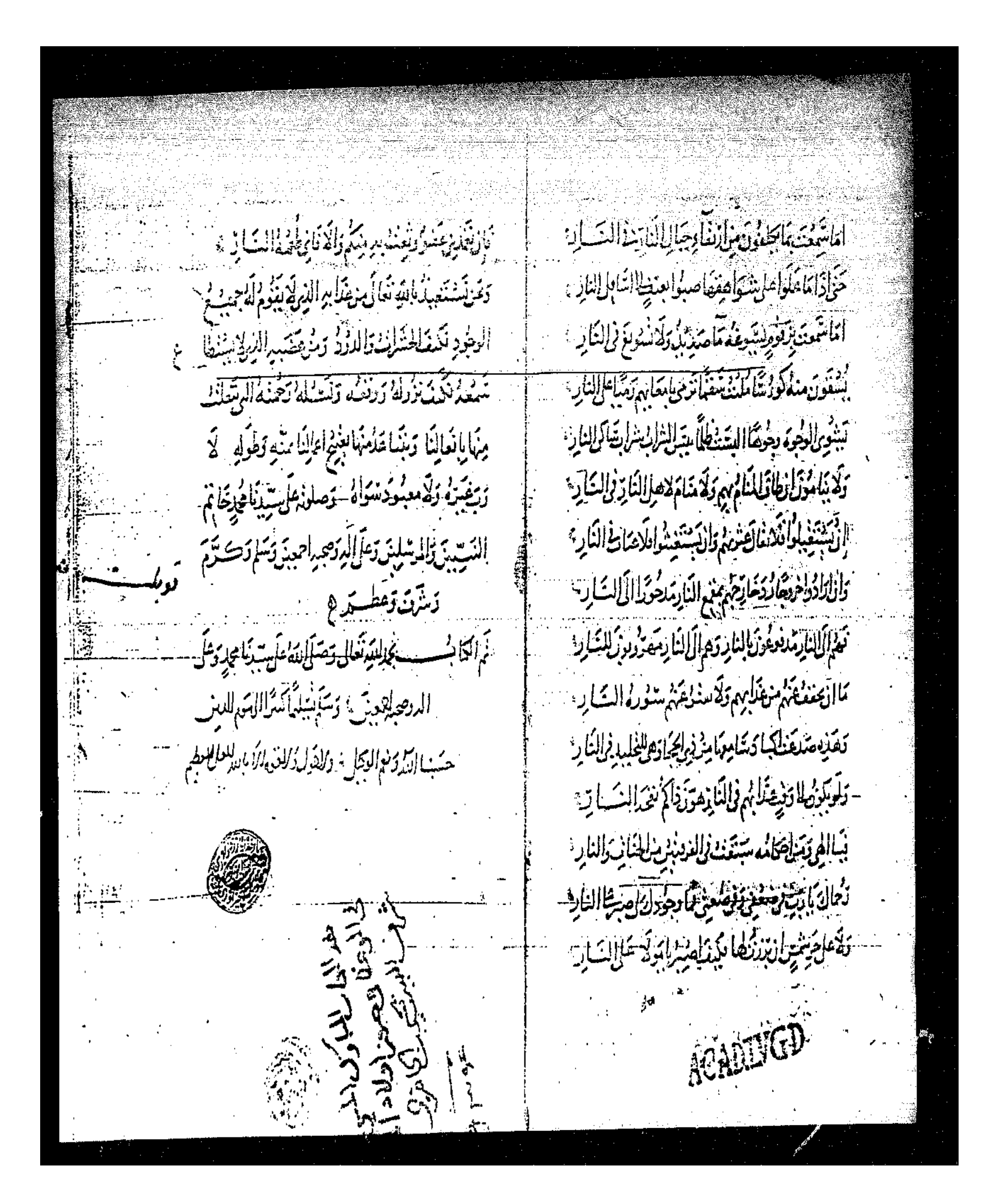
النسخة الرابعة: من مخطوطات مكتبة الأحقاف – تريم – اليمن، مجموعة الكاف، ووصفها كما يلي:

- اسم المخطوطة: العاقبة.
- المؤلف: أبو محمد عبدالحق بن عبدالرحمن بن عبدالله الأزدي الإشبيلي المالكي.
- صورتها مكتبة جابر الأحمد المركزية التابعة لجامعة الكويت تحت رقم: (١٢٥٩).
- عدد اللوحات: تقع في (٩٥) لوحة، وخطها واضح، ولكن فيها سوء ترتيب في النسخ، وكثير من السقط كتب في الهامش، والساقط منها قليل بالنسبة لمخطوطتي شستربتي ورواق المغاربة.
- عدد الأسطر في كل لوحة (٢٧) سطرا.
- عدد الكلمات في كل سطر ما بين (١٤) إلى (١٥) كلمة.

- تاريخ النسخ: في الثاني من شهر ربيع الآخر سنة ستة وعشرين وثمانمائة.
- اسم الناسخ: جاء في آخر لوحة ما نصه: (تتميم كتابة هذا الكتاب المسمى كتاب العاقبة بقلم السيد العلامة محمد بن عبدالرحمن الزواوي، وجله ما عدا المرقع بقلم سيدنا الشيخ الكبير محمد بن الشيخ عبدالرحمن السقاف، نفع الله بهم).
- نوع الخط: نسخ.
- وقد رمزت لها بحرف (ي).

صور للنسخ الخطية

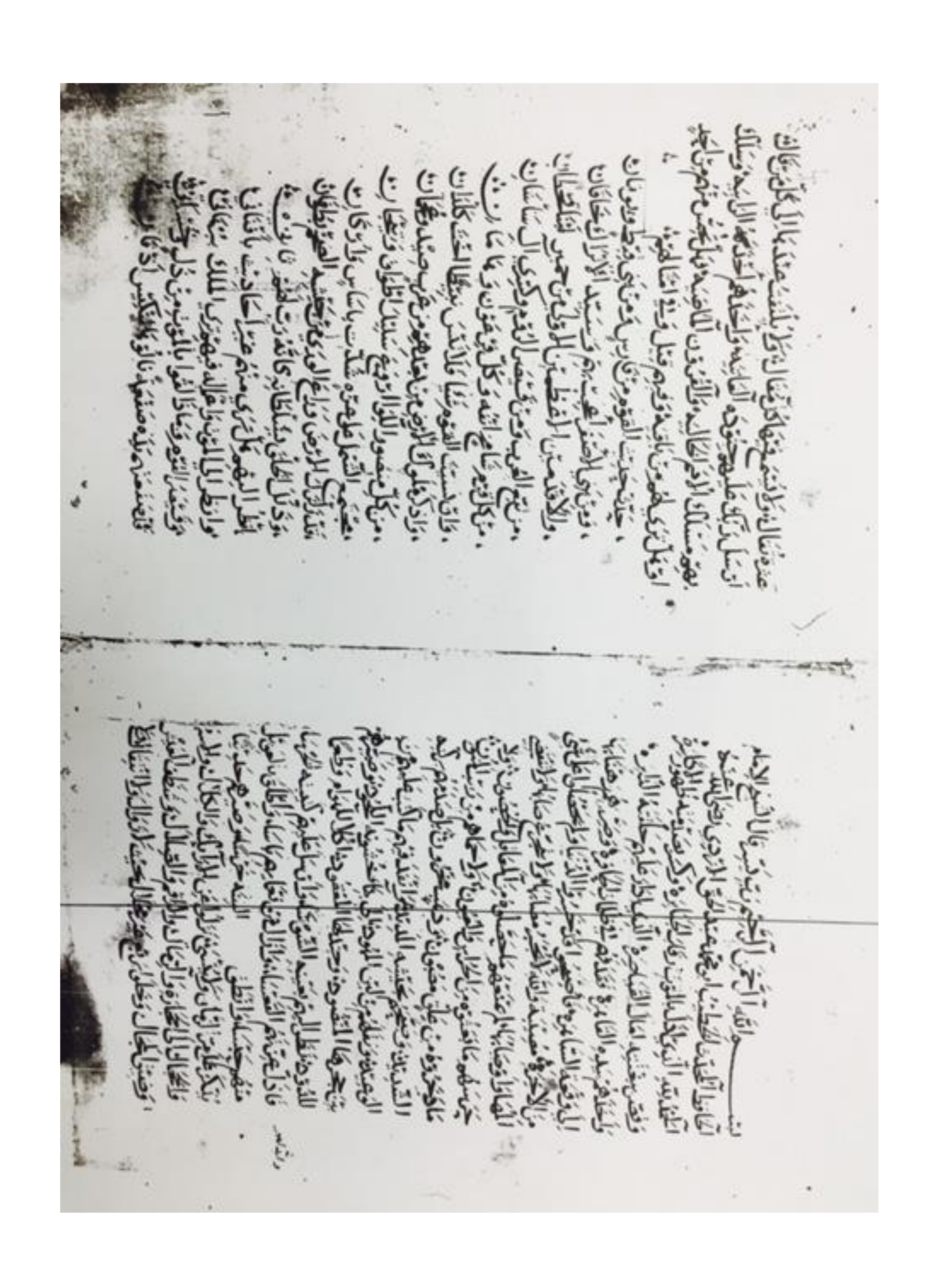
النسخة التركية (ت) الأولى



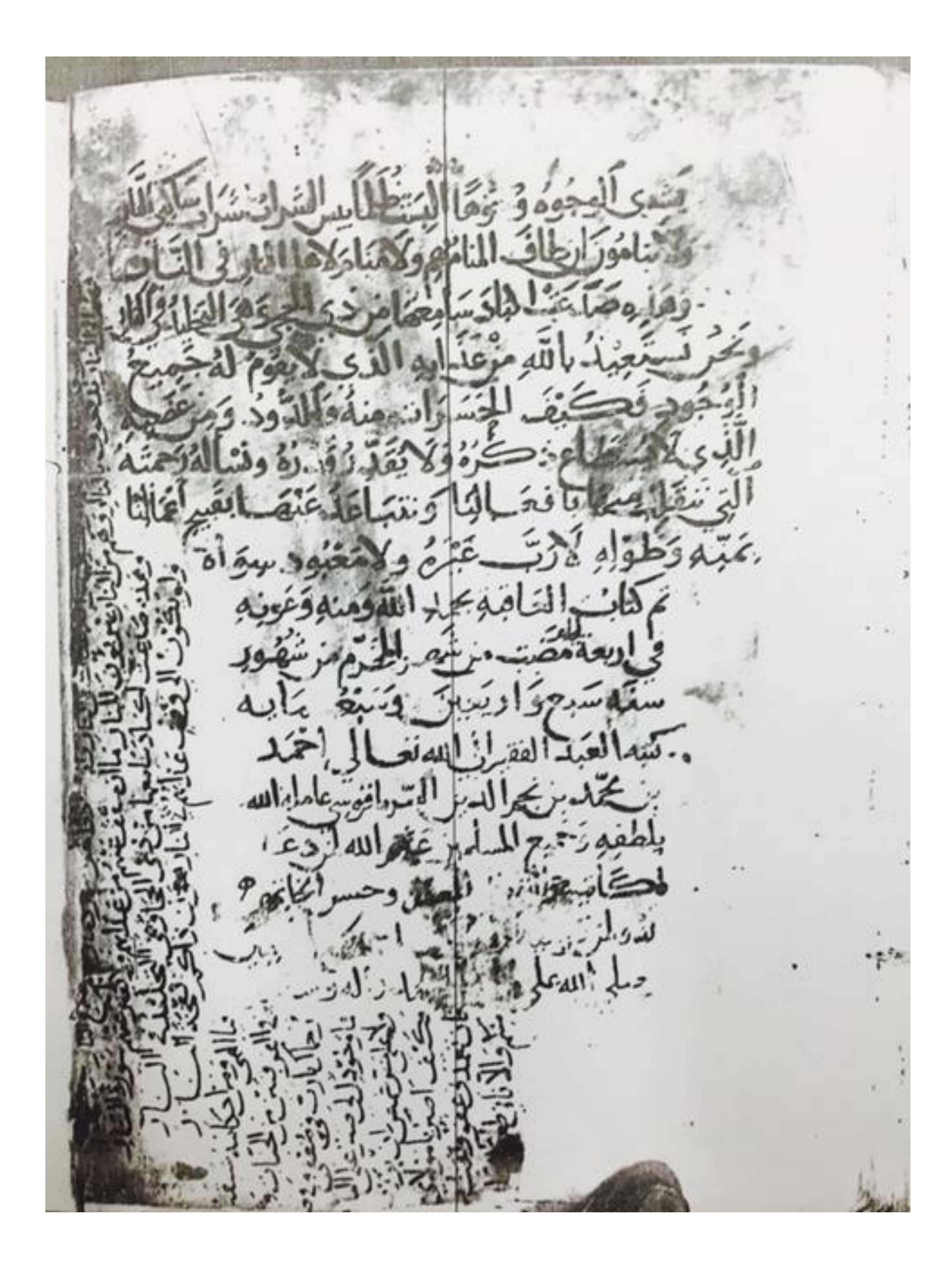
اما سمعت بما يلقون من ارتقا جبال النار في النار
حتى اذا ما علوا على شواهقها صبوا بعنف الى اسافل النار
اما سمعت بزقوم يسيغه ماء صديد ولا تسويغ في النار
يسقون منه كؤوسا ملئت سقما ترمي بامعائهم رميا على النار
تشوي الوجوه وجوها البست ظلما بئس الشراب شراب ساكني النار
ولا ينامون ان طاف المنام بهم ولا منام لاهل النار في النار
ان يستقيلوا فلا تقال عثرتهم وان يستغيثوا فلا غياث في النار
وان ارادوا خروجا عاد خارجهم بمنع النار مدحورا الى النار
فهم الى النار مدفوعون بالنار وهم الى النار مصدرون للنار
ما ان يخفف عنهم من عذابهم ولا تسكن عنهم سورة النار
فهذه صفة لكما دنا منها من ذي الجلال هي للخليد في النار
ولو يكون [illegible] عذابهم في النار هون ذاكم [illegible] النار
يا الهي ومن احكامه سبقت في الفريقين من الجنان والنار
فحاشاك يا رب من ضعفي ومن ضعفي مما وجودك ان اصير الى النار
ولا على جسمي ان يرزقها يكن لي صبرا [illegible] على النار

فان تغفر فعفو وفضل منكم والا فاني لجمة النار
ونحن نستعيذ بالله تعالى من عذابه الذي لا يقوم له جميع
الوجود تكشف الحسرات والذنوب ومن غضبه الذي لا يسلط
شيء عليه [illegible] ونسأله رحمته التي تنال
منها باعمالنا وننجو منها بفتح اعمالنا منه وطوله لا
رب غيره ولا معبود سواه وصلوته على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين وسلم وكرم
وشرف وعظم
تم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه الطيبين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين
حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

التركية (ت) الأخيرة



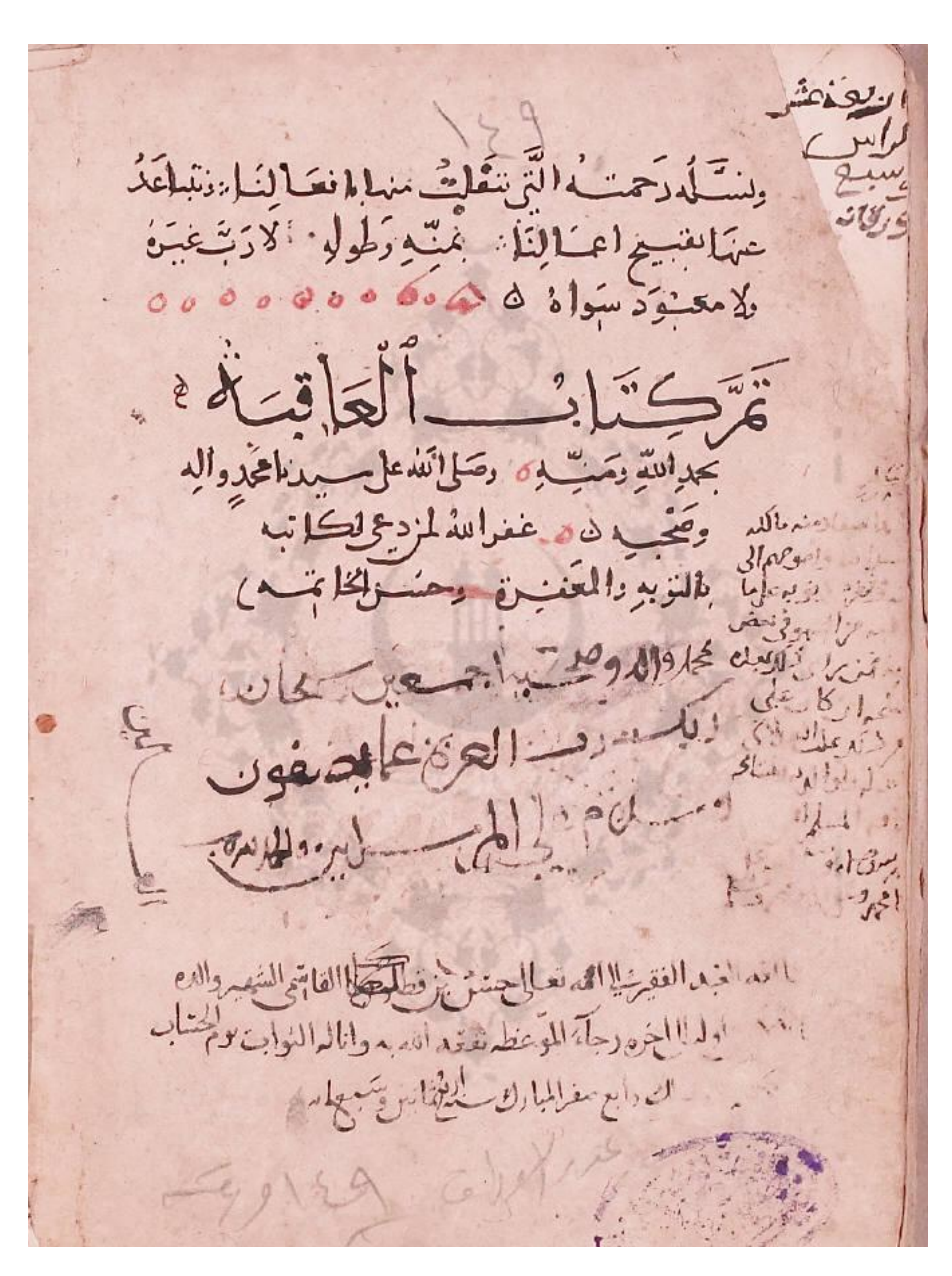
مكتبة شستربتي الورقة الأولى (ش)



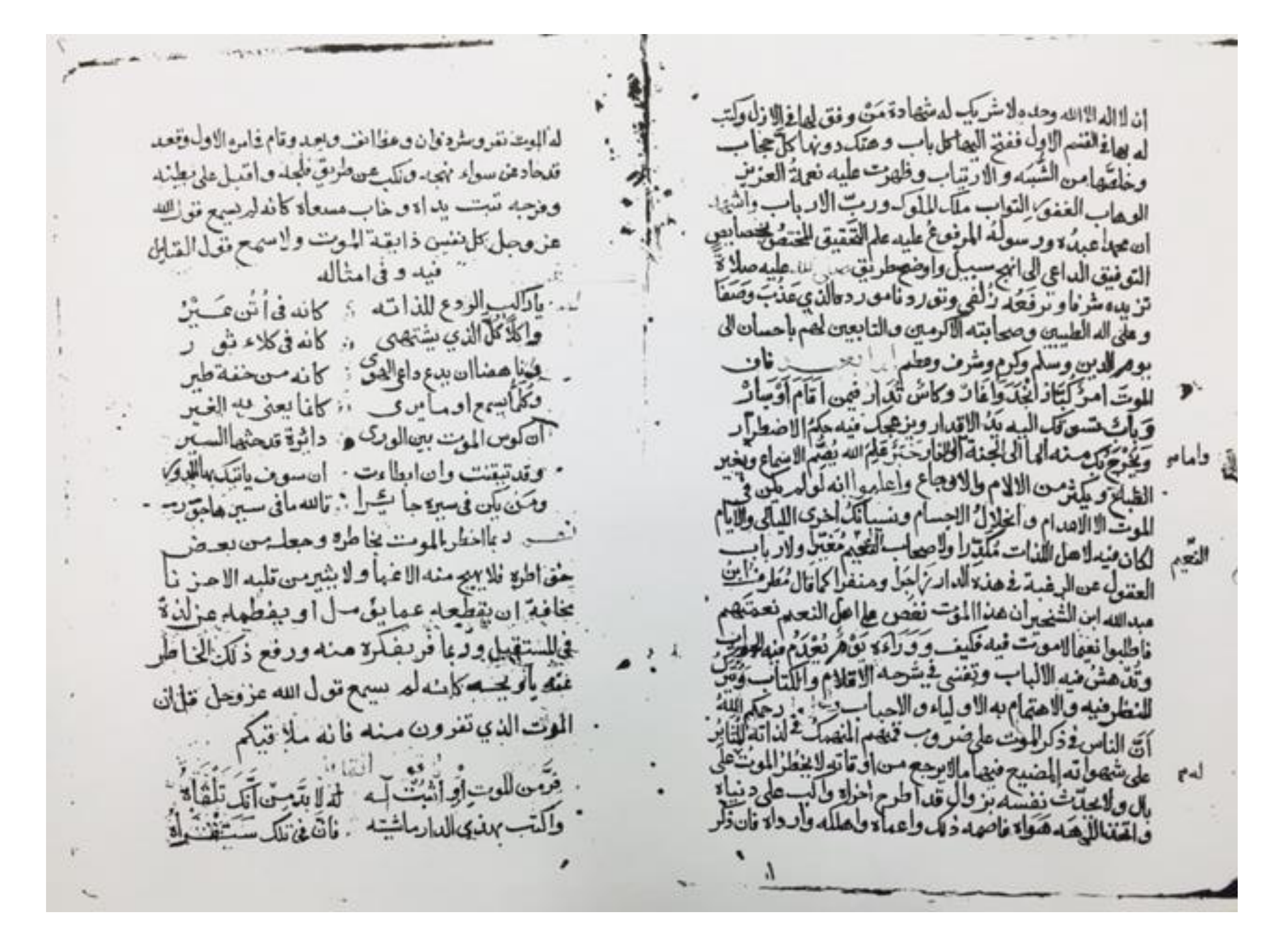
مكتبة شسترببتي الورقة الأخيرة (ش)



رواق المغاربة (م) الأولى



رواق المغاربة (م) الأخيرة



ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من وفق لها في الازل وكتب
له بها في القسم الاول ففتح اليها كل باب وهتك دونها كل حجاب
وخلصها من الشبه والارتياب وظهرت عليه نعمة العزيز
الوهاب الغفور التواب ملك الملوك ورب الارباب واشهد
ان محمدا عبده ورسوله المرفوع عليه علم التحقيق المخصوص بخصايص
التوفيق الداعي الى انهج سبيل واوضح طريق صلى الله عليه صلاة
تزيده شرفا وترفعه زلفى وتورد ناموردة الذي عذب وصفا
وعلى اله الطيبين وصحابته الاكرمين والتابعين لهم باحسان الى
يوم الدين وسلم وكرم وشرف وعظم اما بعد فان
الموت امر كباز انجد واغار وكاس تدار فيمن اقام او سار
وباب يحشر الكل اليه يد الاقدار ويزعجك فيه حكم الاضطرار
ويخرج بك منه اما الى الجنة او الى النار حسبما علم الله بصم الاسماع ويغير
الطباع ويكثر من الالام والاوجاع واعلموا انه لو لم يكن في
الموت الا الاعدام واغلال الاجسام ونسيانك اخرى الليالي والايام
لكان فيه لاهل اللذات مكدرا ولاصحاب النعيم مغيرا ولارباب
العقول عن الرغبة في هذه الدار زاجرا ومنفرا كما قال مطرف ابن
عبد الله ابن الشخير ان هذا الموت نغص على اهل النعيم نعمتهم
فاطلبوا نعيما لا موت فيه فكيف ووراءه يوم تعدم منه الحواس
وتدهش فيه الالباب وتفنى في شرحه الاقلام والكتاب ومن
النظر فيه والاهتمام به الاولياء والاحباب رحمكم الله
ان الناس في ذكر الموت على ضروب فمنهم المنهمك في لذاته المثابر
على شهواته المضيع فيها ما لا يرجع من اوقاته لا يخطر الموت على
باله ولا تحدثه نفسه بزوال قد اطرح اخراه واكب على دنياه
فاقتنا الا هذه هواه فاصمه ذلك واعماه واهلكه واردا فان ذكر

(في الهامش: واما / النعيم / لهم)

له الموت نفر وشرد وان وعظ انف وبعد وقام في امره الاول وقعد
فحاد من سواء نهجه ونكب عن طريق فلجه واقبل على بطنه
وفرجه تبت يداه وخاب مسعاه كانه لم يسمع قول الله
عز وجل كل نفس ذائقة الموت ولا سمع قول القايل
فيه وفي امثاله

يا راكب الودع للذاته ... كانه في امن عسكر
واكلا كل الذي يشتهي ... كانه في كلاء ثور
وفيما هضاان يدع داعي الهوى ... كانه من خفة طير
وكلما يسمع او ما يرى ... كانما يعنى به الغير
ان كوس الموت بين الورى ... دائرة تحثها السير
وقد تيقنت وان ابطات ... ان سوف ياتيك بها الدور
ومن يكن في سيره جائرا ... تالله ما في سيري جور

ومنهم من يخطر الموت بخاطره وجعله من بعض
خواطره فلا يبيح منه الا غبا ولا يثير من قلبه الا حزنا
مخافة ان يقطعه عما يؤمل او يقطعه عن لذة
في المستقبل وربما فر بفكره منه ورفع ذلك الخاطر
عنه باو يحه كانه لم يسمع قول الله عز وجل قل ان
الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم

فرمن الموت او اثبت له ... لابد من انك تلقاه
واكتب بهذي الدار ماشيته ... فانك في تلك ستقراه

مكتبة الأحقاف (اليمن) الأولى (ي)

الجنة ولو ان احدا مات حزنا لمات اهل النار ، ذكر البزار من حديث ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتب عليه الخلود لم يخرج منها يعني
من النار وانشدوا   اما سمعت باهل النار في النار   ومن مقاساتهم ما يلقون في النار
اما سمعت بأكباد لهم صدعت   خوفا من النار قد ذابت على النار   اما سمعت باغلال تناط بهم
فيسحبون بها سحبا على النار   اما سمعت بضيق في مجالهم   وفي القرار ولا قرار في النار
اما سمعت بحيات تدب بها   اليهم خلقت من خالص النار   اما سمعت بانفاس لهم حبست
عن التنفس من حرارة النار   اما سمعت باجساد لهم نضجت   من العذاب ومن غل على النار
اما سمعت بما يكلفون به   من ارتقاء جبال النار في النار   حتى اذا ما علوا على شواهقها
صبوا بعنف الى اسافل النار   اما سمعت بزقوم يسوغه   ماء صديد ولا تسويغ في النار
يسقون منه كؤوسا ملئت سقما   ترى بلعاتهم رميا على النار   يشوي الوجوه وجوها البست ظلما
بين الشراب شرابا ساكني النار   ولا ينامون ان طاف المنام بهم   ولا منام لاهل النار في النار
ان يستقيلوا فلا تقال عثرتهم   او يستغيثوا فلا غياث في النار   وان ارادوا خروجا ردهم
بمقمع النار مدحورا الى النار   فهم الى النار يدفعون بالنار   وهم من النار يرجعون للنار
ما ان يخفف عنهم من عذابهم   ولا تفتر عنهم سورة النار   وهذه صدعت أكباد سامعها
من ذي الحجا وهي التخليد في النار   ولو يكون الى وقت عذابهم   في النار هونه ذاكم نفحة النار
فيا الهي ومن احكامه سبقت   في الخلق تبيين من الجنات والنار   رحماك يا رب في ضعفي وفي ضعفي
فاوجد لي صبرا على النار   ولا على حر شمس ان برزت لها   فكيف اصبر يا مولاي للنار
فان تغمدني عفو وثقت به   منكم والا فاني طعمة النار   نحن نستعيذ بالله من عذابه
الذي لا يقوم له جميع الوجود فكيف الحشرات والدود ومن غضبه الذي لا يستطاع ذكره
ولا يقدر قدره ونساله رحمته التي نتقلب منها الى مرضاته بافعالنا ونتباعد عنها بقبيح
اعمالنا عنه وطوله لا رب غيره ولا معبود سواه وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين
والمرسلين وعلى آلهم اجمعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين يا ارحم الراحمين كمل كتاب
كتاب العاقبة للامام العلامة عبد الحق الازدي المالكي الاندلسي بحمد الله وحسن عونه
وتوفيقه ووافق الفراغ منه في ثاني شهر ربيع الآخر من شهور سنة ست وعشرين
وثمان مائة وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه ووارثيه
[illegible] وحزبه ومن تبعه
[illegible] الى يوم الدين
وسلم

مكتبة الأحقاف (اليمن) الأخيرة (ي)

النص المحقق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كبيراً

قال الفقيه الخطيب المحدِّث الفاضل الورع الزاهد العالم العلامة الحجة أبو محمد عبدالحق بن عبدالرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي رحمه الله وألحقه رضوانه(١):

الحمد لله الذي أذلَّ بالموت رقاب الجبابرة، وكسر بصدمته ظهور الأكاسرة(٢)، وقصر بنقمتِه آمال القياصرة(٣)(٤)، الذي أدار عليهم حلقته الدائرة، وأخذهم بيده القاهرة، فقذفهم في ظلمات الحافِرَة(٥)، وصيرهم بها رهنا إلى وقفة(٦) الساهرة، فأضحوا قد خسروا الدنيا ولم(٧) يحصلوا على شيء من الآخرة، مصيبة – والله - لا تجبرُ مصابُها، ولا يُتجرع صابها(٨)(٩)، ولا تنقضي(١٠) آلامها ولا أوصابها(١١)، لم يمنعهم ما حصَّلُوه من المعاقل والحصون، ولا حرسهم ما بعثوه من الحرس والعيون، ولا فداهم من رَيب المَنون ما ادخروه من عِلْقٍ(١٢) مَصون وذهب مخزون، بل صدمهم بركنه [١/أ] الشديد، وصبَّحهم(١٣) بجيشه المديد، وأنفذ فيهم ما

---

(١) في (م): (قال الفقيه أبو محمد عبدالحق بن عبدالله الأزدي الإشبيلي رحمة الله عليه:...).

(٢) الأكاسرة: جمع كِسْرى: اسمُ مَلِكِ الفُرْس، مُعَرَّب، ومعناه وَاسِع المُلك. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٤٢/٥).

(٣) في (م): (الأقاصرة).

(٤) القياصرة: جمع قيصر وهو لقبٌ كان يُلقّبُ به ملك الروم، انظر: لسان العرب (٥/ ١٠٤) والمعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين (ص:٧٧٠).

(٥) الحافرة: القبر. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤/٥).

(٦) في (م): (وقعة).

(٧) في (م): (ولن).

(٨) في (م): (صبابها).

(٩) صابها: مرارتها، لأن الصاب ضربٌ من الشجر المرّ. انظر: لسان العرب (٥٣٤/١).

(١٠) في (م): (ولا ينقضي).

(١١) أوصابها: أوجَاعُها وأمراضُها، انظر: لسان العرب (٧٩٧/١).

(١٢) العِلْق: الشيء النفيس، انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٢٨/٤).

(١٣) في (م): (وطحنهم).

كتب عليهم من[1] الوعيد، نقلهم من لين المهود إلى خشونة اللحود، وصيرهم بين حَجَرِها المنضود[2]، وجندلها[3] المعقود[4]، أُكلا للهوام وطُعما للدود[5]، نظر إليهم بعينه الشَّوْسَاء[6]، وأرسل عليهم كتيبتَه الخَرساء، فأذل عِزَّتَهم القَعْسَاء[7].

وأبدل من نعمائهم بأسا[8]، وأنطق بالعويل منهم ألسنة خرسا[9]، وصيرهم حديثا يُذكر على مَرِّ الزمان ولا يُنسى.

نزلوا عن الأرائك والكِلال[10]، والأسرة والحِجَال[11] إلى الحجارة والرمال، والأراقم[12] والصِّلال[13]، وشَظَف[14] العيش وضيق المجال،........................

(١) (من) ساقطة من (م).

(٢) الحجر المنضود: أي الذي بعضُه فوق بعض، انظر: المصدر السابق (٥/٤٣٩).

(٣) الجَنْدَل: الحِجَارة، انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص:٩٨٠).

(٤) (المعقود) ساقطة من (م).

(٥) في (م): (أكلا للهوام وللدود).

(٦) الشوساء: مأخوذة من الشَّوَس، وهو النَّظر بغضب. انظر: تهذيب اللغة (١١/٢٦٥).

(٧) القَعساء: أي الثابتة. انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/١١٠).

(٨) في (م): (وأزال من نعمتهم ما شاء).

(٩) في (م): (الخرسا)

(١٠) الكِلال: ضربٌ من الستور، «قال أبو عبيد: الكِلّة من السُّتُور: ما خيط فصار كالبيت. وأنشد للبيد:

من كلِّ محفوفٍ يُظِلّ عصيّه ... زوجٌ عليه كِلّةٌ وقِرامُها»

تهذيب اللغة (٩/٤٤٩)

(١١) الحِجَال: جمع مفرده حَجَلَة، وهو بيت كالقُبَّة يُستر بالثِّيَاب ويكون له أزرار كبار؛ ومنه حديث الاستئذان: «ليس لبيوتهم سُتور ولا حِجال». انظر: لسان العرب (١١/١٤٤) والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (ص:١٩٠).

(١٢) الأَرْقَم: أَخْبَث الحَيَّات وأطلبُها للنَّاس أو ما فيه سواد وبياض أو ذَكَرُ الحَيَّات، انظر: القاموس المحيط (ص:١١١٥) ولسان العرب (١١/٣٨٥).

(١٣) الصِّلّ: الحَيَّة التي تقتل إذا نَهَشت من ساعتها، وقيل غير ذلك، قال أبو فراس الحمداني:

نَمُدّ بُيُوتَنَا، في كُلّ فَجٍّ ... بِهِ بَينَ الأَرَاقِمِ وَالصِّلالِ

انظر: القاموس المحيط (ص:١٠٢٣) ولسان العرب (١٢/٢٤٨)، وديوان أبي فراس الحمداني (ص:٢٦٩).

(١٤) الشَّظَف: يُبْس الْعَيْشِ وشِدَّتُه. لسان العرب (٩/١٧٦).

وحلوا بَرَبْعٍ[١] غيرِ محلال[٢]، بحيث لا زوال ولا انتقال، ولا عثرة تقال، ولا يُسمع فيها كل مقال، ولا يُلتفت عندها إلى كل من قال، أرسل ربك عليهم جنوده العاتية[٣]، وأخذهم أخذته الرابية[٤]، وسلك بهم مسلك الأمم الخالية، والقرون الماضية؛ فهل تحس منهم من أحدٍ أو هل ترى لهم من باقية؟! وفيهم قيل وفي أمثالهم:

حَــدِّثْ حَــدِيثَ الْقَــوْمِ مِــنْ فَــارسٍ ... وَمِــن بَنــي قــبطٍ[٥] ويونــانِ[٦] [١/ب]

وَمِــن بنــي الْأَصْــفَرِ[٧] أَعْجِــبْ بهــم ... وَســــيد الأتــــراكِ خاقَــــانِ[٨]

والأقـــــدمين الأعظمـــــين الأُلى ... مـــن حِمْـــيَرٍ[٩] أَبنَـــاءِ قحطـــانِ

مـن تُبَّـعِ الْعُـرْبِ[١٠] وَمِـن قَيْصـرِ[١١] الـ ... ـــرّومِ وكســـرى[١٢] آل سَاسَـــانِ[١٣]

مـــن كُـــلِّ قَـــرمٍ[١٤] شـــامخٍ أَنفـــه ... وكـــــلِّ فِرْعَـــــوْنٍ وهامـــــانِ

---

(١) الرَّبْع: مَحَلَّة القوم. انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٨٠).

(٢) المحلال: المكان الذي يحل به الناس كثيرا. والمعنى: نزلوا في مكان ليس فيه أحد. انظر: لسان العرب (١١/ ١٦٥).

(٣) العَاتِية: الجَبَّارة. انظر: لسان العرب (١٥/ ٢٧).

(٤) أَخْذَةً رابِيَةً: أي أخذةً شديدةً. انظر: القاموس المحيط (ص: ١٢٨٦).

(٥) القِبْط: في الأصل وَلَدُ قِبْط ابْن مِصْرَ بنِ قُوطِ بنِ حامٍ، ثم صارت تطلق على أَهل مِصر. انظر: تاج العروس (٢٠/ ٥).

(٦) اليُونانيُّون: جيلٌ يُنسِب إلى يُونان بن يافِث وقيل: جَزيرَة كانتْ حُكَمَاء الرُّومِ يَنْزِلُونَها. انظر: المصدر السابق (٣٦/ ٣١٤)

(٧) أي الرُّومَ، لأَنَّ أباهم الأول كان أصفَر اللَّون، وهو رُوم بن عيصو. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص: ٥٢٠).

(٨) خاقانُ: عَلَم واسمٌ لكلِّ مَلِكٍ خَقَّنَه التُّرْك على أنفسهم، أي: مَلَّكوهُ ورَأَّسوه. انظر: القاموس المحيط (ص: ١١٩٤).

(٩) هو حِمْيَر بن سبإٍ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان وهو أَبو القبيلة، ومنهم كانت الملوك في الدَّهر الأَوَّل، واسم حِمير العَرَنجَج. انظر: لسان العرب (٤/ ٢١٥)، وتاج العروس (١١/ ٨٩).

(١٠) تُبَّع مَلِك في الزَّمان الأَوّل، قيل اسمه أَسْعَد أبو كَرِب، والتَّبَابِعَة: مُلُوك اليمَن، قيل كان لا يُسمَّى تُبَّعا حتَّى يَملِك حضرمَوت وسبأ وحِمير. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص: ١٠٤).

(١١) قَيْصَر: اسم مَلِك الرُّوم. انظر: لسان العرب (٥/ ١٠٤).

(١٢) كِسرى: لَقَب مُلوك الفُرْس. النهاية في غريب الحديث (ص: ٨٠١).

(١٣) سَاسَان: اسْمُ كِسْرَى. لسان العرب (٦/ ١٠٩).

(١٤) القَرْم: المقَدَّم في المعرفة وتجارِب الأمور. النهاية في غريب الحديث (ص: ٧٤٦).

وَإِنْ نسـيتَ الْيَـوْم شَـيْئا فَـلَا تـنس نبيطـا أُخْـتَ كِلـدانِ[1][2]
وَاذْكُـر مُلُـوكَ الأَرْضِ مـن بعـدِهم مـن عَـرَبٍ صَـيَدٍ[3] وعُجـانِ
مِـن كـلِّ مَنْصُـورِ اللِّـوَا أروعٍ سـليلِ[4] أطـواقٍ وتيجـانِ
مُجْتَمـع الشَّـملِ عـلى غِـرَّةٍ شُـدَّت[5] بـأساسٍ وأركـانِ
قـد زلـزلَ الأَرْضَ وراعَ الـورى مـن جَيْشِـهِ الضـخمِ بطوفـانِ
وذلَّـلَ الخَلـقَ بسـلطانِه كَأَنَّـهُ ربٌّ لَهُـم ثـانِ
انْظُـر إِلَـيْهِم هَـل تـرى مِـنْهُمُ غـيرَ أَحَادِيـثٍ بأَفنـانِ[6]
وَانْظُـر إِلَى الْمَـوْتِ وأعمالِـه فـيهم تـرى الملـكَ ببرهـانِ
وَأبْصـرْ الْقَـوْمَ ومـاذا لَقُـوا بـالْمَوْتِ مـن ذُلٍّ وخُسـرانِ
قـد صَـفَعَتْهُم يَـدُه صـفعةً[7] خـرّوا لهـا كُـلّا والأذقـانِ
ودكَّ[8] فِي الأَرْض بتيجـانِهم[9] وأُلبِسـوا تيجـانَ صـمّانِ[٢/أ]
[مـن حَجَـرٍ صَـلْدٍ[10] ورَخْـوٍ[11] وَمِـنْ تُـرْبٍ وحَصْـباء[12] وصـيدانِ[13]
وأُنزلـوا بطـنَ الثـرى بَعْـدَمَا كَـانُوا قعُـودا فَـوق إيـوانِ[1]][2]

---

(١) جِيلٌ مِن الناس انقرَضوا، كأَنَّهم نُسِبوا إلى كلْدَان، دار مملكة الفُرْس بالعراقِ. تاج العروس (٣٦/٥٧).

(٢) في (م): (أخت شاة كلدان).

(٣) لعله يريد بذلك: الصَّيَد: مصدرُ الأَصْيَدِ وَهُوَ: المَلِك لا يَلتَفِت من زَهْوِه يَميناً وَلَا شِمالاً. تاج العروس (٨/٣٠٧).

(٤) السَّليل: الولد؛ سُمِّي سليلا لأنه خُلق مِنَ السُّلالة. لسان العرب (١١/٣٣٩).

(٥) في (م): (شُدَّ).

(٦) العربُ تقول: كنتُ بحال كذا وكذا فَنَّةً وفَيْنة مِن الدَّهر، أي طرَفا مِنه. انظر: لسان العرب (١٣/٣٢٨).

(٧) في (م): (قد صفقتهم يده صفقة).

(٨) النسخة (ش) بدأت من هنا.

(٩) في (م): (وذُلِّلَت في الأرض تيجانهم)، وفي (ش): (وذل في الأرض تيجانهم)

(١٠) حَجَر صَلْد: أي صلْب أَملَس. تاج العروس (٨/٢٩٠).

(١١) الرَّخو -مُثَلَّثة-: الهَشُّ من كلِّ شيء. المصدر السابق (٣٨/١٣٧).

(١٢) الحَصْباء: الحَصى، وَاحدتُه حَصَبة. لسان العرب (١/٣١٨).

(١٣) الصَّيْدان: حَجَر أبيض تُعمل مِنه البِرَام. انظر: لسان العرب (٣/٢٦٢)، وتاج العروس (٨/٣٠٣).

وأُطعِـــمَ الديـــدان لُحامُهـــم يالـــكَ مـــن لَحـــمٍ ودِيـــدَانِ
فكـــم هُنَـــاكُم مـــن فَتـــى نـــاعم وَمـــن فتـــاةٍ ذَاتِ أردانِ[٣]
وَمِـــن[٤] هِزَبـــرٍ[٥] مَـــرِحٍ[٦] فِي الـــوغى وظبيـــةٍ تـــسرحُ فِي بَـــانِ[٧]
كَـــانُوا كَـــذَا ثـــمَّ اغتـــدوا عِـــبْرَةً للنـــازحِ الـــدَّار وللـــدَّانِ
وَلم يـــدافع عَـــنْهُم جَحفـــل[٨] قـــد طبـــق الأَرْضَ بفرســـانِ
وَلَا بيُـــوتٍ مُلِئَـــتْ كلهَـــا[٩] مـــن لُؤْلُـــؤ بحـــتٍ وعقيـــانِ[١٠]
بـــل مَـــرّ ذاكـــم كُلـــه مـــسرعا كَـــالرِّيحِ مَـــرَّتْ بَـــينَ قضـــبانِ
وَأَصْـــبح[١١] الملـــكُ لمـــن مُلكُـــه بَـــاقٍ وكُـــلّ غَـــيره فـــانِ

فسبحان من تفرّد بالعزةِ والكبرياء، وتوحد بالديمومة[١٢] والبقاء، وطوَّقَ عباده بطوق الفناء، وفرَّقهم بما كتب عليهم من السعادة والشقاء، وجعل الموت مخلصا لأوليائه السعداء، ومُهلكاً لأعدائه الأشقياء، وخلق خذلانا، وقدر توفيقا[١٣]، وأنهجَ سبيلا، وأوضح طريقا،

---

(١) الإِيوان: الصُّفَّة العظيمة، ومنه إيوان كِسْرَى. تاج العروس (٢١٨/٣٤).

(٢) ما بين المعكوفتين غير واضح في النسخة الأصل (ت)، وهو مثبت من (ش).

(٣) الرُّدْن: مقدَّم الكُمّ، والجمع أَرْدَان. انظر: معجم مقاييس اللغة (٥٠٥/٢).

(٤) من هنا إلى قوله (من لُؤْلُؤ بحتٍ وعقيانِ)، ساقط من (م).

(٥) الهِزَبْر: مِن أسماء الأسد. لسان العرب (٢٦٣/٥).

(٦) في (ش): (يمرح).

(٧) البان: اسمٌ أُطلق على قرى ومواضع متفرقة، وعلى الشجر المعروف. انظر: تاج العروس (٢٨٩/٣٤).

(٨) الجَحْفَل: الجيش الكثير. لسان العرب (١٠٢/١١).

(٩) في (ش): (كظها).

(١٠) العِقْيَان: الذَّهَب الخالِص. النهاية في غريب الحديث (ص:٦٣٤).

(١١) هذا البيت ساقط من (م).

(١٢) في (م): (بالديمومية).

(١٣) قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القوة الَّتِي تَرِد من الله على العبد فيفعل بهَا الخير تسمى بالإِجماع تَوفِيقًا وعصمة وتأييداً، والقُوَّة الَّتي تَرِد من الله تَعالى فيفعل العَبد بها الشَّرّ تسمى بالإجماع خذلاناً». الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٩/٣).

فهدى [٢/ب] إليه فريقا، وأضل عنه فريقا، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[١]، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢].

وأشهد[٣] أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مَن وُفِّق لها في الأزل[٤]، وكُتِبَ له بها في القسم الأول، فَفَتَح إليها كلَّ باب، وهَتَكَ دونها كلَّ حجاب، وخَلَّصَها مِن الشُّبَهِ[٥] والارتياب، وظهرت عليه فيها نِعمةُ العزيز الوهاب، الغَفورِ التَّواب، مَلِك الأملاك، وربِّ الأرباب.

وأشهد أنَّ محمدا عبده ورسوله، المرفوع عليه عَلَم التَّحقيق، المختص بخصائص التوفيق، الداعي إلى أنهج سبيل وأوضح طريق، صلى الله عليه صلاة[٦] تزيده شرفا، وترفعه زلفى، وتوردنا مورده الذي عَذُبَ وصَفَا، وعلى آله الطيبين، وصحابته الأكرمين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وشَرَّفَ[٧] وكرَّمَ وعَظَّمَ، أما بعد:

---

(١) السورة: الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٢) السورة: يس، الآية: ٨٣.

(٣) النسخة (ي) بدأت من هنا.

(٤) لعل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول ذلك تفاؤلا ومن باب الرجاء وحسن الظن بربه وإلا فعلمُ ذلك عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(٥) في (ش): (الشبهة).

(٦) في (م) زيادة: (دائمة).

(٧) في (م) سقطت كلمة (وشرف).

فإنَّ الموتَ أمرٌ(١) كُبَّار، أنجد وأغار(٢)، وكأس تدور(٣) فيمن أقام أو سار، وباب تسوقك إليه يد الأقدار(٤)، ويزعجك فيه حكم الاضطرار، ويُخرجك(٥) منهُ إلى الجنة وإما إلى النار، خبرٌ -عَلِمَ اللهُ- يُصِمُّ الأسماع، ويغير الطباع، ويُكثر من الآلام والأوجاع.

واعلموا أنه لو لم يكن في الموت إلا الإعدام، وانحلال الأجسام، ونسيانك أخرى(٦) الليالي والأيام، لكان -والله- لأهل اللذات مُكدِّرا، ولأصحاب النعيم مُغيِّرا، ولأرباب العقول عن الرغبة في هذه الدار زاجراً ومُنفِّرا، كما قال مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير(٧): «إنَّ هذا الموتَ نَغَّصَ عَلَى أَهْلِ النَّعِيمِ نَعِيمَهُمْ(٨)، فَاطْلُبُوا نَعِيمًا لَا مَوْتَ فِيهِ(٩)»(١٠).

فكيف ووراءه يوم يُعدم فيه الجواب، وتدهش فيه الألباب، وتفنى في شرحه الأقلام والكتاب، ويُتْرَكُ للنظر فيه والاهتمام به الأولياء والأحباب.

---

(١) في (ش): (فإن الموت كَأسٌ أَمَرٌّ كُبَّار).

(٢) أَنجد: ارْتَفَعَ، وأَغارَ: أَسرع، انظر: لسان العرب (٥/ ٣٤)

(٣) في (ش): (يُدار).

(٤) هذه العبارة توهم بأن الأقدار لها تصرف ومشيئة وهذا غير صحيح؛ فإن الأقدار لا تشاء وإنما المشيئة لله رب العالمين ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٩] وإليه سبحانه يُنسب الأمر. انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٣٥٢/٤)، ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١١٤/٣).

(٥) في (ش): (يخرج بك منه).

(٦) في (ش): (آخر).

(٧) أبو عبد الله الحرشي العامري البصري، تابعي جليل حدَّث عن أبيه، وعمران بن حصين، وعلي، وعمار، وأبي ذر، وعثمان، وعائشة، وغيرهم رضي الله عنهم، وحدَّث عنه الحسن البصري، وأخوه يزيد بن عبد الله، وثابت البناني، وقتادة، ومحمد بن واسع، وغيرهم، توفي سنة ٨٦هـ، وقيل غير ذلك. انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (١٩٨/٢)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨٧/٤).

(٨) في (ي): (نعمتهم).

(٩) معنى قوله: «فَاطْلُبُوا نَعِيمًا لَا مَوْتَ فِيهِ» أي: اجتهدوا في طلب نعيم الجنة التي لا موت فيها.

(١٠) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٢٤٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٢/١٩)، وأبو نعيم في الحلية (٢٠٤/٢).

واعلموا[1] رحمكم الله أن الناس في ذكر الموت على ضروب:

فمنهم المنهمك في لذاته، المثابر على شهواته، المضيع فيها ما لا يرجع من أوقاته، لا يخطر الموت له على بال، ولا يحدث نفسه بزوال، [٣/ب] قد اطَّرَح أخراه، وأَكَبَّ على دنياه، واتخذ إلٰهه هواه، فأصمَّه ذلك وأعماه، وأهلكَه وأرداه.

فإن[2] ذُكِرَ له الموت نَفَرَ وشرد، وإن وُعِظَ أَنفَ وعَنِد[3]، وقام في أمره الأول وقعد، قد حاد عن سواء نهجه، ونَكَبَ عن طريق فَلْجِه[4]، وأقبل على بطنه[5] وفرجه، تَبَّت يدَاه[6]، وخاب مسعاه، وكأنه[7] لم يسمع قول الله ﷻ: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾[8] ولا سمع[9] قول القائل فيه[10] وفي أمثاله[11]:

يـــا راكـــبَ الـــروعِ للذاتِـــه ... كأنـــه في أُتُـــنٍ[12] عَـــيْرُ[13]

وآكـــلاً كـــلَّ الـــذي يشـــتهيه[14] ... كأنَّـــــه في كـــــلأٍ ثَـــــورُ

وناهضـــاً إنْ يَـــدْعُ داعـــي الهـــوى ... كأنَّـــه مِـــن خِفَّـــةٍ طَـــيرُ

---

(١) من هنا إلى قوله (توفيت امرأة كان أصحاب...) في (ص:٦١) ساقط من (ش).

(٢) في (م): (وإن).

(٣) في (ي): (وبَعُدَ).

(٤) الفَلْج: الظَّفَر والفوز. القاموس المحيط (ص:٢٠٢).

(٥) في (م): (وأقبل عبد بطنه).

(٦) تَبَّت يَداه: أي خَسِرتا. لسان العرب (١/ ٢٢٦).

(٧) في (م) و(ي): (كأنه).

(٨) السورة: آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٩) في (م): (ولا يسمع).

(١٠) من هنا إلى قوله (فر من الموت أو اثبت له...) في (ص:٦٠) غير موجود في (م).

(١١) ذكر هذه الأبيات أبو جعفر الضبي في بغية الملتمس (ص:٣٩١)، في ترجمة المصنف ونسبها له.

(١٢) أُتُنٌ وأُتْن: جمع ، ومفرده أتان: وهي الأنثى من الحُمُر. انظر: القاموس المحيط (ص:١١٧٤).

(١٣) العَيْر: الحمار، وهي تُقَال للحمار الأهلي والوحشي. انظر: تهذيب اللغة (٣/ ١٠٥).

(١٤) في (ي): (يشتهي).

وكلما يسمعُ أو ما يرى ... كأنَّما يُعنى بهِ الغَيرُ
إنَّ كؤوسَ الموتِ بين الورى ... دائرةٌ قد حثَّها السيرُ
وقد تَيَقَّنْتَ وإنْ أَبطَأَتْ ... أنْ سوفَ يأتيكَ بها الدَّورُ
ومن يكن في سيرِهِ جائراً ... تاللهِ ما في سيرِها جَوْرُ

نعم ربما أخطر الموت بخاطره، وجعله من بعض خواطره [٤/أ]، فلا يهيج منه إلا غما، ولا يثير من قلبه إلا حزنا، مخافة أن يقطعه عما يُؤمِّل، أو يَفْطِمَهُ عن لذَّة في المستقبل، وربما فرَّ بفكره منه، ودفع ذلك الخاطر عنه، ويا ويحه[١] كأنه لم يسمع قول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ﴾[٢]، ولا قول القائل[٣]:

فِرَّ من الموتِ أو اثبُتْ لهُ ... لا بدَّ من أنَّكَ تَلقَاهُ
واكتبْ بهذي الدارِ ما شئتَهُ ... فإنَّ في تلكَ سَتَقراهُ

وكذلك من كان قلبه متعلقا بالدنيا، وهمُّه فيها، ونظره مصروفا إليها، وسعيه كله لها، وهو مع ذلك من طلابها المحرومين، وأبنائها المكدودين[٤]، لم ينل منها حظا، ولا رقى منها مرقى، ولا نجح له فيها مسعى، إن ذُكِرَ له الموت تَصامَم عن ذكره، ولم يُمَكِّنْهُ من فكرِه، وتمادى على أول أمره، رجاء أن يَبلُغَ ما أمَّل، أو يُدرك بعض ما تخيَّل، فعمره ينقص وحرصه يزيد، وجسمه يَخْلَقُ وأمله جديد، وحتفه قريب ومطلبه بعيد، يَحرِص حِرصَ مُقيم، ويسيرُ إلى الآخرة [٤/ب] سَيْرَ مُجد، كأنَّ الدُّنيا حقُّ اليقين، والآخرةَ ظنٌّ مِن الظنون[٥]، وفي مثل هذا قيل:

أَتَحرِصُ يا ابنَ آدمَ حِرْصَ باقٍ ... وأنتَ تمرُّ ويحكَ كلَّ حين
وتعملُ طولَ دهرِك في ظنونٍ ... وأنتَ من المَنونِ على يَقين

---

(١) في (ي): (يا ويحه) من غير الواو.

(٢) السورة: الجمعة، الآية: ٨.

(٣) قوله: (ولا قول القائل) غير موجود في (ي).

(٤) في (ي): (المكدوحين المكدودين).

(٥) قوله: (سير مجد، كأن الدنيا حق اليقين، والآخرة ظن من الظنون) ساقط في (م).

وهذا(١) إذا ذَكَر الموت أو ذُكِّرَ به لم يخف أن يقطع عليه مُهمّا من الأغراض قد كان حصَّلَه، ولا عظيما من الآمال في نفسه قد كان أدركه، لأنه لم يصل إليه، ولا قدر عليه، لكنه يخاف أن يقطعه في المستقبل عن بلوغ أمل يُحدِّث به نفسه، ويخدع به حِسَّه، وهو يرى فيه يومه، كما قد [رأى](٢) فيه أمسه، قد ملأ قلبه بتلك الأحاديث المشغلة، والآمال(٣) المرذلة، والوساوس المتلفة، قد جعلها ديدنه(٤) ودينه وإيمانه ويقينه، وربما ضاق ذَرْعُه بالدُّنيا، وطال همُّه فيها مِن تَعذُّرِ مرادِه عليه، وقِلَّة تَأَتِّيه له، فتمنى الموت إذ ذاك ليستريح بزعمه، وهذا من جهله بالموت، وبما بعد الموت، والذي يستريح بالموت غيره [٥/أ]، والذي يفرح به سواه، إنما الفرح من وراء الصراط، والراحة بعد المغفرة.

توفيت امرأة كان أصحاب رسول الله ﷺ يمازحونها ويضحكون منها فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: استراحت، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّما يستريحُ من غُفِرَ له**»(٥) ذكره أبو بكر البزار(٦) في مسنده(٧)(٨).

---

(١) من هنا إلى قوله: (إنما الفرح من وراء الصراط، والراحة بعد المغفرة) ساقط في (م).

(٢) في الأصل (ت): (وار)، والمثبت من (ي) وهو الصواب المناسب للمعنى.

(٣) في (ي): (والأماني).

(٤) في (ي): (دنياه).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٢٤٠/٤١) ح (٢٤٧١٣)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٦/٤) ح(١٧١٠)، ويشهد له ما أخرجه البخاري [كتاب الرقاق، باب سكرات الموت] (ص:١٦١٩)، ح(٦٥١٢)، ومسلم [كتاب الجنائز، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه] (٤٢٣/١) ح(٩٥٠)، من حديثِ أَبِي قتادة أنه كان يحدِّث أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مُرَّ عَليه بِجِنَازَة، فقال: «**مُستَرِيح ومُسْتَرَاحٌ مِنه**»، قالوا : يَا رسولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيح وَالْمُسْتَرَاحُ منه؟ قال: «**الْعبدُ المؤمنُ يَستريح من نَصَب الدُّنيا وأذاها إِلَى رحمة اللَّه، والعبدُ الفاجر يَسْتَرِيح منه العباد والبلاد والشَّجَر وَالدَّوَابّ**».

(٦) أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، البصري، البزار، صاحب «المسند» الكبير، ولد سنة نيف عشرة ومائتين، اختلف المحدثون في توثيقه، قال الذهبي: صدوق مشهور، توفي بالرملة سنة ٢٩٢هـ. انظر: السير (٥٥٤/١٣)، تاريخ بغداد (٣٣٥/٤).

(٧) انظر: كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي (٣٧٤/١).

(٨) من هنا إلى قوله (كما يُروى عن بعض الصالحين وقد بكى) في (ص:) ساقط من (ش).

فلا يزال هذا البائس يتحمل من الدنيا بؤسها، ويتلقى نحوسها[١]، ويلبس لكلِّ شِدَّةٍ لَبُوسها[٢]، وهو يتعلَّل بعسى ولعلَّ، ويرى جُندَه الأفل[٣]، وحِزبَه الأقل، وناصِرَه الأذل، فلا يرعوي ولا يزدجر، ولا يفكر ولا يعتبر، ولا ينظر ولا يستبصر، حتى إذا وقعت رايته، وقامت قيامته، وهجمت عليه منيتُه، وأحاطت به خطيئته، وكُشِفَ له الغطاء، وتبدَّتْ له موارد الشقاء، صاح: واخيبتاه، واثكل أمّاه، واسوء منقلباه!

هيهات هيهات نَدِمَ -والله- حيث لا ينفعه الندم، وأراد الثَّبَتَ بعدما زلَّت به القدم [٥/ب]:

فَخَــرَّ صريعــاً لليــدينِ وللفَــمِ[٤] إلى حيــثُ أَلقَــتْ رَحْلَهــا أمُّ قشــعَمِ[٥]

فنعوذ بالله من الحرمان، ومن ضحك العدو[٦] وشماتة الشيطان.

وهذا[٧] والذي قبلَهُ إن لم يكن لهما عناية أزلية، وسابقة أولية، فيمسك عليهما الإيمان، ويُختم لهما بالإسلام، وإلا فقد هلكا كلَّ الهلاك، ووقعا بحيث لا دَرَاك ولا مخلص ولا انفكاك، فنعوذ بالله من سوء القضاء، ودَرْكِ[٨] الشقاءِ بفضله ورحمته.

ورجلٌ آخرُ وقليل ما هم، مَنْ أُزِيلَ عن عينيه قذاها[٩]، وكُشف[١٠] عن بصيرته عماها،

---

(١) (ويتلقى نحوسها) ليست في (م).

(٢) اللَّبُوس: الثِّيَابُ. لسان العرب (٦/ ٢٠٣)

(٣) جنده الأفل: أي المنهزم. انظر: لسان العرب (١١/ ٥٣١)

(٤) قال السيوطي: «هذا المصراع وقع في عدة قصائد لعدة شعراء». شرح شواهد المغني (٢/ ٥٦٢).

(٥) (إلى حيثُ أَلقَتْ رَحْلَها أمُّ قشعَمِ) هذا الشطر من معلقة زهير بن أبي سُلْمى لكنه يبدأ بـ(لدى) بدلا من (إلى)، وأُمُّ قَشْعَم قيل هي: الحربُ، وقيل: المَنِيَّةُ، وقيل غير ذلك والمراد بها هنا المنية. انظر: شرح المعلقات السبع للزوزني (ص:١٤٧)، ولسان العرب (١٢/ ٤٨٥)

(٦) في (م): (وشماتة العدو).

(٧) من هنا إلى قوله: (ودَرَكِ الشقاءِ بفضله ورحمته) غير موجود في (م).

(٨) الدَّرْك: اللَّحاق والوصول إِلى الشَّيء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٣٠٣)

(٩) القذى جمع قَذَاة، وهو ما يقع في العين من تراب أو وسخ أو نحوه. انظر: لسان العرب (١٥/ ١٧٤)

(١٠) في (م): (وكشف له).

وعُرِضت عليه الحقيقة فرآها، وأَبصر نفسه وهواها، فَزَجَرَها ونهاها وأبغضها وقَلاها[1]، فَلَبَّى المنادي، وأجاب الداعي، وشَمَّرَ[2] لتلافي ما فات، والنظر فيما هو آت، وتأهَّبَ لهجوم المهات، وحلول الشَّتات[3]، والانتقال إلى محلّ[4] الأموات.

ومع هذا فإنَّه يكره الموت أنْ يشهد وقائعه، أو يرى طلائعه، أو يكون ذاكرَ حديثه أو سامعه، وليس يكره الموتَ لذاتِه، ولا [٦/أ] لأنَّه هادمُ لذاتِه، لكنْ[5] يخاف أن يقطعه عن الاستعداد ليوم المعاد، والاكتساب ليوم الحساب، ويكره أن تُطوى صحيفة عمله قبل بلوغ أمله، وأن يبادر بأجله قبل إصلاح خلله، وتدارك[6] زَلَلِه، فهو يريد البقاء في هذه الدار لقضاء هذه الأوطار، والإقامة بهذه المحلة بسبب هذه العلة.

كما يُروى عن بعض الصالحين[7] وقد بكى عند الموت، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: والله ما أبكي لفراق هذه الدار حرصا على غرس الأشجار، وإجراء الأنهار، لكن[8] على ما يفوتني من الادخار ليوم الافتقار، والاكتساب ليوم المآب. قال هذا أو معناه[9][10]، وقال القائل:

أَهـــونْ بـــدارِكم الـــدُّنيا وأهلِيهـــا ... واضربْ بها [صفحاتٍ][11] من مُحِبِّيها

الله أعلـــم أنِّي لســـتُ وامِقُهـــا[12] ... ولا أريـــدُ بقـــاءَ ســـاعةٍ فيهـــا

---

(١) قلاها أي أبغضها. انظر: القاموس المحيط (ص:١٣٢٦).

(٢) في (م): (وتشمّر لتلاقي ما هو آت وتأهب لهجوم المهات).

(٣) الشَّتات: الفُرْقة. لسان العرب (٢/٤٨)

(٤) في (م): (محلة).

(٥) في (ي): (ولكن).

(٦) في (م): (وإدراك).

(٧) روي قريبا من هذا عن عامر بن عبد قيس. انظر: الزهد والرقائق لابن المبارك (١/٩٥).

(٨) في (ش): (لكن أبكي على).

(٩) من هنا إلى قوله (وأكمل حبوره) (ص:٦٤) غير موجود في (م).

(١٠) من هنا إلى قوله (ويستعد لفصل القضاء) (ص:٦٤) غير موجود في (ش).

(١١) في الأصل (ت): (الصفحات)، والمثبت من (ي).

(١٢) الوموق: التودد والمحبة. انظر: لسان العرب (١٠/٣٨٥)، القاموس المحيط (ص:٩٢٩).

لكـن تمرَّغـتُ[1] في أدناسِـها[2] حِقَبـاً[3] وبِـــتُّ أنـــشرُها حِينـــاً وأطويهـــا
أيـــام أَســـحَبُ ذيـــلي في ملاعبِهـــا جهـــلاً وأَهْــدِمُ مِـــنْ دِينـــي وأَبنيهـــا
وكَـــمْ تَحمَّلْــتُ فيهـــا غـــيرَ مُكـــترِثٍ مِـــنْ شـــامخاتِ ذنــوبٍ لســتُ أُحصِـيها
[٦/ب]فقلـتُ أبقـى لعـلي أنْ أهـدمَ مـا بنيـــتُ منهـــا وأدْنَـــاسِي أُنَقِّيهـــا
ومِـن ورائـي عِقَـابٌ لسـتُ أقطعهـا حتَّـــى أُخَفِّـــفَ أحمـــالي وأُلْقِيهـــا
يـا ويلتـى وبحـارُ العفـوِ زاخـرةٌ إن لم تُصـــبْني بِـــرَشٍّ في تَثنِّيهـــا

وهذا إذا مات فيا لله درُّهُ من ميتٍ، ما أفضل حياته، وأطيب مماته، وأعظم سعادته، وأكرم وِفادته، وأتم سروره، وأكمل حبوره[4].

واعلم أنَّ هذا لا يدخل تحت قوله ﷺ: «**من كَرِهَ لقاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لقاءَه**»[5] لأنَّ هذا لم يَكره لقاء الله لذات اللقاء[6]، إنما كَرِهَ أن يَقْدُمَ على الله ﷻ متدنسا بأوضاره[7]، ثقيل الظهر بأوزاره[8]، ملآنَ من عاره وشناره[9]، فأراد أن يتطيب لِلِّقاءِ، ويستعدَّ[10] لفصل القضاء.

---

(١) التمَرُّغُ: التقلب في التُّراب. لسان العرب (٨/ ٤٥٠).

(٢) الدَّنَس: الوَسَخ. المصدر السابق (٦/ ٨٨).

(٣) الحِقَب مفردها حِقْبةٌ وهي السَّنة. انظر: المصدر السابق (١/ ٣٢٦).

(٤) الحبور: السُّرور. انظر: القاموس المحيط (ص:٣٧٠).

(٥) أخرجه البخاري [كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه]، (ص:١٦١٨) ح(٦٥٠٧)، ومسلم في [كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه] (١٢٣٧/٢) ح(٢٦٨٤).

(٦) قوله: (لذات اللقاء) غير موجود في (م).

(٧) الوَضَرُ: الوسَخ. انظر: لسان العرب (٥/ ٢٨٤)

(٨) في (م): (من أوزاره).

(٩) الشَّنَار: العار والعيب. انظر: المصدر السابق (٤/ ٣٩٤)

(١٠) في (م): (ويستغنم).

قال أبو سليمان الداراني[1]: قلت لأم هارون العابدة[2]: تحبين[3] أن تموتي[4]؟ قالت: لا، قلت: فَلِمَ؟ قالت: والله لو عصيتُ مخلوقاً لكَرِهْتُ لقاءَه فكيف بالخالق جَلَّجَلَالُهُ؟![5].

وقال سليمان بن عبد الملك[6] لأبي حازم[7]: يا أبا حازم! ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عَمَّرتُم[8] دُنياكم، وخَرَّبتُم[9] أُخرَاكم، فأنتم تَكرهون النُّقْلَةَ من العِمران إلى الخراب! قال: كيف القدوم على الله ﷻ؟ فقال: يا أمير المؤمنين! أما المُحسن فكالغائب يأتي أهله فَرِحاً مسروراً، وأما المسيء فكالعبدِ الآبق[10] يأتي مولاهُ خائفاً محزوناً[11].

---

(١) أبوسليمان الداراني، عبد الرحمن بن أحمد، وقيل: عبد الرحمن بن عطية وقيل: ابن عسكر العنسي الداراني، ولد في حدود ١٤٠هـ، وروى عن: سفيان الثوري وغيره، وروى عنه: تلميذه أحمد بن أبي الحواري وغيره، توفي سنة ٢١٥هـ وقيل ٢٠٥هـ. انظر: حلية الأولياء (٩/٢٥٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠/١٨٢).

(٢) أم هارون الخراسانية من النسوة المتعبدات، كانت أستاذة أبي سليمان الداراني. انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٠/٢٦٥)، وصفة الصفوة لابن الجوزي (٢/٤٣٣).

(٣) في (ش) و(ي): (أتحبين).

(٤) في (ش): (تموتين).

(٥) أخرج هذه القصة مسندةً عبد الجبار الخولاني في كتابه تاريخ داريا (ص:١١٢)، وذكرها ابن عساكر بسياق أطول في تاريخ دمشق (٧٠/٢٦٨)، وقد أوردها مختصرة ابن الجوزي في صفة الصفوة ولكن جعل أحمد بن أبي الحواري هو السائل لأم هارون (٢/٤٣٤).

(٦) سليمان بن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، الخليفة أبو أيوب القرشي الأموي، ولد سنة ٥٩هـ، بويع بعد أخيه الوليد سنة ٩٦هـ، وتوفي سنة ٩٩هـ انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٤/٢٥) وسير أعلام النبلاء (٥/١١١).

(٧) أبو حازم سلمة بن دينار المديني، المخزومي، مولاهم الأعرج، له حِكم ومواعظ، ولد في أيام ابن الزبير وابن عمر، روى عن سهل بن سعد، وأبي أمامة بن سهل، وآخرون، توفي سنة ١٤٤هـ، وقيل غير ذلك. انظر: حلية الاولياء (٣/٢٢٩)، وسير أعلام النبلاء (٦/٩٦).

(٨) في (م): (أعمرتم).

(٩) في (م): (أخربتم).

(١٠) الآبق أي الهارب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٢٢).

(١١) حلية الأولياء (٣/٢٣٤)، تاريخ دمشق (٢٢/٢٨) ولابن تيمية تعليق مهم على هذا الأثر في الفتاوى (٦/٤٨٢).

قال أبو بكر الكتاني(١): كان رجلٌ يحاسب نفسه، فحَسَبَ(٢) يوماً سِنِيه فوجدَها ستين سنة، فحسب أيامها فوجدها واحدا(٣) وعشرين ألف يومٍ وخمسمائة يوم، فصرخ صرخةً وخَرَّ مَغشيًّا عليه، فلما أفاقَ قال: يا وَيلاه!(٤) أنا آتي ربي بواحدٍ(٥) وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب؟! يقول هذا لو كان ذنب واحد كل يومٍ فكيف بذنوب لا تحصى؟! ثم قال: آهٍ عليَّ، عَمَّرتُ دنياي، وخَرَّبتُ أُخراي، وعصيتُ مولاي، ثم أَشتهي النُّقْلَةَ من العِمران إلى الخراب(٦)، وكيف أشتهي النُّقْلَةَ(٧) إلى دار الكتاب والحساب(٨) والعتاب(٩) والعذاب بلا عمل ولا ثواب؟! وأنشد:

مَنَــــازِلُ دُنيــــاكَ شَـــيَّدْتَها وخَرَّبْـــتَ دَارَكَ فِي الآخــــرِة
فأصـــبحتَ تَكرَهُهَـــا للخَـــرَاب وَتَرْغَـــبُ في دارِكَ العَــــامِرَة

ثم شَهق شَهقة عظيمة، فحَرَّكُوهُ فإذا هو ميت(١٠).

على [٧/ب] أن هذا الحديث «**مَنْ كَرِهَ لقاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لقاءَه**» قد جاء مفسراً؛ قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَه، ومَنْ كَرِهَ لقاءَ الله كَرِهَ اللهُ**

---

(١) محمد بن علي بن جعفر أبو بكر الكتاني، أحد مشايخ الصوفية، سكن مكة، وتوفي سنة ٣٢٢هـ. انظر: تاريخ دمشق (٢٥١/٥٤)، وتاريخ بغداد (١٢٧/٤).

(٢) في (م): (فحاسب).

(٣) في (ي، ش): (إحدى).

(٤) في (ش) و(ي): (يا ويلتاه).

(٥) في (ش) و(م) و(ي): (بأحد)

(٦) في (ش): (إلى دار القرار).

(٧) في (م) و(ي): (النقلان).

(٨) في (ش): (دار الحساب والكتاب).

(٩) في (ش) و(م): (والعقاب).

(١٠) أخرج هذه القصة مختصرة ومن غير ذكر الأبيات ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس [(٣٠٢/٥) ضمن موسوعته] والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩٥/٢) والخطيب البغدادي في المنتخب من كتاب الزهد والرقائق (ص:١٠٠) وقد ذُكر في الرواية اسم الرجل القائل وهو توبة بن الصِّمَّة.

لقاءَه»[1]، فقلت: يا نبي الله! أكراهيةُ الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال: «**ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بُشِّرَ برحمة الله ورضوانه وجنته أحبَّ لقاء الله فأحبَّ**[2] **اللهُ لقاءَه، وإنَّ**[3] **الكافر إذا بُشِّرَ بعذابِ الله وسخطِه**[4] **كَرِهَ لقاءَ الله فكَرِهَ الله لقاءَه**[5]»[6] ذكره مسلم بن الحجاج[7]، وقال البخاري[8] في هذا الحديث: «**ولكنَّ المؤمنَ إذا حَضَرَهُ الموتُ بُشِّرَ برضوان اللهِ وكرامته، فليس شيءٌ أحبَّ إليه مما أَمَامَه، فأحبَّ لقاءَ الله وأَحبَّ**[9] **اللهُ لقاءَه، وإنَّ الكافرَ إذا حُضِرَ**[10] **بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته، فليس شيءٌ أكرَهَ إليه مما أَمَامَه، فكَرِهَ لقاءَ اللهِ وكَرِهَ**[11] **اللهُ لقاءَه»**[12].

ورجلٌ[13] آخر وهو من القليل قليل، قد عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا[14]،

---

(١) قوله: (قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَه، ومَنْ كَرِهَ لقاءَ الله كَرِهَ اللهُ لقاءَه») غير موجود في (ش).

(٢) في (م): (أحب)، وفي (ش): (وأحب)، وما جاء في النسخة الأصل (ت) هو الموافق لما في صحيح مسلم.

(٣) في (ش): (والكافر إذا بشر).

(٤) في (ي): (وسخطه وعقوبته)، وما جاء في النسخة الأصل (ت) هو الموافق لما في صحيح مسلم.

(٥) قوله: (فكره الله لقاءه) ساقط من (ش).

(٦) صحيح مسلم [كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه] (١٢٣٧/٢) ح(٢٦٨٤).

(٧) أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري النيسابوري، الإمام المشهور صاحب الصحيح، ولد سنة ٢٠٦هـ، وتوفي ٢٦١هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٢١/١٥)، وسير أعلام النبلاء (٥٥٧/١٢).

(٨) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه البخاري الجُعْفِيّ، الإمام المشهور صاحب الصحيح، ولد سنة ١٩٤هـ، وتوفي سنة ٢٥٦هـ. انظر: تاريخ بغداد (٣٢٢/٢)، وسير أعلام النبلاء (٣٩١/١٢).

(٩) في (ش) و(م) و(ي): (فأحب).

(١٠) في (م) و(ي): (حَضَره الموت) وما جاء في النسخة الأصل (ت) هو الموافق لما في صحيح البخاري.

(١١) في (ش) و(م) و(ي): (فكره) وما جاء في النسخة الأصل (ت) هو الموافق لما في صحيح البخاري.

(١٢) أخرجه البخاري [كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه]، (ص:١٦١٨) ح(٦٥٠٧).

(١٣) من هنا إلى آخر الأبيات (فليُثْبِتُ المرءُ لها جِسْرَه) غير موجود في (ش).

(١٤) في (م): (العليا).

وشاهد ما شاهد من كمال الربوبية وجمال الحضرة الإلهية[1]، فملأت عينه وقلبه [٨/أ] وأطاشت عقله ولبَّه، فهو يحن إلى ذلك المشهد، ويحوم على ذلك المَورِد، ويستعجل إنجاز ذلك الموعد، وقد عَلِمَ أنَّ الموتَ حجاب بينه وبين محبوبه، وسِتْرٌ مُسدَلٌ بينه وبين مطلوبه، وباب مُغْلَقٌ يمنعه من الوصول إلى مطلوبه[2]، فلو أصاب [سبيلا][3] إلى هتك ذلك الحجاب هَتَكَه، ورَفْعِ ذلك السِّتْر رَفَعَه، وكَسْرِ ذلك الباب كَسَرَه، فعذابه في الحياة، وراحته في الممات، كما يُروى أنَّ[4] حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما نزل به الموت قال: «حبيبٌ جاء على فاقة[5]»[6]، وقد قيل: «[إنَّ][7] الموت جِسْرٌ يُوصل الحبيب إلى الحبيب»[8]، وأنشد[9] بعضهم:

يـــا حبَّـــذا المـــوتُ وأهوالُـــه   وســـــكرةٌ مِنـــــه تَـــــلِي سَـــــكْرَه
وزَفْـــرَةٌ[10] في إثْرِهـــا زَفْـــرَة   كأنَّهـــــا في كَبِـــــدي جَمـــــرَه
وروعـــةٌ تَقْطَـــعُ مِنِّـــيْ الحَشَـــا   كأنَّهـــا في أَضْـــلُعي شَـــفْرَه[11]

---

(١) جاء في معجم المناهي اللفظية (ص: ٢٢٩): «الحضرة... من مفاسد الاصطلاح لدى الصوفية فيريدون بها حضرة جمع الفناء في توحيد الربوبية، أي فناء العبد في الرب ليكون كما قيل:

هو من أَهْوَى ومَن أَهوَى أنا   نحن روحان حَلَلْنَا بَدَنا

وهي نظير الحضرة عند أهل الإلحاد يريدون بها حضرة جمع الوجود في وجود واحد».، وقال الشيخ الوكيل في هامش الروض الأنف (٢٥٩/٣): «كلمة الحضرة لا يجوز نسبتها إلى الله، إنما هو تعبير مبتدع لهذه النسبة»، وانظر: مدارج السالكين لابن القيّم (٢/ ٢٥٦).

(٢) في (ي): (مرغوبه).

(٣) زيادة من (ي)، غير موجودة في (ت).

(٤) في (م): (عن).

(٥) الفَاقَة: الفَقْر وَالحاجَة. لسان العرب (٣١٩/١٠).

(٦) مصنف ابن أبي شيبة، (٦٩/٢١)، وحلية الأولياء (٢٨٢/١).

(٧) زيادة من (ي)، غير موجودة في (ت).

(٨) نسب القرطبي هذا القول لحيّان بن الأسود كما في التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١١٦/١).

(٩) من هنا إلى نهاية الأبيات غير موجود في (م).

(١٠) الزَّفْرَة: التَّنفُّس. القاموس المحيط (ص:٤٠٠).

(١١) الشَّفْرَة: السِّكين العريضة. لسان العرب (٤٢٠/٤)

يـــا حبـــذا يـــا حبـــذا كـــلُّ مـــا لاقيـــتُ مِـــنْ ضُرٍّ ومِـــنْ عُسْـــرَه
أَهْـــوِنْ بِـــه ثَمَّـــتْ أَهْـــوِنْ بِـــهِ ولـــو غَـــدَا مثـــلَ الحـــصى كَثْـــرَه
إذ كـــان ذاكـــمْ مُعقبـــي نظـــرَة في وجـــهِ ذي العـــزِّ وذي القُـــدْرَة
[٨/ب] يـــا لأَمَـــانٍ تَمَنَّيتُهـــا تَنفِـــرُ نَفْـــسي دُونَهـــا حَـــسْرَة
والمـــوتُ جِـــسْرٌ لِلقَـــاءِ الـــمُنى فليُثْبِـــت المـــرءُ لهـــا جِـــسْرَه[١]

ويروى[٢] عن علي بن الفتح[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه رأى الناس في يوم عيد يتقربون بقرابينهم – يعني: بضحاياهم- فقال: «يا رب وأنا أتقرب[٤] إليك بأحزاني»، ثم غشي عليه[٥] فلما أفاق قال: «إلهي إلى كم ترددني[٦] في هذه الدنيا؟!» فمات من ساعته[٧]، ومقدمات[٨] هذا وأمثاله تدل على ما وراءها من الوصال، والاتصال[٩]، والأنس بذلك الجلال والجمال.

وآخرُ[١٠] قد شاهد ما شاهد ذلك، وربَّما زاد عليه، لكنَّه فوَّض الأمر إلى خالقه، وسَلَّمَ الحُكم لبارئه، فلم يَرْض إلا ما رضي له، ولم يُرِدْ إلا ما أُرِيدَ به، ولا اختار إلا ما حَكَمَ فيه؛ إنْ

---

(١) هذا الشطر ورد في (ي) هكذا: (فليعمل الغافلُ ما سرَّه).

(٢) في هامش (ت) كُتب: (مطلب: إمكان الموت بإرادة السالك).

(٣) علي بن الفتح الحلبي، ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣٩٢/٢) وذكر عنه هذا الأثر، ولم أجد من ترجم له.

(٤) في (م): (تقرّبتُ).

(٥) هذا مخالف للسنة؛ فإن السنة إظهار الفرح والسرور في الأعياد بل ذلك من شعار الدين. انظر: فتح الباري (٤٤٣/٢)، وقد ذكر شيخ الإسلام أن الأحوال الَّتي يَقتَرِن بها الغَشْي ونحوه حتَّى لا يَشعر الإنسان بنفسِه إذا كانت أَسبابُها مشروعةً وصاحبُها صادقًا عاجزًا عن دَفعها كان محمودا وإلا فلا. انظر: مجموع الفتاوى (١٢/١١).

(٦) في (م): (إلهي كم ترددني)، وفي (ش): (إلهي لِمَ ترددني).

(٧) أخرج الأثر البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٧٤) عن فتح الموصلي بدلا من علي بن الفتح، وأخرجه ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن (ص: ٢٢٢) مرة عن علي بن الفتح ومرة عن فتح الموصلي بألفاظ متقاربة.

(٨) من هنا إلى قوله: (وإن أَخَذَهُ إليه أَخَذَهُ) غير موجود في (ش).

(٩) هذه من الألفاظ الموهمة والتي كثيرا ما يُطلقها الصوفية ويريدون بها وحدة الوجود. انظر: دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير (ص:٣٠٦).

(١٠) من هنا إلى قوله: (وإن أَخَذَهُ إليه أَخَذَهُ) غير موجود في (م).

أبقاه في هذه الدار أبقاه، وإن أَخَذَهُ إليه أَخَذَهُ؛ قال أحمد بن أبي الحواري[(١)]: «قال [أبو][(٢)] سليمان الداراني: الناس رجلان: رجلٌ أحبَّ اللهَ فأحبَّ الموتَ شوقاً إلى لقاء الله، ورجلٌ أحبَّ البقاء لإقامة حق الله، قال: فَوَثَبَ غلام لم يحتلمْ، وقال: ورجلٌ ثالث، أو قال: ورجلٌ آخر، فقال [٩/أ] أبو سليمان: ومن هو[(٣)]؟ فقال: ومن لم يَخْتَرْ[(٤)] هذا ولا هذا، اختارَ[(٥)] ما اختارَ اللهُ عَجَّلَ له، فقال أبو سليمان: احتفظوا بالغلام فإنَّهُ صِدِّيق»[(٦)].

واجتمع يوما وُهَيب بن الورْد[(٧)] وسفيان الثوري[(٨)] ويوسف بن أسباط[(٩)] فقال الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:[(١٠)] «كنتُ أكرَهُ موتَ الفَجأَةِ[(١١)]، وَوَدِدْتُ اليومَ أني مِتُّ»، فقال له يوسف بن أسباط

---

(١) أحمد بن أبي الحواري بن عبدالله بن ميمون، شيخ أهل الشام، أبو الحسن الثعلبي الغطفاني الدمشقي، ولد سنة ١٦٤هـ، وتُوُفِّيَ سنة ٢٤٦هـ. انظر: حلية الأولياء (5/10)، سير أعلام النبلاء (٨٦/١٢).

(٢) زيادة من (م) غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) في (ي): (ومن هو يا بني؟).

(٤) في (ش): (يُحسن).

(٥) في (ش): (بل اختار ما اختار الله).

(٦) لم أقف على من ذكرها.

(٧) وهيب بن الورد، ويقال: أبو عثمان المكي، مولى بني مخزوم، روى عن تابعي لقي عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وروى عنه: بشر بن منصور السلمي، وابن المبارك، وآخرون، وثّقه ابن معين، توفي سنة ١٥٣هـ. انظر: حلية الأولياء (١٤٠/٨)، وسير أعلام النبلاء (١٩٨/٧).

(٨) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع، أبو عبد الله الثوري الكوفي، من أئمة السنة والحديث ومن أكابر العلماء، قال ابن المبارك: (ما أعلم على الأرض أعلم من سُفيان الثَّوريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، ولد سنة ٩٧هـ، وتوفي سنة ١٦١هـ. انظر: حلية الأولياء (٦/ ٣٥٦)، وسير أعلام النبلاء (٧/٢٣٠).

(٩) يوسف بن أسباط، أبو يعقوب الزاهد له مواعظ وحكم، روى عن الثوري وزائدة بن قدامة وغيرهم، ورى عنه المسيب ابن واضح وغيره، توفي سنة ١٩٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٦٩/٩)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢٣٧/٨).

(١٠) في (ش): (فقال سفيان الثوري: «إني أحب الموت»، فقال له..).

(١١) موت الفجأة هو الذي يجيء بغتة مِن غير تقدُّم سبب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٦٩٢).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لِمَ؟» قال: «لِمَا الخوف[1] من الفتنة في الدين»، فقال يوسف[2]: «لكنّي أُحِبُّ الحياةَ وطولَ البقاء»، قال له سفيان: «لِمَ؟» قال[3]: «لعلي أَن أُصَادِفَ يوما أتوبُ[4] فيه وأعملُ صالحاً»، فقيل لوهيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيُّ شيءٍ تقول أنت؟» فقال: «أنا لا أختار شيئا، أَحَبُّ ذلك إليَّ أَحَبُّهُ إلى اللهِ ﷻ»، فَقَبَّلَ الثوريُّ بين عينيه، وقال: «رَوحَانيَّةٌ وربِّ الكعبةِ»[5].

وقال عليُّ بن جهضم[6][7] عن علي بن عثمان بن سهل[8][9]: دَخَلْتُ على عمرو بن عثمان[10] وهو في عِلَّتِه التي توفي فيها، فقلت له[11]: كيف تَجِدُك؟ فقال: أَجِدُ سِرِّي واقفا مثلَ الماءِ[12]، لا يختارُ النُّقْلَةَ ولا المُقام -يعني: مثلَ الماء في الإناء أو القرار من[13] الأرض،

(١) في (م): (أَتَخَوَّفُ).

(٢) في (ش) زيادة: (بن أسباط).

(٣) في (ي): (فقال).

(٤) في (م): (فأتوب).

(٥) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (ص:١٧٢٢)، وأبوطالب في قوت القلوب (٢/٧٣) بدون إسناد.

(٦) في (ش): (ابن جهضم).

(٧) أبو الحسن علي بن عبدالله بن الحسن بن جهضم الهمذاني الصوفي، مُتّهم بالكذب، مصنِّف كتاب «بهجة الأسرار»؛ توفي سنة ٤١٤هـ.انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٢٧٥)، ولسان الميزان (٤/٢٣٨).

(٨) في (ش): (سهيل).

(٩) هكذا ذكر المصنف الإسناد بينما ذكره ابن الجوزي في الثبات عند الممات (ص:١٦٩) عن «ابن جهضم قَال: أخبرنا أحمد بن محمد بن علي، قال: حدثني عثمان بن سهل، قال: دخلتُ على عمرو بن عثمان المكي»، ولعل ما ذكره ابن الجوزي هو الصواب لأن اسم الراوي كما في المصادر الحديثية عُثْمَان بْن سهل بْن مخلد البزاز، ويقال: الأدمي وثّقه العلماء، توفي سنة ٣١٣هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٣/١٧٨).

(١٠) عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص، أَبُو عبد اللَّه المكي، من مشايخ الصوفية، سكن بغداد حتى مات بها، وله مصنفات في التصوف، توفي سنة ٢٩٧هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٤/١٣٦).

(١١) في (ش): (فقلت: كيف..).

(١٢) في (ش): (أحب ربي مثل الماء)!

(١٣) في (م): (في).

يقول: لا يختار الحياة ولا الموت-، وقال القائل في هذا المعنى[1] [٩/ب]:

كـلُّ مـا يفعـلُ الحبيـبُ حبيـبُ والـذي شـاءَ بي[2] فـشيءٌ عجيـبُ
إنْ سـكونٌ أرادني فسـكونُ أو وَجيـبٌ أرادني فوجيـبُ[3][4]
وإذا مـا أراد مـوتي فمـوتي أو حيـاتي لكـل ذاك أُجِيـبُ
كـلُّ مـا كـان مـن قضـاءٍ فيَحلُـو بفـؤادي نزولُـهُ ويَطيـبُ[5]

وهذا[6] إذا مات فلا يُسأَلُ عن حاله ولا يُقال ما فُعِلَ به![7]

ومنهم من يتمنى الموت، ويشتهيه، ويسألُه ربه تعالى، ويرغب إليه فيه، وقد عَلِمَ أنَّ وراءه يوما ثقيلا، وحبسا طويلا، ومقاما يقوم فيه ذليلا، لكنْ لَمَّا رأى نفسه منصوبا للمِحَن، مُعرَّضا للفتن، مُرْتَهِنا بما هو به مُرتهن، وأَبْصَرَ تفريطَهُ في الزادِ ليومِ المعاد، وفي الاستعداد ليوم الأشهاد، وخاف أن يُقطعَ[8] عن سبيلِ المؤمنين، ويُختلجَ[9] عن طريق [المسلمين][10]، تَمَنَّى الموت لِيَنجو من هذا الخطر، ويسلمَ من هذا الغَرَر، وأن يَقْدُمَ على اللهِ ﷻ بالإيمان كائنا منه بعد ذلك ما كان، وهذا -إن شاء الله تعالى- إذا مات خَرَجَتْ له البشرى بالأمان، وأن يَحِلَّ[11] في جوار الرحمن، حيث شاء من دار الكرامة والرضوان [١٠/أ].

---

(١) قوله (في هذا المعنى) غير موجود في (ش).
(٢) في (ش): (ساءني) بدلا من (شاء بي).
(٣) هذا الشطر جاء في (ي) هكذا: (أو وحيب أراد بي فوحيب).
(٤) الوجيب: الاضطراب والحركة. انظر: لسان العرب (١/ ٧٩٤).
(٥) في (ش) تقديم وتأخير في البيتين الأخيرين.
(٦) من هنا إلى قوله: (ومَرَدّا غيرَ مُخزٍ ولا فاضحٍ برحمته لا ربَّ سِواه) في (ص: ٧٣) غير موجود في (ش).
(٧) قوله: (وهذا إذا مات فلا يُسأَلُ عن حاله ولا يُقال ما فُعِلَ به) غير موجود في (م).
(٨) في (ي): (يقتطع).
(٩) يُختلج أي يُنتزع. انظر: لسان العرب (٢/ ٢٥٨).
(١٠) ساقطة من النسخة الأصل (ت)، ومثبتة من النسخة (م) و(ي).
(١١) في (ي): (يحتل).

واعلم أن هذا لا يدخل تحت قوله ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به**»[1] فإنه ﷺ إنما أراد الضُّرُّ[2] الدنيوي الذي يَنْزِلُ بالإنسان من مِحَن الدنيا في النفس والأهل والمال، وهذا إنما تمناه مخافة أن ينزل به الضُّرُّ[3] الأُخروي، وأن يُقْتَطعَ[4] بالمعاصي عن الله، وأن يُصَدَّ بالفتن عن سبيل الله تعالى[5]، وبالجملة: فالموت طريقُ نجاةٍ يركبها المؤمنون[6]، ومَورِدُ سلامةٍ يَرِدُها المسلمون، لَقُوا فيه ما لَقُوا، وسُقُوا منه ما سُقُوا، كلُّ ذلكَ يَهُونُ لما يُفْضِي بهم إليه من السعادةِ الأبدية، والحياة السرمدية[7]، نسأل الله جميل الخاتمة، وحسن العاقبة، ومَرَدّا غيرَ مُخْزٍ ولا فاضحٍ برحمته لا ربَّ سِواه[8].

والأحاديث[9] التي وردت في النهي عن تمني الموت صحيحةٌ مشهورةٌ[10]، ذكرَ مُسلم بن الحجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتمنينَّ أحدُكم الموتَ لضُرٍّ نَزَلَ به؛ فإن كان لا بدَّ مُتَمنيا** [١٠/ب] **فليقُلْ: اللَّهمَّ أَحْيني ما كانت الحياةُ**

---

(١) أخرجه البخاري [كتاب الطب، باب نهي تمني المريض الموت] (ص:١٤٣٨) ح(٥٦٧١)، ومسلم [كتاب الذكر والدعاء، باب كراهية تمني الموت لضر نزل به] (١٢٣٦/٢) ح(٢٦٨٠).

(٢) في (م) و(ي): (الضرر).

(٣) في (م) و(ي): (الضرر).

(٤) في (م): (يقطع).

(٥) قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقا على قوله ﷺ «**لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه ما به حب لقاء الله** ﷻ»: «ومعنى الحديث أنه لا يتمنى الموت تدينا وتقربا إلى الله وحبا في لقائه وإنما لما نَزَل به من البلاء والمحن في أمور دنياه؛ ففيه إشارة إلى جواز تمني الموت تدينا، ولا ينافيه قوله ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به**...» لأنه خاص بما إذا كان التمني لأمر دنيوي كما هو ظاهر، قال الحافظ [في فتح الباري (٧٥/١٣)]: (ويؤيده ثبوت تمني الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من السلف، قال النووي: لا كراهة في ذلك بل فعله خلائق من السلف منهم عمر ابن الخطاب)». سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٢١/٢) ح(٥٧٨).

(٦) في (م): (المؤمن).

(٧) السَّرْمد: الدَّائم الذي لا ينقطع. لسان العرب (٢١٢/٣).

(٨) في (م): (لا رب غيره).

(٩) في (ش): (على أن الأحاديث).

(١٠) كلمة (مشهورة) غير موجودة في (م).

خيرا لي، وتَوَفَّني إذا[1] **كانت الوفاةُ خيرا لي**»[2]، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتمنينَّ أحدُكم الموتَ، ولا يَدْعُ به من قبل أن يأتيَه**[3]**، إنَّهُ إذا مات أحدُكم انقطعَ عملُهُ، وإنَّه لا يَزيدُ المؤمنَ عُمْرُهُ إلا خيرا**»[4]، وذكر البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[5] أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يتمنَّى**[6] **أحدُكم الموت؛ إمَّا مُحسناً فلعلَّهُ يزداد**[7]**، وإمَّا مُسيئا فلعلَّهُ يَسْتَعْتِب**[8]»[9]، وذكر أبو بكر البزار من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَمَنَّوا**[10] **الموتَ؛ فإنَّ هولَ المطلع شديد، وإنَّ من السعادة أن يَطولَ عُمُرُ العبدِ حتى يَرْزُقَه اللهُ الإنابة**»[11]، وسأذكر لك إن شاء الله تعالى جملة كافية مما ورد في الموت، ومما[12] يُعين على ذِكْرِه، والفِكْرَة فيه، وذِكْر الصالحين له، وكلامهم عند نزوله مع كلام غيرهم [١١/أ] من المُغْتَرين، والجهلة المخدوعين، وما وراءه من السؤال والحساب، والثواب والعقاب، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[13].

---

(١) في (م): (وتوفني ما كانت)،والمثبت من النسخة الأصل (ت) هو الموافق لما في البخاري ومسلم.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (ش): (إتيانه)، والمثبت من النسخة الأصل (ت) هو الموافق لما في صحيح مسلم.

(٤) أخرجه مسلم [كتاب الذكر والدعاء، باب كراهية تمني الموت لضر نزل به] (١٢٣٦/٢) ح(٢٦٨٢).

(٥) في (م، ي) زيادة: (أيضا).

(٦) في (ي): (لا يتمنين)، والمثبت من النسخة الأصل (ت) هو الموافق لما في صحيح البخاري.

(٧) في (ش) و(م) و(ي): (أن يزداد)، والمثبت من النسخة الأصل (ت) هو الموافق لما في صحيح البخاري.

(٨) في (ش) و(م) و(ي): (أن يستعتب)، والمثبت من النسخة الأصل (ت) هو الموافق لما في صحيح البخاري.

(٩) أخرجه البخاري [كتاب التمني، باب ما يُكره من التمني] (ص:١٧٨٨) ح(٧٢٣٥)، من رواية سعد بن عبيد مولى عبدالرحمن بن أزهر.

(١٠) في (ي): (لا تتمنوا).

(١١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٢٦/٢٢) ح(١٤٥٦٤)، والبزار كما في كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي (٧٨/٤) ح(٣٢٤٠)، والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٧٣١/١٠) ح(٤٩٧٩).

(١٢) من هنا إلى قوله: (أو طُلِيَ منك مَحبس ماء أو مَوْقِدُ نار كما) (ص:٧٦) غير موجود في (ش).

(١٣) قوله: (العلي العظيم) غير موجود في (ي) و (م).

ولعلك[1] تَظنُّ بقولي هذا: «وبالجملة فالموت طريق نجاة يركبها المؤمنون...» الكلام إلى آخره، أني إنَّما أَرَدْتُ بذلك تهوينَ الموت، وتسهيلَ كَرْبه، وتحقيرَ خَطْبِه، والازدراءَ بشأنه، وقلةَ المبالاة به، كلا ومَنْ كَتَبَهُ على البشرِ، وجَعَلَهُ عِبْرةً من العِبَر، وإحدى آياته الكُبَر، ما قلتُ ذلك لهذا، وإنَّما قلتُهُ للحالة التي يؤول إليها المؤمنون[2]، ويُقيمون عليها، ويُكْرَمُون بها، ويُخَلَّدُون فيها، فذلك يُهَوِّنُ الموتَ، وما هو أعظم من الموت، بل الإقامة في سكراته، وتجرع مراراته آلافاً من السنين، وأضعافَ ما تَعُدُّهُ مئين، وإلا فالموت هو الخطب الأفظع، والأمر الأشنع، والكأس التي طعمها أكره وأبشع، [وإنَّه الحادث الهادم للذات، والأقطع للراحات، والأجلبُ للكريهات، وإنَّ أمرا يُقطِّعُ أوصالك][3] [١١/ب] ويُفَرِّقُ أعضاءك، ويَفُتُّ[4] أعضادك، ويَهُدُّ أركانك، لهو الأمر العظيم، والخطب الجسيم، وإنَّ يومه لهو اليوم العقيم[5].

وما ظنُّك رحمك الله بنازل ينزل بك فيُذْهِبُ رَوْنَقَكَ[6] وبهاءك، ويُغيِّرُ مَنْظَرَك ورُوَاءَك[7]، ويمحو صورة جمالك، ويمنع من اجتماعك واتصالك، ويَرُدُّك بعد النعمة والنُّضرة والسَّطوة[8] والقدرة والنَّخوة[9] والعزة إلى حالة يُبادر فيها أحبُّ الناس إليك[10]، وأرحمهم بك، وأعطفهم عليك، فيقذفك في حُفرة من الأرض قريبة أنحاؤها، مظلمة

---

(١) من هنا إلى قوله: (أو طُلِيَ منك محبس ماء أو مَوْقِدُ نار كما) (ص:٧٦) غير موجود في (م).

(٢) في (ي): (يؤول المؤمنون إليها).

(٣) ما بين المعكوفتين غير واضح في الأصل، وقد أثبته من (ي).

(٤) في (ي): (ويفتت).

(٥) في (ي): (العظيم).

(٦) الرَوْنَقُ: الحُسْن. انظر: القاموس المحيط (ص:٨٨٨).

(٧) الرُّواءُ: حُسْنُ المنظر. لسان العرب (١٤/ ٢٩٥).

(٨) السَّطْوة: شدَّة البطش. المصدر السابق (١٤/ ٣٨٤).

(٩) النَّخْوَة: العَظَمَة والكِبْر والفَخْر. المصدر السابق (١٥/ ٣١٣).

(١٠) في (ي): (لك).

أرجاؤها، محكم عليك حجرها وصَيدانها[1]، متحكم فيك هوامها وديدانها، ثم بعد ذلك يتمكن منك الإعدام، وتختلط بالرَّغام[2]، وتصير ترابا تطؤه الأقدام، وربما ضُرِبَ منك إناء فخار أو أُحْكِمَ بك[3] باب جدار أو طُلِيَ منك مَحبس ماء أو مَوْقِدُ نار كما روي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّهُ أُتِيَ بإناء ماء لِيَشْرَب منه، فأخذه بيده، ونظر إليه، وقال: «كم فيك من عينٍ كَحيلٍ، وخدٍّ أسيل[4]»[5].

وكان[6] بقرطبة[7] امرأة صالحة، مذكورة بالخير، معروفة، اسمها عزيزة [١٢/أ] بنت القلفيطي[8]، وكانت لها رؤيا صادقة[9]، فرأت فيما يرى النائم كأنها خارجة على باب الضاغط بقرطبة، وعن يسار الخارج بنيانا من أعضاء بني آدم، وشعورهم، ولهم صياح وضجيج، ورجلٌ طويل واقف، وعليه ثياب خضرة نَيِّرة، ويداه على عينيه، وهو يقول: عيناي يا قوم في الحائط، فأَخبرتُ بهذه الرؤيا أبا بكر بن مؤمن[10] رَحِمَهُ اللَّهُ فخرج إلى الموضع، فوجد فيه

---

(١) الصَّيْدَان: الحَصَى الصِّغَار. المصدر السابق (٢٤٦/١٣).

(٢)الرَّغام: التُّرَاب. المصدر السابق (٢٤٧/١٢).

(٣) في (ي): (منك).

(٤) الخدّ الأَسِيل: السَّهْل الليِّن. المصدر السابق (١٥/١١).

(٥) لم أجد من ذكر هذا الأثر قبل المصنّف، وقد نقله عنه القرطبي في التذكرة (١٦٧/١).

(٦) هذه الحكاية غير موجودة في جميع النسخ عدا النسخة الأصل (ت).

(٧) مدينة عظيمة في الأندلس وهي عاصمتها وبها كانت بنو أمية، ولا زالت إلى اليوم تعرف بهذا الاسم في إسبانيا. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٦٨/٤).

(٨) لم أقف على ترجمة لها.

(٩) اتفق أهل العلم على أن الرؤيا الصالحة لا يحتج بها، إلا إذا وافقت حجة شرعية صحيحة، وعند ذلك تكون العبرة بالنص لا بها، فإنما حاصلها البشارة والاستئناس كما وصفت بأنها مبشرات، فلا يعتمد عليها في الأحكام. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٦/١٨)، (٤٥٧/٢٧)، والتنكيل للمعلمي اليماني (٣٨٢/٢).

(١٠) عتيق بن عيسى بن مؤمن الْأَنْصَارِيّ الخزرجي، من أهل قرطبة، يكنى أَبَا بَكْر، ولد سنة ٤٩٦هـ، وتوفي بقرطبة سنة ٥٤٨هـ. انظر: التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (٢١/٤).

مسجدا، ودورا قد بُنِيَتْ في طَرَفِ مقبرة(١) كانت هنالك، تُعْرَفُ بمقبرة عباس، وبُنَيِتْ تلك الدور والمسجد لمصلحة رأى الجيران في ذلك......(٢)ذلك، حدثني بهذه الحكاية صاحبنا الوجيه أبو الحسن بن أبي بكر بن مؤمن(٣) عن أبيه، وعن المرأة أيضا، وقد سمعت أيضا الحكاية قبل هذا من أبي الحسن بن كامل الصوفي(٤)، ومن غيره من أصحابه.

[ويحكى أنَّ رجلين تنازعا، وتخاصما في أرض، فأنطق اللهُ ﷻ لَبِنَةً في حائط من تلك الأرض، فقالت: يا هذان إني كُنْتُ مَلِكا من الملوك، مَلَكْتُ كذا وكذا سنة ثم مِتُّ وصِرْتُ ترابا، فَبَقِيتُ(٥) كذلك ألف سنة ثم أخذني خَزَّافٌ](٦) [١٢/ب] -يعني: فَخَّارا(٧)- فَعِمَل مني إناءً، فاستُعْمِلْتُ حتى تَكَسَّرْتُ ثم عُدْتُ ترابا، فَبَقِيتُ ألف سنة ثم أخذني رجل فَضَرَبَني(٨) لَبِنَةً فجعلني في هذا الحائط، فَفِيمَ تنازُعُكُمَا(٩) وفِيْمَ تخاصُمُكُما؟!(١٠)

---

(١) ثبت النهي عن بناء المساجد على القبور في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: «**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» [أخرجه البخاري (ص:١١٨) ح(٤٣٥)] وقد قال بالتحريم عامة العلماء؛ قال القرطبي: «قال علماؤنا:... يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد». [تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠)]، فلا ريب في القطع بتحريم هذا الفعل، لاسيما وأن أكثر ما فتح باب الشرك على هذه الأمة الغلو في الصالحين وتعظيم قبورهم. وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٧٢)، وزاد المعاد لابن القيم (١/ ٥٠٦).

(٢) في الأصل (ت) ثلاث كلمات لم أستطع قراءتها.

(٣) عَلِيّ بن عَتيق بن عيسى بن مُؤمن الأنصاري الخزرجي، يكنى بأَبِي الحسن، ولد سنة ٥٢٣هـ، وتوفّي سنة ٥٩٨هـ. انظر: التكملة لكتاب الصلة (٣/ ٢٢١).

(٤) لم أقف على ترجمته.

(٥) في (ش): (وبقيت)، والمثبت من (م) و(ي).

(٦) مابين المعكوفتين غير واضح في الأصل، ومثبت من النسخ الثلاث الباقية.

(٧) المقصود من كانت صنعته الخزف والفخّار.

(٨) في (م) و(ي): (فضرب مني لبنة).

(٩) من هنا إلى قوله في نهاية البيتين: (عَنْ وَصْفِ ضَرْبِهِمُ قالوا هُوَ الموتُ) غير موجود في (ش).

(١٠) لم أقف على من ذكر هذه القصة قبل المصنّف، وقد نقلها عنه القرطبي في التذكرة (١/ ١٦٧)، وليت المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تجنّب ذكر مثل هذه القصص الخرافية التي ليس لها أي مستند شرعي.

وهذا[1] التَّغَيُّرُ[2] إنما يَحِلُّ بجسدك، ويَنْزِل ببدنك، لا بروحك، لأنَّ[3] الروح لها حُكْمٌ آخر، وما مضى منك فغير مُضَاع، وتَفَرُّقُه لا يمنعه من الاجتماع؛ قال الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾[4]، والحكايات في هذا الباب أكثر من هذا، والكلام فيه مُتسع[5]، وقد دُوِّنَتْ في الموت الأخبار، وصِيْغَتْ فيه الأشعار، وضُرِبَتْ بشدَّته[6] الأمثال، وكَثُرَ فيه القيل والقال، وعُمِلَتْ بسببه أعمال وأعمال، قال بعضهم:

قالوا صِفْ لَنا الموتَ يا هذا وشِدَّتَهُ ... فقلتُ وامْتَدَّ مِنِّي عندَها الصَّوْتُ
يَكْفِيْكُمُ مِنْهُ أنَّ النَّاسَ إنْ عَجَزُوا ... عَنْ وَصْفِ ضَرْبِهِمُ قالوا هُوَ الموتُ

وقد أَمَرَ ﷺ بِذِكْرِ الموت، وأعاد القول فيه تهويلا لأمره، وتعظيما لشأنه؛ ذكر النسائي[7][8] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: [13/أ] «**أكثروا ذِكْرَ هادم**[9]

---

(1) من هنا إلى قوله: (تهويلا لأمره، وتعظيما لشأنه) غير موجود في (م).

(2) في (ي): (التغيير).

(3) في (ي): (فإن).

(4) السورة: ق، الآية: 4.

(5) في (ي): (والكلام متسع فيه).

(6) في (ي): (لشدته).

(7) أخرجه في السنن الكبرى [كتاب الجنائز، كثرة ذكر الموت] (2/379) ح(1963)، وفي السنن الصغرى [كتاب الجنائز، كثرة ذكر الموت] (4/10) ح(1840)، وأحمد في مسنده (13/301) ح(7925)، والترمذي في سننه [كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت] (ص:522) ح(2307)، وقال: «هذا حديثٌ غريبٌ حسن»، وابن ماجه في سننه [كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له] (ص:705) ح(4258)، وابن حبَّان في صحيحه (7/261) ح(2995) جميعهم عن أبي هريرة، وصحّحه ابن الملقِّن في البدر المنير (5/181)، وابن حجر في نتائج الأفكار (4/159)، وأحمد شاكر في هامش تحقيقه لمسند أحمد (8/35)، والألباني في صحيح الجامع الصغير (1/264) ح(1210).

(8) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي، صاحب السنن، ولد بنسا سنة 215هـ، وتوفي 302هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (14/125).

(9) وردت هذه الكلمة في المصادر الحديثية المشار إليها بالذال المعجمة؛ قال المُناوي في التيسير (1/201): «(هاذم اللذَّات)، بالمعجمة: قَاطع، أما بمهملة فمعناه: مزيل الشيء من أَصله، قال السُّهيلي: والرواية بالمعجمة».

اللذَّات: الموت»، وهذا[1] كلام مختصر وجيز، قد جَمَعَ التذكرة، وأبلغ في الموعظة؛ فإنَّ مَنْ ذَكَرَ الموت حقيقة ذِكْرِه نَغَّصَ عليه لذتَه الحاضِرَة، ومَنَعَهُ مِن تَمَنِّيها في المستقبل، وزَهَّدَه فيما كان منها يُؤَمِّل، ولكنَّ النفوس الراكدة، والقلوب الغافلة، تحتاج إلى تطويل الوعاظ، وتزويق[2] الألفاظ، وإلا ففيما ذَكَرْتُهُ[3] من قوله ﷺ: «**أكثروا من ذِكْرِ هادم اللذَّات: الموت**» ما يكفي السامع له، ويَشغَلُ الناظر فيه.

ويروى عن عطاء الخراساني[4] قال[5]: مَرَّ رسولُ الله ﷺ بمجلس قد ارتفع فيه الضَّحِك، فقال: «**شوبوا**[6] **مجلسَكم بذكرِ مُكَدِّرِ اللذات**»[7]، وقال: «**الموت**»[8].

وخَرَجَ يوما ﷺ إلى المسجد، وإذا[9] قوم يتحدثون ويضحكون، فقال: «**اذكروا الموت؛ أَمَا والذي نفسي بيده لو تعلمون**[10] **ما أعلم لضَحِكْتُم قليلا، ولبَكَيْتُم كثيرا**»[11].

---

(١) من هنا إلى قوله: (يكفي السامع له، ويَشغَلُ الناظر فيه) ساقط من (ش).

(٢) التزويق: التزيين. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٤٠٥)

(٣) في (ي): (ففيما ذُكر).

(٤) عطاء بن أبي مسلم الخراساني، مُحدّث واعظ، روى عن ابن المسيب، وعروة، وآخرون، وروى عنه: معمر، وشعبة، وسفيان، ومالك، وآخرون، ولد سنة ٥٠هـ، وتوفي سنة ١٣٥هـ. انظر: حلية الأولياء (١٩٣/٥)، وسير أعلام النبلاء (١٤٠/٦)

(٥) في (م) و(ي): (أنه قال).

(٦) الشَّوْب: الخَلْط. لسان العرب (٥١٠/١).

(٧) في (ش) و(م) و(ي): (قالوا: وما مُكَدِّرُ اللذات؟، قال: الموت).

(٨) قال العراقي في تخريج إحياء علوم الدين المسمى بـ«المغني عن حمل الأسفار» (ص:١٨٢٨): «أخرجه ابْن أبي الدُّنْيَا فِي الْمَوْت هَكَذَا مُرْسلا، ورويناه فِي أمالي الْخلَال من حَدِيث أنس وَلَا يَصح»، ولم أجده في كتب ابن أبي الدنيا المطبوعة، وضعّفه الألباني في ضعيف الجامع (ص: ٤٩٨) ح(٣٤٠٩).

(٩) في (م): (فإذا).

(١٠) في (ي): (لو تعلمون من الموت).

(١١) قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (ص:١٨٢٨): «أخرجه ابن أبي الدُّنيا في «الْمَوْت» من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف»، ولم أجده في كتب ابن أبي الدنيا المطبوعة، وقال ابن حجر في فتح الباري (٣١٩/١١): «أخرجه سُنَيْد فِي تفسيره بسند واه»، لكن التذكير بالموت ثابت في الأحاديث الصحيحة كما تقدّم.

وعن ابن عمر قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ عاشرَ عشرةٍ، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! مَنْ أَكْيَسُ الناس؟ قال: «**أكثرُهم للموت ذِكْرا،** [١٣/ب] **وأحسنُهم له استعدادا قبل أن يَنزل به، أولئك الأكياس**(١)**، ذهبوا بشرف الدنيا، وكرم الآخرة**»(٢)، [وقال ﷺ: «**أنا النذير، والموت المُغِير، والساعة الموعد**»](٣)(٤)، ويروى عنه ﷺ أنه قال: «**تركتُ فيكم واعظين: ناطقا وصامتا، فالناطق القرآن، والصامت الموت**»(٥)، ويُروى أنَّ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لرسول الله ﷺ: «**عِشْ ما شِئْتَ فإنَّك مَيِّت، وأَحْبِبْ مِن شِئْتَ فإنَّك مُفَارِقُه، واعملْ ما شِئْتَ فإنَّك مَجْزِيٌّ به**»(٦)، وهذه الأحاديث رويتها(٧) من طريق أبي بكر البزار(٨)، والقاضي أبي الحسن(٩) بن صخر(١٠)، وأبي علي الغساني(١١)(١٢)، وغيرهم.

---

(١) الأكياس جمع كَيِّس وهو العاقِل. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٨٢٠).

(٢)أخرجه ابن ماجه في سننه[كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له](ص:٧٠٥)ح(٤٢٥٩)، وحسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة(٣/٣٧٢)ح(١٣٨٤)إلا زيادة «ذهبوا بشرف الدنيا، وكرم الآخرة» فهي عند الطبراني في الأوسط (٦/٣٠٨).

(٣) ما بين المعكوفتين غير موجود في النسخة الأصل (ت)، ومثبت من (ش) و(ي).

(٤) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١١/١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/١٥١)، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/ ٦٠) ضمن موسوعته]، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (ص: ١٨٣٧): «أخرجه ابْن أبي الدُّنْيَا في «قصر الأمل»، وأبو القاسم البغوِي بِإِسناد فِيه لين». وضعّفه أيضا محقق مسند أبي يعلى الموصلي.

(٥) لم أجد من أخرج هذا الحديث، ولعل ذِكْر المصنف له بصيغة التمريض إشارة إلى ضعفه.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٣٢٥)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٤٨٣) ح(٨٣١).

(٧) في (ش): (رويناها).

(٨) في (م): (البزاز)، وقد تقدمت ترجمته.

(٩) في (ي): (الحسين).

(١٠) أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن صخر، الأزدي، البصري، حدَّث بمصر، والحجاز، واليمن، توفي بزَبِيْد سنة ٤٤٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٦٣٨)

(١١) في (ش): (القباني).

(١٢) أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني، الأندلسي، الجياني صاحب كتاب «تقييد المهمل»، ولد سنة ٤٢٧هـ، وتوفي ٤٩٨هـ. انظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأبي جعفر الضبي (ص: ٢٦٥)، وسير أعلام النبلاء (١٩/١٤٨)

وقال أبو الدرداء: «من أَكْثَرَ ذِكْرَ الموت قَلَّ فرحه، وقَلَّ حسده»(١)، وقال بعض(٢) أصحاب الحسن(٣): «كنا ندخل على الحسن فما هو(٤) إلا النار، والقيامة، والآخرة، وذكر الموت»(٥).

وكان ابن سيرين(٦) إذا ذُكِرَ عنده الموت، مَاتَ كُلُّ عُضْو منه على حِدَته(٧)، وقال التيمي(٨) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شيئان قَطَعَا عني لذاذة(٩) الدنيا: ذِكْرُ الموت، وذِكْرُ الوقوف بين يدي الله ﷻ»(١٠)، وقال مطرف بن عبد الله: «رأيتُ [١٤/أ] فيما يرى النائم كأن قائلا يقول في وسط جامع البصرة: قَطَعَ ذِكْرُ الموت قلوبَ الخائفين؛ فو الله ما تراهم إلا والهين محزونين!»(١١)،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٧٨/١٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٢٠/١)

(٢) (بعض) غير موجودة في (م).

(٣) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي، البصري، سكن المدينة، وأعتق، وتزوج بها في خلافة عمر، رأى عثمان، وطلحة، والكبار، وروى عن جمع من الصحابة وروايته عن بعضهم مرسلة، وروى عن خلق من التابعين، وكان من سادات زمانه علما وورعا وزهدا، قال أبو بردة: (ما رأيت أحدا أشبه بأصحاب محمد ﷺ منه)، توفي سنة ١١٠هـ، وقد عاش نحوا من ثمان وثمانين سنة. انظر: حلية الأولياء (١٣١/٢)، وسير أعلام النبلاء (٥٦٣/٤).

(٤) في (م): (فما هو ذاكر).

(٥) لم أقف على من ذكرها.

(٦) أبو بَكر محمد بن سيرين البصري مولى أنس بن مالك، تابعي مشهور، سمع أبا هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعمران بن حصين، وأنس بن مالك، وكان أحد الفقهاء من أهل البصرة، توفي سنة ١١٠هـ. انظر: حلية الأولياء (٢/ ٢٦٣)، تاريخ بغداد (٢٨٣/٣).

(٧) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٠٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٧٢/٢).

(٨) عبدالأعلى التَّيمي؛ أحد العباد الخائفين، روى عن إبراهيم التيمي وروى عنه مسعر والمسعودي، قال عنه الإمام أحمد: «رجل صَالح» توفي في حدود سنة ١٤٠هـ. انظر: العلل ومعرفة الرجال لأحمد (٣٠٧/١)، وحلية الأولياء (٨٧/٥)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٦٧٥/٣).

(٩) في (ش): (لذة).

(١٠) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨٨/٥).

(١١) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات [(٢٧٨/٦) ضمن الموسوعة]، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٤٥/٦).

وقال عمر بن عبد العزيز[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو فَارَقَ ذِكْرُ الموت قلبي ساعة لَفَسَد»[2][3].

وقال لعنبسة[4][5]: «أَكْثِرْ ذِكْرَ الموت؛ فإنْ كنتَ واسعَ العَيْش ضَيَّقَهُ عليك، وإنْ كنتَ ضَيِّقَ العَيْش وَسَّعَهُ عليك»[6].

وكان يزيد الرقاشي[7] يقول لنفسه: «ويحك يا يزيد! من ذا يُصلي[8] عنك بعد الموت؟! من ذا يصوم عنك بعد الموت؟! من ذا يترضى عنك[9] بعد الموت؟!»، ثم يقول: «أيها الناس! ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟! مَن[10] الموتُ مَوْعِدُه، والقبرُ بيتُه، والثرى فِرَاشُه، والدودُ أنيسُه، وهو مع هذا يَنتظر الفَزَعَ الأكبر، كيف يكون حاله؟!»، ثم يبكي حتى

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو حفص، القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفة الزاهد، ولد سنة ٦٣هـ، وتوفي سنة ١٠١هـ. انظر: حلية الأولياء (٢٥٣/٥)، وسير أعلام النبلاء (١١٤/٥)، ولابن الجوزي كتاب مستقل في سيرته وأخباره ومناقبه.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٩٠/١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٢٩/١٩)، وأحمد في الزهد (ص:٣٩٥)، رووه جميعهم عن الربيع بن خثيم وليس عن عمر بن عبدالعزيز.

(٣) أثر مطرف بن عبدالله وقول عمر بن عبدالعزيز سقطا من النسخة (ش).

(٤) في (ش): (وقال عمر بن عبدالعزيز لعتبة).

(٥) عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد ابن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو خالد، ويقال: أبو أيوب الأموي، شقيق عمرو بن سعيد الأشدق الذي غلب على دمشق في أيام عبد الملك، روى عن أبي هريرة وأنس وعمر بن عبد العزيز، توفي في حدود ١٠٠هـ. انظر: تاريخ دمشق (٣/٤٧)، التاريخ الكبير (٣٦/٧)، تهذيب الكمال للمزي (٤٠٨/٢٢)

(٦) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦٥/٥)، والبيهقي في الزهد الكبير (ص:٢١٧).

(٧) يزيد بن أبان، أبو عمرو الرقاشي البصري، من وعّاظ البصرة، حدَّثَ عن أنس بن مالك، والحسن البصري، وغيرهم، وروى عنه حماد بن سلمة ومعتمر بن سليمان وجماعة، ضعّف روايته المحدثون. انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٢/٦٥)، ميزان الاعتدال للذهبي (١٥٠/٥)، حلية الأولياء (٥٠/٣).

(٨) في (ي): (من ذا الذي يصلي عنك بعد الموت، من ذا الذي يصوم).

(٩) في (م) و(ي): (من ذا يترضى عنك ربك)، وفي (ش): (من ذا يرضي ربك عنك).

(١٠) في (ي): (ويا من).

يسقط مغشيا عليه[1].

ويُروى أنَّ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان إذا ذُكِرَ عنده الموت، والقيامة، يَقْطُرُ جسدُه دماً[2].

وعن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه كان إذا ذُكِرَ عنده الموت، والقيامة، بكى[3] حتى تَنْخَلِعَ أوصاله، فإذا ذُكِرَت الرحمة رَجَعَت[4].

وكان عمر بن عبد العزيز [١٤/ب] رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجمع الفقهاء؛ فيتذاكرون الموت، والقيامة، والآخرة، فيبكون حتى كأنَّ بين أيديهم جنازة[5]، وأنشد[6] بعضهم:

يــا باكيــاً مـــن خِيفَــةِ المـــوتِ أَصَـبْتَ فَـارْفَعْ مِـنْ مَـدَى الصَّـوْتِ
وناديـــاً لَهَفــــاً عــــلى فُسْـــحَةٍ في العُمْـــرِ فَاتَـــتْ أَيَّـــمَا فَـــوْتِ
ضَــــيَّعْتُها ظـــــالمِ نفــــسي ولم أُصْـــغِ إلى مـــوتٍ ولا مَيْـــتِ
يـــا ليتَهـــا عـــادَتْ وهيهـــاتَ أَنْ يعـودَ مـا قَـدْ فَـاتَ يـا لَيْـتِ[7]
فَخَـــلِّ عَـــنْ هـــذا الأمـــانيْ وَدَعْ خوضَـــكَ في هـــاتٍ وفي هَيْـــتِ
وبَـــادِرِ الأمــــرَ فَـــمَا غائـــبٌ أَسْرَعَ إتيانـــــاً مِـــــنَ المـــــوتِ
كَـــمْ شـــائدٍ بيتـــاً لِيَغْنـــى بِـــهِ مَـــاتَ ولمْ يَفْـــرُغْ مِـــنَ البَيْـــتِ

واعلم أنَّ كثرة ذِكْر الموت تَرْدَعُ عن المعاصي، وتُلِيْنُ القلب القاسي، وتُذْهِبُ الفرح بالدنيا، وتُهوِّنُ المصائب فيها، وإن لم[8] يَخَفْهُ في هذه الدار رُبَّما تَمَنَّاهُ في الآخرة، فلا يُؤْتَاه، ويَسأل فيه فلا يُعطاه.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/٥١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٥/٨٥).

(٢) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/٤٦٩).

(٣) في (ش): (يبكي).

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/٣٢٨).

(٥) أخرجه ابن عساكر تاريخ دمشق (٤٥/٢٣٩)، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/١٣٨).

(٦) من هنا إلى نهاية الأبيات ساقط من النسختين (ش) و(م).

(٧) في (ي): (بالليتِ).

(٨) في (ي): (وإن من لم يخفه).

وكتب رجل إلى بعض إخوانه: «يا أخي! احْذَرِ الموت في هذه الدار مِنْ قَبْلِ أن تَصير إلى دارٍ تَتَمَنَّى[1] الموت فيها فلا يُوجد، ويُطْلَبُ فيها فلا يُدْرَك»[2].

ويروى أنَّ امرأة شَكَتْ إلى عائشة [١٥/أ] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قساوةً في قلبها، فقالت لها: «أكثري من ذِكْر الموت يَرِقُّ قلبُكِ»، فَفَعَلَتْ ذلك فَرَقَّ قلبُها؛ فَجاءَتْ تَشْكُر عائشة[3]، وقال الحسن: «فَضَحَ الدنيا -والله- هذا الموتُ؛ فَلَم يَتْرُكْ فيها لذي لُبٍّ فَرَحا»[4]، وقال: «ما رأيتُ عاقلا قطُّ إلا وَجَدْتُهُ حَذِرا من الموت، حزينا من أجله»[5]، وقال كعب[6][7]: «مَنْ ذَكَرَ الموتَ هَانَتْ عليه المصائب»[8]، وقال[9] حامد اللفاف[10]: «وَيْحَ ابنَ آدم، إنَّ أمامَه[11] ثلاثةُ أشياء: مَوْتٌ كَريهُ المذاق، ونارٌ أليمةُ العذاب، وجَنَّةٌ عظيمةُ الثواب»[12].

---

(١) في (ش): (يُتمنَّى).

(٢) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (ص:١٨٢٨)، وذكر ابن الجوزي نحوه في المقلق (ص: ٩٧).

(٣) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (ص:١٨٢٨)، وابن رجب في ذم قسوة القلوب [(٢٦٥/١) ضمن مجموع رسائله].

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٤٩/٢).

(٥) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (ص:١٨٢٨).

(٦) في (ش): (كعب الأحبار).

(٧) كعب بن ماتع، وهو كعب الأحبار، يكنى أبا إِسْحَاق، كان يهوديّاً، فأَسلم بعد وفاة النَّبِي ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيَّام عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجالس الصحابة، وكَانَ يُحَدِّث عن كتب بني إسرائيل، وكان حَسَن الإسلام، تُوفي بحِمْص سنة ٣٤هـ، وقيل سنة ٣٢هـ، وقد بلغ مِئَة وأربع سنين. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٤٦٠/٤)، الإصابة في تمييز الصحابة (٣٤٧/٩)، سير أعلام النبلاء (٤٨٩/٣).

(٨) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤٤/٦).

(٩) قول حامد اللفاف والفقرة التي بعده المنتهية بقوله (ولا البلد البعيد) ساقط من النسخة (ش).

(١٠) أحمد بن خضرويه، أبو حامد البَلْخي، ويقال: اللفاف، من شيوخ الصوفية، ومن أصحاب حاتم الأصم، وقد كان مُعَمَّراً، توفي سنة٢٤٠هـ. انظر: حلية الأولياء (٤٢/١٠)، وسير أعلام النبلاء (٤٨٧/١١)، وحاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين (٥٩/١).

(١١) في (م): (وراءه).

(١٢) لم أقف عليه.

واعلم[١] أنَّ الموت لن يَمْنَعَه منك مانع، ولا يدفعه عنك دافع، وإنَّ فيه لزجراً للبيب، وشُغْلاً للأريب[٢]، ومَنْبَهَةً للنائم، وتنشيطا للمستيقظ، وإنَّهُ الطالبُ المُدْرِك، والمُتَّبِعُ اللاحق، والمُغِيْرُ[٣] الذي يَبْعَثُ الطَّليعة[٤]، ويُعَجِّلُ [الرَّيبة][٥]، ويَسْبِقُ النذير، لا يرده الباب الشديد، ولا البروج المشيدة[٦]، ولا [اللَّجَب][٧][٨] العرمرم[٩]، ولا البلد البعيد.

ورُوي[١٠] عن سُليمان بن مهران الأعمش[١١]، وحَدَّث به غيرُه أيضا: أنَّ رجلا كان جالسا مع سليمان نبي الله[١٢] عَلَيْهِ السَّلَامُ [١٥/ب] فدخل عليه داخلٌ، فجَعَلَ ينظر إلى الرجل الجالس مع سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويُدِيمُ النظر إليه، فلما خرج قال الرجل: يا نبيَّ الله! من هذا الداخل عليك؟ قال: مَلَك الموت، قال: يا نبيَّ الله! لقد رأيتُهُ يُدِيمُ النظر إليَّ، ويُشَخِّصُ فِيَّ، وإنِّي لأَظُنُّه يُرِيدُني، قال: فما تريد؟ قال: أُريدُ يا نبيَّ الله أن تَأمر الرِّيحَ فتأخذني فتُلْقِيني في أَبعد جزائر البحر؛ فإنَّه قد أطاش[١٣] عقلي، وأَذْهَبَ لُبِّي، ونقض كلَّ عُضْو في بدني[١٤]!

---

(١) من هنا إلى قوله: (ولا البلد البعيد) ساقط من النسخة (م).

(٢) الأَرِيب: ذو الدَهاء والبَصر. لسان العرب (١/٢٠٩)

(٣) المغير: هو الذي يُسرع في العدو. انظر: تاج العروس (١٣/٢٧١).

(٤) الطليعة: القوم الَّذين يُبْعَثُونَ لِيَطَّلِعُوا على العدوّ كالجواسيس. انظر: لسان العرب (٨/٢٣٧)

(٥) الكلمة غير واضحة في الأصل (ت)، ومثبتة من (ي).

(٦) في (ي): (ولا البرج المشيد).

(٧) الكلمة غير واضحة في الأصل (ت)، ومثبتة من (ي).

(٨) اللَّجَبُ: صوتُ العَسْكر. لسان العرب (١/٧٣٥).

(٩) العَرَمْرَم: الشَّديد، والجيش الكثير. القاموس المحيط (ص:١١٣٧).

(١٠) في (ش) و(م) و(ي): (وروى خيثمة عن سليمان).

(١١) سليمان بن مهران، أبو محمد الأعمش مولى بني كاهل، أصله من نَوَاحِي الرَّيّ، رأى أنس بن مالك، ولم يسمع منه شيئا مرفوعا، وُلد سنة ٦٠هـ، ومات سنة ١٤٨هـ. انظر: حلية الأولياء (٥/٤٦)، تاريخ بغداد (١٠/٥)، سير أعلام النبلاء (٦/٢٢٧).

(١٢) في (ش): (جالسا مع نبي الله سليمان بن داوود).

(١٣) في (ي): (طاش) وفي (م): (أطار).

(١٤) في (ش): (ونقض كلَّ عُضْو فيَّ).

فأوحى الله ﷻ إلى سليمان أو ألقى في نفسه أن يفعل ذلك[1]؛ فأمر الرِّيح فأَخَذَتْهُ فأَلقَتْهُ حيثُ أراد، فما استقرَّ[2] بالأرض حتى نَزَلَ عليه مَلَك الموت، فَقَبَضَ روحه ثم رَجَع إلى سليمان، فقال له سليمان: رأَيتُكَ تُدِيمُ النظرَ[3] إلى جليسي، قال: نعم، كنتُ أَتَعَجَّبُ منه، لأني أُمِرْتُ بقبض روحه في أبعد بلاد الهند في ساعة قريبة من الوقت الذي كان عندك، فما هو إلا أن خَرَجْتُ قيلَ لي: انْزِل عليه فإنَّه بها، فَنَزَلْتُ عليه فوجدتُهُ بها فَقَبَضْتُ رُوحَه[4]، وأنشد[5] بعضهم:

مـا أنـتَ والرَّشَـا[6] الأحـوَى[7] تغازلـه ... والركـب تسـأل عنـه بانـت الـوادِ
وقـد أظَلَّـكَ جـيشٌ للـردى لَجِـبٌ[8] ... كـالبحرِ يُوصـل أمـدادا بأمـدادِ[9]
[١٦/أ] مِـنْ كُـلِّ داهيـةٍ لـو أنَّهـا مَثُلَـتْ ... شخصـا لأظلَـمَ منهـا كـلَّ وَقَّـادِ
لا يمنـعُ المـرءَ منهـا رأسُ شـاهقةٍ ... ولا يَـرُدُّ شـباها[10] نَسْـجُ زَرَّادِ[11]
وأنـتَ غَـادٍ عـلى ظهـرِ الطريـقِ وَمَـا ... لـديكَ مـن نـاصرٍ يُرجـى ولا فَـادِ
كـأنَّني بـكَ مصـروعاً لِوَطْأَتِـهِ ... هـذا أوانُ مغـارِ الفـارسِ العـادِ
قُـمْ قـد أتيـتَ ولا منجـا ولا وزرٌ ... للويـلِ أصـبحتَ مِـنْ رَكْـضٍ وإنشـادِ
صِـحْ بالنـدى وبالقَصْـرِ المشـيدِ عسـى ... هيهـاتَ هيهـاتَ كـان القصـر والنـاد

---

(١) في (ش): (كذلك).
(٢) في (ش): (فلم يستقر بالأرض).
(٣) في (ش): (رأيتك تنظر إلى جليسي).
(٤) ذكرها أبو نعيم في حلية الأولياء (١١٨/٤).
(٥) من هنا إلى قوله: (ويزيد في الاجتهاد والتعب) –في نهاية الفقرة التي تلي الأبيات– ليس موجودا في (ش) و(م).
(٦) الرَّشَا: مِنْ أَولاد الظِّباء. لسان العرب (٣٢٢/١٤).
(٧) الأَحْوَى: الَّذي يميل لونه إلى السواد. انظر: تاج العروس (٤٩٩/٣٧).
(٨) في هامش المخطوط: (جيش لجب: أي مضطرب اضطراب موج البحر من كثرته).
(٩) أي يُزاد ويكثر ويُعطى ويُغاث. انظر: تاج العروس (١٥٩/٩).
(١٠) شباها: شَباةُ كُلِّ شيءٍ: حدُّ طَرَفِه، وَقيل حَدُّه، وتُطلق على طرف السيف. انظر: لسان العرب (٤١٩/١٤).
(١١) الزرَّاد: صانع الدروع. انظر: لسان العرب (٣/ ٢١٢)، تاج العروس (٨/ ١٤٢).

يـــا راقـــداً وعيـــونُ الليـــلِ[1] ســـاهرةٌ   لقـــد أُعِـــرْتَ لأمـــرٍ غـــيرِ رَقَّـــادِ

واعلم أنَّ في النظرِ إلى الميت، ومشاهدة سكراته ونزعاته، وتأمل صورته بعد مماته، ما يَقطع عن النفوس لذاتها، ويطرد عن القلوب مَسَرَّاتها، ويمنع الأجفان من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل، ويزيد في الاجتهاد والتعب.

يُروى أنَّ الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ دخل على مريضٍ يَعُودُه، فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كَرْبه وعِلَّته، وشدة ما نَزَلَ به، فرجع إلى أهله بغير[2] الذي خرج به من عندهم، فقالوا[3]: الطعامُ يرحمك الله، أتأكل؟ فقال: «يا أهلاه، عليكم بطعامكم [١٦/ب] وشرابكم، فو الله لقد رأيتُ مَصْرَعا لا أزالُ أعمل له حتى ألقاه»[4].

وقال بعض العلماء[5]: «أيُّ عيشٍ يَطيبُ وليسَ للموتِ طبيب؟!»[6]، وقال بعض الزهاد: «لنا مِنْ كُلِّ ميتٍ عِظَةٌ بحالِه، وعِبْرَةٌ بمآلِه»[7][8]، وقال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كفى بالموت واعظا، وباليقين غِنى، وبالعبادة شُغْلا»[9].

واعلم أنَّ الموتَ وإن كان هو المصيبة العظمى، والرَزِيَّة الكُبرى، فأعظمُ مِنه الغفلةُ عنه، والإعراض عن ذِكْرِه، وقِلَّة التفكر فيه، وترك العمل له، وإنَّ فيه وَحْدَه لَعِبْرَةً[10] لمن اعتبر،

---

(١) في (ي): (وعيون الموت).

(٢) في (ي): (بغير اللون)، وفي (م): (بغير الوجه).

(٣) في (ش): (فقالوا له).

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٢٧٠)، وذكره ابن الجوزي في آداب الحسن البصري (ص:١٢٤).

(٥) في (ش): (بعض الحكماء).

(٦) أدب الدين والدنيا للماوردي (ص:١٩٣).

(٧) هذا الأثر ساقط من النسخة (ش).

(٨) أورده الماوردي في أدب الدين والدنيا (ص:٢٠٥).

(٩) أخرجه نعيم بن حماد في زوائد زهد ابن المبارك (٣٧/٢) عن ابن مسعود موقوفا، وأخرجه أحمد في الزهد (ص:١٧٦) بسند صحيح عن عمار بن ياسر موقوفا عليه، وقد روي مرفوعا بسند ضعيف جدا. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (١/٢) ح(٥٠٢).

(١٠) في (ش) و(ي): (عبرة).

وفِكْرَةً لمن تَفَكَّر.

وفي خَبر مروي[1] عن النبي ﷺ: «**لو أنَّ البهائمَ تَعْلَمُ من الموتِ ما تعلمون ما أَكَلْتُمْ منها سمينا**»[2].

ويُروى أنَّ رجلا من الأغنياء نَزَلَ به داءٌ في وجهه، فَعَجَزَ أطباء بلاده عن معالجته، ولم يجدوا سبيلا إلى شفائه، فَخَرَجَ يَضربُ في الأرض، ويخترق البلاد، ويطلب علاجا لدائه[3]، وفرجا لبلائه، فَدُلَّ على طبيب حاذق ببلاد الهند، فَقَطَعَ إليها[4] المفَاوِز[5] البعيدة، ورَكِبَ إليه البحار الخَطِرَة، واللجَج[6] الهائلة حتى وصل إليه بعدما كاد [١٧/أ] أن يهلك[7]، فَدَخَل عليه، فوجد رجلاً مُلْقَى على فراشه -جِلْدٌ[8] على عظم- فَسَلَّمَ عليه فأَحْسَنَ الرَد، وأَظْهَرَ البِشْر، فسأله عن حاله، ومن أيِّ البلاد هو، وما الذي جاء به، فأَخْبَرَهُ خَبَرَه، وأنَّه إنَّما جاء يَلْتَمِسُ معالجة دائه، فقال له: كَمْ مَعَك من المال؟ وما جئتَ به من البضاعة؟ فأَخْبَرَهُ، فقال له: آخُذُ منك نِصف ما عندك[9]، وأُعَالجك حتى تستريح، فأَجَابَه إلى ذلك، ودَفَعَ إليه نصف ما عنده، فعالجه ولاطَفَهُ حتى ذهبَ عنه الألم، وجميعَ ما كانَ بوجهه، ولم يَبق به شيء إلا موضع[10] الداء بَقِيَ أسودَ دونَ ألمٍ يَجِدُه فيه، فقال[11]: قد بَرِءَ داؤك، وذَهَبَتْ عِلَّتُك، وقد اسْتَوجَبْتُ ما

---

(١) في (ش) و(ي): (يُروى).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٤) وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥٢٦/١٤) ح(٤٣٥٣).

(٣) في (ش): (ويطلب شفاء لدائه).

(٤) في (ش) و(ي) و(م): (إليه).

(٥) المفاوز واحدتُها مفازة؛ والمراد بها البَرِّيَّة القَفْرُ والصحراء؛ وقد سُميت الصحراء مفازَة لأَنَّ مَن خَرَجَ منها وقطعها فاز، وقيل غير ذلك. انظر: لسان العرب (٥/ ٣٩٣).

(٦) لُجَّة البَحر: حيث لا يُدْرَك قعرُه. لسان العرب (٢/ ٣٥٤)

(٧) في (ش): (بعدما كاد يتلف).

(٨) في (ش) و(ي) و(م): (جلده).

(٩) في (ي): (ما معك)، وفي (ش): (ما معك من المال).

(١٠) في (م): (إلا أن موضع).

(١١) في (ش) و(ي): (فقال له).

أَخَذْتُهُ منك، فقال[1]: أيُّها الفاضل، أمَا تَرى الموضِعَ قد بَقِيَ أسودَ مخالفا لونُه لوني؟ وكيف يكون هذا البُرْء؟ وكيف تكون هذه الصحة؟ وكيف تستوجبُ ما أَخَذْتَهُ مني؟ فقال: لم أُشَارِطْكَ على نقاء اللون، وبياض البشرة، إنَّما شَارَطْتُكَ على ذهاب الألم، وحَسْم الداء، ولستُ أَنْظُرُ لك فيما تريدُه[2] من إزالة هذا السواد إلا بأن تَدفَع إليَّ النصف الثاني من مالك، فقال له: أيُّها الفاضل، أنا رجل بعيد الدار [١٧/ب]، ناء الأهل، وإذا دَفَعْتُ لك[3] النصف الثاني بَقِيْتُ مُنْقَطِعا عن أهلي ووطني، فقيرا بأرض غُرْبَة، عالةً على من لا يعرفني، فقال: لا بُدَّ لك من أن تُعْطِيَني ما قلتُ لك وإلا لم أَنْظُر لك في شيءٍ مما تُريد، فلما رأى الرجل أنَّه لا يُجيبه إلى معالجته، والنظر في أمره حتى يُعْطِيَه ما سأل، أَجَابَهُ إلى ما أراد، ودَفَعَ[4] النصف الثاني، فَعَالجه حتى ذَهَبَ عنه سوادُه، فلما بَرِءَ قال له: أَبَقِيَ لك شيءٌ؟ قال: لا، قال: فاسْتَوجَبْتُ ما أَخَذْتُ[5] منك؟ قال: نعم، فقال له: يا هذا، إنِّي لم آخُذ مالك رَغْبَة فيه، ولا لأستأثِرَ به دونك، ولكن أَرَدْتُ أَن أدري[6] مِقدارَ نفسِكَ عندَك، وأيُّهما أحبُّ إليكَ: المالُ أم هي؟ فقد رأيتُ، وهذا مالُك كُلُّه مردودٌ عليك، لا والله لا آخُذُ منه دِرهما واحدا، فَرَدَّهُ عليه، ثم قال له: ما نِحْلَتُكم التي تَنْتَحلون؟ وما شريعتكم التي بها تَتَشَرَّعون؟ فقال له: نحن مسلمون[7]، فقال له: وما مسلمون؟ فقال: نحنُ أُمَّةُ محمدٍ ﷺ، قال: وما محمد؟ قال: رَجُلٌ من العَرَبِ ثم من قريش، بَعَثَهُ الله تعالى إلينا رسولا، واختاره صَفِيّا أمينا، فَبَلَّغَ الرسالة، وأدَّى الأمانة، وذكر لنا أنَّ بين أيدينا [١٨/أ] يوما يُبْعَثُ فيه الأموات، ويُجَازَى فيه بالسيئات والحسنات، فقال له:

---

(١) في (ش) و(ي) و(م): (فقال له).

(٢) في (ش): (تريد).

(٣) في (ش) و(ي) و(م): (دفعت إليك).

(٤) في (ي) و(م): (ودفع إليه).

(٥) في (ي): (ما أخذته).

(٦) في (م): (أن أعرف).

(٧) في (ش): (فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، نحن له مسلمون).

وكيف أَنْتُم في اتِّبَاعِهِ؟ قال: إنَّا لَنَسْلُكُ في [غير][1] هَديه، ونَتْرُكُ كثيراً من أمرِه، قال: والله يا هذا، ما أَقولُ بما تقولون، وما رَدَّني كما ترى -جلدة على عظم- إلا الفِكْرَة في الموت[2]، وفيما هو، فكيف لو قُلْتُ بما تقولون مما بعد الموت من الحساب والعقاب، والجزاء والثواب؟ ما رأيتُ أقلَّ عقولاً منكم! ثم دَفَعَ إليه ماله، وانْصَرَف.

حدثني[3] بهذه الحكاية أبو عمر الشريف[4] رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذا الكلام الأخير منها في ذِكْر الموت وغيره، شَكَكْتُ هل ذَكَرَهُ في الحكاية أم لا؟ ولكنّي قد سَمِعْتُه من غيره.

ويُروى أنَّ أعرابيًّا كان يسيرُ على جَمَلٍ له، فَخَرَّ الجملُ مَيّتا، فَنَزَلَ الأعرابي عنه، وَجَعَلَ يطوف به، ويَتَفَكَّرُ فيه ويقول: مَا لكَ لا تَقوم؟ مالكَ لا تَنْبَعِث؟ هذه أعضاؤك كاملة، وجوارحك سالمة، ما شأنُك؟ ما الذي كان يَحْمِلُك؟ ما الذي كان يَبعثك؟ ما الذي صَرَعَك؟ ما الذي عن الحركة مَنَعَك؟ ثم تَرَكَه وانصرفَ مُتفَكِّرا في شأنِه، متعجباً من أمرِه[5]، وأنشدوا[6]:

وَمُجَـــررٍ يـــومَ الـــوَغَى[7] خَطيَّـــةً[8] مُنسَـــــابَةً مِـــــنْ خَلْفِــــهِ كَـــــالأَرْقَمِ
[١٨/ب] تَتضـاءلُ الأبطـالُ سـاعةَ ذِكْـرِهِ وتَبيــــتُ مِنْـــــهُ في إبـــــاءَةِ ضَـــــيْغَمِ[9]

(١) موجودة في جميع النسخ عدا الأصل (ت).

(٢) في (ش) و(ي): (في الموت خاصة).

(٣) في (ش): (حدَّث).

(٤) لم أقف على ترجمته.

(٥) لم أقف على من ذكرها.

(٦) من هنا إلى نهاية الأبيات ساقط من (ش) و(م).

(٧) الوَغى: الحَرْبُ. لسان العرب (١٥/٣٩٧).

(٨) في (ي): (ومجرر خطية يوم الوغى).

(٩) الضَّيْغَم: الأَسد. القاموس المحيط (ص:١١٣٢).

شَرِسُ المقـــادَةِ لا يَـــزالُ ربيئـــةً[1] فمتـــى يَحِـــسُّ بنـــارِ حـــربٍ يَقْـــدُمِ
تقـــعُ الفريســـةُ منـــه في فَوهَـــاءَ إنْ[2] يُطـــرَح بهـــا صُـــمُّ الجبـــالِ تَحَطَّـــمِ[3]
ظمـــآنَ للـــدمِ لا يَقـــومُ بِريِّـــهِ إلا المـــروّق في الجســـومِ مِـــنَ الـــدَّمِ
جاءَتْـــهُ مِـــنْ قَبـــلِ الـــمَنونِ إشـــارةٌ فَهَـــوَى صَريعـــاً لليـــدينِ ولِلْفَـــمِ
ورَمَـــى بمُحْكَـــمِ دِرْعِـــهِ وبرُمحِـــهِ وامتَـــدَّ مُلْقَـــى كـــالفنيقِ[4] الأَعْظَـــمِ
لا يَســـتجيبُ لصـــارخٍ إنْ يَدْعُـــهُ أبـــداً ولا يُرجَـــى لخَطْـــبٍ مُعَظَّـــمِ
ذَهَبَـــتْ بَسَـــالَتُهُ ومَـــرَّ غَرَامُـــهُ لمـــا رأى خَيـــلَ المنيَّـــةِ تَـــرْتَمِ
يـــا ويحَـــهُ مِـــنْ فَـــارِسٍ مَـــا بالُـــهُ؟ ذَهَبَـــتْ مُروءتُـــهُ ولَمَّـــا يُكْلَـــمِ[5]
هـــذي يـــداهُ وهـــذه أعضـــاؤُه مَـــا مِنْـــهُ مِـــنْ عُضْـــوٍ غَـــدَا بِمُـــثَلَّمِ[6]
هيهـــاتَ مـــا خَيـــلُ الـــردى محتاجـــةٌ للمَشْـــرَفِيِّ[7] ولا السِّـــنانِ اللَّهْـــذَمِ[8]
هـــي ويحَكُـــم أمـــرُ الإلهِ وحُكْمُـــهُ واللهُ يقضـــي بالقضـــاءِ المُحْكَـــمِ
يـــا حســـرةً لـــو كـــان يَقْـــدِرُ قَـــدْرَها ومصـــيبةٌ عَظُمَـــتْ ولَمَّـــا تَعْظُـــمِ[9]
نَبَـــأٌ[10] عَلِمْنَـــا كُلُّنـــا بمَكانِـــهِ وكأنَّنـــا في حالِنـــا لم نعلَـــمِ

فكيف إذا أضاف إلى الفكرة في الموت الفكرةَ فيما بعد الموت، [١٩/أ] وفي حال الميت

---

(١) رَبيئة القوم: عَيْنهم الذي يكون على مكان عالٍ، فإذا رأى العدوَّ قد أَقبل نَزَع ثوبه وأَلاحَ به ليُنذرَ قومه. انظر: لسان العرب (٤٨/١٥).

(٢) في (ي): (في فوها وإن).

(٣) فوهاء: الفَوَهُ سَعَةُ الفَم. القاموس المحيط (ص:١٢٥١)

(٤) الفنيق: الجَمَل الفَحْل. لسان العرب (٣١٣/١٠).

(٥) الكَلْم: الجَرح. القاموس المحيط (ص:١١٥٥).

(٦) الثَّلْم: الخَرْمُ. انظر: لسان العرب (١٧١/١٢).

(٧) المشرفي: نوعٌ من السيوف منسوبٌ للمَشارِف وهي قُرى من أرض اليَمَن. انظر: تاج العروس (٥٠٣/٢٣).

(٨) اللَّهذم: الحاد. لسان العرب (٥٥٦/١٢).

(٩) في (ي): (يعظم).

(١٠) في (ي): (خبرٌ).

ومآله، وما يُجازى به من[1] أقواله وأفعاله، وفي أيِّ مَتْجَرٍ فاته، وأيِّ بضاعة فَرَّطَ فيها، وأيِّ عِلْقٍ نفيس من العمر ضَيَّعَه.

هنالك تطيش الألباب، وتذهل العقول، وتخرس الأَلْسُن، وتُنبَذُ الدنيا بالعراء، وتُطرَحُ بجميع ما فيها من الوراء[2].

وقال ابن السماك[3] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الموتى لم يبكوا من الموت، ولكنهم بكوا[4] من حسرة الفوت، فَاتَتْهُم[5] -والله- دارٌ لم يتزودوا منها، ودخلوا دارا لم يتزودوا لها، فأيَّة ساعة مَضَت[6] على مَنْ مضى، وأيَّة ساعة بَقِيَتْ علينا، والله إنَّ المتفكر في هذا لجديرٌ أنْ يترك الأوطان، ويهجر الخِلَّان، ويَدَعَ ما عَزَّ وما هان»[7].

ويُروى[8] أنَّ مَلِكا من ملوك بني إسرائيل كان كُلَّما وُلِدَ له وَلَدٌ فَبَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجال، وعَقَلَ ما يَعْقِلُه الرجال، لَبِسَ مِسوحَه[9]، وتعلق برؤوس الجبال، وسلك بطون الأودية يَعبُدُ الله ﷻ، فلم يَزَلْ ذلك دَأْبُه حتى[10] وُلِدَ له مولودٌ فَشَبَّ إلى أن وُلِدَ له وَلدٌ، فَجَمَعَ رجالَه وخاصتَه وقال: «تعلمون ما كان من أمر بَنِيَّ، وأنه ليس منهم واحد بَقِيَ معي، ولا التفتَ إليَّ، وإنه ليس يَصلُحُ بكم، ولا [١٩/ب] يستقيم أمركم إلا بأن يَلِيَكم واحد من ولدي، وإنّي أخاف

---

(١) في (ي): (من).

(٢) في (م): (ما فيها بالوراء).

(٣) أبو العباس محمد بن صبيح العجلي، مولاهم الكوفي، ابن السماك، مشهور بالوعظ والزهد، توفي سنة ١٨٣هـ. انظر: حلية الأولياء (٨/ ٢٠٤)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٢٨).

(٤) في (ي): (يبكون).

(٥) في (ش): (فإنهم والله قد خرجوا من دار إلى دار لم يتزودوا منها، ودخلوا والله إلى دار لم يتزودوا لها).

(٦) في (ي) و(م): (مرَّت).

(٧) لم أقف على من ذكره قبل المصنف، وقد ذكره الثعالبي في تفسيره نقلا عن المصنِّف (٣/ ٣٩٤).

(٨) هذه القصة سقطت بكاملها من (م).

(٩) المِسْح: ثَوب غليظ من الشَّعر. انظر: تاج العروس (٧/ ١٢٢).

(١٠) في (ش): (ذلك دَأْبُه كلما وُلِدَ له وَلَدٌ إلى أن وُلِدَ له مولود).

إن لم يكن ذلك أن تَهلكوا بهلاكي، فَخُذُوا ولدي هذا، فَرَبُّوه وقُومُوا بأمره، فإذا شَبَّ وعَقَلَ فَزَيِّنوا له الدُّنيا، وعَظِّموا قدرَها عنده».

ثم أَمَرَ فَبُنِيَ له قصر عظيم؛ فرسخا في فَرسخ[١]، وجَمَعَ[٢] له المراضع، وأَكْثَرَ له من الحواضن، وَوَكَّلَ به رجالا من عقلاء أصحابه، ووجوه دولته.

وأَمَرَ إذا فَهِمَ وعَقَلَ أن لا يخرج من ذلك القصر، وأنْ لا يُذْكَرُ عنده الموت، ولا يكون ميتٌ[٣] في موضعٍ يكون فيه؛ مخافةَ أنْ يسمع بالموت أو يرى ميتا فيَسْأَلُ عنه فيُفَسَّرُ له فيُنَغِّصُ عليه لذته، وتتكدر[٤] عليه حياته، ويَزْهَد في المُلْك، ويَسْلُكُ مَسْلَك إخوته، ويلحق بهم، ويحذو على طريقهم[٥]، والاستنان بسنتهم.

فَبَقِيَ الغلام على ذلك، لا يذكرون له[٦] موتا، ولا يُسْمِعُونه حديث ميت، ولا يُطلعونه عليه، ولا يُذكر عنده إلا الدنيا، وتعظيمها، والفرح بها، والإقبال عليها، وتعظيم آبائه الملوك، وأجداده العظماء، والترغيب في الاقتداء بهم، والمشي على طريقتهم[٧].

إلى أنْ شَبَّ الغلام، وعَقَلَ ما يَعْقِلُه الناس، فمشى ذات يوم في ذلك [٢٠/أ] القصر، وطاف في أرجائه، وقد أَحْدَقَ[٨] به خاصته، والموكلون به، فانتهى إلى سور القصر، فقال: «ما وراء هذا السور؟ وما خلف هذا الحائط؟»، فقالوا له[٩]: «وراءه الأرض الواسعة، والبلاد

---

(١) الفَرْسَخ جمعه فَرَاسِخ وهو مقياس للطول يُقَدَّر بثلاثة أميال (٤٨٢٧ مترًا) أو ثمانية عشر ألف قدم. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة المفردة رقم (٣٧٣٣).

(٢) في (ش): (ووضع).

(٣) في (ي): (ميتا).

(٤) في (ش): (وتُنكَّد).

(٥) في (ي): (ويحذو حذوهم).

(٦) في (ش) و(ي): (لا يذكرون عنده).

(٧) في (ش) و(ي) زيادة: (والاستنان بسنتهم).

(٨) أحدق به خاصته أي رَمَوه بأبصارهم ونظروا إليه. انظر: تاج العروس (١٤٢/٢٥).

(٩) في (ش): (فقال له وزراؤه وخاصته: أيها الملك، وراءه الأرض الواسعة).

الكثيرة، والجم الغفير من الناس، وكل ذلك لك، وللملك أبيك»، فقال: «أخرجوني حتى أَنْظُرَ وأرى»، فَأَبَوا[1] حتى يشاوروا أباه، فشاوروه وأخبروه بأنه يُريد أنْ يخرجَ ويرى الناس، وظَنّوا أنَّه يحكمهم.

فَأَذِنَ لهم، فَأَخْرَجوه فرأى ونَظَرَ، فأولُ[2] مَوضِعٍ وقع عليه بصرُه من الناسِ شيخٌ كبير، قد سَالَ لُعَابُه، وسَقَطَ حاجبُه[3] على عينيه من الكِبَر.

فقال: «ما هذا؟»، فقالوا: «شيخ كبير»، فقال: «وما شيخ كبير؟»، قالوا: «كان شابّا فَعَمَّرَ وعاشَ حتى أصابه الهَرَم فَعَمِلَ به ما ترى»، قال: «وما الهَرَم؟»، قالوا: «الكِبَرُ وطول العُمُر؛ يعيش إلى أن تَقِلَّ طاقَتُه، وتَضْعُف حركته، حتى لا يَقدر أنْ يُمْسِكَ لُعَابَه في فِيهِ مَعَ عِلَلٍ أُخَرٍ تَعْتَرِيه مِنْ طول الحياة».

قال: «ويصيبكم هذا؟ أو هو شيء يُصيب قوما دون قوم؟»، قالوا: «ليس هو[4] مختصا بأحد دون أحد، بل يصيب كلَّ من طال عُمُره»، قال: «ويصيبني أنا مع ما أنا فيه من النعيم، [٢٠/ب] وضروب اللذات، وبلوغ الشهوات؟»، قالوا: «نعم ويصيبك أنتَ إنْ طَالَتْ بك الحياة»، فقال: «أُفٍ لعيشٍ يكون آخرُه هذا!».

ثم رجع إلى قصره، وقد تكدَّر عليه بعض نعيمه، وتَنَغَّص عليه بعض ما كان فيه، فعالجوه بكل لهو، وكل باطل، حتى استخرجوا من قلبه ما كان وَقَعَ فيه من أمر الهَرَم والكِبَر، فأقام عليه عاما، ثم إنه أمرهم أن يُخرجوه ثانية فَأَبَوا عليه، وخافوا من أبيه، ثم إنه عَزَمَ عليهم فأخرجوه، فأول ما[5] رأى من الناس شاباً به جُذَامٌ[6] أو غيره من الأدواء، فقال: «ما هذا؟

---

(١) في (ي): (فأبوا أن يُخرجوه).

(٢) في (ش): (فأول ما وقع نظره من الناس فإذا شيخ كبير)، وفي (ي): (فأول ما وقع بصره من الناس شيخ كبير).

(٣) في (ي): (حاجباه).

(٤) في (ش): (ليس هذا).

(٥) في (ي): (فأول من رأى).

(٦) الجُذام: مرض يصيب البَدن، ويفسد الأَعضاء، وربما تآكلت بسببه وسقطت. انظر: القاموس المحيط (ص:١٠٨٦).

ومِمَّ يكون هذا؟»، فقالوا: «هذا فسادٌ في المزاج، وتحريك في الأخلاط، فيتولَّد عنه هذا وغيره»، قال: «وهذا وحده أَصَابَهُ[1] أو كُلّكم خائفٌ[2] أن يُصيبه هذا الداء؟»، فقالوا: «ما عند أحد أَمَانٌ؛ كُلُّ أحد خائفٌ هذا الداء ومن غيره، هذه الدارُ دارُ[3] أمراض وأسقام ورزايا وبلايا»، قال: «وأنا خائف؟»، قالوا: «وأنتَ، قد أخبرناك أنه ليس لأحد أَمَان»، قالَ فَأَصَابَهُ من الغَمّ أكثر مما أصابه في المرة الأولى!

فَرَجَعَ وَرَجَعوا، ولم يزالوا يشغلونَه بضروبِ المَحَابّ، وأصناف[4] [٢١/أ] الملاذ، حتى أخرجوا من قلبه ما كان وَقَعَ فيه أو كَاد.

فأقام كذلك حولا ثم قال: «أخرجوني»، فأخرجوه، فَنَظَر فإذا برجل مَيّت يُحمَل، قال: «ما هذا؟»، قالوا: «مَيّت»، قال: «وما ميت؟»، قالوا: «رجل مثلنا نَزَلَ به قضاءٌ إلهي، وحادث سماوي، فَأَطفأ شرارته، وأخمد حرارته، ورَدَّه حَجَرا من الحجارة، وجمادا من الجمادات»، فقال: «عَلَيَّ به حتى أراه»، فجاؤوه به فَكُشِفَ له عنه، فقال: «كَلِّمُوه»، فقالوا: «إنه[5] لا يتكلم»، فقال: «أَجلِسُوه»، فقالوا: «إنه لا يجلس»، فَجَعَلَ ينظر إليه، ويتفكر فيه، ثم قال: «وهذا وحدَه خُصَّ بهذا الحادث أو أنتم كلكم يَنْزِلُ بكم مثل ما نَزَل بهذا؟»، قالوا: «كلنا فيه سواء، وكلنا يَنْزِلُ به هذا الحادث»، قال: «وأنا؟»، قالوا: «وأنتَ[6]»، قال: «ولا يَدفَعُ عَنِّي أبي؟»، قالوا: «لا يَدفع عنك أبوك، ولا يَدفع عن نفسه»، فقال: «إنَّ نعيما يَصِير آخِره إلى هذا لجدير أن يَتكدَّر، وإنَّ قلبا يَخْطُر به ذِكْرُ هذا لحقيقٌ أن يَتَفَطَّر»، قال: «وما تصنعون به؟» قالوا: «نَحْفِر له حفرة في الأرض، ونَرُدُّ عليه التراب إلى يوم النشور والعرض»، قال: «وما يوم النشور والعرض؟»،

---

(١) في (ش): (وهذا وحده أصابه هذا الداء أم كلكم).

(٢) في (ي): (خائف من).

(٣) في (ش): (دار بلاء وأمراض وأسقام وآلام وأوجاع ورزايا).

(٤) في (ش): (وأنواع الملاهي).

(٥) في (ش): (إنه ميت لا يتكلم).

(٦) في (ي): (وأنت، وقد أخبرناك).

قالوا له: «هو يومٌ يُبعث [٢١/ب] فيه الأموات، وتظهر فيه المخبآت، ويكون ويكون!»، قال: «ولا بد منه؟»، قالوا: «لا بد منه»، فقال: «وهذه أشد!»، فَعَمِلَ الكلامُ في نفسه عملَه، وأَخَذَ الكلام من قَلْبِه مَأْخَذَه، فَتَغَيَّر وجهُه، وضَعُفَ جسمه، وشَحب لونه، وأَقْصَرَ عمَّا كان فيه من تلك الراحات، وتلك البطالات.

فأُخْبِر أبوه بخبره، وَوُصِفَ له حديثُه، فقال: «أَوَ قد فعلها؟»، قالوا: «نعم»، فَدَارَاه أبوه بكل شيءٍ فلم يَنْفَع فيه شيءٌ، وهَوَّن عليه الأمر فَلَمْ يَهُنْ، وسَلَّاه فلم يَتَسَل، فقال له أبوه: «لا جرم[١]، -واللهِ- لأَدَعَنَّك تَلْحَق بإخوتك، فَبَعَثَ إليه ثيابه من المسوح فَلَبِسَها، وأُخْرِجَ[٢] مِنْ جوف الليل، فَتَعَلَّق بالجبال، ولَحِقَ بإخوته، فَتَعَبَّد معهم، فكان يقول في مناجاته: «اللّٰهم إني أسألك أمرا ليس إليَّ، قد سَبَقَتْ به المقادير، وَلَوددتُ أني كنتُ طيراً[٣] في الهواء، أو سَمَكا في الماء، ولم أكُ شيئا مذكورا»، مخافةَ الحساب والعقاب[٤].

واعلم[٥] رحمك الله أنَّ كثرةَ الاشتغال بالدنيا، وإفراغ المجهود فيها، والميل بالكلية إليها، وحلاوة أحاديثها، ولذة أمانيها، تمنعُ حَرارةَ ذِكْرِ [٢٢/أ] الموت أَنْ تَرِدَ على القلب، وأنْ تَلِجَ فيه، لأنَّ القلب إذا امتلأ بشيء لم يكن لشيء آخرُ فيه مَدخل، ولا لسواه فيه مجال، ألا تَرى أنَّ الإناء إذا ملأْتَهُ بشيء لم يُمْكِنْكَ أن تُدخِل فيه شيئا آخر، ووجهك إذا صرفتَهُ إلى موضعٍ صَرَفْتَهُ عن موضع آخر، ومتى دَام القلب على هذا لم يكن لذكر الموت فيه تأثير، ولا لِتَرْدَادِه عليه حلاوة، وكيف يُؤثر فيه وهو لا يجد مكانا ينزل فيه، ولا موضعا يتعلق به، قد ملأَه حبُّ

---

(١) لا جرم: أي لابُدَّ أو حَقّاً، أو لا مَحالَةَ. انظر: القاموس المحيط (ص:١٠٨٧).

(٢) في (ش): (وخرج).

(٣) في (ي) و(ش): (الطير في الهواء أو السمك في الماء).

(٤) أخرجها الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٢٣/٧) عن بكر بن عبد الله المزنيّ؛ قال: كان رجل من ملوك بني إسرائيل.. ثم ذكره، قال بكر-بعد أن ساقها-: «فهذا رجلٌ خَرَج من ذنبٍ لا يَعلم ماذا عليه فيه؛ فكيف بمن يُذنِب وهو يعلمُ بما عليه فيه ولا يتحَرَّجُ ولا يَجزعُ ولا يتوب؟!».

(٥) من هنا إلى قوله: (فأصبحوا آية للمتوسمين، وعبرة للمعتبرين) ساقط من (ش).

الشهوات الفانية، واللذات المنصرمة، فهو شبعانُ ريَّانُ حَيْرانُ سَكرانُ أصمّ أعمى، إن عُرِضَ عليه طريقُ هدى لم يَرَه، أو نُودي باجتناب رَدى لم يسمع.

وإذا أراد صاحب هذا القلب سماعَ الحكمة، والانتفاعَ بالموعظة، لم يَكن له بدٌّ من تفريغِه لِيَجِدَ الذكرُ فيه منزلا، وتلقى الموعظةُ فيه محلا قابلا، ولا يزال يَتَعَهَّدُه ويَتَفَقَّدُه بالأذكار والأفكار، والنظر والاعتبار، آناء الليل، وآناء[1] النهار، لئلا يرجع إلى ما كان عليه من الرَّيْن[2]، ويعود إلى حالته الأولى من الغَيْن[3].

فإن لم يقدر على تفريغه مرَّة، فَرَّغَ منه ما أمكن، وجَعَلَ مكان ما أزالَه ضدَّه [٢٢/ب] فيَجْعَل مكان الغفلة ذِكْرا، ومكان الفرح حُزْنا، ومكان الاغتباط نَدَما، ومكان السهو تَيَقُّظا، ولا يزال هكذا يُزِيل شيئا، ويجعل مكانه ضدَّه، ويستعين بِجَعْلِ هذا على إزالة هذا، وبإزالة هذا على جَعْل هذا، وبالله تعالى يُستعان على ما يحاول، وبِمَنِّه وتيسيره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يتناول كلَّ ما يتناول، لا ربَّ غيره، ولا معبود سواه.

واعلم رحمك الله تعالى أنَّ مما يُعينك على الفكرة في الموت، ويُفَرِّغُك[4] ويُكْثِرُ اشتغالك به تَذَكُّر مَنْ مضى من خِلانك وإخوانك، وأصحابك وأترابك[5]، الذين مَضَوا قبلك، وتَقَدَّموا أمامك، كانوا يحرِصون حِرْصَك، ويسعون سَعيك، ويَأْملون أملك، ويعملون في هذه الدنيا عملك، وقَصت المنون أعمارَهم[6]، وقَلَعَتْ أعراقهم، وقَصَمَت أصلابهم، وفَجَعَتْ فيهم أهليهم وأحبابهم، فأصبحوا آية للمتوسمين[7]، وعبرة للمعتبرين.

---

(١) في (ي): (وأطراف النهار).

(٢) الرَّيْنُ: ما يَغْشى القَلْب ويغطيه، يقال: رَانَ الذَّنْبُ على قَلْبِه: أي غَلَب عَلَيه وغَطَّاه. انظر: لسان العرب (١٣/١٩٢).

(٣) الغين: أي هو أن تغطي الشَّهوة على القلب. انظر: القاموس المحيط (ص:١٢٢٠).

(٤) في (ي) و(م): (ويفرغك له).

(٥) في (ي): (وأقرانك).

(٦) في (ي) و(م): (أعناقهم).

(٧) المتوسمين: قيل معناها المتفرسين، وقيل المعتبرين، وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري (١٤/٩٤).

يُروى عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة، ألا أُرِيك الدنيا جمعاء؟**»، قلتُ: بَلى يا رسول الله، [٢٣/أ] قال: فأَخَذَ بيدي، وأتى بنا[١] واديا من أودية المدينة، فإذا مَزْبلة فيها رؤوس، وعِظَام، وخِرَق بالية، وعَذَرات، فقال: «**يا أبا هريرة، هذه الرؤوس كانت تَحْرِص كحرصكم، وتَأْمُلُ كآمالِكُم[٢]، ثم هي اليوم عِظَام لا جِلْدَ عليها، ثم هي صائرة رَمَادا، وهذه العَذَرات ألوان أطعمتِهم، اكتسبوها من حيث اكتسبوها، ثم قذفوها[٣] من بطونهم؛ فأصبحت والناس يتحامونها، وهذه الخِرَقُ البالية كانت رياشهم ولباسهم، وأصبحت والرياح تَصْفِقُها، وهذه العِظَام عِظَام دوابِّهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد، فمن كان باكيا على الدنيا فَلْيَبْكِ!**»، قال: فَمَا بَرِحنا حتى اشتدَّ بكاؤنا[٤].

رَوَيْتُ هذا الحديث من طريق أسد بن موسى[٥][٦].

ويتذكر[٧] أيضا ما كانوا عليه من جِدَّةِ[٨] الجلباب، ونَضَارة[٩] الإهاب[١٠]، وما كانوا يسحبون[١١] من أردية الشباب، وأنهم كانوا في ظلال النعيم يتقلبون، وعلى أسرة السرور

---

(١) في (ي): (وأتى بي)، وفي (ش): (أراني).

(٢) في (م): (كأملكم).

(٣) في (ش): (نبذوها).

(٤) قال الحافظ العراقي في تخريج إحياء علوم الدين المسمى بـ«المغني عن حمل الأسفار» (ص:١١٠٤): «لم أجد لَهُ أصلا».

(٥) لم أقف على رواية المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ.

(٦) أبو سعيد، أسد بن موسى بن إبراهيم بن الخليفة الوليد بن عبدالملك بن مروان، القرشي الأموي المرواني المصري، يُقال له: أسد السُّنَّة، ولد سنة ١٣٢هـ، حَدَّثَ عن: شعبة بن الحجاج، وابن أبي ذئب، وحماد بن سلمة، وغيرهم، وحَدَّث عنه: عبد الملك بن حبيب الفقيه، والربيع بن سليمان المرادي، وآخرون. مات بمصر في المحرم سنة ٢١٢هـ. انظر: تهذيب الكمال (٥١٢/٢)، وسير أعلام النبلاء (١٦٢/١٠).

(٧) من هنا إلى قوله (واعلم أن طول الأمل) (ص:١١٣) ساقط من (ش).

(٨) الجِدَّةُ: نقيض البِلى؛ يُقال: شيء جديد، والجمع أَجِدَّة وجُدُد وجُدَد. لسان العرب (١١١/٣).

(٩) النَّضارة: حُسْن البَرِيق. انظر: المصدر السابق (٢١٢/٥).

(١٠) الإهاب: الجِلْد. انظر: معجم مقاييس اللغة (١٤٩/١).

(١١) في (ي) و(م): (يسحبونه).

يتكئون، وبما شاءوا من محابِّهم يتنعمون، وفي أمانيهم يقومون ويقعدون، لا يتحدثون بزوال، ولا يَهُمُّون بانتقال، ولا يخطر [٢٣/ب] الموت لهم ببال(١).

قد خَدَعَتْهُم الدنيا بِزُخْرُفِها، وخَلبتهم(٢) برونقها(٣)، وحَدَّثَتْهُم بأحاديثها الكاذبة، ووعدتهم بمواعيدها المخلفة، لم تَزَل تُقَرِّبُ لهم بعيدها، وترفع لهم مشيدها، وتُلْبِسُهم غَضَّها(٤) وجديدها، حتى إذا تمكَّنت منهم عَلائِقُها(٥)، وتحكمت فيهم رواشِقُها(٦)، وتَكَشَّفَتْ لهم حقائقها، ورَمَقَتْهُم من المَنيَّة روامِقُها(٧)، فوثَبَتْ عليهم وثبة الحَنِق(٨)، وأَغَصَّتْهُم غَصَّة الشَرِق(٩)، وقتلتهم قتلة المُختنق.

فما شئت عليهم(١٠) من عيون باكية، ودموع جارية، وخدود دامية، وقلوب من الفرح والسرور لفقدهم خالية، وأنشدوا في هذا المعنى:

ورَيَّانُ مِنْ ماءِ الشَّبابِ إذا مَشَى	يَميلُ على حُكمِ الصِّبا ويَميدُ
تَعلَّق مِنْ دُنياهُ إِذْ عَرَضَتْ لَهُ	خَلُوباً أَلِبَّاءَ الرِّجالِ تَصيدُ
فأصبحَ منها في حصيدٍ وقائمٍ	وللمرءِ منها قائمٌ وحصيدُ(١١)
خَلا بالأماني واستطابَ حديثَها	فيَنقُص مِنْ أطماعِه ويَزيدُ

(١) في (م): (على بال).

(٢) خَلَبَتهم: أي جَرَحَتهم وافترستهم. انظر: لسان العرب (١/٣٦٣).

(٣) برَوْنَقها: أي بحُسْنها. انظر: القاموس المحيط (ص:٨٨٨).

(٤) الغَضّ: الطَّرِيّ. لسان العرب (٧/١٩٦)

(٥) العلائق واحدتها عَلاقة، ولها معان عديدة، منها: الْهَوَى والحبّ اللازم للقلب، وهو المناسب هنا. انظر: المصدر السابق (١٠/٢٦٢).

(٦) الرَّشْق: الرَّمْي بالنَّبْل وغيره، والمراد أن سهام الدنيا تمكنت منهم ومن قلوبهم. انظر: القاموس المحيط (ص:٨٨٦).

(٧) يقال رَمَقْتُه ببَصَرِي، ورامَقْته: إذا أتبعتَه بصرَك تتعهدُه، وتَنظُر إليه وتَرقبه. تاج العروس (٢٥/٣٦٦).

(٨) مأخوذ من الحنَق وهو الغيْظ. انظر: لسان العرب (١٠/٧٠).

(٩) الشَّرَق: الغُصّة. انظر: القاموس المحيط (ص:٨٩٧).

(١٠) في (ي) زيادة (هناك).

(١١) الحصيد: الزرع. انظر: لسان العرب (٣/١٥١).

وأَدْنَتْ له أشياءَ وهي بعيدةٌ وتفعلُ تُدنِي الشيءَ وهو بعيدُ
أُتيحَتْ له من جانبِ الموتِ رَميةٌ فراح بها المغرورُ وهو حصيدُ
وصارَ هشيماً بعدَ ما[1] كان يَانِعاً وعادَ حديثاً يَنقضي ويَبيدُ [٢٤/أ]
كأنْ لم يَنَلْ يوماً من الدَّهرِ لذةً ولا طَلَعَتْ فيهِ عليهِ سُعُودُ
لِيَبكِي[2] عليه زَهْوُه وشبابُهُ وتُدمى جفونٌ إثرَهُ وخدودُ
تباركَ من يجري على الخلقِ حُكْمُهُ فليسَ لشيءٍ مِنْهُ عَنْهُ مَحيدُ

يا لله[3] مصرعهم! كم فيهم من مُجرِّرٍ ذيلَ إعجابِه، متطاولٍ[4] متعاظمٍ على أقرانه وأترابه[5]، تُجمعُ له الأماني، وتَرتاح إلى وصله الغواني[6]، إن بُصِّرَ لا يَتبَصَّر[7]، وإن أُمِرَ لا يَأتمر، وإن زُجِرَ لا يَكُفُّ ولا يَنزجِر، لا يسمعُ إلا داعي الهوى، ولا يستجيبُ إلا لمن إليه دعا، يلهو ويمرح، ويمزح ويسرح[8]، ويبيت من دُنياه في مثل ما كان أصبح، قد أبدأ في أمره وأعاد، وأَحْكَمَ غَيَّه وأجاد، وأشاد من أَمَلِه ما أشاد، حتى إذا نالَ مرادَه أو كاد، صاحت به المنيَّةُ صيحةَ الغضبان، وصدمَتْهُ صدمةَ اللهفان، فَهَدَّتْ أركانَه، وكَسَّرَتْ أغصانه، وفرَّقَت أنصاره وأعوانه، فأصبح قد باع النَّفيس بالدون، وأعطى الثمين بالمثمون، ومَضَى يَعُضُّ بنانَه المغبون[9]، لم يَرَحْ بنائل[10]، ولا حصل على طائل، فنعوذ بالله من سوء الأقدار، وسيء

---

(١) في (ي) و(م): (بعد أن).

(٢) في (م): (ويبكي).

(٣) من هنا إلى قوله: (ويحركه الذي سكّنه تبارك وتعالى) (ص:١١٢) ساقط من (م).

(٤) في (ي): (متطاول على أصحابه).

(٥) الأتراب: الأخدان والأصحاب. انظر: معجم مقاييس اللغة (٣٤٧/١).

(٦) الغانِيَة مِن النِّساء هي الَّتي تُطلَب ولا تَطلُبُ أَو هي الغَنِيَّة بحُسنِها وجمالها عن الزينة. انظر: تاج العروس (١٩٠/٣٩).

(٧) في (ي): (فلا يستبصر).

(٨) في (ي): (يلهو ويفرح ويمزح ويمرح).

(٩) المغبون: المخدوع. انظر: القاموس المحيط (ص:١٢١٩).

(١٠) بنائل: أي بحاصل أو آخذ لشيء. انظر: لسان العرب (٦٨٣/١١).

الاختيار، وأنشدوا [٢٤/ب]:

جَـــرَّ ذَيـــلَ التِّيــهِ[١] والغَـــيِّ وقـــالَ مَـــن مِـــثليَ في الحـــيِّ
ومَـــــرَّ يرتـــــاحُ إلى وَصـــــلِهِ مـــا شــاءَ مِــن زينــبٍ أو مَــيِّ[٢]
لا يَنتَهـــي عـــن خـــوفِ شيءٍ ولا يســـمعُ إلا داعـــيَ الغَـــيِّ
وبـــاتَ مِـــن دُنيـــاهُ في مثـــلِ مَـــا أصــبحَ مِــنْ نشــرٍ ومِــنْ طَــيِّ
حتَـــى إذا مَـــا نَـــالَ أو كـــادَ أنْ ينـــالَ منهـــا جُرْعَـــةَ الـــرَّيِّ
صِـــيحَ بِـــه في سِرْبِـــه[٣] صـــيحةً ضَعْضَـــعَ[٤] مِنـــهُ كـــلَّ مـــا شَيِّ
وأُنفِـــذَ الأمـــرُ عـــلى رَغمِـــهِ وأُنجِـــزَ الوعـــدُ بـــلا لَيِّ[٥]
ولم يَـــرَحْ مـــن ذَاكَ إلا بِـــما راحَ الـــذي يقـــبضُ في الفَـــيِّ[٦]
تبـــــارك اللهُ[٧] وسُـــــبحانه مـــا أقـــربَ المـــوتَ مِـــنْ الحـــيِّ

ويا لله كم هنالك من مَلِكٍ، طويل النِّجاد[٨][٩]، رفيع العماد، عظيم الأنجاد[١٠]، كثير الأمداد، قد مَلَكَ البلاد، وقَهَرَ العباد، ووصل من دُنياه إلى كثيرٍ مما أراد، قَعَد ونهض، وأَبرَم[١١] ونقض، وجَعَلَ أمرَه المُفترَض، وحكمَه الذي لا يُرَدُّ ولا يُنْقَض[١٢]، لطالما حَرَّقَ

---

(١) التِّيه: الصَّلَف والكِبْر. تاج العروس (٣٥٩/٣٦).

(٢) في هامش المخطوط: ميّ: (اسم امرأة).

(٣) في (ي): (سربه).

(٤) ضعضع: خَضَع، وذَلَّ، وافتقر. انظر: القاموس المحيط (ص:٧٤٢).

(٥) اللَّيُّ هو المماطلة. انظر: لسان العرب (٢٦٣/١٥).

(٦) الفيء: الرجوع والتحول. انظر: القاموس المحيط (ص:٤٨).

(٧) في (ي): (تبارك الرحمن).

(٨) في (ي): (الأجناد).

(٩) النِّجاد: حمائِل السَّيْف، وهو هنا كنَاية عن عظمة مُلكه وقوته. انظر: لسان العرب (٤١٩/٣).

(١٠) الأَنْجاد جمع نَجَد –بالتَّحريك– وهو متاع البيت من فُرُش ونَمارِق وستُور. المصدر السابق (٤١٦/٣).

(١١) أبرَم الأَمر: أَحْكَمَه. انظر: القاموس المحيط (ص:١٠٧٨).

(١٢) في (ي): (ولا ينتقض).

وهدَّم، وكَسَّرَ وحَطَّم، وزلزَل ودَمْدَم(١)، واستُرْحِم فلم يَرْحَم، ومضى على ما شاء من رأيه وصَمَّم.

بنى المدائن [٢٥/أ] والحصون، وأكثر من ماله المخزون، واستعد لما قد يكون أو لا يكون، حتى إذا استحكمت له الأمور، وأطال الفرح والسرور، وزخرف الدساكر(٢) والقصور، وظن أنه قد ساعده فيما بقي من أمله المقدور، قَلَبَتْ له الدنيا ظَهْرَ المِجَن(٣)، وكَسَتْهُ من خَطْبِها ما أَجَن، وسَقَتْهُ من كَربها ما يَسْكَرُ به ويَجُن، نظرت بعينِها الشوساء إليه، وقَبَضَتْ ما كان منها في يديه، وأَتَت بنيانه من قواعده فأَلْقَتْهُ عليه، فأصبح وقد هُدَّ ذلك البنيان، وسَقَط ذلك الإيوان، وتَبَدَّدَتْ تلك المقاتِلَةُ والفُرْسان، وتَفَرَّقوا شَذَرَ مَذَر(٤) بكل مكان، وأصبح كلُّ ما كان كأنه ما كان، وقِيل مَلِكٌ في سالف الزمان! مَلِكٌ يُقالُ له فلان بن فلان! لم يُحَصِّلْ مما مَلَكَ من البلاد، ولا ما ادخر من العتاد(٥)، إلا على حَنوطةٍ وكَفَن، وحُفْرَةٍ ضَيِّقَة العَطِن(٦)، يحتبس فيها ويرتهن، بكل ما عمل من قَبيح وحَسَن، وأنشدوا:

يـــا بـــانِيَ القَصْـــرَ الكبـــير … بـــينَ الدســـاكرِ والقصـــورْ
ومُجَهـــــز الجـــــيشِ الـــــذي … مـــلأَ البَســـيطَةَ والصـــدورْ [٢٥/ب]
ومُـــــــدَوِّخ الأرضِ التـــــــي … أَعْيَـــــتْ عـــــلى مـــــرِّ الـــــدهورْ
أمـــا فَرَغـــــتَ فـــــلا تَـــــدَعْ … بُنيـــــانَ قَـــــبرِكَ في القبـــــورْ

---

(١) الدَّمْدَمَة في الأصل الغَضَب، ودَمْدَم عليه: كَلَّمَه مُغضباً، إلا أَن المعنى الذي يريده المصنّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ -مما يدلّ عليه سياق كلامه- دمدم: أي أَرْجَفَ الأَرضَ بِهِمْ، وهذا المعنى مذكور عن المفسرين. انظر: تفسير القرطبي (٢٢/٣١٨)، وتاج العروس (٣٢/١٧٦).

(٢) الدساكر جمع دسكر، والدَّسْكَرَة: بِنَاء كالقَصر. لسان العرب (٤/ ٢٨٥).

(٣) يقال في المثل المشهور: قلب له ظَهَرَ الْمِجَن: أَي انْقَلب عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ من وُدِّه، والمجن: التُّرس. جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٢/ ١٢٥).

(٤) تفرّقوا شَذَرَ مَذَرَ: أَي تفرقَوا وتبَدَّدوا في كل وجه. انظر: تاج العروس (١٢/ ١٥٠).

(٥) في (ي): (ولا ما ادخر من المال وأعد من العتاد).

(٦) المراد ضيقة المكان. انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٨٧).

وانْظُــــر إليـــــهِ تَـــــراهُ كَيــــفَ إليـــــــكَ مُعتَرِضــــــا يُشـــــــيرْ
واذْكُــــــرْ رِقَـــــادَكَ وَسْــــطَهُ تحـــــتَ الجنــــــادلِ والصـــــخورْ
قَـــد بُـــدِّدَتْ تلـــك الجيـــوشُ وَغُـــــيِّرَتْ تلـــــك الأمـــــورْ
واعْتَضْـــتَ مِـــنْ لِـــيْنِ الحَريــــ ـــــرِ خُشـــونةَ الحجـــرِ الكبـــيرْ
وتُرِكْـــــتَ مُرْتَهنـــــاً بـــــه لا مـــــالَ وَيْــــكَ ولا عشـــــيرْ
حـــــيرانَ تُعْلِـــــنُ بالأســـــى لهفــــانَ تَـــــدعو بـــــالثبورْ(١)
ودُعِيـــــتَ باســـــمِكَ بعـــــدَمَا قـــــد كُنْـــــتَ تُــــدْعَى بـــالأميرْ
ولأَنْـــتَ أهـــونُ فيـــهِ مِـــنْ جُعَـــلٍ(٢) عَـــلى نَـــتَنٍ يَـــدورْ
إن لم يَجُـــــدْ بـــــالعفوِ مَـــــنْ يَعفـــو عـــن الـــذنبِ الكبـــيرْ
هـــــذا هـــــو الحــــقُّ اليقــــينُ وكــــلُّ ذاكَ هـــــو الغــــرورْ

وأنشدوا أيضا:

أَبَـــادَ ذا الـــدهرِ أملاكـــاً ومَـــا مَلَكُـــوا ودَارَ مُســـتعقِبا(٣) علـــيهمُ الفَلَـــكُ
أَدَارَ دَورَتَـــــهُ في أرضـــــهِمْ فَغَـــدَتْ كـــالراحِ لـــيسَ لنـــاظرٍ بِهـــا نَبَـــكُ(٤)
[٢٦/أ] رَمَـى بِهـم حَيـثُ لا قِيعـانَ تُمسِكُهمْ ولا مِــرَارا بهـــا الـــمَرْمِيُ يَمتَسِـــكُ
هَـــوَتْ هَـــوِيَّ ثَقيـــلِ الصَّـــخْرِ أَمَّهُـــمُ فـــلا حســـيسَ ولا رِكْـــزٍ(٥) ولا حَـــرَكُ
غَـــدَت رؤوسُـــهُمُ مِـــنْ تَحـــتَ أرجلِهـــمْ وَزَلْزَلَـــتْ بِهـــمُ الأطبـــاقُ والـــدَّرَكُ(٦)
يـــا بطشـــةً مِـــن حلـــيمٍ مـــا بهـــا مَهَـــلُ وغَضْـــبَةً مـــن عزيـــزٍ مـــا لهـــا(٧) دَرَكُ(٨)

---

(١) الثُّبور: الهلاك والخُسران. تاج العروس (١٠/٣٠٧).
(٢) الجُعَل: حشرة سوداء صغيرة. انظر: المصدر السابق (٢٨/٢١٠).
(٣) في (ي): (مستعتبا).
(٤) النَبَك: كلمة تَدُلّ على ارتفاع وهبوط في الأرض، يقال: نَبَكَة، والجمع نِبَاك. مقاييس اللغة (٥/٣٨٢).
(٥) الرِّكزُ: الصوتُ. تاج العروس (١/٤٤٩).
(٦) الدَّرْك والدَّرَك: أَقصى قَعْر الشَّيء، وتُطلق على معان أُخر. انظر: لسان العرب (١٠/٤٢٢-٤١٩).
(٧) في (ي): (ما بها).
(٨) الدَّرَك هنا: اللحَاق. انظر: المصدر السابق (١٠/٤١٩).

جَــرَوا إلى اللهــو مَـــلأَى مِــنْ أَعِنَّـــتِهم   حَتــى إذا مَــا رأوا خيــلَ الــرَّدى بَرَكُــوا
حَطّـــوا بِـــدَارِ الـــبِلَى مَنْـــزِلاً حَرِجـــا   وليـــتَهُم ويحَهُـــم فِـــيهنَّ لَـــو تُرِكـــوا
لطالمـــا نَقَضـــوا مُلْكـــاً ومَـــا هَـــدَمُوا   عِـــزّا ومَـــا هَتَكُـــوا سِـــتْراً ومـــا فتَكُـــوا
مَـــرَّوا ومَـــا بَلَغُـــوا كـــلَّ الـــذي طَلَبـــوا   ولا قَضـــوا وَطَـــراً مـــن كـــلِّ مـــا تَرَكُـــوا
أضـــحاهمُ اليـــومَ صرفُ الـــدَّهرِ إذ هَلَكُـــوا   كـــما أَضَـــلَّهُمُ بـــالأمسِ إذ مَلَكُـــوا

وأنشدوا أيضا:

أَفَـــاضَ عـــلى الـــمُلْكِ سِرْبَالَـــهُ[1]   وجَـــــرَّرَ في العِـــــزِّ أَذْيالَـــــهُ
وصَـــاحَ فَوَافَـــاهُ مَـــا شَـــاءَ مِـــنْ   هِزَبْـــــرٍ يُعَلِّـــــلُ أَشْـــــبَالَهُ
وَزُلْزَلَـــتِ الأرضُ مِـــنْ أجلِـــهِ   وقـــالَ فكَـــانَ الـــذي قالَـــهُ
ولا بُـــدَّ يومـــاً لَـــهُ أَنْ يَصِـــيح   ويُبْـــدِي شَـــجَاهُ[2] وأَعوالَـــهُ[3]
ولا أَحَـــدٌ مُســـتَجِيبٌ لَـــهُ   ولا أحـــدٌ كاشـــفٌ حالَـــهُ [٢٦/ب]
وتأتيـــه في سِرْبِـــهِ رَوعَـــةٌ   تُقَطِّـــعُ بـــالموتِ أوصَـــالَهُ[4]
ويُطـــرَحُ فَـــرداً بـــدارِ الـــبِلَى   ويُـــترك فيهـــا وأعمالَـــهُ
فكـــم قائـــلٍ عَنـــهُ لا يَبعُـــدَنْ   وكـــمْ قائـــلٍ فيـــهِ أولى لَـــهُ
فقـــل للـــذي شَـــادَ سُـــلْطَانَهُ   وطَـــوَّلَ مَـــا شـــاءَ آمالَـــهُ
تَأَهَـــبْ لِتَصـــدَعَ صَـــدْعَ الزُّجـــاج   وتَلْحَـــقَ هـــذا وأمثالَـــهُ
وتَحْمِـــلَ ممـــا جَمَعْـــتَ الأُجَـــاج[5]   وتَـــتْرُكَ للنَّـــاسِ سَلْسَـــالَهُ[6]
وإنْ مَـــا نَسِـــيتَ فـــلا تَنْسَـــيَن   يَـــومَ الحســـابِ وأهوالَـــهُ

---

(١) السِّرْبال: القَميص أو الدِّرع. القاموس المحيط (ص:١٠١٤).

(٢) شجاه أي حُزنه. انظر: لسان العرب (٤٢٣/١٤).

(٣) أعواله أي بُكَاؤه. انظر: المصدر السابق (٤٨٥/١١).

(٤) الأَوْصَال: مجتَمَع الْعِظَام. تاج العروس (٨٠/٣١).

(٥) الأجاج: الماء شديد الملوحة أو شديد المَرَارَة. انظر: لسان العرب (٢٠٧/٢).

(٦) السَّلْسَال: الماء العَذْب السَّلِس السَّهْل في الحَلْق أو البارد. تاج العروس (٢١٧/٢٩).

هنالـــك تعلـــمُ عُقبَـــى الـــذنوبِ وشـــؤمَ الخـــلافِ وأثقـــالَهُ(١)

يا بؤس الدنيا [شدَّ ما](٢) عن ثَديها فَطَمَتْهُم، ومِنْ سُمِّها أَطعَمَتْهُم، وبيدها الباطشة لَطَمَتْهُم، وفي ظلمات الأرض وغيابات الثَّرى طَرَحَتْهُم، فقلبت قالب(٣) تلك الأعيان، وطمست تلك الوجوه الحِسَان، وأَعْمَت تلك الأبصار، وأَصَمَّت تلك الآذان، وأَسالت تلك الأحداق(٤) على الخدود والوجنات(٥)، وغَسَلت بالصديد جميلَ القَسِمات(٦)، ومَلأت بالتراب اللهازم(٧) واللهوات(٨)، وكَسَرَت تلك الضواحك(٩) [٢٧/أ] والرَّبَاعِيات(١٠)، وعَبَثَت بجسوم أولئك الفتيان وتلك الفتيات.

لطالما أغربوا ضاحكين، وتقلبوا فاكهين، وباتوا على سُرُرِهم مطمئنين آمنين، فكم بها من لسان فصيح، لطالما أنشد وخَطَب، وأَرْهَب ورَغَّب، ومَدَحَ فَأَطْنَب، [وكم بها](١١) الآن من فصيح لسان، وعظيم بيان، أخرسه الحَدَثان(١٢)، وتحكمت فيه الهوام والديدان، وأنشدوا:

---

(١) في (ي): (وشؤم الخلاف وأنكاله).

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل (ت)، والمثبت من (ي).

(٣) في (ي): (قائم).

(٤) حدَقة العين: سوادها الأَعظم. تاج العروس (١٤١/٢٥).

(٥) الوَجْنَة: مَا ارْتَفع من الخَدَّين للشِّدْق والمَحْجِر، وقيل: ما نتأَ مِنْ لَحم الخَدَّين بين الصُّدْغين وكَنَفَي الأَنف، وقيل: هو فَرَق ما بين الخَدَّين والمَدْمَع من العَظْم الشَّاخِص. لسان العرب (٤٤٣/١٣).

(٦) القَسَام: الحُسْن والجمال، وفلانٌ مُقَسَّم الوجه، أي ذو جمالٍ. والقَسِمة: الوجه، وهو أحسن ما في الإنسان، وجمعها قَسِمات. انظر: معجم مقاييس اللغة (٨٦/٥)، ولسان العرب (٤٨٢/١٢).

(٧) اللَّهَازِم: عظمان ناتئان فِي اللَّحيَينِ تحت الأُذنين. انظر: القاموس المحيط (ص:١١٦٠).

(٨) اللَّهَاة: اللَّحمة المشرفة على الحَلق، وقيل: هي ما بين مُنقَطع أصل اللِّسَان إِلى منقطَع القلب من أَعلى الفَم، والجمع لَهَوات. لسان العرب (٢٦٢/١٥).

(٩) الضَّوَاحِك: الأسنان التي تَبدو عند الضَّحك. لسان العرب (٥١٣/٣)

(١٠) الرَّباعِيات: الأَسنان الأَربع التي تلي الثَّنايا بين الثَّنِيّة والنَّاب. انظر: تاج العروس (٤٨/٢١).

(١١) كلمة غير واضحة في الأصل (ت)، ومثبتة من (ي).

(١٢) أي أصابته الحوادث والمصائب فأهلكته. انظر: لسان العرب (١٣٣/٢).

وذي بَيــانٍ إذا مَــا قــالَ أو خَطَبــا | أتــى بســحرٍ يَــزِينُ القَــولَ والخُطَبــا
أتــى بســهلٍ مــن الألفــاظِ ممتنــعٍ | جَــزْلٍ يُصــيبُ المعــاني آيــةً عَجَبَــا
فَلَــو تَمَيَّــعَ كَــانَ مَشْــرَباً سَلِسَــا | ولــو تَجَسَّــدَ كَــانَ خَالِصــاً ذَهَبَــا
رَمَتْــهُ هــذي المنايــا وهــي صــائبةٌ | سَــهماً فــما هُــوَ إلا أنْ رَمَتْــهُ كَبَــا[1]
فَأَخْرَسَــتْهُ فــما يُبْــدِي بضــاحكةٍ | ولا يَــرُدُّ جَوابــاً هَــانَ أَو صَــعُبَا
وبَــاتَ مُطَّرَحــاً في قَعْــرِ مُوحِشَــةٍ | غــبراءَ مُصْــطَفِقَ[2] الأحشــاءِ مُسْــتَلَبَا
أَعْطَــى يَدَيْــهِ لــدُنياهُ بِــمَا طَلَبَــتْ | إذْ أَدْرَكَ الــدودُ مِــنْ جَنْبَيْــهِ مَــا طَلَبَــا

وكم هناكم[3] من مِسْعَرِ حَرْبٍ[4] قد لَبِسَ أوزَارَها، وأَضْرَمَ نارَها، [وأوصل إلى القلوب أُوَارَها[5]، وأقام سوقها ورفع غبارها][6]، كم أَغَارَ مِنْ غَارةٍ شَعواء[7]، وفتَكَ مِنْ فَتكَةٍ شَنعاء، وأَثَارَ من فتنةٍ [٢٧/ب] عَميَاء، صالَ بجنان، وطَعَنَ بسِنَان، ورَكَضَ بحِصَان، ولَعِبَ بفُرْسَانٍ وفُرسان، وقالَ: خُذُوا[8] وأنا فُلانُ بنُ فُلان!

هاكَ هو اليوم! قد خُبِّلَ جنانُه، وتَكَسَّرَ سِنَانُه، وأَكَبَّ به حصانُه، لأُمِّهِ الويلُ، وحسرةٌ سوداءُ مِثلُ الليل، وأنشدوا:

ومِقْــدَامٌ عــلى الأهــوالِ صِــدْقٌ | لــدى الفَتَكَــاتِ[9] والأَمْــرِ الكبــيرِ
تَبِيــتُ لــذِكْرِهِ الأبطــالُ سَــكْرَى | وتَضْــحَى مِنْــهُ ضَــيِّقَةَ الصُّــدُورِ

---

(١) كَبَا أَي تعثَّر وانْكَبَّ على وجهِه. انظر: القاموس المحيط (ص:١٣٢٧).

(٢) مصطفق: مضْطرب ومهتز. انظر: تاج العروس (٣٤/٢٦).

(٣) في (ي): (هنالك).

(٤) وصفٌ يُقال للشجاع، مأْخوذ من سَعَرْتُ الحرب إِذا هيَّجتُها. انظر: تاج العروس (٣٠/١٢).

(٥) الأُوارُ: شدَّة حرارة النار ولهيبها ووهجها. انظر: لسان العرب (٣٥/٤).

(٦) ما بين المعكوفتين ساقط من النسخة الأصل (ت)، ومثبت من (ي).

(٧) غارة شَعواء: مُتفرِّقة. القاموس المحيط (ص:١٣٠٠).

(٨) في (ي): (وقال خذها).

(٩) الفتكات: هي الأمور التي يهمُّ المرء بركوبها وتدعوه نفسه إليها. انظر: لسان العرب (٤٧٢/١٠).

يَـرُضُّ[1] فَـرَائِصَ[2] الفُرْسَـانِ رَضَّـا وَيَحْطِمُهُـنَّ كالأَسَـدِ الهصُـورِ[3]

طَمُـوحُ السَّـيفِ لا يُثْنِيـه شيءٌ جَهـولٌ بالبشـيرِ وبالنـذيرِ

أشـارَ المـوتُ مِـنْ بُعْـدٍ إليـهِ فَخَـرَّ مُوَسَّـداً إحـدى الصُّـخُورِ

وكَـبَّ[4] حِصَـانُه ونبَـا شَـبَاهُ[5] وأَعْلَـنَ نَـادِبُوهُ بـالثُّبُورِ

وأنسـى أن يُقـيمَ لـواءَ رَوعٍ بِرَوعـاتٍ أَتَتْـهُ مِـنْ القبـورِ

وإنْ أنتَ أَطَلْتَ اعتبارَك، وأَمْعَنْتَ استبصارك، فكم بها من غادةٍ[6] [قد][7] هُضِمَ وشاحُها[8] ونُوْرُ مِصبَاحِها، ومُلِئَ فيه غُدُوُّها ورواحُها، قد فَتَكَتْ بذلك الأسد الهصور، واقْتَنَصَتْ ذلك الفارِسَ المذكور، أذلت إذلالها، وجَرَّت أذيالها، وأَرسَلَت [٢٨/أ] جمالها، فَعَمِلت أعمالها، وسَلَبَت الملوك قلوبها وأموالها.

ما كان بأوشك من أَنْ صارت جِيفةً من الجِيَف، تُبْعَدُ وتُصْرَف، وتُنكَرُ ولا تُعْرَف، أَحْسَن أحوالها أنْ تُلَفَّ في سِرْبالها، وتُدفع لحمَّالها، فتُطرَح في شِقٍّ من الأرض، قريب الطول والعَرْض، مظلم القَعْرِ إلى يوم القيامة والحشر، قضاء الله النازل من سمائه، وحُكمُه في عبيده وإماءه، وأنشد بعضهم:

عَـرِّجْ عَـلى القـبرِ بِـدَارِ الـبِلَى حيـثُ مُنَـى نَفْسِـيَ مَقْبُـورُ

حيـثُ هَـوَى بَـدْرُ الـدُّجَى سـاقطا قـد زَالَ عَـنْ صَـفْحَتِه النُّـورُ

---

(١) الرَضّ الكسر والدقّ، وارتَضَّ الشيء: تَكَسَّرَ. انظر: تاج العروس (١٨/٣٤٤).

(٢) الفرائص جمع فَرِيصة: وهي اللحم الذي بين الكَتِف والصَّدر. انظر: لسان العرب (٧/٦٤)

(٣) الأسد الهصور: أي الأسد الشَّدِيد الذي يَفْتَرِس ويَكْسِر، ويُجمَع على هَواصِر. تاج العروس (١٤/٤٣٦).

(٤) كَبَّ أي صُرِعَ. انظر: لسان العرب (١/٦٩٥).

(٥) نبا شباه: أي لم يكن حدُّ السيف قاطعا. انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/٣٨٤).

(٦) الغادَة: الفتاة النَّاعمة الليّنة. لسان العرب (٣/٣٢٨).

(٧) زيادة من (ي)، غير موجودة في النسخة الأصل (ت).

(٨) الوُشاحُ والوِشاح –بالفتح والضم–: نوعٌ من حُليّ النساءِ، تشُدُّه المرأة بين عاتقها وكَشْحيها. انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/٦٣٢)، والقاموس المحيط (ص:٢٤٦).

وحيـــثُ حَلَّـــتْ دَاعِيَــاتُ[١] الهـــوَى	أَجمـــــعَ مَسْـــــمُوعٌ ومَنْظُـــــورُ
يـــا ظبيـــةً[٢] بَطـــنَ الثَّــرَى أُسْــكَنِتْ	وبيتُهـــــا في القَصْـــــرِ مَعْمُـــــورُ
حَقّـــا تَمطَّيـــتِ عـــلى رَضْـــمَةٍ[٣]	جَنْبُـــكِ مِنهـــا اليـــومَ مَكْسُـــورُ
وطَالمـــا بِـــتِّ عـــلى سُـــنْدُسٍ	بالـــذَهَبِ الإبْريـــزِ[٤] مَظفُـــورُ
وجِسْـــمُكِ النـــاعِمُ حَقّـــاً بِـــهِ	للـــتُّرْبِ تَشْـــقِيْقٌ وتَفطِـــيرُ
وطالمـــا أَثَّـــرَ مِـــنْ قَبْـــلُ ذَا	في لِينِـــهِ وَهْـــمٌ وتَفكِـــيرُ
وثَغْـــرُكِ العَـــذْبُ ويَـــا وَيْلَتَـــى	فيـــهِ مِـــن الدِّيـــدَانِ جُمهُـــورُ [٢٨/ب]
ولَـــو بِـــهِ عُـــلَّ قَتِيـــلُ الهَـــوَى	قَبْـــلُ لأَضْـــحَى وَهـــوَ مَنشُـــورُ
وشَـــعْرُكِ الجَثْـــلُ[٥] وعَهْـــدِي بِـــهِ	فِيـــهِ فَتيـــتُ المِسْـــكِ مَنْثُـــورُ
قَـــد عَشَّشَـــتْ[٦] فِيـــهِ نبـــاتُ الثَّـــرَى	فَفِيـــهِ تَشْـــعِيثٌ وتَغْيِـــيرُ
يـــا حَـــسْرَتَا ثَمَّـــتَ يَـــا حَـــسْرَتَا	لَـــو كَـــانَ يُغْنِـــي اليـــومَ تَحْسِـــيرُ
يـــا تَـــا[٧] التـــي أَعْجَبَهـــا عِطْفُهَـــا	قَـــبْرُكِ في الأَقْـــبُرِ مَحْفُـــورُ
وكُلُّنَـــــا ذاكَ ولَكِنَّنَـــــا	كُـــلٌّ بهـــذي الـــدارِ مَسْـــحُورُ

فأنتَ إذا تفكَّرْتَ[٨] بهذه الأذكار، وأَطَلْتَ لها التِّرداد والتكرار، وأَعْمَلْتَ فيها النظر

---

(١) في (ي): (عاديات).

(٢) الظَّبْيَة: أنثى الظبي وهي الحيوان المعروف وعلى معنى الاستعارة أُطلق على الحَيَاء مِنَ المرأَة وقيل: جَهاز المرأَة، وكأن المصنف أراد به المرأة نفسها والله أعلم. انظر: لسان العرب (٢٣/١٥)، ومعجم مقاييس اللغة (٤٧٤/٣).

(٣) رضمة أي صخرة. انظر: لسان العرب (٢٤٣/١٢).

(٤) يُقال ذَهَبٌ إِبْرِيز: أي خَالِص. انظر: القاموس المحيط (ص:٥٠٣).

(٥) الشعر الجثل: أي الكثيرُ المُلْتَفّ. انظر: لسان العرب (١٠٠/١١).

(٦) في (ي): (عشعشت).

(٧) يا تا: تا من أسماء الإشارة يُشار بها للمؤنث؛ قال ابن مالك في الألفية:

بِـذَا لمُفـرَدٍ مُذكَّـرٍ أَشِـرْ بذِي وذِهْ تِي تَا على الأُنثى اقْتَصِرْ

انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١٣٠/١).

(٨) في (ي): (تذكَّرت).

والاعتبار، ورأيتَ أنَّك واحدٌ من المذكورين، مَلِكٌ أو غيرُ ذلك من أصناف الناس، ورأيتَ خِلْقَتَكَ خِلْقَتَهم[1]، وصِفَتَكَ صِفَتَهم[2]، وأنه لا بدَّ أن يُصيبك من الموت ما أصابهم، ويَنْزِلُ بك مَا نَزَلَ بهم، وأنتَ تُشاهد بهذه الدار أنواعَ المصيبات، وأجناس البَلِيَات، وضروبا من المهلكات، وأنَّ الموت واحد، وأسبابه كثيرة.

فَمِنْ رَجُلٍ بَاشَرَ الكِفَاح فَتَخَلَّلَتْه الرِّماح، وتَمَكَّنَتْ مِنْ رَقَبَتِهِ الصِّفاح[3]، وربَّما كان هذا أسهلهم مماتا، [٢٩/أ] وأكرمهم وفاة.

وثانٍ قد طُرِحَ في يد[4] أعدائه، وأَسْلَمَ لبلائه، فَقَطَّعُوهُ إِرَبا إِرَبا، وفَصَلُوهُ عُضْواً عُضْوا.

وثالثٌ رَدُّوا مشارع العِقاب إليه، وصَبُّوا أنواع العذاب عليه، وما مات حتى كان الموت أحبَّ غائبٍ إليه، وأكرمَ قادم يَقْدُمُ عليه.

ورابعٌ قد أمسى أُكَيلَةَ حُوتٍ في ظلمات البحار.

وخامسٌ أصبح فريسةَ أَسَدٍ في مُوحِشَات القِفَار[5].

إلى غير ذلك من الأمراض الصعبة، والآلام الشَّاقة، وما تَظُنُّه وما لا تظُنُّه، حتى إنَّ الرجلَ ليَغُصُّ بالطعامِ، ويَشْرِق بالشَّراب، فيكون في ذلك حَتْفُه، وتذهب فيه نفسُه، كما قال القائل:

ومَا طريقُ الموتِ في ذَا الورَى ... واحدةٌ بَلْ جَمَّةٌ لاحِبَهْ[6]
وربَّما لَذَّ امرءٌ شُرْبَهُ ... فَانْقَلَبَتْ وَهْيَ لَهُ شَارِبَهْ

وأسبابُ الموت أكثر من أنْ أُحْصيها لك، وأَعُدُّها عليك، ولا تدري مَا السببُ الواصل

---

(١) في (ي): (خلقك كخلقهم).

(٢) في (ي): (كصفتهم).

(٣) أي السيوف العِراض، يُقال: سَيْفٌ مُصْفَح ومُصَفَّح أي عَرِيض. انظر: لسان العرب (٢/٥١٣).

(٤) في (ي): (أيدي).

(٥) القِفار: واحدُه قَفْر: وهو الأرض الخالية. انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/١١٤).

(٦) اللاحِب: الطَّريق الواسع المنقاد الذي لا ينقطع. لسان العرب (١/٧٣٧).

إليك منها، ولا النصيب الذي قُسِمَ لك من جُملَتِها، وإنَّك لا تدري متى يَهْجُمُ عليك الموتُ [٢٩/ب] فَيَقْصِمَك، ولا متى يَنْزِلُ بك فَيَحْطِمَك، ولَعلَّهُ لا يُمْهِلُكَ حتى يَنقَضِيَ نَفَسُك.

فأنتَ إذا واظبتَ على هذا تَمَكَّن ذِكْرُ الموت من قلبك، ومَلَكْتَ القِيَاد من نفسك، ونَظَرْتَ بعون الله ﷻ في أمرك، ومَهَّدْتَ المُضطجَع[١] من قبرك، وأَعْدَدتَ به الأَنيسَ ليوم حَشْرِك، وإلا فقد نَبَّهَ مَنْ حَذَّر، وأَعْذَرَ مَنْ أَنْذَر، ولا لومَ إلا على المُقَصِّر، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولعلَّكَ تقولُ: يا هذا قد أَرْعَدْتَ في ذِكْر الموت، وأَبْرَقْتَ، وطَوَّلْتَ فيهِ، وعَرَّضْت[٢]، وأَمَرْتَ بالتفكير[٣] فيه، والاشتغال به[٤]، وجَمْعِ الهمِّ له، وتَقصير الأمل، والخوف من انقضاء الأجل، وأيُّ فائدة في ذِكْر الموت وأنواعه، وضِيقِ العُمُر واتساعِه، وهذا أمرٌ قد فُرِغَ منه، وأُعجِزَت الحيلة فيه؟! وكما تقول لي: لا تُكْثِر الاشتغال بأمر الرِّزق، ولا تَغْتَمَّ له، ولا تَتَفكَّر فيه؛ فإنَّه مُقَدَّرٌ مَفروغٌ منه، ومَا تُرْزَقُ يَأتيك، فَكَذلك الموتُ أيضا وأسبابُه، والعُمُر ومدّته، كلُّ ذلك أَمرٌ مُقَدَّرٌ مَفروغٌ منه، مَا قُدِّرَ عَليَّ [٣٠/أ] يُصِيبُني، وما كُتِبَ عَلَيَّ يَأْتِيني؟! فأقول: نعم، كِلاهما قَد سَبَقَ في الأَزَل، وكُتِبَ في القِسْم الأوَّل، والسبب الذي كُتِبَ عليك في الموت لَنْ تَتَعدَّاه، والعُمُرُ الذي قُسِمَ لك لَنْ تَتَخَطَّاه.

ولكنْ بين الأمرين في الاشتغال بهما فُرْقَان، وذلك أنَّ الرِّزق المُقَدَّر المفروغ منه لا يَزِيدُ فيه حِرْصُك، وكذا لا يُنْقِصُ مِنه كَسَلُكَ وعَجْزُك، وإنْ كانت له أسباب، ولِطَلَبِهِ أبواب، فقد تَتَعَلَّقُ بأسبابه، وتأتيه في الظاهر من أبوابه، فتكون أحدَ المحرومين والمكدودين المجتهدين[٥]!

---

(١) في (ي): (المضجع).

(٢) في (ي): (وعرضت في كلامك بمن عرضت).

(٣) في (ي): (بالتفكر).

(٤) في (ي): (والاشتغال بذكره).

(٥) في (ي): (والمجتهدين المجدودين).

هذا[1] أمرٌ قد شُوهِدَ بالعِيَان، وعَلِمَ به كلُّ إنسان، ولا يُفيدك الطلب إلا العَنَاء والتعب، ولَسْتَ بمأجورٍ في ألم الحِرْص، ولا فيما تَتَحَمَّله من مشقة الطلب لأكثر مما تَحتَاج إليه، وربما تَبَرَّمْتَ[2] في الحال، ولم تنظر في المآل، وسَخِطْتَ قضاءَ الله[3] تعالى عليك، وحُكْمَه فيك، وإرادتَه لك، وفي هذا ما فِيه، وقد تُؤجر فيما يُصيبك من المشقة في طلب أكثر مما تَحتَاج إليه، إذا كان لك فيه نيةٌ صالحة من صَدَقة أو صِلَة رحم أو غير ذلك من أفعال الخير وأعمال البر، وأمَّا إنْ [٣٠/ب] كان سَعْيُك ذلك للتكاثُر، والتفاخُر، ومحبةٍ في المال، فلا! والحولُ والقوةُ لله وحده، وأمَّا ذِكْر الموت، والتفكر فيه، فإنَّه وإنْ كان أمرا مُقَدَّرا مفروغا منه؛ فإنَّه يُكْسِبُك بتوفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت، والنظر فيما تَقْدُم عليه، وفيما يَصِير أمرُك إليه، ويُهوِّنُ عليك مصائب الدنيا، ويُصَغِّرُ عندك تُراثها[4][5]، فإن كان سبب موتك سهلا، وأمره قريبا هينا فهو ذلك، وإنْ كانت الأخرى كُنْتَ مأجورا فيما تُقَاسِيه، مُثَابا على ما تَتَحَمَّله.

واعلم أنَّ ذِكْر الموت وغيره من الأذكار، إنما يكون بالقلب، وإقبالِك على ما تَذْكُر، وأيُّ فائدةٍ لك رحمك الله تعالى في تَحريك لسانك إذا لم يَخطُرْ بجنانك؟! وإنَّما مَثَل ذلك مَثَل مَنْ يكون في بعض أعضائه جِرَاحة؛ فيُريد أنْ يُداويها؛ فَيَجعل الدواء على عُضْوٍ آخرَ صحيح، ويَدَعُ العُضْو المريض ليس عليه شيء! فانْظُر كيف يَستريحُ هذا بهذا التداوي؟ ومتى يَستريح؟ إلا أنْ يَأْتِيَه البُرْءُ مِنْ بَارئه، والشِّفاء من خالقِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أو مَثَل من يُريد أن يُوقِظ نائماً فَيَدَعه [٣١/أ] في غَمْرَةِ نَومِهِ ويُوقِظ غيره، فانْظُر كيف يَستيقظ له ذلك الذي أراد إيقاظَه بإيقاظ هذا الآخر، ومتى يَستيقظ؟! وإنَّما سُنَّة الله تعالى

---

(١) في (ي): (فهذا).

(٢) تَبَرَّم: تَضَجَّر. انظر: القاموس المحيط (ص:٤٢٨).

(٣) في (ي) زيادة: (وقدره).

(٤) في (ي): (نوائبها).

(٥) التُّراثُ: ما يخلُفُه الرجل لورثته. لسان العرب (٢/ ٢٠١).

الجارية أن يَقصِد العُضْوَ المريض بدوائه، والنائمَ بما يُوقَظ به، اللّهم إلا أنْ يكون في إيقاظ هذا النائم حركة عظيمة، ومعالجة كثيرة، تَتَعَدَّى إلى ذلك النائم الآخر فَيَستيقظ، فيكون إذنْ كَأنَّه قَصَدَهُ بالإيقاظ مع صاحبه، وأمَّا إنْ كانت حركتُه لا تَتَعَدَّاه؛ فإنَّ النائم الآخر يَبقَى بحاله، وفي غَمَرَات نومِه حتَّى يُوقِظه الذي أنامه، ويُحرِّكه الذي سَكَّنَهُ[1] تبارك وتعالى.

وإنَّما[2] مَثَل الذِكْر الذي يَعْقُبُ التَّنبيه، ويكون معه البُرْء من السَّقَم[3]، والإيقاظ من النوم، أنْ تُحضِرَ المذكورَ قلبَك، وتَجمَعَ له ذهنَك، وتجعلَه نَصْبَ عينيك، ومِثَالا حاضراً بين يديك، وأن تَنْظُر إلى كلِّ ما تُحِبُّه من الدنيا من ولدٍ أو أهل أو مال أو جَاه أو غير ذلك، فتعلم أنَّه لا بدَّ لك من مُفَارقتِه إمَّا في الحياة، وإمَّا في الممات، سُنَّة الله الجارية، وحِكْمَتُه المُطَّرِدَة[4].

وتُشْعِرُ هذا قلبَك، وتُفَرِّغ له نفسَك، فتَمْنَعَها بذلك من الميل إلى [٣١/ب] ذلك المحبوب، والتَّعَلُّق به، والهلَكَة بسببه؛ كما قيل: «يا ابن آدم! لا تُعَلِّقْ قَلبَكَ بما يَأْخُذُهُ مِنك الفَوْت أو يَأْخُذُك أَنتَ عَنه الموت!»[5].

نَظَرَ رجلٌ إلى بُنَيٍّ له صغيرٍ يَمشي بين يديه، فَأَعْجَبه حُسْنُه وأَلْهَتْهُ حَرَكَتُه، فقال: «يا بُنَيَّ! وَلولا الموت، لَعَلَّقْتُ قلبي بك، ولأَكْثَرْتُ مِنْ حُبِّي لك»[6].

ونَظَرَ[7] ابنُ مُطيع[8] يوما إلى داره، فَأَعْجَبَهُ حُسْنُها فَبَكَى، ثم قال: «والله! لولا الموت لكُنْتُ بِكِ مَسرورا، ولولا مَا أَصِيرُ إليه مِنْ ضِيق القبر، لَقَرَّت عَيني بك»، ثم بَكَى حتَّى ارتَفَعَ

---

(١) في (ي): (أسكنه).

(٢) في (م): (واعلم رحمك الله أن مثل الفِكْر الذي يعقب التنبيه).

(٣) يقال: السُّقْمُ والسَّقَمُ والسَّقامُ وكلها بمعنى المرض. انظر: تاج العروس (٣٦٨/٣٢).

(٤) في (ي): (وحكمه المطرد).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) هذا الأثر ساقط من (ش) و(م).

(٨) هو عَبد الله بن مطيع بن الأَسود القُرَشيّ العدوي المدني، ذكره ابن حبّان، وابن قانع، وغيرهما في الصحابة، وُلد في عهد النبي ﷺ وحنَّكه، وسماه عبدالله، ودعا له بالبركة، توفي سنة ٧٤هـ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣٥/٨).

بكاؤُه، وعَلَا نَحِيبُه[1].

واعلم أنَّ طول الأمل داءٌ عُضَال، ومرض مُزْمِن[2]، ومَتى تَمكَّنَ من القلب[3] فَسَدَ مَزَاجُه، واشتَدَّ علاجه، ولم يَفَارِقْهُ[4] داء، ولا نَجَعَ[5] فيه دواء، بَل أَعْيَا الأطباء، ويَئِسَ من بُرْئِه الحكماء والعلماء.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٩٦/٥) ضمن موسوعته].

(٢) مُزْمن: أي طويل. انظر: تاج العروس (١٥٣/٣٥).

(٣) في (ي): (ومتى ما تمكن)، وفي (ش): (ومتى تمكن في القلب).

(٤) في (ش): (ولم يقاربه).

(٥) يقال نَجَع فيه الدواء أي نفع وعَمِل. انظر: لسان العرب (٣٤٨/٨).

وقد ورد(١) في طول الأمل وذمّه، وفي التَّحريض(٢) على العمل والترغيب فيه، مَا في بعضه الكفاية، ومَا بِأَقلّ منه يُوصِل إلى المقصود مع عون(٣) الله تعالى؛ قال تبارك وتعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(٤) [٣٢/أ] وقال ﷺ: «**لا يَزَالُ قلبُ الشيخِ شَاباً في اثنتين: حُبّ الدُّنيا، وطول الأَمل**»، ذكره البخاري ومسلم وغيرهما(٥).

وذَكَر ابن(٦) أبي شيبة في مسنده(٧) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَطَّ لَنا رسولُ الله ﷺ خَطّا مُرَبعا، فقال: «**هذا الأجل**»، وخَطَّ في وَسَطِه خَطًّا، وقال: «**هذا الإنسان**»، وخَطَّ في عَرْضِه -يعني في جانبه- خُطُوطاً، فقال: «**هذه الأعراض**»، وخَطَّ خَطًّا خَارِجاً، فقال: «**هذا الأمل**»، قال: «**والأَعْرَاضُ تَنْهَشُه، وعَينُه إلى الأمل**»(٨).

يُريد ﷺ أنَّ الإنسان قد أَحَاط به أجلُه، وأنَّه دَائِر به، وحيث ما تَوَجَّهَ لَقِيَه، وأنَّ مِحَن الدُّنيا وفتنتَها تَعْتَرِضُه، وتَنْهَشُه، وتَتَلَقَّاه، وتَسْتَقْبِلُه، وهو مع ذلك بَعيدُ الأمل، مَصرُوف البَصَر(٩) إليه.

ويُرْوَى(١٠) أنَّه(١١) ﷺ أَخَذَ عُودا فَغَرَزَهُ بين يديه، وغَرَزَ عُودا آخر إلى جَنْبِهِ قَريبا منه، ثمَّ

---

(١) في (ي): (روي).

(٢) في (ي): (الحرص).

(٣) في (ي): (بعون).

(٤) السورة: الحجر، الآية: ٣.

(٥) أخرجه البخاري [كتاب الرقاق، باب مَنْ بَلَغَ ستين سنة، فقد أعذر الله إليه في العُمُر] (ص:١٦٠٠) ح(٦٤٢٠)، وأخرجه مسلم [كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا] (٤٦٢/١) ح(١٠٤٦) وعند مسلم: «**وكثرة المال**».

(٦) في (ي): (وذكر أبوبكر ابن أبي شيبة).

(٧) مسند ابن أبي شيبة (١٩٩/١) ح(٢٩٣)، وأخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الرقاق، باب في الأَمَل وطوله] (ص:١٥٩٩) ح(٦٤١٧).

(٨) في هامش المخطوط رسمة:

(٩) في (ي): (النظر).

(١٠) هذا الحديث ساقط من (م).

(١١) في (ش): (عنه).

أَخَذَ عُودا ثَالثا فغَرَزَه بَعيدا منه، ثمَّ قال: «**أَتَدْرُون ما هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «**هذا الإنسان**»، وأشارَ إلى العُود الذي بين يديه، «**وهذا الأجل**»، وأَشَارَ [٣٢/ب] إلى العُود الذي إلى جَنْبِه، ثمَّ قال: «**وذلك الأمل**»، وأشَارَ إلى العُود الثالث البعيد، «**فالإنسان يتعاطى الأمل، ويختلجه**(١) **قبل ذلك الأجل**»(٢).

ويُروى أنَّ النبيَّ ﷺ اطَّلَعَ ذات يوم على الناس، فقال: «**ألا تستحيونَ من الله تعالى؟**» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «**تجمعون ما لا تأكلون، وتَأْمَلُون مَا لا تُدْرِكُون**»(٣).

ويُروى عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال(٤): اشْتَرَى أُسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِن زيد بن ثابت وَلِيدَةً بمائة دينار إلى شَهْرٍ، فَسَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ألا تَعْجَبَونَ مِن أُسامة المُشتَرِي إلى شهرٍ؟! إنَّ أُسامة لَطَوِيلُ الأَمل! والذي نَفسي بيده، مَا طَرَفَتْ عَيني إلا ظَنَنْتُ أنَّ شُفْرَيَّ**(٥) **لا يَلتَقِيَان حتَّى تُقْبَض رُوحي، ولا طَعِمْتُ لُقْمَةً إلا ظَنَنْتُ أَنِّي لا أُسيغُها حتَّى أَغْتَصَّ**(٦) **بها من الموت**»، ثمَّ قال: «**يا بَني آدم، إنْ كنتم تَعْقِلونَ فَعُدُّوا أَنْفُسَكم مِن الموتى، فو الذي نفسي بيده؛ إنَّ مَا تُوعَدُون لآتٍ ومَا أَنْتُم بُمعجزين!**»(٧).

---

(١) يختلجه أي ينتزعه. انظر: لسان العرب (٢/٢٥٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند رقم (١٧/٢١٢) ح(١١١٣٢)، وحسنه العراقي في تخريج الإحياء المسمى بـ«المغني عن حمل الأسفار» (ص:١٨٣١)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/١٢٦٥) ح(٣٤٢٨).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٥/١٧٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/١٤١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/٢٨٤): «رواه الطَّبراني، وفيه الوَازِع بن نافع، وهو متروك»، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٠/٧٢٧) ح(٤٩٧٦).

(٤) في (ش) و(م): (أنه قال).

(٥) الشُّفْر: طرف جَفْن العين الَّذي يَنبُت عليه الشعَر. النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٤٨٤).

(٦) في (ش) و(ي) و(م): (أغص).

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/٣١) ضمن موسوعته]، وأبو نعيم في الحلية (٦/٩١)، وضعّفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٠/٧٢٨) ح(٤٩٧٧).

وعن(١) ابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا أنَّه قال: كان [٣٣/أ] رسولُ الله ﷺ يُهْريق(٢) الماء، فَيَتَيَمَّم بالتُّراب، فأقول: يا رسول الله، إنَّ الماء مِنك قريب(٣)، فيقول: **«ما يُدْريني لَعَلِّي لا أَبْلُغُه!»** ذكره الحارث بن أبي أسامة(٤) في مسنده(٥)، و[يُروى](٦) عنه(٧) ﷺ أنَّه قال: «**نَجَا أولُ هذه الأمَّة باليَقين والزُّهْد، ويَهْلكُ آخرُها بالبُخْل والأَمل**»(٨).

ومِن(٩) كلام بعضهم: أَيُّها الجاري في أَمَلِه رُوَيْدَكَ؛ فإنَّ الزَّمان يَفْتِلُ(١٠) قَيْدَك، وربَّما صَرَعَكَ قَبل أنْ تَنَالَ ما به خَدَعَكَ، وقَتَلَكَ قَبلَ أن تَسْتَوفي أَمَلَك، فأَورَدَك مَنْهَلَ رَدَاك، وأَشْمَتَ بِك عِدَاك، وأَخَذَكَ بِما كَسَبَتْ يَدَاك، وربَّما أَدْرَكْتَ مَا طَلَبت، واسْتَوفَيتَ ما أَمَّلْت، فأَخَذَكَ أَخْذَةَ أَسِفٍ(١١) قَبل فَتْلِ عَرْشِك، وهَدَمَ حَوضَك، وأَطبَقَ سَماك، وزَلْزَلَ أَرْضَك، ورَمَى بِك حيث لا يُرْعَى لك ذِمَّة، ولا يُدْرِكُك رَحمة، ولا تَنْكَشِف عنك كُرْبَة، ولا تَنْجَلي عنك غُمَّة، وأنشدوا:

---

(١) في (م): (ويُروى).

(٢) أهراق الماء: أي صَبَّه. انظر: لسان العرب (١٠/١٣٥).

(٣) ذكر الحافظ ابن رجب رَحِمَهُاللَّهُ توجيها لهذا الحديث عن جمع من أهل العلم وهو أن التيمم هنا لم يكن لما تجب له الطهارة وإنما لما تُستحب وذكر أحاديث أخرى تدل على هذا المعنى. انظر: فتح الباري (٢/٢٣٤).

(٤) الحارث بن محمد ابن أبي أسامة، أبو محمد التميمي، مولاهم البغدادي الخصيب، ولد سنة ١٨٦هـ، وسمع من يزيد بن هارون، والواقدي، وأبي نعيم، وأبي عبيد، وخَلْقٌ سواهم، وروى عنه: ابن أبي الدنيا، وابن جرير الطبري، وآخرون، وذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة ٢٨٢هـ. انظر: تاريخ بغداد (٩/١١٤)، وسير أعلام النبلاء (١٣/٣٨٨).

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/٩٨)، وأحمد في مسنده (٤/٣٧٤)ح(٢٦١٤)، والحارث في مسنده (١/٢٣٢) ح(١٠٠)، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند(٣/١٧٧)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٦/٢٦٥) ح(٢٦٢٩).

(٦) زيادة من (م) و(ش)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٧) في (ي): (وروي عنه).

(٨) أخرجه أحمد في الزهد (ص:١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/١١٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/١٢٦٣) ح(٣٤٢٧).

(٩) من هنا إلى نهاية الأبيات التي ستأتي ساقط من النسخ الثلاث (ش) و(م) و(ي)، ومثبت من النسخة الأصل (ت).

(١٠) الفَتْل: لَيُّ الشَّيء، يقال: فتل الحبل: أي لواه. انظر: لسان العرب (١١/٥١٤).

(١١) الأَسِف: الغَضْبان. انظر: القاموس المحيط (ص:٧٩١).

أَمَّــــلَ مِــــنْ دُنيَـــاهُ مَـــا أَمَّـــلَا وقـــالَ مَـــا قَـــالَ لِأَنْ يَفْعَـــلَا
وصَـــالَ في هـــذا الـــوَرَى صَـــولَةً بَـــــزَّ[1] بِهـــا الآخِـــــرَ والأَوَّلَا
وَطَبَّــــــقَ[2] الأرضَ بِفُرْسَـــانِهِ وَهَـــدَّ مِنهـــا شَـــعَفَاتِ[3] الفَـــلَا[4]
وقَـــالَ هـــذي ثَمَـــرات الـــمُنى فَلْيَجْنِهَـــا الأفضـــلَ والأفضـــلَا [٣٣/ب]
فَمِـــنْ حَـــرِيمٍ فَـــضَّ خَيْتَامَـــهُ[5] ومِـــنْ مَلِيـــكٍ في الثَّـــرَى جَنْـــدَلا[6]
حتَّـــى إذا بَـــاتَ عَـــلَى عَرْشِـــهِ مُسْـــتَوفِياً كُـــلَّ الـــذي أَمَّـــلَا
صَـــاحَ بِـــهِ صَرْفُ[7] الـــرَّدَى صَـــيْحَةً أَلْقَـــى بِـــأَعْلَى عَرْشِـــهِ أَسْـــفَلَا
ودَكَّ في الأرضِ بإيوانِـــــــــهِ[8] وزُلْزِلَـــــتْ أَرْجَـــاءُ ذاكَ المَـــلَا
ومَـــرَّ لا يَـــنعَشُ مِـــنْ عَثْـــرَةٍ إلا إلى ثَمَّـــــــــــــــــتَ إلا إلى
فَـــلا سَـــقَتْ مَـــصْرَعَهُ مُزْنَـــةٌ[9] ولا انْجَلَـــــــتْ كُرْبَتُـــــــهُ لَا وَلَا

وخَطَبَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «ألا وإنَّ الدُّنيا قَد أَدْبَرَت، وآذَنَت بِوَدَاعٍ، وإنَّ الآخرة قد أَقْبَلَت، وآذَنَتْ باطِّلَاع، ألا وإنَّ المضْمار[10] اليوم، والسِّبَاق غَدا، ألا وإنَّ السَّبقَة الجنَّة، والغَاية الموت[11]، ألا وإنَّكم في أيامِ مَهْل، ومن ورائه أجل [يحثُّه][12] عَجل، فَمَنْ عَمِلَ في

---

(١) بَزَّ: أي غَلَب. انظر: لسان العرب (٥/٣١٢).
(٢) طَبَّقَ الأرض: غَطَّاها. انظر: القاموس المحيط (ص:٩٠٢).
(٣) الشَعَف: رؤوس الجبال. انظر: تاج العروس (٢٣/٥١٣).
(٤) الفَلاة: القَفْر من الأَرض، وقيل: هي التي لا ماء فيها، وقيل: هي الصحراء الواسعة. لسان العرب (١٥/١٦٤).
(٥) الخيتام: لحلْي الإصبع لأنّ به يُختَم، ويقال الخاتِم، والخاتام. انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/٢٤٥).
(٦) الجَنْدَل: الحِجَارة. انظر: القاموس المحيط (ص:٩٨٠).
(٧) الصَّرْف: أن تَصْرِف الشيء عن وجه يريده إِلَى مَصْرِف غَيره. لسان العرب (٩/١٨٩).
(٨) الإِيوان: الصُّفَّة العظيمة كإيوان كِسرى. المصدر السابق (١٣/٤٠).
(٩) المُزْن: السَّحاب. معجم مقاييس اللغة (٥/٣١٨).
(١٠) في (ش): (الضمار).
(١١) في (ش): (والغاية النار).
(١٢) غير واضحة في الأصل (ت)، ومثبتة من النسخة (ي)، وفي (ش): (بجنبه)، وفي (م): (يحثه).

أيَّامِ مَهلِه قَبلَ حُضُورِ أَجَلِه نَفَعَهُ عَملُه ولم يَضُرَّهُ أَملُه، ومَنْ لم يَعْمَل في أيَّامِ مَهلِه[1] قَبلَ حُضُورِ أَجَلِه ضَرَّهُ عَمَلُه، وسَاءَهُ أملُه[2]»[3].

وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ألا وإنَّ الدُّنيا قد ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَة، وإنَّ الآخرة قد ارتَحَلَتْ[4] مُقبِلَة، وإنَّ لكلِّ واحدة مِنهُما بَنِين[5]، فَكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدُّنيا، ألا وإنَّ اليوم عَمَلٌ [٣٤/أ] بلا[6] حِسَاب، وغدا حِسَاب بلا[7] عَمَل، ألا وإنَّ أشدَّ ما أخاف عليكم خصلتان: طول الأمَل، واتباع الهوى، أمَّا طول الأمَل؛ فإنَّه يُنسِي الآخرة، وأمَّا اتباع الهوى فإنَّه يَصدُّ عن سبيلِ الله عَزَّ وَجَلَّ»[8].

وقال سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثلاثٌ أعجبَتْنِي حتَّى أَضْحَكَتني، وثلاثٌ أحزنتني حتَّى أبكَتْني، أمَّا الثلاث الأُوَل: فمُؤَمِّلُ دُنيا والموت يَطْلُبُه، والغافلُ[9] وليسَ بمَغْفُولٍ عنه، وضَاحِكٌ مِلءَ فِيهِ ولا يَدري أَسَاخِطٌ عليه ربُّ العالمينَ أم راضٍ عَنه؟! أمَّا الثلاثُ التي[10] أَحزَنتني حتَّى أبكَتني: فَفِرَاقُ محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفِرَاقُ الأحِبَّة أصحابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والوقوفُ بين يَدَي الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا أَدري أَيُؤمَرُ بي إلى الجنَّة أم[11] إلى النَّار؟!»[12].

---

(١) في (م): (مهلته).

(٢) في (ي): (ضره أمله وساءه عمله).

(٣) أخرجه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١١٦/٤).

(٤) في (ش) و(م): (أقبلت)، وفي (ي): (أشرفت).

(٥) في (ش) و(م): (ولكل واحدة منهما بنون).

(٦) في (ش) و(م): (ولا).

(٧) في (م): (ولا).

(٨) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨٦/١)، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١٤٤/٢).

(٩) في (ش) و(م) و(ي): (وغافل).

(١٠) في (ش) و(م): (اللاتي).

(١١) في (ش): (أو).

(١٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:١٥٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٢/١٣).

وقال أبو زَكَريّا التَّيمي(١)(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بينما هشام بن عبد الملك(٣)(٤) في المسجد الحرام، إذ أُتِيَ بِحَجَرٍ مَكتوبٍ فيه باللسان العَجَمي، فَطَلَبَ مَنْ يَقْرَؤُه [عليه](٥)، فَأُتِيَ بِوَهبِ بنِ مُنبِّه(٦) رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَقَرَأَه، فإذا فيه: «يا ابنَ آدم! إنَّك لو رأيتَ قُربَ ما بَقِيَ مِنْ أجلك لَزَهِدْتَ في طول أملك، ولَرَغِبْتَ في الزيادة من(٧) عملك، ولَقَصَّرْتَ من حرصك وحِيَلك، [٣٤/ب] وإنَّما يَلْقَاكَ نَدَمُك لو(٨) قد زَلَّتْ بك قَدَمُك، وأَسْلَمَك أهلُك وحَشَمُك، فَفَارَقَكَ الوَلَدُ والقريب، ورَفَضَكَ الوالدُ والنَّسيب(٩)، فلا أَنتَ لدُنيَاك عائِد(١٠)، ولا في حسناتك زَائِد(١١)، فاعْمَلْ ليوم القيامة؛ يوم الحَسْرَة والنَّدَامة»(١٢).

---

(١) في (ي): (التميمي).

(٢) لم أقف على ترجمة له.

(٣) هكذا في جميع النسخ إلا أن من أخرج الأثر كابن أبي الدنيا وأبي نعيم وابن عساكر –كما سيأتي– ذكروا سليمان بن عبدالملك بدلا من هشام بن عبدالملك.

(٤) هشام بن عبد الملك بن مروان، الخليفة أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي، وُلِدَ بعد السبعين، استخلف في شعبان سنة ١٠٥هـ إلى أن مات في ربيع الآخر وله أربع وخمسون سنة، وتسلم الخلافة من بعده الوليد بن يزيد. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٣٥١).

(٥) زيادة من (م)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٦) وهب بن منبه ابن كامل بن سيج بن ذي كبار، أبو عبد الله الأبناوي اليماني الذماري الصنعاني ، أخو همام، ومعقل، وغيلان، ولد سنة ٣٤هـ، تابعي ثقة، أخذ عن ابن عباس، وأبي سعيد، وجابر، وابن عمر، وغيرهم من الصحابة ، وحَدَّثَ عنه ولداه: عبد الله وعبد الرحمن، وخلق سواهم، مات سنة ١١٠هـ، وقيل ١١٤هـ وقيل ١١٣هـ. انظر: تاريخ دمشق (٦٣/٣٦٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/٥٤٤).

(٧) في (ش): (في عملك).

(٨) في (ش): (إذا زلَّت).

(٩) في (ي): (والحبيب).

(١٠) في (ش): (فلا أنت إلى الدنيا بعائد).

(١١) في (ش): (ولا أنت في حسناتك بزائد).

(١٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/٤٦) ضمن موسوعته]، وأبونعيم في الحلية (٤/٦٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٣/٣٦٨) إلا أنهم ذكروا سليمان بن عبدالملك بدلا من هشام، وذكرها ابن عساكر عن أبي زكريا التميمي بدلا من التيمي.

وقال[1] الحسنُ البَصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان آدمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل أنْ يُخطئ الخَطيئة، أَمَلُه خَلْفَ ظَهْرِه، والموت نَصْبَ عَينيه، فلمَّا أصابَ الخطيئة، تَحَوَّلَ أَمَلُه فَصَارَ بين عَينيه، وصارَ أجلُه خَلْفَ ظَهْرِه»[2]، وقال[3] الحسنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أَطَالَ عبدٌ الأملَ إلا نَسِيَ العَمَل»[4].

ويُروى عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قامَ على دَرَج مَسجدِ دِمشقَ فقال: «يا أهلَ دِمَشْق، ألا تَسمعونَ من أخٍ لكم ناصح؟! إنَّ مَنْ قَبلكم كانوا يَجمعُون كثيرا، ويَبنون مَشيدا، ويَأملون بعيدا، فأصبح جمعُهم بُورا، وبُنيَانُهم[5] قُبورا، وأملُهم غُرُورا، هذه عَادٌ قَد مَلأتْ البلادَ أهلاً ومَالاً وخَيلاً ورِجَالاً، فَمَنْ يَشتَري اليومَ مِنِّي[6] تَرِكَتَهُم بِدِرْهَمين[7]؟!»[8].

وأنشدوا[9]:

يَـــا ذا الـــمُؤَمِّلُ آمَـــالاً وإنْ بَعُـــدَتْ … عَنْـــهُ ويَـــزْعُمُ أنْ يَحظَـــى بأَقْصَـــاها

[٣٥/أ] أَنَّـى تَفُـوزُ بِـمَا تَرْجُـوهُ وَيْـكَ وَمَـا … أَصْـبَحْتَ في ثِقَـةٍ مِـن نَيـلِ أدْنَاهـا

وأنشدوا أيضا:

مَـا الأمـرُ أَمـرُكَ في حِـلٍّ ولا ظَعَـنٍ[10] … تجـولُ في خُلْـدِ جَـذلانٍ[11] ومُنْفَسِـحِ

رُدَّت أوائِلُهـــا بـــالموتِ فانقَبَضَـــتْ … والمـوتُ يَقـبِضُ ذا الأحـزانِ والفـرحِ

---

(١) هذا الأثر ساقط من (م).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/٤٤) ضمن موسوعته].

(٣) هذا الأثر ساقط من (ش).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/٥٧) ضمن موسوعته]، وأورده ابن الجوزي في آداب الحسن البصري (ص:٧٨).

(٥) في (ش): (وبناؤهم).

(٦) في (ي) و(ش): (مني اليوم).

(٧) في (م): (من يشتري من عاد تركتهم بدرهمين).

(٨) أخرجه أبو داود في الزهد (ص:٢١٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/٢١٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/٢٣٧).

(٩) الأبيات الست ساقطة من جميع النسخ، ومثبتة من النسخة الأصل (ت).

(١٠) ظَعَنَ: ذهب وسار. انظر: القاموس المحيط (ص:١٢١٣).

(١١) جَذْلان: فرحان. انظر: لسان العرب (١١/١٠٧).

وبَــادِرْ الأمــرَ مَــا أصْــبَحْتَ في مَهَــلٍ ... مِــن المشــيبِ ومِــن مَــدَاكَ في فَسَــحِ

فَــــرُبَّما سَــــكَنَتْ في الحــــالِ عاصــــفةٌ ... وعَــادَ غــورُ[1] مِيَــاهِ القــومِ للنَّضَــحِ

[وقيل لبعض الزُّهَّاد بالبَصْرة: أَلَك حاجة ببغداد؟ فقال: «ما أُحِبُّ أنْ أبْسُط أملي حتى تمضي إلى بغداد وتجيء»[2]، وقال[3] بعض الحكماء: «الأمل كالسَّرَاب غَرَّ مَن رآه، وخَيَّبَ من رَجَاه»[4]، وخطب عُمَرُ بن عبد العزيز يوماً فقال: «ألا إنَّ لكلِّ[5] سَفَرٍ زادا، فتزوَّدُوا التَّقوى لسَفَرِكم من الدُّنيا إلى الآخرة، وكونوا كمَن عَايَن ما أعَدَّ الله[6] مِن ثَوَابه وعِقَابه، ولا يَطولن عليكم الأمد فتقْسُو قلوبكم، وتنقادوا لعدوِّكم[7]، وإنَّه والله ما بُسَط أملُ مَن لا يدري لعلَّه لا يُصْبِحُ بعد مسائه، ولا يُمسِي بعدَ صَبَاحِه، وبين ذلك خَطَفَات المنايا، وهَجَمات المنون، وإنما تَقَرُّ عَين مَن وَثِقَ بالنَّجَاة مِن عذابِ الله تعالى، وإنَّما يَفْرَحُ مَن أَمِنَ مِنْ أهوال يوم القِيَامة، وأمَّا مَن لا يُداوِي جَرْحَاً إلا أصابه جَرْحٌ[8] مِن ناحيةٍ أُخرى فكيف يَفْرَح؟!

أعوذُ بالله أنْ آمُرَكم بما أنهى عنه نفسي، فتَخْسَر صفقَتي، وتَظْهَر غباوتي، إنَّكم قد عُنِيتُم بأمرٍ لو عُنِيَتْ بِه النُّجُوم لا نْكَدَرَت[9] أو الجبالُ لذَابَت أو[10] الأرضُ لتَشَقَّقت، أَمَا تعلمون أنَّه ليس بين الجنَّة والنَّار مَنْزِل، وأنَّكم صائرون إلى أحدهما»[11].

---

(١) غَوْر الشيء: عُمْقه وبُعْده وقعره. نظر: المصدر السابق (٥/ ٣٣).

(٢) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص:١٦٨).

(٣) هذا الأثر غير موجود في (ش)، ومثبت من (م) و(ي).

(٤) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص:١٦٩).

(٥) في (ش): (إن لكل).

(٦) في (ش): (ما عند الله).

(٧) في (م): (إلى عدوكم).

(٨) في (ي): (جارح).

(٩) انْكَدَرَت النجوم: أي تَناثَرَت. انظر: تاج العروس (١٤/ ٢٣).

(١٠) في (ش): (لانكدرت والجبال لذابت والأرض لتشققت).

(١١) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/ ٤٠) ضمن موسوعته]، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٩١).

ورُوي(1) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال: بينما نحن نُصْلِحُ خُصّا لنا إذ مَرَّ بنا رسولُ الله ﷺ، فقال: «**ما هذا؟**» فقلنا: يا رسولَ الله، قد وَهَى فنحنُ نُصْلِحُه، فقال: «**ما أرى الأمرَ إلا أَعْجَلَ من ذلك**» ذكره الترمذي(2)(3)، والخُصُّ: بَيْتٌ من قَصَب(4)، يُريد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تعجيلَ الأمرِ، وتقريبَه، وخَوْفَ بَغْتَتِه، والحذَرَ(5) من فَجْأَته.

وقيل للحَسَن البَصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: يا أبا سعيد ألا تَغْسِلْ ثَوبَك(6)؟ فقال: «الأمرُ أَعْجَلُ مِن ذَلك»(7)، وكان الحسَن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى قَصِيرَ الأمل، شديدَ(8) الخوف، وكان يأتي عليه الأحيان يَظُنُّ الظَّانُّ أنَّ الموت قد نَزَلَ به، وأنَّه في سِيَاقِهِ مِن كَثْرَة تَفكُّرِه فيه، وتَخَيُّلِه له.

وقال(9) داود الطَّائي(10) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو أَمَّلْتُ أنْ أعيشَ شَهْراً لَرَأيتُ أنِّي قد أتيتُ عظيما، وكيفَ آمُل ذلك، وأنا أرى الفَجَائِع تَنْزِل بالخلائقِ آناءَ الليل والنَّهار(11)»(1).

---

(1) في (ش): (ويروى).

(2) محمَّد بن عيسى بن سورة بن مُوسَى بن الضحاك السُّلَمِيّ، أبو عيسى التِّرْمِذِيّ، ولد في حدود سنة ٢١٠هـ، الضَّرِير الحافظ، صاحب (الجامع) و(العلل)، وغيرهما من المصنفات، أحد الأئمة الحفاظ، قال ابن حِبَّان: (كان أبو عيسى ممَّن جَمَعَ، وصَنَّف وحَفِظ، وذَاكَر)، توفي سنة ٢٧٩هـ. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٢٥٠)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠).

(3) أخرجه أحمد في مسنده (١١/ ٤٦) ح(٦٥٠٢)، وأبو داود في سننه [كتاب الأدب، باب ما جاء في البناء] (ص:٩٤٦) ح(٥٢٣٥)، والترمذي في جامعه [كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل] (ص:٥٢٧) ح(٢٣٣٥) وابن ماجه في سننه [كتاب الزهد، باب في البناء] (ص:٦٩٢) ح(٤١٦٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٢٨٥).

(4) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٢٦٦).

(5) في (ش) و(م): (والخوف من فجأته).

(6) في (ي): (قميصك).

(7) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٢٧٨)، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/ ٣٨) ضمن موسوعته].

(8) في (ي): (طويل الخوف).

(9) هذا الأثر ساقط من (ش).

(10) داود بن نصير الطائي، أبو سليمان الكوفي، الزاهد، ولد بعد المائة بسنوات، روى عن: عبد الملك بن عمير، وحميد الطويل، وجماعة، وحدث عنه: ابن علية، وأبو نعيم، وآخرون، كان الثوري يُعظِّمُه ويقول: أَبْصَرَ داودُ أمرَه، توفي سنة ١٦٢هـ، وقيل: ١٦٥هـ. انظر: حلية الأولياء (٧/ ٣٣٥)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٢).

(11) في (م): (وآناء النهار).

وقيل للربيعِ بن خُثَيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كيفَ أصبحتَ؟ فقال: «كيفَ يُصْبِحُ رجل إذا أَصْبَحَ لا يدري أنَّه يُمْسِي، وإذا أَمْسَى لا يَدري أنَّهُ يُصْبِح»[٢]، امتَثَل الرَّبيعُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحديثَ المرويَّ عن عبدِ الله بن عُمَرَ بن الخطَّاب[٣] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: أَخَذَ رسولُ الله ﷺ بِمَنْكِبي وقال: «**كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابِرُ سبيل، وعُدَّ نفسَك من أهل القُبُور**»؛ فإذا أصبحتَ فلا تُحَدِّثْ نفسَك بالمسَاء، وإذا أمسيتَ فلا تُحَدِّثْ نفسَك بالصَّبَاح، وخُذْ مِن حياتِك لموتِك، ومِن غِنَاك لفَقْرِك، ومِن صِحَتِكَ لسَقَمِك؛ فإنَّكَ لا تدري يا عبدَ اللهِ ما اسمُك غداً[٤]، وقوله: «**إذا أصبحتَ**...»، الكلام إلى آخره، أكثر ما يُروى من قول عبد الله بن عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ذكر الحديثَ الترمذيُّ وغيرُه.

وقال ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «ما انتفَعْتُ ولا اتَّعظْتُ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ بمثلِ كِتَابٍ كَتَبَه إليَّ عليُّ بنُ أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو:[٥] أما بعد: فإنَّ الإنسانَ يَسُرُّهُ دَرْكُ ما لم يَكُن ليفُوتَه، ويَسُوؤُه فَوْتُ ما لم يَكُن لِيُدرِكَه، فلا تَكُن بما نِلْتَ من دُنياك فَرِحا، ولا بما فاتَك منها تَرِحا[٦]، ولا تكن ممن يرجو الآخرةَ بغيرِ عمل، ويُؤخِّر التَّوبة لطول[٧] الأمل، فكَأَنْ قد...[٨]

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٣٩/٥) ضمن موسوعته].

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ لكن أخرج ابن المبارك في الزهد (٣٨/٢) عن الرَبِيع بن خُثَيم أنَّه قيل له: كيف أصبحتَ يا أبا يَزِيد؟ قال: «أصبحنا ضعفاء مُذنبين، نأكلُ أرزاقَنا، وننتَظِر آجالَنا».

(٣) في (ش) و(م) لم يُذكر (خطاب).

(٤) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في جامعه [كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل] (ص:٥٢٧)، ح(٢٣٣٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٧/٣) ح(١١٥٧)، وقد أخرجه البخاري في كتاب الرقاق: باب قول النَّبِيِّ ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» (ص:١٥٩٩) ح(٦٤١٦) بلفظ: أخذَ رسول الله ﷺ بِمَنكبي، فَقَالَ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وكان ابن عمر، يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصَّباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحَّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك».

(٥) في (ش): (سلام الله عليك، أما بعد).

(٦) التَّرَح: الحُزن. انظر: لسان العرب (٤١٧/٢).

(٧) في (ش): (بطول).

(٨) هكذا في (ش) و(م).

والسلام»[1]][2].

[لا تَفْـرَحَنَّ بـدُنيا إنْ ظَفِـرْتَ بهـا ... لله فـما ذا موضـعُ الفَـرَحِ
وإنْ تولَّـت فـلا تثبـتْ لهـا تَرِحـاً ... فـما لـذي العَقـلِ إنْ ولَّـتْ وَللـتَّرَحِ
وإنْ تولَّـتْ غَـداةً عنـكَ مُـدْبِرَةً ... فَبِـتْ بِصَـدرٍ رَضيِّ البـالِ مُنْشَـرِحِ
فَخَـلِّ عنهـا فليسَـتْ دارَ مُقتَـدِرِ ... يسـيرُ منهـا بليـلٍ غـيرِ ذي وَضَـحِ
إذا سَـمِعْتَ بآمـالٍ مُطوَّلـةٍ ... تَجـولُ في خُلْـدِ جَـذلانٍ ومُنْفَسِـحِ
ردَّتْ أوائِلهـا بـالموتِ فانْقَبَضَـتْ ... والمـوتُ يَقْـبِضُ عنـان الشـيخِ في المَـرحِ
فَبَـادِرْ الأمـرَ مَـا أصْـبَحْتَ في مَهَـلٍ ... مِـن المشـيبِ ومِـن دُنيـاكَ في فَسَـحِ][3]

وقال[4] بعض الحكماء في موعظة له: «كُلُّنا قد تَيقَّنَ بالموت[5]؛ وما نَرَى لَهُ مِنَّا مُسْتَبعَدا[6]، وكُلُّنا قد تَيقَّنَ الجنَّة؛ وما نَرَى لها مِنَّا عَمَلا[7]، وكُلُّنا قد تَيقَّنَ النَّارَ؛ ومَا نَرَى لها مِنَّا خَائفا، فَعَلامَ تُعَرِّجُون؟[8] وما عسى تنتظرون؟ وماذا تَرجون؟ وماذا[9] تَأْمَلُون؟ الموتُ أَوَّلُ قادمٍ يَقْدُمُ عليكم بِخَيرٍ أو بِشَرٍّ[10]، فيا إخوتَا! سِيروا إلى الله تعالى سَيرا جميلا»[11]، وقال

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٢/٥٠٣)، والبلاذُري في أنساب الأشراف (٢/١١٦)، وأورده الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص:١٦٧)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (١/١٢٢).

(٢) ما بين المعكوفتين ساقط من النسخة الأصل (ت)، وموجود في النسخ الباقية كلها.

(٣) هذه الأبيات لم ترد إلا في (ش).

(٤) هذا الأثر ساقط من (م).

(٥) في (ي): (الموت).

(٦) في (ش) و(ي): (مستعدّا).

(٧) في (ش): (وما نرى منا لها عاملا)، وفي (ي): (وما نرى لها منا عاملا).

(٨) في (ش): (تفرحون).

(٩) في (ش) و(ي): (أو ماذا).

(١٠) في (ي): (أو شر).

(١١) القائل هو خُلَيْد العَصَرِي كما أخرجه عنه البيهقي في شعب الإيمان (١٣/٢٥٦).

آخر[1]: «العاقِل يَعتمد على عمله، والجاهل يعتمد على أملِه»[2]، وقال آخر: «بطول الأمل تَقْسُو القلوب، وبإخلاص النيَّة تَقِلُّ الذُّنوب»[3].

ويُروى عن شَقيقٍ البَلْخِي[4] رَحِمَهُ اللَّهُ أنه جاء إلى أستاذ يُقال له[5]: [٣٥/ب] أبوهشيم[6][7]، وفي طَرَفِ كِسَائه شيء مَصْرُور، فَضَرَبَ عليه الباب فَخَرَجَ إليه، فرأى مَا في كِسائه، فقال له: «ما هذا الذي في كِسائك؟»، فقال له: يا أستاذ دَفَعَ إليَّ أخٌ لي[8] لَوزَات[9][10]، وقال: أُحِبُّ أن تُفْطِر عليها[11] الليلة، فقال[12]: «يا شقيق، وأنتَ تُحِدِّثُ نفسَك أنَّك تَعِيش إلى الليل؟! لا أُكَلِّمُك!»، ثمَّ أَغلَقَ الباب في وجهه ودَخَل[13].

ويُروى عن الحسن أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَكُلُّكُم يُحِبُّ أنْ يَدخل الجنَّة؟**»، قالوا: نعم يا رسول الله، فقال: «**قَصِّرُوا آمالكم، وثَبِّتوا**[14] **آجالَكُم بين أبصارِكم، واسْتَحْيُوا مِن الله**

---

(١) في (م): (وقال بعض الحكماء).

(٢) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص: ١٦٨).

(٣) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص:٢٠٢).

(٤) شقيق بن إبراهيم، أبو علي الأزدي البلخي، الزاهد، صحب إبراهيم بن أدهم، وروى عن: وإسرائيل بن يونس ، وعباد بن كثير، وحدث عنه: عبد الصمد بن يزيد، وحاتم الأصم، وغيرهم، وهو نزر الرواية، وقتل في غزاة كولان سنة ١٩٤هـ. انظر: حلية الأولياء (٥٨/٨)، وسير أعلام النبلاء (٣١٣/٩).

(٥) في (ش): (إلى أستاذ له)، وفي (ي): (إلى أستاذ له فقال له).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (أبو هاشم).

(٧) لم أقف على ترجمته.

(٨) في (ش): (دفع لي أخ)، وفي (م): (دفع إليّ أخ لي في الله).

(٩) في (ي): (لويزات).

(١٠) اللَّوْز: نوعٌ من الثِّمار، وَهُوَ فِي بلاد العرب كثير. انظر: لسان العرب (٤٠٧/٥).

(١١) في (ش): (عليهن).

(١٢) في (ش): (فقال له).

(١٣) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (ص:١٨٣٢).

(١٤) في (ش): (وبيّتوا).

حَقَّ الحياء»[1].

وقال بعضهم: رَأيتُ زُرَارَةَ بنَ أبي أَوْفى[2][3] رَحِمَهُٱللَّهُ في المنام بعد موته، فقلتُ له: أيُّ العملِ[4] أَبلَغُ عندكم؟ قال: «التَّوكل، وقِصَر الأمل»[5].

وقال بعضهم في موعظة له: «يأيُّها الناس، حَسِّنوا أعمالكم، وقَصِّرُوا آمالكم، واعلموا أنَّ الموت مَعْقُودٌ بنواصيكم، وأنَّ الدُّنيا تُطوَى مِنْ ورائكم»[6]،وأنشدوا[7]:

عَقَـدَ المـوتُ مـنكم بـالنَّوَاصِي[8] ... ودُفِعْـتُم مِنـهُ لِهَـولِ القِصَـاصِ
[٣٦/أ] فَفِـراراً ولاتَ[9] حِـينَ فِـرَارِ ... ومَنَاصـاً ولاتَ حِـينَ مَنَـاصِ[10]
قـد طَـوَتْكُم صُرُوفُ هـذيْ الليـالي ... عَـنْ كَـمالٍ فَعُـدْتُم لانْتِقَـاصِ
أَحْكَمَـتْ أَسْرَكُـم ومَـا مِـنْ أَسِـيرٍ ... في يَـدَيها يُرجَـى لَـهُ مِـنْ خَـلاصِ
كَـمْ رَكَضْـتُم ورَاءَهـا مِـن جِيَـادِ[11] ... وامْتَطَيـتُم بإثرِهـا مِـنْ قِـلَاصِ[12]

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ١٠٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٨٥/٨)، وهو مرسلٌ ضعيفٌ من مراسيل الحسن؛ قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (ص:١٨٣٢): «أخرجه ابْن أبي الدُّنيَا من حَدِيث الْحسن مُرسلا».

(٢) في (م): (زرارة بن أوفى).

(٣) زرارة بن أوفى، أبو حاجب العامري البصري، العابد، قاضي البصرة، سمع عمران بن حصين، وأبا هريرة، وابن عباس، وروى عنه أيوب السختياني، وقتادة، وبهز بن حكيم، وآخرون، وثَّقَه النسائي وغيره، مات سنة ٩٣هـ. انظر: حلية الأولياء (٢٥٨/٢)، وسير أعلام النبلاء (٥١٥/٤).

(٤) في (ش): (الأعمال).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/ ٣٧) ضمن موسوعته].

(٦) أخرج ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٣٩/٥) ضمن موسوعته] عن الحسن البصري أنه قال: «الموت معقود بِنَوَاصِيكم، والدُّنيا تُطوى من وَرَائِكم».

(٧) الأبيات ساقطة من جميع النسخ عدا الأصل (ت).

(٨) النَّاصِيَة: وَاحِدَة النَّوَاصِي، وهو قُصاص الشَّعَر فِي مُقدَّم الرأْس. انظر: القاموس المحيط (ص:١٣٣٩).

(٩) ولاتَ: كلمة معناها ليس، تَقَع على لفظ الحِين خاصَّة. لسان العرب (٨٦/٢).

(١٠) وَلاتَ حِينَ مَناص: أَي ليس وقت هروب وتأَخّر وفِرار. انظر: المصدر السابق (١٠٢/٧).

(١١) جِياد جمع جَيِّد: وهو نَقِيض الرَّدِيء. انظر: القاموس المحيط (ص:٢٧٥)، ويريد بذلك الخيل الجياد.

(١٢) القَلُوص: الناقة، وجمعها قَلائِص وقِلاص وقُلُص. انظر: لسان العرب (٨١/٧).

وانْتَصَيتُم لحربِها مِنْ نِصَالٍ[1] ... ولَبِسْتُم لِذَاكُم مِنْ دِلاصِ[2]
ونَزَلتُم مسارِيا[3] وغِيَاضاً[4] ... وعَلَوتُم شَوَاهِقاً وصَيَاصِي[5]
وإلى ذا فَما وجدتُم نَجاةً ... مِنْ تَرَدٍّ لَكُم بِها والتِحَاصِ[6]
رُحْتُمُ مُثخَنِينَ جَرْحَاً وقَتْلا ... كَقَنِيصٍ[7] بأَسْهُمِ القُنَّاصِ
فاطلُبُوها بِما لَكُم مِنْ قِصَاصٍ ... ومُحَالٌ أنْ تُسْعِفُوا بِقِصَاصِ
فَذَرُوها ذَمِيمَةً دارَ دُنيَا ... أَخْلَصَتْ عَيشَهَا لذي الإخلاصِ
وإذا امتَدَّت الأمانيُّ فِيها ... وأَشَادَتْ بِوَصْلِهَا المُتَعَاصِ
فَاقْطَعُوا ذِكْرَهَا بِذِكْرِ مُقَامٍ ... هَامَ مِنْ ذِكْرِهِ مُطِيعٌ وعَاصِي
وإنْ ارْتَاعَ مِنْ حَدِيثٍ فُؤَادِي ... فَذَاكُمُ يُشِيبُ سُودَ النَّواصِي

وقال الثوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الزُّهد في الدُّنيا هو قِصَرُ الأمل، وليس بأكل الخَشن، ولُبْسِ العَبَاءة»[8]، وصَدَقَ الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٣٦/ب]؛ فإنَّ مَن قَصَّرَ أمله لم يَتَأَنَّق[9] في المطعومات[10]، ولا تَفَنَّنَ[11] في الملبوسات، وأَخَذَ من الدُّنيا ما تَيَسَّر، واجتزأَ منها بما تبَلَّغ[12].

---

(١) النَّصْل: حديدة السَّهم والرمح. انظر: تاج العروس (٣٠/٤٩٤).
(٢) الدِّلاص من الدُّروع: اللَّيِّنَة، ودِرع دِلاص: بَرَّاقَة مَلْسَاء لَيِّنَة بَيِّنة الدَّلَص. انظر: لسان العرب (٣٧/٧).
(٣) الأنهار الصغيرة والجداول أخذا من السَّرِيّ: وهو النَّهر الصغير، وقيل: الجدول. انظر: المصدر السابق (١٤/٣٨٠).
(٤) الغِيَاض: الشَّجر المتجمع والنابت في المكان الذي يجتمِع فيه الماء. انظر: تاج العروس (١٨/٤٧٣).
(٥) الصَّيَاصِي: الحُصُون. انظر: معجم مقاييس اللغة (٣/٢٧٩).
(٦) الالتِحاص: الاضطرار، يقال: الْتحَصَه إِلى ذَلِكَ الأَمر أَي أَلْجَأَه إِليه واضطرَّه. انظر: لسان العرب (٧/٨٦).
(٧) القَنِيص: المصيد الذي اقْتُنِص. انظر: المصدر السابق (٧/٨٣).
(٨) أخرجه وكيع في الزهد (١/٢٢٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/٣٨٦).
(٩) التأنق في المطعومات: أن ينتقي أفضلَها وأجودها. انظر: معجم مقاييس اللغة (١/١٤٩).
(١٠) في (ي): (في المأكولات والمطعومات).
(١١) في (ش): (ولا يتأنق).
(١٢) في (ش): (يبتلغ)، وفي (م): (يُبلِّغ)، وفي (ي): (يبلغه).

وفي بعض الخُطب: «أيُّها الناس، إنَّ سِهَامَ المنيَّة قد [فُوِّقَت][1][2]إليكم فانظروها، وحبالةُ الأمل قد نُصِبَتْ بين أيديكم فاحذروها، وفتن الدُّنيا قد أحاطت بكم من كل جَانب فاتَّقوها، ولا تغتروا بما أنتم فيه من حُسْنِ الحال؛ فإنَّه إلى زوال، ومُقِيمُه إلى ارتحال، ومُمْتَدُّه إلى تَقَلُّصٍ واضْمِحْلَال[3]، أَمَا[4] تسمعون أيُّها الناس ما بِه تُوعظون؟ أَمَا تَعتبرون بما إليه تَنْظُرون؟ أَمَا تتفكرون[5] فيما عنه تَزُولون، وفيما إليه ترجعون وعليه تقدمون؟ أينَ مَنْ تَقَدَّمَكُم وكَان قَبلكم[6] مِمَّنْ أَمَّلَ أَمَلَكم، وسَعَى سَعْيَكُم، وعَمِلَ عَمَلكُم؟ أينَ الذين بَنَوا المدَائِن، ومَلأوا الخزائن، واستَعَدّوا لما هو عندهم كائن؟ أينَ الذين غَرَسُوا في رَوضِة المُلك، ونَظَمُوا الآمال في سِلْك، وهَتَكُوا حُجُبَها أيَّما هَتْك، وكَانوا في ظاهر أعمالهم في رَيْبٍ مِن الزمان وفي شك؟

انظروا[7] إليهم كيف نَضَبَتْ لهم[8] تِلك المياه، وذَبَلَتْ منهم تِلك الشِّفَاه، وتَكَسَّرَتْ عند سُقوطهم تِلك [٣٧/أ] الوَجَنَات، وتَثَلَّمَتْ[9] تِلك الجِبَاه، وتَغَيَّرَتْ[10] الأحوال، وانْكَمَشَتْ[11][12] الآمال، وبَقِيَتْ شاهدةً عليهم[13] الرسُومُ والأَطلال»[14].

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل (ت)، ومثبتة من النسخ الباقية.

(٢) أي وُضِعَت السِّهام في أوتارها لرميكم بها. انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٢٠).

(٣) اضْمَحَلَّ الشيء: ذَهَب وزال. انظر: القاموس المحيط (ص:١٠٢٤).

(٤) في (ش): (أوما).

(٥) في (م) و(ي): (تفكرون).

(٦) في (ش): (أين من كان قبلكم ممن أمل أملكم).

(٧) في (ش): (انظر).

(٨) في (م): (إليهم).

(٩) تَثَلّمت: تكَسَّرَت. انظر: تاج العروس (٣١/ ٣٥٧).

(١٠) في (م) زيادة (تلك).

(١١) في (م) زيادة (تلك).

(١٢) انكمشت: أي تَقَلَّصَت. انظر: تاج العروس (١٧/ ٣٦٧).

(١٣) في (م) و(ي) زيادة (تلك).

(١٤) لم أقف على القائل.

وأنشدوا(١):

رَفَعْـــتَ عَرْشَـــكَ فِي الـــدُّنيا وَتِهْـــتَ بِـــهِ … وَمَـــا بِهـــا لِلَبِيـــبٍ تُرْفَـــعُ العُـــرُشُ
وَبِـــتَّ [فيهـــا](٢) عَـــلى فُـــرُشٍ مُلَيَّنَـــةٍ … وَلَـــو عَقِلْـــتَ لَمَـــا لَانَـــتْ لَـــكَ الفُـــرُشُ
وَظَلْـــتَ تَسْـــعَى لأَمْـــوَالٍ(٣) وتَفْرِشُـــها … وللمواريـــثِ مَـــا تَسْـــعَى وتَفْـــتَرِشُ
كَـــم كَـــانَ قَبلَـــكَ مِـــنْ مَأسُـــورِ رَغْبَتِـــهِ … بِـــالحرصِ تَلْـــدَغُ جَنْبَيْـــه وتَنْـــتَهِشُ
يُمْسِـــي وَيُصْـــبِحُ فِي حِـــلٍّ وفي ظَعَـــنٍ … يَضُـــمُّ هَـــذا إلى هَـــذا ويَحْتَـــوِشُ
عَطْشَـــانَ للـــمالِ مَحْـــمَاهُ جَوَانِحـــه(٤) … أَلقَـــى عَـــلَى صَـــدرِهِ لِسَـــانَهُ العَطَـــشُ
حتَّـــى إذا قِيـــلَ قَـــد تَمَّـــتْ مَطَالِبُـــهُ … وَطَـــافَ مِـــنْ حَولِـــهِ أَهلُـــوهُ واحْتَوَشُـــوا(٥)
مُـــدَّتْ إليـــهِ يَـــدٌ للمـــوتِ بَاطِشَـــةٌ … خَشْـــنَاءُ لا دَهـــشَ فيهـــا(٦) ولا رَعَـــشُ(٧)
فَأَقْعَسَـــتْهُ(٨)(٩) وقِـــدْماً كَـــان ذا حَيْـــدٍ(١٠) … وأَجْهَشَـــتْهُ(١١) ولَمَّـــا يَـــدْرِ مَـــا الجَهَـــشُ
فَبَـــاتَ مُسْـــتَلَباً وبَـــاتَ وَارِثُـــه … وقَـــد تَغَطَّـــوا بِـــذَاكَ المَـــالِ وافْتَرَشُـــوا
أَمَـــا سَـــمِعْتَ بِـــأَملاكٍ مَضَـــوا قِـــدَماً … شُـــمّ الأنـــوفِ(١٢) بِـــرَوضِ المُلْـــكِ قـــد عُرِشُـــوا
إنْ دُوفِعُـــوا دَفَعُـــوا أو زُوْحِمُـــوا زَحَمُـــوا … أو غُولِبُـــوا غَلَبُـــوا أو بُوطِشُـــوا بَطَشُـــوا

---

(١) من هنا إلى قوله في (ص:١٣٤): (واعلم أن طول الأمل حجاب على قلبك) ساقط من (ش)، وأيضا من هنا إلى قوله في (ص:١٣٣): (فانظُر رحمك الله تعالى: أيُّ الرجلين تريد أن تكون؟) ساقط من (م).

(٢) زيادة من (ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) في (ي): (لآمال).

(٤) الجَوانح: أَوائل الضُّلُوع تَحت التَّرَائِب مما يلي الصدر، سُميَت بذلك لجنوحها على القلب.انظر: لسان العرب (٢/٤٢٩).

(٥) احْتَوَشوا: أي تفرَّقوا عنه وانصرفوا. انظر: تاج العروس (١٧/١٦٦).

(٦) لا دَهَش فيها: لا تَحيّر فيها. لسان العرب (٦/٣٠٣).

(٧) لا رعش فيها: أي لا ترتعد ولا ترتجف. انظر: القاموس المحيط (ص:٥٩٥).

(٨) في (ي): (فأقصعته).

(٩) فأقعسته: أي أخَّرته وأرجعته إلى خَلْفٍ. انظر: لسان العرب (٦/١٧٧).

(١٠) الحَيد: الميل، حاد عَن الشَّيء إذا صدَّ عنه خوفا وأَنفة. انظر: القاموس المحيط (ص:٢٧٩)، ولسان العرب (٣/١٥٩).

(١١) أَجْهَشته: دفعته إلى البكاء وهيأَته له. انظر: تاج العروس (١٧/١١٦).

(١٢) شُمُّ الأُنوف: مما يُمدَح به القوم، وهو كناية عن الرِّفعة والعُلو وشرف الأَنفس. انظر: المصدر السابق (١٢/٣٢٧).

[٣٧/ب] جَـــاءَتْهُمُ وَجُنُـــود اللهِ غالبـــةٌ كَتَائِــبُ للمنايَــا كلُّهــا حَـــبَشُ[١]

فَضَعْضَــعَتْ جَنبَــاتِ عِــزِّهِمْ ورَمَــتْ مَنَــارَهُم بِمَنَــارٍ[٢] مَــا بِــهِ[٣] غَــبَشُ[٤]

لَطَالَمَــا أَكَلــوا وطَالمــا شَــرِبُوا وطَالَمَــا رَفَعُــوا الأخيَــامَ واعْتَرَشُــوا

مَــرّوا فــلا أَثَــرٌ مــنهمْ بــدَارِهِمُ ولا حَسـيسٌ[٥] ولا رِكْــزٌ[٦] ولا وَقَــشُ[٧]

قــد كــان للقـــوم آمــالٌ مُبَسَّــطَةٌ فأصــبحوا قَبَضــوا الآمــالَ وانكمشُــوا

ويُروى[٨] أنَّ المهدي أمير المؤمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ نام ليلة، ونساؤه حوله، فانْتَبَهْنَ لبُكائه، فقلن له: «ما شأنك يا أمير المؤمنين؟» فقال: «ما رَأيتُنَّ الشيخَ؟» قلن: «لا والله، ما رأينا أحدا»، فقال: «دَخَلَ عَلَيَّ شيخٌ وأنا بين النائم واليَقظان، والله لو كان بين ألف رجلٍ لَعَرَفْتُهُ، فأنشدني:

كــأَنِّي بِهــذا القَصْــرِ قــد بَــادَ أَهْلُــهُ وَأَوْحَــشَ مِنْــهُ رُكْنُــهُ وَمَنَازِلُــهْ

وصَــارَ عَميــدَ القَصْــرِ مِــنْ بَعــدِ بَهجَــةٍ ومُلْــكٍ إلى قَــبرٍ عَلَيــهِ جَنَادِلُــهْ

ولَمْ يَبْــقَ إلا ذِكْــرُهُ وحَدِيثُــهُ يُنَـادِي بِوَيــلٍ مُعْــوِلَاتٍ[٩] حَلائِلُــهْ[١٠]»

فقلن له: «أضغاثُ أحلام، خيراً رأيتَ»، فو الله ما أَتَتْ عليه سابعة حتى مات[١١].

واعلم أنَّ الناس في قِصَر الأمل [٣٨/أ] وطولِه مختلفون، وفي درجاته متفاوتون؛ فمنهم مَنْ

---

(١) الحَبَش: يُطلقُ على السواد والمراد الجماعة لأنهم إذا تجمَّعوا اسْودُّوا. انظر: تاج العروس (١٧/١٢٠).

(٢) في (ي): (بظلام).

(٣) في (ي): (له).

(٤) ما به غَبَش: ليس فيه غشّ ولا خداع. انظر: القاموس المحيط (ص:٥٩٩)، ولسان العرب (٦/٣٢٢).

(٥) الحَسِيس: الصوت الخَفِيّ. تاج العروس (١٥/٥٣٦).

(٦) الرِّكْز: الصوت الخفيّ، وقيل: هو الصوت ليس بالشديد. انظر: المصدر السابق (١٥/١٥٩).

(٧) الوَقْش: الصوت والحركة. لسان العرب (٦/٣٧٢).

(٨) هذا الأثر ساقط من (ي).

(٩) معولات: أي رافعات لأصواتهن بالبكاء، مأخوذ من العويل. انظر: المصدر السابق (١١/٤٨٢).

(١٠) الحَلائِل: جمع حَلِيلة: وهي الزوجة. انظر: القاموس المحيط (ص:٩٨٦).

(١١) أخرج هذه القصة الطبري في تاريخ الرسل والملوك (٨/١٧٠)، وابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٨/٣١٥).

يُؤَمِّل أنْ يعيش أقصى ما يَعيشه إنسانٌ ممن شَاهد أو سَمِعَ به في زمانه، ولو كان الاختيار إليه لما مات أبدا! حُبًّا مِنه للدُّنيا، وكَلَفاً بها، وتَلَذُّذاً بالبقاء فيها، وهَيهات! ليس للإنسان ما تَمَنَّى، ولا أنْ يُدرك كلَّ ما فيه تَعَنَّى، وغاية هذا أنْ يتمنَّى طول العُمُر، ويَوَدُّ أنْ لو بَقِيَ الأحقابَ الكثيرةَ مِن الدَّهر، قال الله تعالى في قومٍ كانوا كذلك: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1]، ويُمكِن أنْ يكون هؤلاء تَمَنَّوا[2] طول البقاء لأنَّهم كانوا لم يَتَحَقَّق لهم في الآخرة رَجاءً لكُفْرِهم بمحمد ﷺ، وتكذيبهم له مع صحة نبوته ﷺ عندهم، لكن حَمَلَهم بَغْيُهم وحسدهم له على الكُفر به، والإنكار لدعوته، أو[3] كانوا يقولون إنَّهم يدخلون النَّار ثُمَّ يَخرجون منها، فيَتَمَنَّونَ لذلك طول العُمُر، وهذه الآية نَزَلَت في اليهود[4]، ومنهم من يُؤَمِّل أنْ يعيش ستين سنة، وسبعين سنة، وأكثر من ذلك، ومنهم من يُؤَمِّل أنْ يعيش دون ذلك ودون ذلك، حتَّى إنَّ منهم من لا يُجاوِزُ أملُه يومَه، وربَّما كان [٣٨/ب] أملُه أقصرَ من ذلك، بل منهم من يكون الموت نَصْبَ عَينيه، يَتَوَقعه مع الأنفاس أنْ يَثِبَ عليه.

يُذكر عن الأسود الحبشي[5] رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يَلتفتُ يمينا وشمالا، فقيل له: ما هذا الالتفات؟ قال: «أَنظُرُ مَلَكَ الموت مَتَى يأتيني!»[6]، وأنشد[7] بعضهم من كلمة:

والـبَسْ لهـذا المـوتِ جُبَّـةَ خَـائِفٍ ... قَـد ضَـاقَ عَنـهُ مَسْـلَكٌ ومُقَـامُ

لا تَـأمَنَنَّ عليـكَ مِـنْ إقدَامِـهِ ... فَلَـهُ عَـلى هـذا الـوَرَى إقـدَامُ

واكْحـل جُفُونَـكَ بالرِّقَـاد لأجلِـهِ ... فالسُّـهدُ[8] حِـلٌّ والمنـامُ حَـرامُ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٩٦.

(٢) في (ي): (يتمنون).

(٣) في (ي): (وكانوا).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢/٢٧٥)، وتفسير البغوي (١/١٢٣).

(٥) لم أهتد لتعيين المقصود به لكثرة من سُمي ووصف بذلك.

(٦) إحياء علوم الدين (ص:١٨٣٦)، وهذ الفعل لا وجه له ولا دليل يسنده ولم يؤثر عن النبي ﷺ ولا أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

(٧) هذه الأبيات ساقطة من (ي).

(٨) السُّهْد: نَقيض الرُّقاد. لسان العرب (٣/٢٢٤).

إلا غِـــــراراً كالغَــــــداءِ تنالُـــــــهُ   لــولا الضَّــرورةُ مَــا وجــدتَّ تَنــامُ

ومِـــــن العَجَائِـــــبِ أنْ تَــــراهُ نــــائماً   مَـــــنْ طَـــالِبُوه سَـــــاهرونَ قِيَـــــامُ

وكان بعض الصالحين يقول: «ما أَحْسَبُني إلا رجلا قد أُقْعِدَ[1] وجُرِّدَ السَّيفُ عليه، ومُدَّتْ عُنُقُه فهو ينتظِر أنْ يُضْرب فَيُلْقَى برأسه[2] بين يديه!»[3].

فَشَتَّان مَا بين الرجلين:

رجلٌ قد مُدَّ في عُمُره، وطَوَّل في أملِه، فازداد في كسله، ودَخَل الوَهْنُ[4] في عمله.

وآخرُ[5] جَعَلَ التقوى بضاعته، والعبادة صِناعته، ولم يَتَجَاوز بأَمَلِه [٣٩/أ] ساعته، بل جَعَل الموت نَصْبَ عينيه، ومثالا قائما بين يديه، وسَيفا مُصْلَتاً عليه، فهو مُرْتَقِبٌ له، مُستعد لنزوله، لا يَشْغَله عن ارتقابه شاغل، ولا يَصْرِفُه عن الاستعداد له صارف، قد مَلأ قلبه وَجَلا، وعُمُرَهُ عملا، وعَدَّ يوما واحدا يَعِيشُه بَقاءً ومَهلاً، وغَنيمة تملأ نفسه سرورا وجَذَلا[6]، لازدياده فيه من الخير، وادِّخَاره فيه من الأجر، واكتسابه عند الله ﷻ من جميل الذكر، ومِثْلُ هذا قد رَفَعَ التوفيقُ عليه لواءَه، وألبسَه رداءه، وأعطاه جمالَه وبهاءه.

فانظُر رحمك الله تعالى: أيُّ الرجلين تريد أن تكون؟ وأيُّ العملين تريد أن تعمل؟ وأيُّ[7] الزَّادين تريد أن تَشْمَل[8]؟ وبأيِّهما تريد أن تَتَزَيَّن وتَتَجَمَّل؟ فلَسْتَ تَلْبَسُ هناك إلا ما لَبِسْتَه هنا، ولا تُحشر هناك إلا فيما كنتَ فيه هنا، إنْ صَلاحٌ فصلاح، وإنْ فجورٌ ففجور.

---

(١) في (ي) زيادة (ليُقتل).

(٢) في (ي): (فتلقى رأسه).

(٣) لم أقف على القائل.

(٤) الوَهْن: الضَّعف. انظر: تاج العروس (٣٦/٢٦٧).

(٥) في (ي): (ورجل قد).

(٦) جَذَلا: فرحا. انظر: لسان العرب (١١/١٠٧).

(٧) في (ش) و(ي): (بأي).

(٨) في (ش): (المرادين تريد تستمر).

ولعلَّ هذا [هو][1] تأويل [الخبر][2] المروي عن رسول الله[3] ﷺ [أنه قال][4]: «**يُبعَثُ الميتُ**[5] **في ثيابِه التي مات فيها**»[6][7]، لأنَّه [قد][8] صَحَّ أنَّ الناس يُبعثون حُفَاةً عُرَاةً[9]، وهذا الخبر [٣٩/ب] ذكره أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ[10] [في السنن][11]، وأنشدوا[12]:

قــد طَـوَاكَ الزَّمـانُ شـيئاً فشـيئا ... ويُرِيـكَ الخُطُـوبَ جُـزْءاً فجُـزْءا
وَرَمَـتْ مِنـك حَادِثـاتُ الليـالي ... حَبَّـةَ القَلْـبِ فَـادْنُ بَعْـدُ أَو انْـأَى
كـانَ مـا كـانَ وَانْقَضَـتْ مُـدَّةُ الـ ... ـعُمُرِ وَوَلَّى الشـبابُ خَـبَرَاً ومَـرْأَى
وقَـدِيماً قـد أَعْلَمَتْـكَ الليـالي ... أنَّ أدوَاءَهـا تَفُوتُـكَ بُـرْءَا

---

(١) زيادة من (ش) غير موجودة في الأصل (ت).

(٢) زيادة من (ش) و(ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) في (ش) و(ي): (النبي).

(٤) زيادة من (ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) في (ي): (المرء).

(٦) أخرجه أبو داود [كتاب الجنائز، باب ما يستحب من تطهير ثياب الميت عند الموت] (ص:٥٦١) ح(٣١١٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٤/٤) ح(١٦٧١).

(٧) يحتمل أن يكون المراد في أعماله الَّتي عليها من خير أو شر، ويحتمل أن يُبعث في ثيابه الَّتي يموتُ فيها ثم تَتَنَاثَر عنه أو عن بعضهم ثم يُحشرُ عاريا ثم يُكسَى بعدَ ذلك من ثياب الجنَّة. انظر: شعب الإيمان (٥٤٩/١)، والاستذكار (٩٨/٥).

(٨) زيادة من (ش) و(ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(٩) أخرج البخاري [كتاب الرقاق، باب: كيف الحشر] (ص:١٦٢٢) ح(٦٥٢٧) ومسلم [كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدُّنيا وبيان الحشر يوم القيامة] (١٣٠٩/٢) ح(٢٨٥٩) واللفظ لمسلم عن عَائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحشَرُ النَّاس يوم القيامة حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» قلت: يا رسول الله النِّساء والرّجال جميعًا ينظُرُ بعضهم إِلى بعض، قال ﷺ: «يا عائشة الأمر أشدُّ من أَنْ يَنظُرَ بعضُهُم إلى بَعض»، والغُرْل: القُلْف الذين لم يُختنوا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٦٦٩).

(١٠) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير أبو داود الأزدي السجستاني، صاحب السنن، أثنى عليه الأئمة وقدَّموه، ولد سنة ٢٠٢هـ، وسمع من ابن معين، وأحمد بن حنبل، وخلق آخرون، وروى عنه ابنه عبد الله، والنسائي، وآخرون، مات سنة ٢٧٥هـ. انظر: تاريخ بغداد (٧٥/١٠)، وتاريخ دمشق (١٩١/٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٠٣/١٣).

(١١) زيادة من (ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(١٢) هذه الأبيات ساقطة من (ش) و(ي).

فَـــأَدْرِكْ منهـــا فائتـــاً بِمَتَـــابِ بَــل بـــإيمانٍ انْشِـــىء اليـــومَ نَشْـــئَا
واتَّخِـــذْ للهُيَـــام[1] وَيحَـــكَ رَيَّـــا وَاتَّخِـــذْ للسُّـــهُومِ وَيلَـــكَ فَيْئَـــا
وإذا مَـــا خَرَقْـــتَ بالـــدِّينِ خَرْقَـــا فَارْفِيـــهِ[2] بالإنابَـــةِ رَفْئَـــا
وإذا مَـــا وَرَدْتَ مَـــورِدَ دُنيـــا فَلْـــيَكُن مَـــا وَرَدْتَ مِـــنْ ذَاكَ ظَمئَـــا
وَلْتَـــدَعْهَا تَحَـــيُّلاً وأمَـــانِيْ أَلْبَســـتَ قَلْبَـــكَ الـــمُغَفل صـــدءَا
وإذا مَـــا الحِـــمامُ[3] جَـــاءَك يومـــا لم تَجِـــدْ مِـــنْ جَميـــعِ ذَلـــكَ شَـــيئا

واعلم أنَّ طول الأمل حِجابٌ على قلبك يَمنعك من رؤية الموت ومُشاهدته، وَوَقرٌ[4] في أُذُنِكَ يَمنعك من سماع وَجْبَتِهِ[5] وَدَوِيِّ وَقْعَتِه، وبِقَدْر ما يُرْفَعُ لك من الحجاب تَرى، وبِقَدْرِ ما يُخَفَّفُ عن أُذُنِكَ من الوَقْرِ تَسمع، فانظر [٤٠/أ] رحمك الله نَظَرَ مَن رَفَعَ الحجاب[6] وفتَحَ بابه، واسْتَمِعْ سَماع من أُزِيلَ وَقْرُه، وخُوطِبَ سِرُّه، وبَادِرْ قبل أنْ يُبَادَرَ بك ويُنْزَلَ عليك، ويُنَفَّذَ حُكْمُ الله ﷻ فيك، فتُطْوَى صحيفة عملك، ويُخْتَم على ما في يديك، ويُقال لك: اجْنِ ما غَرَسْت، واحْصِدْ ما زَرَعْت، وأقرأ كتابك الذي كَتَبْت، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا، وبربِّك تبارك وتعالى شهيدا ورقيبا.

قال[7] مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ[8]: «رأيتُ بالبادية[9] في يومٍ شديد البرد شَابا عليه ثَوبان

---

(١) الهُيام: العطش. انظر: القاموس المحيط (ص:١١٧٢).

(٢) الرَّفْأ: الإصلاح؛ يقال: رفَأَ الثوب: أي لأَم خَرْقَه، وضمَّ بعضه إلى بعض. انظر: لسان العرب (٨٧/١).

(٣) الحِمام: الموت. انظر: تاج العروس (٥/٣٢).

(٤) الوَقْر: ثِقَل في الأذن، وقيل: هو أَن يذهب السَّمع كلّه. انظر: لسان العرب (٢٨٩/٥).

(٥) الوَجْبة: صوت السّقوط. انظر: تاج العروس (٣٣٥/٤).

(٦) في (م) و(ي): (حجابه).

(٧) في (ش): (ويروى أن مالك بن دينار قال).

(٨) مالك بن دينار، أبو يحيى البصري الزاهد، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، وُلِد في أيام ابن عبّاس، وسمع من أنس بن مالك فمن بعده، وعدَّة، وحَدَّث عنه ابن أبي عَرُوبَة، وابن شَوْذَب، وطائفة، وليس هو من أساطين الرِّواية، توفي سنة ١٢٧هـ، وقيل: ١٣٠هـ. انظر: تاريخ دمشق (٣٩٣/٥٦)، وسير أعلام النبلاء (٣٦٢/٥).

(٩) في (ي): (في البادية).

خَلِقَان[1][2]، وعليه آثار الدُعاء، وأنوار الإجابة، فَعَرَفْتُه، وكنتُ [قبل ذلك][3] عَهِدْتُه في البصرة ذا ثروة وحُسْنِ حَال، كان ذا مال وآمال، قال: فَبَكَيْتُ لما رأيتُهُ على تِلكَ الحال، فلما رآني بَكَى، وبَدَأَني بالسلام، وقال لي: يا مالك بن دينار، ما تقول في عبدٍ أَبَقَ[4] من مولاه؟

فَبَكَيتُ[5] من قوله[6] بُكاء شديدا، فقلتُ له: وهل يستطيع المسكين؟! ذلك البلادُ بلادُه، والعبادُ عبادُه، فأينَ يَهرب المسكين؟ فقال: يا مالك، سَمِعْتُ قارئا يقرأ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[7] [٤٠/ب] فأحْسَسْتُ في الحال بِنَارٍ وَقَعَتْ بين ضلوعي، فلا تَخْمَد ولا تهدأ من ذلك اليوم، يا مالك! أتُرَاني أُرْحَمُ وتُطفَأُ هذه الجمرةُ[8] من قلبي؟ فقلتُ له: [يا هذا][9] أَحسِن الظَنَّ بمولاك فإنه غفور رحيم، ثُمَّ قلتُ له: إلى أين [تريد][10]؟ قال: إلى مَكَّةَ شرفها الله تعالى، لَعَلِّي أنْ أكونَ ممن إذا التجأ إلى الحَرَم اسْتَحَقَّ مُرَاعَاة الذِّمَم، قال مالك: فَفَارَقَني ومَضَى، فَتَعَجَّبْتُ[11] من وقوع الموعظة منه مَوقعها، ومَا تَأَجَّجَ بين جَنْبَيه من نَار التَّيَقُّظ[12] والإنابة، وما حَصَلَ [عليه][13] من صدق القَبُول، وحُسْنِ الاستماع»[14].

---

(١) في (ش): (نظيفان).

(٢) الخَلِق: البَالِي القديم. انظر: القاموس المحيط (ص:٨٨١).

(٣) زيادة من (ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) الإِباق: هرَب العبد من سيّده. لسان العرب (٣/١٠).

(٥) في (م): (قال مالك: فبكيت)، وفي (ي): (قال: فبكيت).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (لقوله).

(٧) سورة: الحاقة، الآية: ١٨.

(٨) في (م): (النار).

(٩) زيادة من (ش) غير موجودة في الأصل (ت).

(١٠) زيادة من (ش) غير موجودة في الأصل (ت).

(١١) في (ش) و(م): (فعجبت).

(١٢) في (ش): (اليقظة).

(١٣) زيادة من (م) و(ي) غير موجودة في الأصل (ت)، وفي (ش): (له).

(١٤) لم أجد هذا الأثر عند غير المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

واعلم أنَّ الأمل يُكسِّلُ عن العمل، ويورِثُ التراخي والتواني، ويُعْقِبُ التشاغل والتقاعُس(١)، ويُخلِد(٢) إلى الأرض، ويُمَيِّلُ(٣) إلى الهوى، وهذا أمر قد شوهد بالعِيَان، فلا يحتاج إلى بيان، ولا يُطلَبُ صاحبه ببرهان، كما أنَّ قِصَرَهُ يَبعث على(٤) العمل، ويحمل على المبادرة، ويحثُّ على المسابقة، وسأضربُ(٥) لك في ذلك مثلا:

مَثَلُ مَلِكٍ من الملوك كَتَبَ إلى رجل يقول له: افعلْ كذا وكذا، وانْظُر في كذا وكذا، وأَصْلِح كذا وكذا، وانْتَظِرْ(٦) رسولي فلانا فإني سأبعثه [٤١/أ] إليك لِيَأتِيَني بك، وإيَّاك ثمَّ إيَّاك أن يَأتِيَكَ إلا وقد فَرَغْتَ من أشغالك، وتَخَلَّصْتَ من أعمالك، ونَظَرْتَ في زادك، وأَخَذْتَ ما تحتاج إليه في سفرك، وإلا أَحْلَلْتُ بك عقابي، وأَنْزَلْتَ عليكَ سَخَطي، وأَمَرْتُهُ أن يأتيني بك مَغْلُولَةً يداك، مُقَيَّدَةً رِجلاك، مُشَمَّتاً بِكَ عِداك، مَسْحُوباً على وجهك إلى دار خِزْيي وهواني، وما أَعْدَدْتُه لمن عصاني، وإنْ هو وَجَدَك قد فَرَغْتَ من أعمالك، وقَضَيْتَ جميع أشغالك، أُتِيَ بك مُكرَّماً مُرَفَّعاً مُرَفَّهاً(٧) إلى دار رِضْوَاني(٨) وكرامتي، وما أَعْدَدْتُه لمن امْتَثَل أمري، وعَمِلَ بطاعتي، واحْذَرْ أنْ يخدعك فلان أو فلانة عن امتثال أمري، والاشتغال بعملي، وكَتَبَ إلى رجلٍ آخر بمثل ذلك [الكتاب](٩).

فأمَّا الرجل الأول؛ فقال: هذا كتاب المَلِك جاء(١٠) يَأمرني فيه بكذا وكذا، وذَكَر لي أنَّ

---

(١) في (ش): (والتعاني).

(٢) في (ش): (وتخلد).

(٣) في (ش): (وتمتد).

(٤) في (م): (إلى).

(٥) من هنا إلى قوله (روي عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال لرجل) (ص:١٤٤)، ساقط من (م).

(٦) في (ي): (وانظر).

(٧) في (ي): (مرفقا).

(٨) في (ش): (رضاي).

(٩) زيادة من (ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(١٠) في (ش): (جاءني).

رسوله يأتيني لِيَحْمِلَني إليه، وأنا لا أمضي إليه حتى يَأْتِيَني رسوله، ولعلَّ رسوله لا يَأتيَني [إلا][1] إلى خمسين سنة أو أكثر، فأنا على مُهْلة، وسأنظر فيما أَمَرَني به، ولم يَقَع الكتاب منه ذلك[2] المَوقِع، ولم يُنْزِلْهُ من نفسه بتلك المَنْزِلة [وقال لقد أتى كتابه][3] [٤١/ب] إلى خَلْقٍ كثير بمثل ما أتاني، ولم يَأْتِهم رسوله إلا بعد السِّنين الكثيرة، والمُدَد الطويلة، [وأنا واحدٌ منهم، ولعلَّ رسوله يتأَخَّر عنِّي كما تأَخَّر عنهم][4]، وجعل الغالب على ظَنِّه أنَّ الرسول[5] لا يأتيه إلا إلى خمسين سنة كما ظَنَّ أو أكثر، أو إلى المُدَّة التي جَعَلَ لنفسه بِزَعْمِه، ثم أَقْبَلَ على إشغال نفسه مما لا يَحتاج إليه، ومما[6] كان غَنيا عنه، وتَرَكَ أوامر المَلِك والشُّغْل الذي كَلَّفَه النَّظَرَ فيه والاشتغال به، فكُلما دَخَلَتْ [عليه][7] سنةٌ قال: أنا مشغول في هذه السَّنة، وسأنظر في السَّنة المقبلة، والمسافة أمامي طويلة، والمَهْل بعيد، وهكذا كلما دَخَلَتْ سنة قال: أنا مشغول في هذه السَّنة[8]، وسأنظر في الأُخرى أو سأنظر في نصف السَّنة أو في الشهر الثاني منها أو سأنظر غدا، فبينما هو على ذلك من تَسْوِيفِه واغتراره[9]، إذ جاءه رسول المَلِك، فكَسَرَ بابه، وهَتَكَ حجابه، وحصل معه في قَعْرِ بيته، وقال له: أَجِبْ المَلِك، فقال الرجل: والله لقد جاءني كتابه يَأمرني فيه بأعمال أَعْمَلُها، وأشغال أنْظُر له فيها، وما[10] قَضَيْتُ منها شُغْلا،

---

(١) زيادة من (ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(٢) في (ش) و(ي): (بذلك).

(٣) ما بين المعكوفتين غير واضح في الأصل (ت)، ومثبت من (ش) و(ي).

(٤) زيادة من (ش) و(ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) في (ش): (رسوله).

(٦) في (ش): (وفيما).

(٧) زيادة من (ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) في (ش): (أنا في هذه السنة مشغول)، وفي (ي): (أنا في هذه مشغول).

(٩) في (ش): (وتوانيه).

(١٠) في (ش): (ولا).

وما(١) عَمِلْتُ منها حتى الآن شيئا! فقال له الرسول: وَيْلَك! وما الذي أَبطأَ بك(٢) عنها؟ وما الذي حَبَسَكَ عن الاشتغال بها، والنظر [٤٢/أ] فيها، [وما قَضَيْتَ منها شُغْلا، ولا عَمِلْتَ منها حتى الآن شيئا؟!](٣)، فقال: لم أكن أَظُنُّ أنك تَأتيني في هذا الوقت! فقال له: وَيْلَك! ومن أين(٤) لك هذا الظنُّ؟ ومَنْ أَخبرك به ومَنْ أَعْلَمَكَ بأَنِّي لا آتِيك إلا في الوقت الذي تَظُنُّ؟ قال: ظَنَنْتُ وطَمِعْتُ وسَوَّلَتْ لي نفسي ومَنَّتْنِي، وخَدَعَني الشَّيطان وَغَرَّني! فقال له: أَلَمْ يُحَذِّرْكَ المَلِك في كتابه منها، وأَمَرَك ألا تَسْمَعْ لها(٥)؟ قال: بلى والله لقد فَعَل، ولقد جاءني هذا في كتابه، ولكنَّني(٦) خُدِعْتُ فَانْخَدَعْتُ، وفُتِنْتُ فَافْتَتَنْتُ، وارْتَبْتُ في وقت مَجيئك فَتَرَبَّصْتُ، فقال له: وَيْلَك! غَرَّكَ الغَرُور، وخَدَعَك المُخَادع، أَجِبْ المَلِكَ لا أُمَّ لك، [ولا أب لك](٧)! قال: نَشَدْتُكَ(٨) بِحقِّ المَلِك إلا مَا تَرَكْتَني حتَّى أَنظر فيما أَمَرْتَني به(٩) أو في بعضه أو فيما تيسَّر منه حتى لا أُقْدِم عليه في جملة المُفَرِّطين، وعِصَابة المُقَصِّرين، وهذا مَالٌ قد كنتُ جمعتُه لنفسي، وأَعْدَدْتُه لمؤنة زماني، فاتْرُكني(١٠) حتَّى آخُذَ منه زاداً أَتَزَوَّده، ودابة أَرْكبها؛ فإنَّ الطريق شاقَّة(١١)، والمفازَة صعبة، والعَقَبة كَؤُود(١٢)، والمنزِل ليس فيه ماء.

قال: أَتْرُكُك حتى أكون عاصيا مِثْلَك؟! ثم دَفَعَهُ دَفْعةً ألقاه على وجهه ثمَّ جَمَعَ يَدَيه إلى

(١) في (ش): (ولا).

(٢) في (ش): (بطأ بك)، وفي (ي): (أبطأك).

(٣) زيادة من (ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) في (ي): (ومن أين كان).

(٥) في (ش): (منهما).

(٦) في (ش) و(ي): (ولكني).

(٧) زيادة من (ش) غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) في (ي): (أنشدك).

(٩) في (ش): (حتى أنظر في أمري).

(١٠) في (ش): (فلو تركتني).

(١١) في (ش): (شاق).

(١٢) عقَبَة كَؤُود: شاقَّة المصعد صَعبة المرتقى. لسان العرب (٣/٣٧٤).

عُنُقه، [٤٢/ب] وانطَلَق به يَجُرُّه مِنْ خَلْفِه خَزْيَانَ نَدْمَانَ جَوْعَانَ عَطشان، وهو ينشد بلسان الحال [والاعتراف][١]:

لا تَحُـــزْني إذا لَقِيــتُ حَزينــا ... جَــلَّ خَطبِــي فَــدَيتكم أنْ يَهونــا
ضَــاقَ صَــدري عــن بعضِــهِ واحــتمالِي ... فاسْــلُكُوا بِي حيــثُ ألقــى الــمنُونا
مَـــا تُريـــدُ العِـــدَاةُ مِنِّـــي وإنِّي ... لَبِحَـــالٍ يَـــرِقُّ لي الـــمُبغِضُونا
زَفَــرَاتٌ هَــتَكْنَ خلــبَ فُــؤادي ... وهمــومٌ قَطَعْــنَ مِنِّــي الوَتِينَــا[٢]
خُنْــتُ عَهــدَ المليــكِ قــولاً وفعــلا ... واتَّخَــذْتُ الخــلافَ شَرْعــاً ودِينــا
غَرَسَـــتْ في الحيـــاةِ كَفِّـــيَ شرّا ... فاجْتَنَيْـــتُ العِقَـــابَ مِنْـــهُ فُنُونَـــا
لَيتَنِـــي لم أَكُـــنْ وَأَيـــنَ لمـــثلي ... ظالمـــاً[٣] نفسَـــهُ بـــأنْ[٤] لا يَكونَـــا
يـــا خَلِـــيلِيْ وَلَا خَليـــلَ لِيَ اليـــومَ ... سِـــوَى حســـرةٍ تُـــدِيمُ الأَنينَـــا
رَبِـــحَ الرابحـــون وَانقَضَـــتْ السُّـــوقُ ... وَخَلَّـــوا بِغَبْنِـــه الـــمَغْبَونا[٥]
فـــابكِنِي إنْ يَكـــنْ بُكَـــاكَ مُفِيـــدا ... أَو[٦] فَـــدَعني وَعُصْـــبَةً يَبكُونَـــا

وأما الآخر الذي كَتَبَ إليه المَلِك بمثل ما كَتَبَ به إلى هذا، فإنَّه أَخَذَ كتاب المَلِك وَقَبلَه وقرأه وتصفَّحَه وتدبَّرَه وقال: أَرَى المَلِكَ قد كَتَبَ إليَّ بأنْ أعمل له كذا، وأقضي له كذا[٧]، [٤٣/أ] وأنظر له في كذا وكذا، ومِنْ أينَ سَبَقَتْ لي هذه السَّابِقة عند المَلِك؟ ومَن الذي[٨] عَنِيَ بي عنده؟

---

(١) زيادة من (ش) غير موجودة في الأصل (ت).

(٢) الوَتِين: عِرْق في القلب إذا انقطع مات صاحبه. المصدر السابق (٤٤١/١٣).

(٣) في (ش): (ظالم).

(٤) في (ش): (كان).

(٥) المغبون: المخدوع. انظر: القاموس المحيط (ص:١٢١٩).

(٦) في (ش): (وإلا).

(٧) في (ي): (أعمل له كذا وكذا، وأقضي له كذا وكذا).

(٨) في (ش): (ذا الذي).

ومَن الذي[1] أنزلني منه بهذه المنزلة حتَّى جَعَلَني من خُدَّامه، والقائمين بأمره، والناظرين في أعماله؟ واللهِ إنَّ هذه لسعادة، والله إنَّ هذه لَعِنَاية، الحمد لله ربِّ العالمين! ثُمَّ نَظَرَ في الكتاب، وقال[2]: أَسْمَعُ المَلِكَ قد قال في كتابه: «وانتظِرْ رسولي فإنِّي سأَبعَثُه إليك لِيَأْتِيَني بك»، وأراه لم يُحِدَّ لي الوقت الذي يَبْعَثُ فيه الرسول إليَّ، ولا سَمَّاه لي، ولَعَلِّي لا أَفْرُغُ مِن قراءة كتابه إلا ورسوله قد أتاني ونَزَلَ عليَّ! واللهِ لا قَدَّمْتُ شُغْلا على شُغْل المَلِك، ولا نَظَرْتُ في شيء إلا بعد فراغي مما أمرني به المَلِك، وأُعِدُّ زَاداً أَتَزَوَّدُه، ومَركوبا أَرْكَبُه إذا جاءني رسوله وحَمَلَني إليه.

فَتَعَرَّضَ له[3] رجلٌ وقال له: لِمَ هذه المسارعة كلها؟ وفِيمَ هذه المبادرة كلها؟ فقال له: وَيحَكَ! أمَا تَرَى كتاب المَلِك بما جاءني؟! أمَا تسمع ما فيه؟! أمَا تُصَدِّقُه؟! أما تُؤمن به؟! قال: بَلى، سَمِعْتُ وآمَنْتُ وَصَدَّقْتُ، ولكنْ لم يقل لك فيه إنَّ رسوله يأتيك اليوم، ولا غدا، ولا وقتا معلوما، ولكنَّه سيأتيك، [٤٣/ب] وقد جاء كتابه إلى فلان[4] بهذا الذي قد جاءك أنت به[5]، وقد بَقِيَ مُنتظرا لرسوله أكثر من سبعين سنة، وفلان ما أتاه إلا بعد زمان طويل ما جاءه[6]، وفلان أتاه بعد ثمانين سنة، وفلان أتاه بعد مائة سنة وأكثر، وفلان كادَ أن لا يأتيه، وأنتَ واحد من المَرْسُول[7] إليهم، فَلِمَ هذه العَجَلَة؟ وفِيمَ هذا الإسراع؟

فقال له: وَيحَكَ أنت، أمَا[8] تَرَى [أنت][9] فلانا قد جاءه كتاب المَلِك بهذا الذي جاءني

(١) في (ش): (ذا الذي).

(٢) في (ي): (فقال).

(٣) في (ش): (إليه).

(٤) في (ي): (فلان وفلان).

(٥) في (ش): (جاء إليك به).

(٦) في (ش) و(ي): (وإلى الآن ما أتاه، وبعد زمان طويل ما جاءه).

(٧) في (ش): (المرسل).

(٨) في (ي): (أوما).

(٩) زيادة من (ش) و(ي) غير موجودة في الأصل (ت).

[به][1]، وجاءه الرسول [على][2] إِثْرَ مجيء الكتاب، وفلان كذا[3]، وفلان جاءه بعد سنة، وفلان كذا؟ فقال له: بَلَى، ولكنْ لا تَنْظُر إلى هؤلاء خاصة، وانْظُر إلى الذين قلتُ لك ممن تأخر عنه مجيء الرسول، فقال له: دَعْنِي يا هذا![4] فقد شَغَلْتَني -والله-، إنِّي لأخاف أنْ يأتيَنِي الرسول وأنا أُكَلِّمُك! ثُمَّ أَقْبَلَ على ما أَمَرَهُ به المَلِك فَامْتَثَلَه، ونَظَرَ فيما حَدَّ له، واشتغل بما يجب أنْ يشتغل به، وأَعَدَّ الزَّادَ لسَفَرِه، وأَخَذَ الأُهْبَةَ[5] لطريقه، وجَعَلَ[6] ينتظر الرسول أنْ يأتيه، وأَقْبَلَ يلتفتُ يمينا وشمالا، مِن أين يأتيه، ومن أين يُقبِل عليه.

فبينما هو كذلك، وإذا برسول الملك قد أتاه، فقال له: أَجِب المَلِك، قال: نعم، [٤٤/أ] قال: الساعة، قال: الساعة، قال: وَفَرَغْتَ مما أَمَرَك به؟ وعَمِلْتَ ما حَدَّ لك أنْ تعمله؟ قال: نعم، قال: فانطلِقْ، قال: بسم الله، فَخَلَعَ عليه خُلْعَةَ[7] الأولياء، وكَسَاهُ كِسْوَةَ الأصفياء، وأعطاه مركُوبا يليق به، ويَجمُل بمثله، وانْطَلَقَ[8] في حُبُور[9] وسرور، وهو يُنشد بلسان الحال:

هَنِّئُـــــــونِي بِغِبْطَتِـــــــي وسُرُوريْ ... فَجَـــــدِيرٌ بـــــأنْ يَهنـــــأَ مِـــــثْلِيْ

رَبِحَــــتْ صَــــفْقَتِيْ وَزَكَــــى[10] سَــــعْيِيْ ... وارتَضَـــى لي الإلهُ[11] قـــولي وفعـــلِيْ

---

(١) زيادة من (ش) غير موجودة في الأصل (ت).

(٢) زيادة من (ش) غير موجودة في الأصل (ت)، وفي (ي): (في إثر).

(٣) في (ش) و(ي): (كذلك).

(٤) في (ش): (يا هذا خل عني).

(٥) الأُهْبَة: العُدَّة، وتَأَهَّب: استَعَدّ. لسان العرب (١/ ٢١٧).

(٦) في (ش): (وقعد).

(٧) الخُلْعة والخِلْعة: خيار المال. انظر: تاج العروس (٢٠/ ٥٢٤).

(٨) في (ش) و(ي): (وانطلق به).

(٩) الحبور: السُّرور. انظر: القاموس المحيط (ص:٣٧٠).

(١٠) في (ش): (ووفى).

(١١) في (ش): (وارتقى للإله).

كيــــفَ لي أنْ أُعَــــبِّرَ اليــــومَ عَنِّــــيْ ... بِمَقَــــالٍ يبِـــينُ وَصْـــفَ مَحَـــلِّيْ[1]

ضَـــاقَتْ الكُتْـــبُ أنْ تَضُـــمَّ حَـــدِيثي ... بَــل تَلاشَــتْ عــن بعــضِ مَــا أنــا أُمْــلِيْ

قَـــد بَلَغْـــتُ الـــمُنَى وَزِدْتُ عَليهـــا[2] ... وتَمَـــــلأْتُ بالمَسَـــــرَّةِ كُـــــلِّيْ

لَيـــتَ قَـــومي لَـــو[3] يَعلمـــون بـــمَا ... للهِ مِــــن نعمــــةٍ عَــــلَيَّ وفَضْــــلِ

طــابَ عَيْشِـــي وَقَـــرَّ فيــه قَــراري ... وَتَقَلَّبْــــتُ بــــينَ مــــاءٍ وظِــــلِّ

أنــا ذاكُــم حقيقــاً أم هُــوَ غَــيْري؟! ... فاعْـــذُرُوني فقـــد تَدَلَّـــهَ[4] عَقـــلِيْ

فبان[5] لك بهذا المثل وبغيره فضيلة قِصَر الأمل، وفضيلة المبادرة للعمل، والاستعداد للموت قبل نزوله، والانتظار له قبل حُلُوله [٤٤/ب].

---

(١) ورد هذا البيت في (ش) هكذا: (كيفَ لي أنْ أُعَبِّرَ بمقال * تعلموا يا رجال وصف محلي).

(٢) في (ي): (عليه).

(٣) في (ش): (قد).

(٤) التَّدَلُّه: ذهاب العقل. لسان العرب (١٣/٤٨٨).

(٥) من هنا إلى قوله: (وعن ابن عباس أيضا عن النبي ﷺ قال: «**نعمتان مَغبونٌ**...») (ص:١٤٤)، ساقط من (ش).

وقد كَثُر الحض على هذا، وكَثُرت الأقاويل فيه، ولم يزل المُذكِّرون يُذكِّرون، والمُنبِّهون يُنبِّهون، لو يجدون سمعا واعيا، وقلبا حافظا، ومحلا قابلا، والحول حَوْلُ الله، والأمر كلّه بيد الله؛ روي[1] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال لرجل وهو يَعِظُه: «**اغتنمْ خمسا قبل خمس: شبابك قبل هَرَمِك، وصِحتَك قبل سَقَمِك، وغِنَاك قبل فَقْرِك، وفَرَاغَك قبل شُغْلِك، وحياتَك قبل موتِك**»[2].

وعن ابن عباس أيضا عن النبي ﷺ قال: «**نعمتان مَغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصِّحة، والفراغ**»، ذكره البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ[3]، وقال القائل:

إنَّ في المـــوتِ والمعـــادِ لشُـــغْلا — وادِّكَـــاراً لـــذوي[4] النُّهَـــى وبَلاغَـــا

فـــاغتَنِمْ نِعمَتَـــينِ قَبْـــلَ المنايَـــا — صِـــحَّةَ الجسـمِ يَـــا أَخَـــي والفَرَاغَـــا

وذكر الترمذي[5] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما ينتظرُ أحدُكم من الدنيا إلا: غِنىً مُطغيًا أو فَقْراً مُنْسِيًا أو هَرَماً مُفَنِّدًا[6] أو مَرَضاً مُفسِدا [٤٥/أ] أو موتاً مُجْهِزا أو الدجَّال، فالدجَّال شرُّ غائبٍ يُنتظر، أو الساعة، فالساعةُ أدْهَى وأَمَرّ**»، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ خَافَ[7] أَدلَجَ[8]، ومَن أَدلجَ بَلَغَ المنزِل، ألا إنَّ سِلْعَةَ الله**

---

(١) في (ي): (يروى).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٣٠٦)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٢٤٣) ح(١٠٧٧).

(٣) أخرجه البخاري [كتاب الرقاق، باب ماجاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة] (ص:١٥٩٨) ح(٦٤١٢).

(٤) في (م): (لذي).

(٥) أخرجه الترمذي [كتاب الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل] (ص:٥٢١) ح(٢٣٠٦)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤/١٦٣) ح(١٦٦٦).

(٦) الفَنَد في الأصل: الكَذِب، وأَفْنَدَ: تَكلم بالفَنَد، ثم قالوا للشيخ إذا هَرِم: قد أَفْنَدَ، لأنَّه يتكلم بالمُحَرَّف من الكلام عن سَنَن الصِّحة، وأفنده الكبر: إذا أوقَعه في الفَنَد. النهاية في غريب الحديث (ص:٧١٨).

(٧) في (ش) و(ي) زيادة (البيات).

(٨) أَدْلَج: سَار مِن أَوَّل اللَّيل. النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٣١٠).

غالية، ألا إنَّ سلعة الله[1] **الجنَّة**»[2]، وقال[3] ﷺ: «**أنا النذير، والموت المُغير، والسَّاعة الموعد**»[4]، ذكره القاضي أبو الحسن بن صخر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفوائد[5].

وقال جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كان رسول الله ﷺ إذا خَطَبَ رَفَعَ صوتَه، واحمرَّتْ عَيناه، كأنَّه مُنْذِرُ جيش، يقول: «**صَبَّحَكُم ومَسَّاكُم**»، ويقول: «**بُعِثْتُ أنا والسَّاعة كهاتين**»، ويَقرِنُ بين أُصْبعيه، ذكره مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ[6]، يُريد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تقريب الأمر، وسرعة نزوله، وكل آت قريب، وكل ما هو كائن سيكون.

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قرأ رسول الله[7] ﷺ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[8]، فقال: «**إنَّ النور إذا دخل القلب انفسح**»، فقيل: يا رسول الله، هل لذلك من علامة تعرف؟ [٤٥/ب] قال ﷺ: «**نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله**»[9].

ومن كلام بعضهم: «أمَا تسمعون أيُّها الناس داعي الموت يَدعوكم؟ وحَادِيهِ يَحْدُوكُم[10][11]؟ أما ترون صَرْعَاهُ في منازلكم؟ وقَتْلاه بين أيديكم؟ فَفِيمَ هذا التَّصَامم عن

---

(١) في (م) و(ي) زيادة (هي).

(٢) أخرجه الترمذي [كتاب صفة القيامة، باب ١٨] (ص:٥٥٢) ح(٢٤٥٠)، والحاكم في المستدرك وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» (٣٠٧/٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٤٢/٥) ح(٢٣٣٥).

(٣) هذا الحديث والذي بعده سقطا من (ش).

(٤) تقدم تخريجه (ص:٨٠).

(٥) لم أقف على هذا الكتاب.

(٦) صحيح مسلم [كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة] (٣٨٥/١) ح(٨٦٧).

(٧) في (ش): (النبي).

(٨) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

(٩) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣١١/٤) ساكتا عنه، وتعقبه الذهبي في التلخيص قائلا: «عَديٌّ ساقط»، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٣٣/١٣)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٨٣/٢) ح(٩٦٥).

(١٠) في (ش): (وحادثه يُحذركم).

(١١) الحَدو: السَّوق، يقال: حَدَا الإِبِل: زَجَرَها، وساقَها. معجم مقاييس اللغة (٣٥/٢)، والقاموس المحيط (ص:١٢٧٣).

الداعي، والتشاغل عن الحادي، والتعامي عن مَصَارِع القتلى، والتغافل عن مُشاهدة الهلكى؟! رحم[1] الله امرأً أيقظ نفسه في مُهْلَة الحياة [الدُّنيا][2] قبل أنْ تُوقِظَه[3] روعة الممات، واستعدَّ[4] لما هو آتٍ قبل الانْبِتَات[5][6]، وحُلول الفوات، وكان الحكمُ[7] قد وَقَع، والخطاب قد ارتَفَع، أَعْرَضَ مَنْ أَعْرَضَ أو[8] سَمِعَ مَنْ سَمِع»[9]، وأنشدوا:

قَطَعْتُ زماني حِيناً فحِينا ... أُدِيرُ مِن اللهو فيهِ فُنُونَا

وأَهملتُ نفسي ومَا أُهْمِلَتْ[10] ... وَهَوَّنْتُ مِنْ ذَاكَ مَا لا[11] يَهُونَا

ورُبَّ سُرُورٍ شَفَى غِلَّةٍ ... وَوَلَّى فأَعْقَبَ حُزْناً دَفِينَا[12]

وكَمْ آكلٍ ساعةً ما يُريد ... فكَابَدَ[13] مَا أورَثَتْهُ سِنِينَا

ومَا كان أَغنى الفَتى عَن نعيم ... يَعُودُ عليه عَذاباً مُهينَا[14]

وكَمْ وَعَظَتْنِيْ عِظَاتُ الزَّمان ... لَوْ انِّيْ أُصِيخُ[15] إلى الواعظينَا

[٤٦/أ] وكَمْ قد دَعَانِيَ دَاعِي المَنون ... وأَسْمَعَ لَو كُنْتُ في السامعينَا

---

(١) في (ي): (فرحم).

(٢) زيادة من (ش) غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) في (ي): (يوقظه).

(٤) في (ش): (ويستعد).

(٥) في (ش): (الالتفات).

(٦) الانْبِتات: الانقِطاع. لسان العرب (٧/٢).

(٧) في (م): (فكأن الحُلم قد وقع).

(٨) في (ش) و(م) و(ي): (وسمع من سمع).

(٩) لم أقف على القائل.

(١٠) ويحتمل أن تكون (وما أَهمَلَت) بفتح الهمزة وتكون (ما) موصولة.

(١١) في (ش) و(م) و(ي): (ما لم يهونا).

(١٢) في (م) و(ي): (رصينا).

(١٣) في (م) و(ي): (يكابد)، وفي (ش): (بكى ندما).

(١٤) في (م): (أليما).

(١٥) في (ش): (أصغي)، وفي (ي) ورد الشطر هكذا: (ولم أُصغ يوما إلى الواعظينا).

ومَــــــاذا أُؤَمِّـــــــلُ أو أرتجيــــــه[1] وقَــد جُـــزْتُ[2] سَــبعاً عــلى الأربعينَــا
ولَـــو[3] كــان عَقــلِي مَعِــي حــاضراً سَـــمِعْتُ لَعَمْـــرِيَ مِنهـــا[4] أنينَـــا
ولَــــن[5] يَــــبرَحَ المــــرءُ في رَقْـــدَةٍ يَغِــــطُّ إلى أنْ يُــــوَافِي[6] الــــمَنونَا
فَيُوقِظَــــــهُ[7] عنـــــدها رَوعَـــــةٌ تُقَطِّــــعُ منـــــهُ هنـــــاكَ الوَتينَــــا
وإذْ ذَاكَ يَــــدري بِــــمَا كـــان فِيـــهِ وتَجلُــــو[8] الحقــــائق مِنـــهُ الظنونَــــا

وقال[9] أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[10] قال: «أكثرُ[11] للموت ذِكْرا، وأحسنُ[12] له استعدادا، وأشدُّ منه خوفا وحذرا»[13].

وقال بعضهم: «أيُّها الإنسان، إنَّما أنتَ نازلٌ من الدُّنيا في مَنْزِلٍ تَعْمُرُه أيام عُمُرك ثُمَّ تُخلِّيه عند موتك لمن يَنزِلُه بعدك!»[14].

وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما مِن صباحٍ ولا مساء إلا ومُنادٍ يُنادي: أيُّها الناس الرحيل

---

(١) في (ي): (أرتجي).

(٢) في (ش): (زدت).

(٣) في (ي): (فلو).

(٤) في (ي): (منه).

(٥) في (م): (ولم).

(٦) في (ش): (يلاقي).

(٧) في (ش) و(م) و(ي): (فتوقظه).

(٨) في (ش): (وتجلي).

(٩) من هنا إلى قوله: (وقال محمد بن ابراهيم) (ص:١٤٨)، ساقط من (م).

(١٠) سورة: الملك، الآية: ٢.

(١١) في (ش): (أكثرهم)، وفي (ي): (أكثركم).

(١٢) في (ش): (وأحسنهم).

(١٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/ ٦٣) ضمن موسوعته]، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ٢٥٦) كلاهما عن السدي.

(١٤) لم أقف على القائل.

الرحيل»[١]، وأنشدوا[٢]:

أَخْـــلِ[٣] لمـــن يَنــزِلُ ذا المنـــزِل	وارْحَـــلْ فقـــد آنَ بِـــأنْ تَرْحَـــل
وارْحَـــلْ بـــما قـــد كنـــتَ جمعتَـــهُ	واحمِلْـــهُ إنْ خُلِّيـــتَ أنْ تحمَـــل
[٤٦/ب] هيهـــاتَ لا تخـــرج بشـــيءٍ منـــه[٤]	فَـــافعلَنْ مَـــا شِـــئْتَ أنْ تفعَـــل
واقْعُـــدْ مِـــن الغَـــيظِ وإلا فَقُـــم	واطلَـــعْ إلى الكوكـــبِ أو فَـــانْزِل
فلســـتَ بالخـــارجِ إلا بـــما	جئـــتَ فسَـــلِّم وَيْـــكَ واستَبسِـــل[٥]
وخَـــلِّ عـــن هـــذي الأمَـــاني فَـــلا[٦]	تُثمِـــرَ إلا شرَّ مـــا يُؤكَـــل
كـــم مِـــن فتـــى طـــوَّلَ آمالَـــهُ	فَقَصَّـــرَتْ دُنيـــاه مَـــا طَـــوَّل
وجـــاءهُ المـــوتُ عـــلى غِـــرَّةٍ[٧]	فـــماتَ مِـــن قَبـــلِ الـــذي أَمَّـــل
فيَـــا إلهـــي والـــذي جُـــودَهُ	قـــد غَمَـــرَ الآخـــرَ والأوَّل
رُحمـــاكَ يـــا رحمـــنُ في فِتيَـــةٍ	لـــيسَ لهـــم دونَـــك مـــن مُؤَمِّـــل[٨]
قـــد حَجَبتهـــا عنـــك آثامُهـــا	وأنزلَتْهَـــا شرَّ مَـــا مَنْـــزِل
ولـــيسَ إلا عفـــوكَ الـــمُرتجى	أو دُلَّهَـــا مَـــاذا الـــذي تَعمـــل؟

وقال محمد بن إبراهيم[٩]: «جَلَسْتُ إلى عامر بن عبد الله وهو يُصلي، فَتَجَوَّزَ[١٠] في

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/ ٦٤) ضمن موسوعته].

(٢) من هنا إلى قوله: (وقال علي بن أبي طالب: «التؤدة..») (ص:١٤٩)، ساقط من (ش).

(٣) أَخْلِ المكان: أي اترُكه وارحل عنه. انظر: تاج العروس (٣٨/ ١٤).

(٤) في (ي): (منه بشيء).

(٥) المُسْتَبْسِل الذي يُوطِّن نفسه على الموت والضَّرب. لسان العرب (١١/ ٥٤).

(٦) في (ي): (فما).

(٧) على غِرّة: أي على غفلة. المصدر السابق (٥/ ١٧).

(٨) في (ي): (موئل).

(٩) لم أقف على ترجمته.

(١٠) في (م) و(ي): (فأوجز).

صلاته، وقال[1]: أخبرني بما جئتَ له، فإنِّي أُبَادَر؟ فقلت له: وما تُبَادَر؟ فقال: مَلَكُ الموت رحمك الله، [فإني][2] أخافُ أنْ يَنْزِل بي، فَقمتُ عنه، وقام إلى صلاته»[3].

ومَرَّ داود الطائي رَحِمَهُ اللَّهُ فسأله رجل غريب عن حديث، فقال: «دَعْنِي، فإنّي أُبَادَرُ خُروجَ نفسي![4]»[5][٤٧/أ]، وقال الربيع بن خثيم[6] رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ خَافَ الوعيدَ قَرُبَ عليه البعيد، ومَن طال أملُه ساء عملُه»[7]، وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «التؤدة خير في[8] كل شيء إلا في أمر الآخرة»[9]، والتؤدة هي: التَثَبُّت والتأني[10].

وكان الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في موعظته: «المبادرة! [المبادرة!][11] فإنَّما هي الأنفاس لو حُبِسَت انقَطَعَت عنكم الأعمال التي تتقربون بها إلى الله ﷻ، رَحِمَ الله امرأً[12] نَظَرَ لنفسه

---

(١) في (ي): (فقال).

(٢) زيادة من (ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/٦٤) ضمن موسوعته] عن سُحَيم مولى بني تَمِيم، قال: جلستُ إلى عامر...فذكره.

(٤) في (ي): (روحي).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/٦٥) ضمن موسوعته].

(٦) الربيع بن خُثَيم بن عائذ، أبو يزيد الثوري الكوفي، أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ، وأرسل عنه، وروى عن عبد الله بن مسعود، وأبي أيوب الأنصاري، وهو قليل الرواية إلا أنه كبير الشأن، وحدث عنه: الشعبي، وآخرون، روي عن ابن مسعود أنه قال له: (يا أبا يزيد، لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين)، توفي سنة ٦٥هـ. انظر: حلية الأولياء (٢/١٠٥)، وسير أعلام النبلاء (٤/٢٥٨).

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/ ٥٤) موسوعته]، وأبو نعيم في الحلية (٧/٣٥٧) كلاهما عن داود الطائي.

(٨) في (ش): (من).

(٩) لم أقف عليه عن علي، وقد أخرجه وكيع في الزهد (٢/٥٢٣) وأحمد في الزهد (ص:١١٩) كلاهما عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وورد مرفوعا كما عند أبي داود في سننه [كتاب الأدب، باب في الرفق] (ص:٨٧٢) ح(٤٨١٠)، وصححه – مرفوعا – الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٤٠٣) ح(١٧٩٤).

(١٠) انظر: تاج العروس (٧/٤٥٨).

(١١) زيادة من (ش) و(م) و(ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(١٢) في (ش): (من).

وبكى على ذنبه، ثُمَّ قرأ[1] هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾[2]، يعني الأنفاس، آخر العدد خروجُ[3] نفسِك! آخر العدد فِرَاق[4] أهلك!»[5].

وقال بعض الصلحاء: «اغتَنِمْ تَنَفُّسَ الأجل، وإمكان العمل، واقْتَطِعْ[6] ذِكر المعاذير والعِلَل، فإنَّك في أجل محدود، ونَفَس معدود[7]، وعُمُر غير ممدود»[8].

وقال[9] غيره: «اعمَلْ عَمَلَ المُرتحِل، فإنَّ حَادي الموت يَحدُوك ليوم ليس يَعدُوك، فيَطرحُك في حُفْرَة لا يَخافك فيها أحدٌ ولا يرجوك»[10].

وكَتَبَ رجل إلى بعض إخوانه: «أما بعد: فإنَّ الدنيا حُلُم، والآخرة يَقَظة، والموت مُتَوسِطٌ بينهما، ونحن في أضغاث أحلامٍ، والسلام»[11].

وكَتَبَ محمد بن يوسف[12] رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أخ له: «سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: [٤٧/ب] فإني مُحذِّرُك مِن دَار مُنقَلَبِك التي هي دار إقامتك[13]، وجزاء

(١) في (ش): (يقرأ).

(٢) السورة: مريم، الآية: ٨٤.

(٣) في (ش) و(ي): (وخروج).

(٤) في (ي): (وفراق).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/٦٦) ضمن موسوعته].

(٦) في (ش) و(م): (واقطع).

(٧) في (م): (أجل معدود ونفس محدود).

(٨) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص:١٩٤).

(٩) سقط هذا الأثر من (م)، وسقط هو والذي بعده من (ش).

(١٠) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص:١٩٥).

(١١) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/٤١) ضمن موسوعته].

(١٢) محمد بن يوسف بن معدان، أبو عبد الله الأصبهاني، من المشهورين بالزهد والعبادة، له حديث واحد، وهو منكر، أدرك التابعين وروى عن يونس بن عبيد، والأعمش، وغيرهم، وروى عنه ابن مهدي، وابن المبارك، وآخرون، مات ولم يتجاوز الأربعين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ١٢٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٣/٦٢٨).

(١٣) في (ش): (دار فنائك إلى دار بقائك).

أعمالك، فتصير في باطن الأرض بعد ظاهرِها، فيأتيك مُنكر ونكير فَيُقعدَانِك ويَنتَهِرَانك، فإنْ يَكُن الله مَعك فلا فَاقَةَ ولا بأس ولا وَحْشَة، وإنْ يَكُن غير ذلك، فأعاذني الله [وإياكَ][1] يا أُخَيَّ من سُوء مَصْرَع، وضِيقِ المضجَع[2]، ثم تَبلُغُك صَيحَة النشور، ونفخة الصور، وقيام الخلائق لفَصْل القضاء، وامتلأت الأرض بأهلها، والسماوات بسُكَّانها، فبَاحَت الأسرار، وسُعِّرَت النار، وَوُضِعَت الموازين، ونُشِرَت الدواوين، ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[3]، ﴿وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]، فكَم من مُفتَضَح ومستور، ومُعَذَّب ومَرحوم، وكم من هَالكٍ وناج، فيا ليتَ شِعْري ما حالي وحالك يومئذ؟! وإنَّ[5] في هذا ما هَدَمَ اللذات، وسَلَّى[6] عن الشهوات، وقَصَّرَ من الأمل، وأَيقَظَ النائم، ونَبَّهَ الغافل، أعاننا الله وإياك على هذا الخَطَر العظيم، وأوقع الدُّنيا من[7] قلبي وقلبك مَوقِعَها من قلوب المتقين، فإنما نحنُ به وله[8]، والسلام»[9]، وأنشد[10] بعضهم [٤٨/أ]:

مُـــرَادُكَ أنْ يَـــتِمَّ لـــكَ المُـــرادُ ... وتَــرْكُضُ في مطالِبِــكَ الجِيَــادُ

وتَمضـــي في أوامـــرك الليـــالي ... فـــلا يُعصَـــى هـــواكَ ولا يُكَـــادُ

لَقَـــد مَلَكَـــتْ مُضِـــلَّاتُ الأمـــاني ... قِيَـادَكَ[11] فاعْتَـدَيتَ بهـا تُقَـادُ

ألـــم تَســـمع بـــذي أمـــلٍ بعيـــدٍ ... وآمـــالُ الفتـــى منهـــا بُعَـــادُ

(١) زيادة من (ش) و(م) و(ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(٢) في (ش) و(م) و(ي): (مضجع).

(٣) السورة: الزمر، الآية: ٦٩.

(٤) السورة: الزمر، الآية: ٧٥.

(٥) في (ي): (فإن).

(٦) في (م): (ومَيَّلَ).

(٧) في (ش): (في).

(٨) في (ش) و(م) و(ي): (له وبه).

(٩) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٤٦/٥) ضمن موسوعته]، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٣٦/٨).

(١٠) الأبيات ساقطة من (ش) و(م)، وموجودة في هامش (ي) بخط غير واضح وجزء منها مطموس.

(١١) القِياد: الحَبل الذي تَقود به. لسان العرب (٣٧٠/٣).

رَمَاه الموتُ فانْقَبَضَتْ إليه | أمانيه بشيءٍ لا يُرَادُ
ويَلقَاهُ بإثرِ الموتِ يومٌ | تَميدُ لهولِهِ السَّبعُ الشِّدَادُ
تُصَمُّ لوَقعِهِ الآذانُ صَمّاً | ويَنْطِقُ من زَلازِلِهِ الجمادُ
فكم سَالَتْ هنالك مِن دموعٍ | يُغَيِّرُهُنَّ مِن دَمِهِ الفُؤَادُ
وكَمْ شَاهَتْ هُنَالِكَ من وجوهٍ | عَلَى صَفَحَاتِها طُلِيَ الحِدادُ
ومَا ذا الكَرْبُ يُشْبِهُ ما عَهِدنَا | وأنَّى يُشْبِهُ البَحْرَ الثِّمَادُ[1]
ومَا الأسماءُ تُعْطِيك اتِّفاقاً | عَلى معنىً يَتِمُّ لكَ المرادُ
ولكنْ رُبَّما كان اشتِبَاهٌ | قليلٌ لا يُحَسُّ ولا يكَادُ
يُسمَّى البحرُ ذو الأهوال بحراً | وبحراً مثلَهُ الفَرَسُ الجوادُ

وفي[2] بعض الخطب المروية: «أيُّها الناس، إنَّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، وإنَّ لكم مَعالم فانتهوا إلى معالمكم، وإنَّ المؤمن بين مخافتين [٤٨/ب]: بين أَجَلٍ[3] مَضَى لا[4] يَدري ما اللهُ صانع فيه، وأجلٍ[5] بَقِيَ لا يَدري ما الله قاضٍ فيه؛ فليَتَزَوَّد العبد من نفسه[6] لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الحياة قبل الموت[7]؛ فإنَّ الدنيا خُلِقَت لكم، وأنتم خُلِقْتُم للآخرة، والذي نفسي بيده مَا بعدَ الموت مُسْتَعْتَب، ولا[8] بعد الدُّنيا دار إلا الجنة أو النار»[9].

---

(١) الثِّماد: الماء القليل وقيل: الحُفَر يكون فيها الماء القليل. انظر: تاج العروس (٧/٤٦٧).
(٢) هذا الأثر سقط من (ش).
(٣) في (م): (بين أجل قد مضى).
(٤) في (م): (لا).
(٥) في (م): (وبين أجل قد بقي).
(٦) في (م): (دنياه).
(٧) في (م): (الممات).
(٨) في (ي): (وما).
(٩) أخرجها البيهقي في شعب الإيمان (١٣/١٥٣)، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/٧٧) ضمن موسوعته] عن النبي ﷺ ولا تصح، انظر: الأربعون الودعانية الموضوعة لابن ودعان (ص:٢٩)، وقد سئل المزي عن الأربعين الودعانية فأجاب بما ملخصه: لا يصح منها على هذا النسق بهذه الأسانيد شيء. انظر: لسان الميزان لابن حجر (٥/٣٠٦).

وخَطَبَ عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «أيُّها الناس، إنَّكم لم تُخلَقُوا عبثا، ولن تُترَكُوا سُدى، وإنَّ لكم معادا[1] يَجمعكم اللهُ فيه للفَصْلِ والحكم فيما بينكم، فَخَابَ وشَقِيَ عَبْدٌ أخرجَه الله مِن رحمته التي وَسِعَت كلَّ شيء، وجنَّة عَرْضها السماوات والأرض، وإنَّما يكون الأمان غدا لمن خَافَ واتَّقَى، وباع قليلا بكثير، وفَنَاء ببقاء[2]، وشَقاء بسعادة.

ألا ترون أيُّها الناس أنكم في أصلاب الهالكين، ويُسْتخلف بعدكم الباقون؟![3] ألا ترون أيُّها الناس أنكم تُشَيِّعُون[4] غَاديا ورائحا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ قد قَضَى نَحْبَه، وانقطع [عمله][5] وأمله، فَتَضَعُونه في بَطن قاعٍ[6] من الأرض، غيرِ مُمَهَّدٍ ولا مُوَسَّد، قد خَلَعَ الأسباب، وفارَق الأحباب، وواجه الحساب؟! وأيمُ الله! إنِّي لأقول مقالتي هذه، ولا[7] أعلم عند أحدٍ منكم[8] من الذنوب أكثر مما عندي، [٤٩/أ] لكنَّها سُننٌ من الله عادلة، أَمَرَ فيها بطاعته، ونهى فيها عن معصيته»، ثُمَّ استغفرَ [اللهَ][9] وَوَضَعَ كُمَّه على وجهه ولحيته وبكى حتى بَلَّتْ دموعُه لحيتَه، وما عاد إلى مجلسه ذلك حتى مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ[10].

ومما[11] يُروى من خُطَبه [أيضا][12]: «أيُّها الناس، إنَّ الدُّنيا ليست بدار قراركم، [ولا

---

(١) في (ي): (ميعادا).

(٢) في (ش) و(م) و(ي): (وفانيا بباق).

(٣) سقط هذا السطر من (ش) و(ي).

(٤) في (ش): (تتبعون).

(٥) زيادة من (ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(٦) في (م): (فتضعونها في قاع).

(٧) في (ش): (وما).

(٨) في (ي): (عند أحدكم).

(٩) زيادة من (م) و(ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(١٠) أخرجها ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٤٨/٥) ضمن موسوعته]، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٨٧/٥).

(١١) سقط هذا الأثر من (م).

(١٢) زيادة من (ش) و(ي) غير موجودة في الأصل (ت).

محلَّ إقامتكم][1]، دارٌ كَتَبَ اللهُ عليها الفناء، وأوجَبَ منها على أهلها الرحيل، فكم من عَامرٍ مُوثَّقٍ عما قريبٍ[2] سَيَخْرَب، وكم من مُقيمٍ مُغْتَبِطٍ عما قليل سيرحل، فأحسِنوا رحمكم الله منها الرِّحلة، واحملُوا خيرَ ما يحمل بكم[3] للنُّقْلَة، وتزوَّدوا فإنَّ خير الزاد التقوى، إنَّ الدُّنيا كظلٍ قَلَصَ[4] فَذَهب، بينما ابن آدم فيها يُنافِس، وعليها يُضَارِب، إذ دعاه اللهُ[5] لقَدَرِه، ووافاه يوم حَتْفِه، فَسَلَبه آثاره ودنياه، وصَيَّرَ لآخرين[6] مَصَانِعَه[7] ومَغْنَاه، إنَّ الدُّنيا ما[8] تَسُرُّ بمقدار ما تَضُر، إنَّها[9] تَسُرُّ قليلا، وتُحزِنُ حُزْناً طويلا»[10].

وخطب المأمون[11] رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوما فقال: «عباد الله، اتقوا الله ما استطعتم، وكونوا قَوما صِيْحَ بهم فانتَبَهُوا، وعَلِموا أنَّ الدُّنيا ليست لهم[12] بدار، فاستبدلوا بها[13]،وتعوضوا منها[14]

---

(1) زيادة من (ي) غير موجودة في الأصل (ت)، وفي (ش): (ليست بدار قرار ولا محل إقامة).

(2) في (ش): (قليل).

(3) في (ش) و(ي): (واحملوا ما يحضرنكم للنقلة).

(4) قَلَص الشيء: انقبض وتَدانى وانضمّ. انظر: القاموس المحيط (ص:٦٢٨).

(5) في (ش): (الموت).

(6) في (ش): (وصيره حزين مصانعه ومغناه)، وفي (ي): (وصير للآخرين).

(7) المصانع: القصور، وفي التَّنزيل: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [السورة: الشعراء، الآية:١٢٩]. انظر: لسان العرب (٨/٢١١).

(8) في (ش): (لا).

(9) في (ش): (إنما).

(10) أخرجها أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/٢٩٢).

(11) هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العبّاس الهاشميّ، وُلِد سنة ١٧٠هـ تولى الخلافة سنة ١٩٨هـ، وكان فيه تشيع واعتزال، وجهل بالسنة الصحيحة، مع اعتناء بالفلسفة وعلوم الأوائل، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن، وامتحن العلماء، فعُوجِل ولم يُمْهَل، حيث توجّه غازيًا إلى أرض الروم فمرض في أثناء ذلك واشتد به الأمر، ثم مات سنة ٢١٨هـ. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٥/٣٥١)، والبداية والنهاية (١٤/٢١٤).

(12) في (ش): (لكم).

(13) في (ش) و(م): (منها).

(14) في (م): (بها).

[٤٩/ب]، أيُّها الناس، استعدوا للموت فقد أَظَلَّكم، وتَرَحَّلوا فقد جَدَّ بكم، وإنَّ غاية[١] تَنْقُصها اللحظة، وتَهدمها الساعة، لجديرة بِقِصَر المدَّة، وإنَّ غائبا يَحدُوه الجديدان[٢]، لجدير بسرعة الأوبة، وإنَّ قادما يَقدُم بالفوز أو بالشقوة[٣]، لمستحق بأفضل العدَّة.

اتقى عبدٌ ربه، ونَصَحَ نفسه، وغَلَبَ شهوته، وقَدَّم توبته، فإنَّ أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان مُوكَّل به يُمَنِّيه التوبة ليُسَوِّفها، ويُزين له المعصية ليركبها[٤]، حتَّى تَهجُم[٥] عليه مَنيَّتُه أَغْفَلَ ما يكون عنها، وأنسى ما يكون لها، وإنَّ ما بين أحدكم وبين الجنَّة والنار إلا الموت أن يَنْزِل به، فيالها من حَسْرَة على ذي غفلة أنْ يكون عُمُره عليه حجَّة، وأنْ[٦] تُؤديه أيامه إلى شَقوة جعلنا الله وإياكم ممن لا تبطرُه نعمة، ولا تُقَصِّر به عن الطاعة معصيته، ولا تَحِلُّ به بعد الموت حَسْرَة، إنَّه سميع الدعاء، فعال لما يشاء»[٧].

ومن[٨] كلام بعضهم: «يا ابن آدم، إنك لو رأيتَ ما حَلَّ بك، وماذا أحاط بأرجائك، لَبقيتَ مصروعا لما بك، مذهولا عن أهليك وأصحابك.

يا ابن آدم، أما عَلِمتَ أنَّ بين يديك [٥٠/أ] يوما يَصِمّ سماعه الآذان، وتشيب لرَوْعِه الولدان، ويُترَكُ ما عَزَّ وما هان، ويُهجَر له الأهلون والأوطان.

يا ابن آدم، أما ترى مَسِير الأيام بجسمك، وذهابها بعُمُرك، وإخراجها لك من سَعَة قَصْرِك إلى ضِيق قبرك، وبعد ذلك ما لِذِكْرِ بعضه تَتَصَدَّعُ القلوب، وتَتَقَبَّحُ له الجوارح

---

(١) في (ش): (فإن الدنيا تنقصها).

(٢) الجديدان: الليل والنهار؛ لأنهما لا يَبْلَيان. انظر: لسان العرب (٣/١١١).

(٣) في (م): (الشدة).

(٤) في (م): (ليرتكبها).

(٥) في (م): (تقتحم).

(٦) في (ي): (أو أن).

(٧) أخرجها ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/٦٩) ضمن موسوعته]، وابن الجوزي في المقلق (ص:١٠٢).

(٨) من هنا إلى نهاية الأبيات القادمة ساقط من (ش) و(م) و(ي) ومثبت من الأصل (ت).

وتذوب، ويَفِرُّ المرء على وجهه فلا يرجعُ ولا يؤوب»[1]، وأنشدوا:

لأمــــرٍ مَـــا تَصـــدَّعت القلـــوبُ — وبـــاحَ بســـرِّها دمـــعٌ سَـــكيبُ
وباتَـــتْ في الجـــوانحِ نـــارُ ذِكـــرى — لهـــا مِـــنْ خَـــارجٍ أثـــرٌ عَجيـــبُ
ومـــا خَـــفَّ اللبيـــبُ لغـــيرِ شيءٍ — ولا أَعيَـــا بِمَنْطِقِـــه الأريـــبُ[2]
ذراه[3] لائـــماهُ فـــلا تلومَـــا — فرُبَّـــتَ لائـــمٌ فيـــهِ يحُـــوبُ[4]
رأى الأيـــامَ قـــد مَـــرَّت عليـــهِ — مـــرورَ الـــريحِ تَـــدفعُها الهبـــوبُ
ومـــا نفـــسٌ تمـــرُّ عليـــهِ إلا — وَمِـــنْ جُثمانِـــهِ فيـــه نَصـــيبُ
وبـــين يديـــه لـــو يَـــدري مُقـــامٌ — بـــه الوِلـــدَانُ مـــن رَوْعٍ تَشـــيبُ
وهـــذا المـــوتُ يُدنِيـــهِ إليـــهِ — كـــما يُـــدنى إلى الهَـــرَمِ المشـــيبُ
مُقـــامٌ تَســـتَلِذُّ بِـــه المنايـــا — وتُـــدعى فيـــه لـــو كانـــت تُجيـــبُ[٥٠/ب]
ومـــا ذا الوصـــف بالغُـــه ولكـــنْ — هـــي الأمثـــالُ يَفهمُهـــا اللبيـــبُ

وخَطَب الحجاج[5] يوماً فقال: «أيُّها الناس، إنَّ الله كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كُتِبَ[6] عليه البقاء، ولا بقاء لما كُتِبَ[7] عليه الفناء، فلا يغرنَّكُم شاهد الدنيا من[8] غائب الآخرة، واقهروا طولَ الأمل بِقِصَرِ الأجل»[9].

---

(١) لم أقف على القائل.

(٢) الأريب: البصير العاقل. انظر: تاج العروس (١٧/٢).

(٣) أي تركه. انظر: تاج العروس (٩٠/٣٨).

(٤) الحُوب: الغَمّ والهَمّ والبَلاء، وقيل: الهَلاك. انظر: المصدر السابق (٣٣٨/١).

(٥) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم، أبو محمد الثقفي، أمير العراق، ولد سنة ٣٩هـ، سمع ابن عباس، وأنس، وسمرة، وكان فصيحا بليغا، ولاه عبدالملك على الحجاز، فقتل ابن الزبير، ثم عُزِل، وفي عهده نُقطت المصاحف، وكان كثير قتل النفوس التي حرمها الله، توفي سنة ٩٥هـ. انظر: البداية والنهاية (٥٠٧/١٢)، وتاريخ الإسلام (١٠٧٨/٢).

(٦) في (ي): (كتب الله).

(٧) في (ي): (كتب الله).

(٨) في (م): (عن).

(٩) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤٢/١٢).

وفي[1] بعض الخطب المروية: «أيُّها الناس، إنَّ الآمال تُطوى، والأعمالَ[2] تفنى[3]، والأبدانَ تحت الثرى تَبلى، وإنَّ الليل والنهار يتراكضان[4] تراكُضَ البريد، يُقربان كلَّ بعيد، [ويهدمان كل مشيد][5]، ويَبليان كلَّ جديد، وفي ذلك -عباد الله- ما ألهى[6] عن الشهوات، [وسلَّى عن اللذات][7]، ورَغَّبَ[8] في الباقيات الصالحات»[9]، وفي[10] بعض الخطب أيضا: «أكثروا [من][11] ذِكرَ هادِمِ اللذات: الموت؛ فإنكم إنْ ذكرتموه في ضِيْقٍ وَسَّعَهُ عليكم فرضيتم به فَأُجِرْتُم، وإنْ ذكرتموه في غِنىً نَغَّصَهُ عليكم فَجُدْتُم [به][12] فأُثِبْتُم، إنَّ المنايا قاطعاتُ الآمال،[13] مُدْنيات الآجال، وإنَّ المؤمن بين يومين: يومٌ [قد][14] مَضَى أحصى فيه عملَه فَخُتِمَ عليه، ويومٌ قد بَقِيَ لعلَّه لا يَصِلُ إليه، وإنَّ العبد عند خروج نفسه، وحُلول رَمْسِه[15]، يرى جَزَاء ما أَسْلَف، وقِلَّة غَناء ما خَلَّف، ولعلَّه من باطلٍ جَمَعَه، ومن[16] حقٍّ مَنَعَه»[17].

---

(١) من هنا إلى قوله: (وقال بعض الحكماء: «إنَّ للباقي بالماضي مُعتبَرا..») (ص:١٥٨)، ساقط من (م).

(٢) في (ي): (والأعمار).

(٣) في (ش): (تُقبر).

(٤) في (ش): (يركضان).

(٥) زيادة من (ش) غير موجودة في الأصل (ت).

(٦) في (ش): (ينهى)، وفي (ي): (نهى).

(٧) زيادة من (ش) و(ي) غير موجودة في الأصل (ت)، إلا أن في (ي): (ويسلّي)، والمثبت من (ش).

(٨) في (ي): (ويرغب).

(٩) ذكرها الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص:١٩٢) والطرطوشي في سراج الملوك (ص:٢٥)، مرفوعة من غير إسناد.

(١٠) من هنا إلى قوله: (وقال بعضُ المفسرين) ساقط من (ش).

(١١) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١٢) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١٣) في (ي) زيادة: (والليالي).

(١٤) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١٥) حلول رمسه: أي حلول دفنه، وكل ما هِيلَ عليه التُّراب، فقد رُمِس. انظر: لسان العرب (١٠١/٦).

(١٦) في (ي): (أو من).

(١٧) ذكرها ابن ودعان في الأربعين الودعانية الموضوعة (ص:٣٥) عن النبي ﷺ، وقد تقدم أنها لا يصح منها شيء.

[٥١/أ] وقال بعض الحكماء: «إنَّ للباقي بالماضي مُعتَبَرا، وللآخَرِ بالأول مُزْدَجَرا، والسعيدُ لا يَغْتَرُّ بالطمع، ولا يَركن إلى الخُدَع، ومَن ذَكَرَ المنيَّة نَسِيَ الأُمْنِية، ومَن أطالَ الأمل نَسِيَ العمل، وغَفَلَ عن الأجل»[١].

وقال بعضُ المفسرين[٢] في قول الله ﷻ[٣]: ﴿فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ قال: بالشهوات واللذات ﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾ قال: بالتوبة ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ قال: شككتم ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ قال: الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ قال: الشيطان.

وكتب[٤] عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى يزيد بن عبد الملك: «إياك أن تُدْرِكَكَ الصَّرْعَة عند الغِرَّة[٥]، فلا تُقال العَثْرَة، ولا تُمَكَّن من الرَّجْعَة، ولا يَحمدك من خَلَّفْتَ على ما تركت، ولا يَعذرك من تَقْدُمُ عليه بما به اشتَغَلْت[٦]»[٧].

وقال[٨] بعضُ البُلَغاء: «لا تَبِتْ على غيرِ وصية وإنْ كُنتَ من جسمك في صحة، ومن عُمُرك في فُسْحة؛ فإنَّ الدَّهر خائن[٩]، وكل ما هو كائن كائن»[١٠].

---

(١) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص:١٩٣)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢٥٠).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٤١٩) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأورد السيوطي في الدر المنثور (١٤/٢٧٤) نحوه عن محبوب الليثي وقتادة وغيرهما.

(٣) الكلام على الآية ١٤ من سورة الحديد.

(٤) من هنا إلى قوله: (وقال الحسن البصري: «يا عجباً...») ساقط من (م).

(٥) الغِرَّة: الغَفْلة. لسان العرب (٥/٢١).

(٦) في (ش): (أسلفت).

(٧) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/٦)، والبيهقي في الزهد الكبير (ص:٢٠٣).

(٨) من هنا إلى قوله: (وقال أبوعبيدة الناجي) (ص:١٦١)، ساقط من (ش).

(٩) ثبت عن النبي ﷺ النهيُ عن سبِّ الدهر كما في حديث أبي هريرة الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه [كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر] (٢/١٠٦٩) ح(٢٢٤٦) أن النَّبيَّ ﷺ قال: «لا تَسُبُّوا الدَّهر، فإنَّ اللهَ هو الدَّهر»، قال الحافظ ابن عبدالبر في التمهيد (١٨/١٥٥): «لأنَّكم إذا سببتموه وذممتموه لما يُصيبكم فيه مِن المحن والآفات والمصائب وَقَعَ السَّبُّ والذَّمُّ على الله؛ لأنه الفاعل ذلك وحده لا شريك له».

(١٠) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص:١٩٨).

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما منكم من أحد إلا وهو ضيفٌ، ومالُهُ عَارية؛ فالضيف مُرْتَحِل، والعَارية مَردودة»[1].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يا عجباً لقومٍ أُمِرُوا بالزَّاد، ونُودِيَ فيهم بالرَّحيل، وحُبِسَ[2] أولهم على آخرهم، وهم مع ذلك قُعُودٌ يَلعبون!»[3]. [٥١/ب]

وقال بعض الحكماء: «ليس من[4] الدين عِوَض، ولا من الإيمان بَدَل، ولا من الجسد خَلَف، ومن كانت مطيتُه الليل والنهار؛ فإنَّه يُسَارُ به وإن لم يَسِر»[5].

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أيها الناس، اتقوا الله الذي إنْ قلتُم سَمِع، وإن أضمرتُم عَلِم، وبادروا الموتَ الذي إنْ قمتُم أَخَذَكُم، وإن هربتم أَدرَكَكُم»[6]، وكان عبد الله بن ثعلبة[7] رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في موعظته: «تَضْحَكُ يا هذا ولعلَّ أكفانَكَ عند القَصَّار[8]!»[9].

وقال بعض العلماء[10]: «كلٌّ يجري من عمله[11] إلى غايةٍ تنتهي إليها مُدَّةُ أجلِه، وتنطوي عليها صحيفةُ عمله، فخُذ من نفسك لنفسك، وقِسْ يومَك بأمسِك، وكُفَّ عن[12] سيئاتِك،

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص:١٦٣).

(٢) في (ي): (وحشر).

(٣) أورده السمرقندي في تنبيه الغافلين (ص:٥٦٢)، وابن الجوزي في حفظ العمر (ص:٦٧).

(٤) في (م): (مع).

(٥) قاله الغزالي في إحياء علوم الدين (ص:١٧٩٥).

(٦) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص:١٩٣)، والمبرِّد في الكامل في اللغة والأدب (٢٩٨/١).

(٧) عبدالله بن ثعلبة الحنفي، ذكر أبو نعيم شيئا من أخباره في الحلية (٢٤٥/٦) وكذا ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢٢٥/٢)، وقال: «ولا نعرف لعبد الله مسنداً».

(٨) القَصَّار: المُحَوِّر للثِّياب لأنه يَدُقُّها بالقَصَرَة -قطعة من الخشب-. انظر: تاج العروس (٤٣١/١٣).

(٩) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٣٩٠/٢)، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥٢/٥) ضمن موسوعته]، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٤٦/٦).

(١٠) في (ي): (الحكماء).

(١١) في (ي): (عمره).

(١٢) في (ي): (من).

وزِدْ في حسناتك، قبل أن تَستوفي مُدَّة الأجل، وتُقَصِّرَ عن الزيادة في السَّعي والعمل»[١].

ومن كلام بعضهم: «اعلم رحمك الله أنَّ أمانيك سَتَرُدُّ عليك، وترجع خائبةً إليك، وإنَّ الساعاتِ تهدم في جسمك، وربَّما عاجلَتْك المنيَّة في ساعتك أو في يومك [أو في غدك][٢]، فأوقفتْكَ على غِشِّك وظلمك، فأطالت في كَرْبِك، وزادَتْ في غَمِّك، وأَرَتْكَ ما لم تَعهد، وأشهدَتْكَ [٥٢/أ] مَشهداً ما مثله مشهد»[٣]، وأنشد[٤]:

مُـــــــرادُكَ لا يَصِـــــــحُّ ولا يَـــــــتِمُّ ... إذا مـــــا كُنْـــــتَ للـــــدُّنيا تَـــــدُمُّ[٥]
ومَـــــا فَرَّقْـــــتَ منهـــــا مِـــــنْ أَمـــــانٍ ... فلَســـــتَ وإنْ أصـــــبتَ لهـــــا تَضُـــــمُّ
ومـــــا تَبنيـــــه في دُنيـــــاك هَـــــذي ... سَـــــتلقَاهُ مِـــــن الأيـــــامِ هَـــــدمُ
وجِســـــمُكَ وَيْـــــكَ أسرَعُـــــهُ انهـــــداما ... وهـــــل يَبقـــــى مـــــع السَّـــــاعاتِ جِسْـــــمُ
ومَـــــنْ تَتْبَعْـــــهُ تابِعَـــــةُ المنايـــــا ... مُحـــــالٌ أن تُبَقِّـــــيْ مِنـــــهُ رَسْـــــمُ
وَلَيتَـــــكَ لم تكـــــنْ إلا مَنـــــونٌ ... يُضـــــاعفُ بينهـــــا كـــــربٌ وغَـــــمٌّ
ولكـــــنْ بعـــــدَها يـــــومٌ عَصـــــيبٌ ... طويـــــلُ الكَـــــرْبِ ذِكْـــــرَاهُ يُصِـــــمُّ
ومَـــــا تِلـــــكَ الكـــــروبُ كـــــما عَهِـــــدنَا ... ولا هـــــيَ مـــــا يُعَـــــبِّرُ عنـــــهُ فَهْـــــمُ
فَـــــلا تَغْـــــتَرَّ بالأســـــماءِ جهـــــلاً ... فَرُبَّـــــتَ مَعنيَـــــينِ عَلَـــــيهِما اسْـــــمُ
يُســـــمَّى الكوكـــــبُ الـــــدُّرِيُّ نجـــــماً ... وَمُنبَسِـــــطُ النبـــــاتِ كـــــذاكَ نَجْـــــمُ

وقال أبو عبيدة الناجي[٦][٧] رَحِمَهُ ٱللَّهُ دخلنا على الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في يومه الذي

---

(١) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص:١٩٣).

(٢) زيادة من (ي) غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) لم أقف على القائل.

(٤) الأبيات ساقطة من (ي).

(٥) تدُمّ: تُسرِع. انظر: لسان العرب (١٢/٢٠٨).

(٦) في (ش) و(م): (الباجي).

(٧) بكر بن الأسود، ويقال ابن أبي الأسود، أبو عبيدة الناجي، أحد الزهاد، روى عن الحسن، وغيره، وضعفه جمع من الأئمة ورماه بعضهم بالكذب. انظر: ميزان الاعتدال (١/٣١٩).

مات فيه فقال: «مرحبا بكم وأهلا[1]، حياكم الله بالسلام، وأحلنا[2] وإياكم دارَ المقام، هذه علانية حسنة إِنْ صبرتُم وصَدَقتم، فلا يكوننَّ[3] حظُّكم من هذا الأمر أنْ تسمعوه بهذه [٥٢/ب] الآذانِ وتُخرجوه من هذه الأفواه؛ فإنَّ مَن رأى محمَّداً ﷺ رآه غَاديا ورائحا، لم يَضَعْ لَبِنَةً على لَبِنَة، ولا قَصَبَةً على قَصَبَة، ولكنْ رُفِعَ له علمٌ فَشَمَّرَ إليه، الوحَاءَ الوحَاءَ[4]! النجاءَ النجاءَ[5]! علام تُعرِّجون[6]؟! ارتَبْتُم وربِّ الكعبة! كأنكم والأمر معا، رَحِم اللهُ امرأً جعلَ العَيْشَ عيشاً واحداً، فأكلَ[7] كِسْرَةً، ولَبِسَ[8] خَلِقَاً، ولَزق بالأرض، واجتهد بالعبادة، وبكى على الخطيئة، وفَرَّ من العقوبة، وطلبَ الرحمةَ حتى يأتيه أجلُه وهو على ذلك»[9].

وقال أبو محمد الزاهد[10]: خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فانتبَذَ[11] فَقَعَدَ[12] ناحيةً وهي تُدفَن، فجِئْتُه فَقَعَدْتُ إليه قريبا منه، فَتَكَلَّمَ فقال: «مَنْ خَافَ الوعيدَ قَصُرَ عليه البعيد، ومن طالَ أملُهُ ضَعُفَ عملُه، وكلُّ ما هو آتٍ قريب، واعلم يا أَخي أنَّ كلَّ شيء شَغَلَكَ عن الله فهو عليك مشؤوم، واعلم أنَّ أهلَ القبور إنما يَندمون على ما

---

(١) في (ش): (وسهلا).

(٢) في (ش): (وأدخلنا).

(٣) في (ش): (فلا يكون).

(٤) الوَحاء الوَحاء: يعني البِدارَ البِدارَ، والوَحاء الوَحاء يعني الإسراع، فيمدُّونها ويقصرونها إذا جمعوا بينهما، فإذا أفردوه مَدُّوه ولم يقصروه. لسان العرب (١٥/٣٨٢).

(٥) النَّجَاءُ: الخَلاص من الشَّيء، وقالوا: النَّجَاءَ النَّجَاءَ، والنَّجَا النَّجا، فَمَدُّوا وقَصَرُوا، أي انْجُوا بأنفسكم، وهو مصدر منصوب بفعل مُضْمَر؛ أي انْجُوا النَّجاء. انظر: المصدر السابق (١٥/٣٠٤).

(٦) في (ش): (تفرحون).

(٧) في (ش): (يأكل).

(٨) في (ش): (ويلبس).

(٩) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٢٧٩)، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/٧٣) ضمن موسوعته].

(١٠) لم أقف على من ترجم له، واسمه صَدَقَة كما جاء مصرحا به عند ابن أبي الدنيا في الأثر السابق.

(١١) انْتبَذ: تَنَحَّى. انظر: القاموس المحيط (ص:٣٣٨).

(١٢) في (ي): (وقعد).

يَتركون، ويفرَحون بما يُقدِّمون، فما عليه أهلُ القبورِ يندمون: أهلُ الدنيا عليه يَقتَتِلُون، وفيه يتنافسون، وعليه يتزاحمون!»(١). [٥٣/أ]

فَرَحِمَ اللهُ امرأً ضمَّر نفسَه للسِّبَاق، وساقها إلى الغاية أشدَّ مَساق، واستعدَّ للموتِ قبلَ هجومِه، وأخَذَ حِذْرَهُ منه قبلَ قُدُومِه، وأنْفَدَ(٢) دموعَه على ما تقدَّم قبلَ أنْ تَزِلَّ به القدم، ويُؤخذُ بما عَلِمَ وبما لم يَعلَم، وأنشدَ(٣) بعضُهم مِن كلمةٍ له:

لِـمَنْ وَرْقَـاءُ(٤) بِـالوَادِي الـمَرِيْعِ(٥) ... تَشـيبُ بـه(٦) تبـاريحُ(٧) الضُّـلُوعِ
عـلى فينانـةٍ(٨)(٩) خضـراءَ تَصْـفُو(١٠) ... عـلى أعطافِهـا(١١) وشيُ(١٢) الربيـعِ
تُـردِّدُ صـوتَ باكيـةٍ عليهـا ... رَمَاهـا الـدَّهرُ في الأهـلِ الجميـعِ
فَشَـتَّتَ شَـمْلَهَا وأَدَالَ(١٣)(١٤) مِنـهُ ... غرامـاً عـاثَ في قلـبٍ صريـعِ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/ ٥٤) ضمن موسوعته]، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٥٧/٧).

(٢) في (ي): (وأنفذ).

(٣) الأبيات ساقطة من (م).

(٤) يقال للحَمامة وَرْقاء لِلَونها. انظر: لسان العرب (٣٧٦/١٠).

(٥) المَرِيعُ: ذُو المَراعة والخِصْب، يُقال: أَمْرَعَ الوادي إذا أَخصَب. انظر: القاموس المحيط (ص:٧٦٣).

(٦) في (ش): (تشب بها)، وفي (ي): (تشب به).

(٧) التَّبَارِيح: الشَّدَائِد، وقيل: هي كُلَف المعيشة في مشقَّة. تاج العروس (٣٠٧/٦).

(٨) في (ش): (حصبايةٍ).

(٩) الفَيْنان: الطَّويل الحسن، وشجرة فَيْنَانَة، وغُصْن وشَعر فَيْنَان: كثير، ويُطلق الفَيْنَان أيضا على الغُصْن. انظر: لسان العرب (٣٢٨/١٣)، والمحيط في اللغة للصاحب بن عباد (٣٨٦/١٠)، والمنتخب من كلام العرب لعلي الأزدي (ص:٦٩٥).

(١٠) في (ش) و(ي): (يصفو).

(١١) عِطْفَا الشيء: جَانِباه. انظر: القاموس المحيط (ص:٨٣٨).

(١٢) الوَشْي من الثياب ما كان فيه من كلّ لون، والجمع وِشاء؛ والوَشْي في اللَّون: خَلْط لون بِلَوْن. انظر: لسان العرب (٣٩٢/١٥).

(١٣) في (ش): (وأزال).

(١٤) أدال منه: غلبه وظفر منه. انظر: القاموس المحيط (ص: ١٠٠١).

عَجِبتُ لها تَكَلَّمُ وهي خَرْسَا وَتَبكِيْ وَهي جامدةُ الدُّمُوعِ
فَهِمْتُ حَدِيثَها وَفَهِمْتُ أَنِّي مِن الخُسرانِ في أمرٍ شَنيعِ
أَتبكِي تلكَ إنْ فَقَدَتْ أَنيساً وَتشرَبُ منهُ بالكأسِ الفظيعِ
وها أنا لا[1] أبكِيْ فَقْدَ نفسي وتضييعي الحياةَ معَ المُضِيعِ
ولو أنِّي عَقَلْتُ اليومَ أمرِي لأَرْسَلْتُ المدامعَ بالنَّجِيعِ[2]
ألا يَا صاحِ والشَّكوى ضُروبٌ وذِكْرُ الموتِ يَذهبُ بالهُجُوعِ[3]
لعلَّكَ أن تُعيرَ أخاكَ دَمعاً فما في مُقلَتيهِ مِن دُموعِ [٥٤/أ]

وقال[4] بلال بن سعد[5] رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُقال لأحدنا تريد الموت؟[6] فيقول: لا، فيُقال له: لِمَ؟، فيقول: حتى أعمل عملاً صالحا، فيُقال له: اعملْ، فيقول: سوفَ أعمل! فلا يُحِبُّ أن يموت، ولا يُحِبُّ أن يعمل! فيُؤخِّرُ عملَ الله، ولا يُؤخِّرُ عملَ الدنيا!»[7].

وقال بعض الحكماء: «السَّعيدُ من صَرَفَ اللهُ أملَهُ إلى ما يبقى، وقَطَعَهُ عمَّا يَفنى، وأَعَانَهُ في دار الفناء على عِمَارةِ دارِ البقاء، والوَيْلُ الطويل والحسرةُ التي لا تزول لمن أَعْرَضَ ونَأَى ولم يَنْهَ نفسَه عن الهوى، وإنْ كانَ كلٌّ[8] مِن اللهِ ﷻ، فاللومُ مُتوجِّهٌ على المُقصِّر، وقد بدت عليه

---

(١) في (ش): (وإني لست أبكي)، وفي (ي): (وها أنا ليس أبكي).

(٢) النَّجِيع: الدم. لسان العرب (٣٤٨/٨).

(٣) الهُجُوع: النَّوم ليلا. القاموس المحيط (ص:٧٧٤).

(٤) من هنا إلى قوله (ويروى عن الحسن أنه قيل له إن فلانا مات) (ص:١٧٩) ساقط من (ش).

(٥) بلال بن سعد بن تميم السكوني، أبو عمرو الدمشقي، شيخ أهل دمشق، كان لأبيه سعد صحبة، حدث عن أبيه، وعن معاوية، وجابر بن عبد الله، وهو قليل الحديث، وروى عنه الأوزاعي، وعبد الله بن العلاء بن زبر، وغيرهما، قال الأوزاعي: لم أسمع واعظا قط أبلغ من بلال بن سعد، قال الذهبي: توفي سنة نيف وعشرة ومائة. انظر: حلية الأولياء (٢٢١/٥)، وتاريخ دمشق (٤٨٠/١٠)، وسير أعلام النبلاء (٩٠/٥).

(٦) في (م) و(ي): (تريد أن تموت؟).

(٧) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٣٠/٥)، والبيهقي في الزهد الكبير (ص:٢٠١).

(٨) في (ي): (الكل).

علامة البُعْد، وظَهَرَت من أفعالِه أَمَارةُ الطَّرْد»[1].

وقال عيسى[2] عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «عَجِبْتُ لثلاثة: لغافلٍ[3] وليسَ بمغفولٍ عنه، ومؤمِّلُ دُنيا والموتُ يَطلُبُه، وبَانٍ قَصْراً والقبرُ مَسْكَنُه»[4]، وقال بعض الحكماء: «ما انْقَضَت ساعةٌ من يومِك إلا بقطعةٍ من عُمُرِك، ونصيبٍ من جسمك»[5]، وقال لقمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لابنه: «يا بُنيَّ! أمرٌ لا تَدري[6] متى يَلقَاكَ استعِدَّ له قَبلَ أنْ يَفْجَأَكَ!»[7]، وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما رأيتُ يقيناً أشبهَ بالشكِّ من يَقينِ النَّاسِ بالموتِ [٥٤/ب] مع غفلتِهم عنه، وما رأيتُ صِدقاً أشبهَ بالكذبِ من قولهم: إنا نَطلُبُ الجنةَ! مع عجزِهم عنها، وتفريطِهم في طلبِها»[8].

وقال بعضهم: «أيها الناس، إنَّ الحكمَ قد وَجَب، وإنَّ الموت قد اقترب، والعُمُرَ قد ذَهَب، فهل من أَسِيفٍ[9][10] عليه أو ناظرٍ بعينِ الشَّفَقَةِ إليه؟! وإنَّ في تلاشي العُمُرِ ما يُقْصِرُ من أملِ الأريب، ويَجمع مِن هَمِّ اللبيب، ويُرسِلُ من عبراتِ الكئيب، فَرَحِمَ اللهُ امرأً بَكَى على نفسه، فليسَ يبكي عليها غيرُه، وَنَظَرَ إليها فليس يَنظرُ لها سواه»[11]، وأنشدوا:

لِيَبْكِ على الشبيبةِ مَنْ بَكَاها ... كما أَبكي عليها مِلءَ جَفْنِي

---

(١) لم أقف على مصدره.

(٢) في (ي): (ابن مريم).

(٣) في (م): (غافل).

(٤) لم أقف عليه، وقد تقدم بلفظ قريب منه عن سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ص:١١٨).

(٥) لم أقف على مصدره.

(٦) في (م): (ما تدري).

(٧) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (ص:١٨٤٠).

(٨) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد أخرج ابن أبي الدنيا في اليقين [(٥٥٧/٦) ضمن موسوعته] عن الحسن أنَّه قال: «ما رأيتُ يقينًا لا شكَّ فيه أشبهَ مِن شكٍّ لا يقين فيه مِن أمرنا هذا».

(٩) في (م) و(ي): (آسف).

(١٠) أَسِيف: أي حزين. انظر: لسان العرب (٥/٩).

(١١) لم أقف على مصدره.

وَمَــنْ يَــكُ بــاتَ ذا حُـزنٍ عَليهــا ... فمِـــثلي فَلْيَبِـــتْ في فَـــرْطِ حُـــزْنِ
وَمَـــنْ يَـــكُ سَـــالياً يومــاً فــإنِّي ... قَطَعْــتُ عَلائِــقَ السُّــلْوَانِ[1] عَنِّـــي
عَجِبْـــتُ لمـــنْ يَبكـــي رَسْـــمَ دارٍ ... عَفَــتْ[2][3] أبياتُهــا أو سَــيرَ ظَعْــنِ[4]
ويَـــترُكُ نفسَـــهُ يَبكـــي عليهـــا ... وقــد جُبِلَــتْ عــلى ضَــعْفٍ وَوَهْــنِ
وقــد صــاحَ الحِــمامُ[5] بهــا أَجيبِــي ... إلَامَ وَفِـــــيْمَ وَيْلَـــــكِ ذا التَّـــــأَنِ
ومِــنْ بَعــدِ الحِــمامِ لَــهُ حَــديثٌ ... يُرِيـــهِ مِـــن العجائـــبِ كُـــلَّ فَـــنٍّ
حــديثٌ مــا حــديثٌ مــا حــديثٌ ... يُبِـــيْنُ لـــهُ اليقـــينَ مِـــن التَّظَنِّـــي
وعُمْـــرٌ يَنقَضِـــي في غـــيرِ شيءٍ ... وَلَكــنْ في المحــالِ مــن التَّمَنِّــي [٥٥/أ]
ويَعـذِلُني[6] لَـئِنْ[7] أَرسَـلْتُ دَمعـاً ... عــلى وَجَنــاتِ ذي خُسْــرٍ وَغَــبْنِ
ألا يَــا صــاحِ والبَلْــوَى ضُرُوبٌ ... وَدَعْتُــكَ[8] للــذي تَهــوَى فَــدَعْنِي
إذا أنــا لم أَبْــكِ ذَهــابَ عُمْــرِي ... فَمَـــنْ هـــذا الـــذي يَبكِيـــهِ عَنِّـــي

ولعلك[9] تقول لو أَنِّي قَصَّرْتُ أملي كما تريدُه مِنِّي، وقَصَّرَ ذلك أملَه، وذاك أملَه، وقَصَّرَ النَّاسُ آمالَهم، وتَرَكُوا صناعاتِهم، وأسبابَ معيشتِهم خَرِبَت[10] الأرضُ، وهَلَكَ النَّاسُ، وفَسَدَ هذا العالمُ!

فأقول: نعم، صَدَقْتَ، لو قَصَّرَ النَّاسُ آمالهم بحيث يَتركون صناعاتِهم، والنَّظَرَ في

---

(١) السُّلْوان: ما يُفعل لإبعاد الحزن وجلب الفرح. انظر: القاموس المحيط (ص:١٢٩٦).

(٢) في (ي): (على أبياتها).

(٣) عفَت أي انمحت واندرست. انظر: لسان العرب (١٥/٧٢).

(٤) يريد بقوله: سير ظعن: أي سير الذاهب والمفارق. انظر: المصدر السابق (١٣/٢٧٠).

(٥) الحِمام: الموت. المصدر السابق (١٢/١٥١).

(٦) العَذْل: الملامة. القاموس المحيط (ص:١٠٣١).

(٧) في (ي): (إذا).

(٨) ودَعْتُك، أي: تركتك. انظر: المصدر السابق (ص:٧٦٩).

(٩) في (ي): (ولعلك أن تقول).

(١٠) في (م): (فخربت)، وفي (ي): (لخربت).

معيشتِهم، وعمارةِ دُنياهم، واجتمعوا[1] على ذلك لَكَانَ ما قُلتَ، ولكنَّهم لا يَفعلُون، وليسَ بتَقصيرِكَ أنتَ أملك يُقَصِّرُ النَّاسُ آمالَهم، ولا بزهدك أنتَ في الدُّنيا يَزهد النَّاسُ كلُّهم فيها، فلا تَبْكِ هذا[2]، ولا تَشغَلْ نفسَك به، ولا يمنعك ذلك من تقصيرِ أملِك، ولا مِن زهدِك وإصلاح عملِك، وعليكَ نفسَكَ[3]، وعنها[4] تُسأَل، وبالواجبِ عليها تُطلَب.

وليسَ تقصيرُك أملك بالذي يمنعُك أنْ تطلبَ رزقَك، وأنْ تشتغلَ بإصلاحِ[5] معيشتك، وتربيةِ ولدِك، إلى غير ذلكَ من جميعِ منافعك، بل تَقدِرُ أنْ تجمعَ بينهما، [٥٥/ب] وذلكَ أنَّكَ[6] تنظرُ بمعونةِ اللهِ ﷻ [لك][7] وتثبيتِه إياك[8] سببَ معيشتِك، فإن كان مما يتكررُ كلَّ يوم، عَمِلْتَ فيه يومَك، وأخذتَ منه قُوْتَك، ولم تُعَوِّل على أنَّك تعيشُ غدا، فإنْ أصبحتَ غداً عَمِلْتَ أيضا كذلك[9]، وكذلك إن كان سببك مما يَتِمُّ بعدَ أيامٍ كثيرة، ويكون[10] مما يُنظَرُ[11] فيه السَّنَة كلَّها كالزراعة وغيرها، نَظَرْتَ فيه على كمالِه، ولم تعوِّل على أنْ تُدرِك إبَّانَه[12]، وأن تبلغ وقته [وأوانه][13]، فإن بَلَغْتَه كان كما الذي أردتَه، وإن اخْتَرَمَتْكَ المنيَّةُ دونَه كان ما عَمِلْتَ

---

(١) في (ي): (وأجمعوا).

(٢) في (ي): (يا هذا).

(٣) في (م) و(ي): (بنفسك).

(٤) في (م): (فعنها).

(٥) في (ي): (بإصلاح نفسك ومعيشتك).

(٦) في (م): (أن).

(٧) زيادة من (م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) في (ي): (وتثبيته إياك إلى غير ذلك من سبب معيشتك).

(٩) في (م) و(ي): (كذلك أيضا).

(١٠) في (م) و(ي): (أو يكون).

(١١) في (م): (تنظر).

(١٢) إبَّانه: أي زمانه وقيل: أَوَّل وقته. انظر: لسان العرب (١٣/ ٤).

(١٣) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

[منه](1) مَعونةً لغيرك، وتسهيلا لمن يأتي مِن بعدك، وتَقدِر أنْ تَعملَ السببَ الذي [يكون فيه معيشتك كما وصفتُ لك، وتُقَصِّر أملَكَ عن تمامِه، كان السببُ(2) مما تَعمل فيه](3) سنة أو يوما أو أقل، وكذلك سائر الناس، ولو كانوا هكذا لما هَلَكُوا ولا خَرِبَت الأرض، ولا فَسَدَ هذا العالم كما قلتَ، لكنَّهم كان يَقِلُّ فرحُهم بالدُّنيا، وسعيُهم لها، واغتباطُهم بها، وكانوا يتركون تَشييد البُنيان، وتنضيدَهُ(4)، وزخرفته، وتنجيده(5)، ويدعون التَّأَنُّق(6) في ملابسهم ومراكبهم، إلى غير ذلك من جميع أمورهم، ويجتَزِئون من الدُّنيا بما أَمكن، ويأخذون منها بما تَيسَّر، ويقتصرون على ما يُبَلِّغ، فَتَقِلُّ تَبِعَتَهُم[56/أ]، ويَهون حِسابُهم ويخرجون من الدُّنيا خِفَافًا يَقدِرون على قَطعِ عَقَبَاتِ الآخرة، وسلوكِ طُرُقِها الضَيِّقَة، وسُبُلها الشَّاقَة، ويُسهِّل عليهم الأمرَ هنالك.

وأمَّا قِصَرُ الأمل حتى يَتركَ(7) الصِّناعاتِ، وأسبابَ المعيشة؛ فإنَّما يَصِحُّ ذلك في بعضِ الأشخاص، وفي القليل من النَّاس، فإنَّه إنْ فَعَلَ ذلك قَامَ غيرُه بمؤنتِه، ونَظَرَ له سِواه في معيشتِه، سُنَّة اللهِ ﷻ مع المتوكلين، وعادَتُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع المُنقطعين(8)، ويبقى أولئك مع

---

(1) زيادة من (م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(2) هكذا في (ي) وهي النسخة الوحيدة التي وردت بها الزيادة، وفي المطبوع ([سواء] كان السبب).

(3) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(4) التَّنْضِيد: المبالغة في ضَمّ الشيء بعضه إلى بعض. المصدر السابق (3/423).

(5) التَّنْجِيد: التَّزْيين. المصدر السابق (3/416).

(6) التأنق في الملابس والمراكب: أن ينتقي أفضلَها وأجودها. انظر: معجم مقاييس اللغة (1/149).

(7) في (ي): (تترك).

(8) التكسب والعمل لتحصيل الرزق أمرٌ شَرَعَه الإسلام وحثَّ عليه، ونهى عن البطالة والكسل، قَالَ ﷺ: «لَأَنْ يَحْتَزِمَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ، فَيَحْمِلَهَا عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا، يُعْطِيهِ أَوْ يَمْنَعُهُ». [صحيح البخاري (ص:571) ح(2373) صحيح مسلم (1/460) ح(1042)]، وقال ﷺ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ». [أخرجه أحمد في مسنده (40/34) ح(24032)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (6/65) ح(1626)]، وقد بيَّن اللهُ تعالى في كتابه الكريم أن ذلك كان دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:20]، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية أصل في

آمالهم، والنَّظَر في أعمالهم؛ فإنَّ الأمل(١) رحمةٌ من الله تعالى تَنْتَظِم به أسبابُ المعاش، وتَستحكِم به أمورُ النَّاس، ويَتَقوَّى به الصَّانعُ على صِناعَتِه، والعابِدَ على عِبَادَتِه، وإنَّما يُذَمُّ مِن الأملِ ما امتَدَّ وطَالَ حتى أنسى العاقبةَ والمآل، وثَبَّطَ عن صالحِ الأعمال.

يُروى أنَّ اللهَ ﷻ لما مَسَحَ على ظهرِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فاستخرَجَ ذُرِيَّتَه، قالت الملائكة: رَبِّ لا تَسَعْهُم الأرض!، قال تعالى: «**إنِّي جاعلٌ موتاً**»، قالت: ربِّي لا يَهنأهُم العَيْش، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «**إني جاعلٌ أَمَلا**»(٢)، وقال الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «بَلَغني أنَّ الإنسان خُلِقَ أحمقَ(٣)، ولولا ذاكَ ما هَنَأَه العَيْش»(٤) [٥٦/ب]، ويروى أنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان جالسا وبين يديه شيخٌ يَعمل بِمِسْحَاةٍ(٥) في أرضٍ له، فنَظَرَ إليه وقال: «اللّهم انْزَعْ الأملَ مِن قَلْبِه»، فَطَرَحَ الشيخُ المِسْحَاة

تناول الأسباب وطلب المعاش بالتجارة والصناعة وغير ذلك» [الجامع في تفسير القرآن (١٥/ ٣٨٤)]، وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى مخبرًا عن جميع من بعثه من الرسل المتقدمين أنهم كانوا يأكلون الطعام ويحتاجون إلى التغذي به، ويمشون في الأسواق للتكسب والتجارة، وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم» [تفسيره (٦/ ١٠٠)]، بل قد باشر الأنبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام رعي الغنم، فقد قال ﷺ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ». [صحيح البخاري (ص:٥٣٩) ح(٢٢٦٢)]، وهكذا كان كبار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعلى رأسهم الخليفة الأول أبو بكر الصديق؛ قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، قَالَ: «لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَئُونَةِ أَهْلِي، وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ المُسْلِمِينَ، فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا المَالِ، وَيَحْتَرِفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ». [صحيح البخاري (ص:٤٩٩) ح(٢٠٧٠)]، وأخبار الأئمة والعلماء في هذا الباب كثيرة وقد ألفوا في ذلك المؤلفات، ومن ذلك كتاب «الكسب» لمحمد بن الحسن الشيباني رَحِمَهُ اللَّهُ تلميذ أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ وصاحبه، وكذا كتاب «الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدَّعي التوكل في ترك العمل والحجة عليهم في ذلك» لأبي بكر الخلال الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ فليرجع إليها من أراد التوسع.

(١) في الأصل (ت): (العمل)! وهو خطأ لايناسب السياق، والمثبت من (ي) وهو المناسب لسياق الكلام.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩/ ٣٧٤) عن الحسن البصري مرسلا.

(٣) لأنَّ الأصل في بني آدمَ الظُّلم والجهل كما قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢] وحقيقة الحُمْق: وضع الشَّيء في غير موضعه،ومن معانيه أيضا: الغُرور،والأصل في الإنسان الاغترار بهذه الدنيا، ولذا قال: «ولولا ذاكَ ما هَنَأَه العَيْش».انظر: فتاوى ابن تيمية (٦/ ٣٤٢)(١٥/ ٣٥٧)،وتاج العروس (٢٥/ ١٩٩)، وتهذيب اللغة (٤/ ٥٤).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/ ٣٦) ضمن موسوعته]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧/ ٢٠٨).

(٥) المِسْحاة: المِجْرَفَة من الحديد، والميم زائدة، لأنه من السَّحْو وهو الكشف والإزالة. انظر: لسان العرب (٢/ ٥٩٨).

وقَعَد، فقالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللّهم رد عليه أملَه»، فقَامَ الشيخُ إلى مِسْحَاتِه ورَجَعَ إلى عَمَلِه، فدعاه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: «أيُّها الشَّيخ، لِمَ طَرَحْتَ مِسْحَاتَك ثُمَّ رَجَعْتَ إليها؟»، فقال: يا رَوح اللهِ، بينا[1] أَعملُ بمِسْحَاتي إذ قلتُ في نفسي: وإلى مَتى هذا العَمل؟ وإلى متى هذا التَّعَب؟ ولعلَّ الموت يأتيني في هذه السَّاعة، فَطَرَحْتُ المِسْحاةَ وقَعَدْتُ، فبينا[2] أنا قاعدٌ تَفَكَّرْتُ في نفسي وقلت: لعلَّ الموت لا يجيئني[3] في هذا الوقت، وأنا محتاجٌ إلى قُوتٍ يُقيمُني، وغذاء يُمسِك بُنْيَتي، ولا بد من العمل، فَقُمتُ إلى مِسْحَاتي، ورَجَعْتُ إلى عملي[4].

وقال مُطَرِّفُ بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو عَلِمتُ متى أجلي لخشيتُ ذهابَ عقلي، ولكنَّ اللهَ منَّ على عباده بالغفلة عن الموت، ولولا الغفلة عنه ما تهنؤوا بعيش، ولا قامت بينهم الأسواق»[5]، وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغفلة والأمل: نعمتان عظيمتان على ابن آدم، ولولاهما ما مشى المسلمون في الطُّرُق»[6]،يريدُ لو كانوا [٥٧/أ]من التيقُّظ، وقِصَر الأمل، وخوفِ الموت بحيث لا ينظرون في معايشهم وما يكون سبباً لحياتهم لهَلَكُوا، وكذلك أراد مُطَرِّف رَحِمَهُ اللَّهُ.

ويروى أنَّ المُفضَّلَ بنَ فَضَالة[7] رَحِمَهُ اللَّهُ سَأل ربَّه أن يَرفَعَ عنه الأمل، فاستجابَ لَهُ فَتَرَكَ الأكلَ والشُّربَ ولم تَسْتَقِم له عبادة، فدَعا ربَّه أن يَرُدَّ إليه أَملَه فَرَدَّهُ عليه، فَرَجَع إلى طعامِه

---

(١) في (ي): (بينما).

(٢) في (ي): (فبينما).

(٣) في (ي): (لا يأتيني).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٣٥/٥) ضمن موسوعته]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦٨/٤٧).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٣٦/٥) ضمن موسوعته].

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٣٥/٥) ضمن موسوعته]، بلفظ: «لَوْلاَ السَّهْوُ وَالأَمَلُ مَا مَشَى الْمُسْلِمُونَ فِي الطَّرِيقِ» وذكر بعده أثرا آخر بلفظ: «السَّهْوُ وَالأَمَلُ نِعْمَتَانِ عَظِيمَتَانِ عَلَى ابْنِ آدَمَ».

(٧) المفضل بن فضالة بن عُبَيد بن ثمامة الرعيني، ثم القتباني، أَبُو معاوية المِصْرِي، قاضي مصر، ولد سنة ١٠٧هـ، قال عنه أَبَو داود: كَانَ مجاب الدعوة، وقد روى له الجماعة، مات سنة ١٨١هـ. انظر: حلية الأولياء (٣٢١/٨)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٨/ ٤١٥).

وشرابِه(١).

وقال ابن المهدي(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن قَوِيَ أملُهُ ضَعُفَ عملُه، ومَن أتاه أجلُه لم يَنفعْهُ أملُه، غيرَ أنَّه لا بُد من أُمنيَةٍ وأملٍ تحيا بهما النَّفسُ، ويقوى بهما القلب، وتعمرُ بهما الدنيا»(٣).

وقال سعيد بن عبد الرحمن(٤): «إنَّما عُمِّرَت الدُّنيا بقِلَّةِ عقولِ أهلِها»(٥).

يُريد أنَّ بقِلَّةِ عقولهم انْصَرَفَت هِمَمُهم عن الآخرة، وأَقْبَلَت على الدُّنيا فَعَمَرُوها واشتغَلُوا بها، وأنشدوا(٦):

خُذْ مِن الآمالِ ما احتجتَ إليهْ ... فَفُضُولُ المرءِ محسوبٌ عليهْ
كان مَالاً أو كلاماً أو هوى ... أو فآمَالٌ مَشَتْ بَينَ يَدَيه
وَلِدُنياكَ فُوَيْهٌ(٧) شَيم(٨) ... وَقديماً شَاقَنا ذاك الفُوَيه [٥٧/ب]
ولأُخراكَ وَإنْ طالَ المدَى ... مَوقِفٌ يَسْلُكُ إحدَى جِهَتَيهْ
وَإذا لم تَكُ أَعددتَ لهُ ... نِلْتَ ما تكرهُه مِن عِدَّتَيهْ
وَصُرُوفُ الدَّهرِ تُخبر قَبْلَ ذَا ... بأمورٍ رُكِّبَتْ في طَيَّتِيهْ
ورأى الإنسانُ طَرْفاً لهما ... فَمَضَى يَعملُ فِيهِ صِفَتَيهْ
وإلى كَمْ أنتَ في سُكْرِ الهوَى ... وإلى كَمْ أنتَ مأسورٌ لديهْ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/ ٣٧) ضمن موسوعته].

(٢) لم أهتد إلى من عناه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) لم أقف عليه، وقد قال ابن حبّان البُستي في روضة العقلاء (ص:٢٥): «العاقلُ لا يُطوِّلُ أملَه، لأنَّ مَن قَوِيَ أملُهُ ضَعُفَ عملُه، ومَن أتاه أجلُه لم يَنفعْهُ أملُه».

(٤) سعيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جميل ابن جمح القرشي، أبو عبد الله المديني، حَدَّث عن هشام بن عروة، وسهيل بن أبي صالح، وغيرهما، وروى عنه محمد بن الصباح الدولابي، وأبو إبراهيم الترجماني، وغيرهما، مات ببغداد سنة ١٧٦هـ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. انظر: تاريخ بغداد (١٠/٩٦)، وتهذيب الكمال (١٠/ ٥٢٨).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل [(٥/ ٣٦) ضمن موسوعته].

(٦) سقطت الأبيات من (ي).

(٧) فُوَيه تصغير فاه، وهو الفم. انظر: لسان العرب (١٢/٤٥٩).

(٨) هكذا في الأصل (ت)، ولم أعرف معناها.

وَكِــلَا الــدَّارينِ تحتــاجُ لــهُ   ويَمــينُ المــرءِ أقــوَى عَضُــدَيهْ
فَلْتُبَــادِرْ مــا هــوَ الأولى بِمَــنْ   صَرَفَــتْ عَامِلَــهُ الــرِّيحُ لدَيــهْ
وراَهُ المــوتُ فَــانْقَضَّ لَــهُ   كَعِقَــابٍ خَــرَّ مِــنْ جَــوٍ عَلَيــهْ

اعلم رحمك الله أنَّ قِصَرَ[1] الأملِ مع حُبِّ الدُّنيا مُتعَذِّرٌ، وانتظارُ الموتِ مع الإكبابِ عليها غير مُتيسِّرٌ؛ فإنَّ حُبَّ الدُّنيا هو سببُ طولِ الأمل فيها، والإكباب عليها يَمنَعُ من الفِكْرة عن الخروج عنها[2]، والجهل بغوائلِها[3] [وعواقبها][4] يحمل على الإرادة لها والازدياد منها، لأنَّ مَن أحبَّ شيئاً أَحبَّ الكونَ معه والازدياد منه، ومَن كان مشغوفاً بالدُّنيا، مُحبّا لها، حريصاً عليها، قد خَدَعَتْهُ بزُخرُفِها، وأَمَالَتْهُ برونَقِها[5][6]، وسَحَرَتْهُ بزينتِها، كيفَ[7] يُريد مفارقتَها، وكيفَ [٥٨/أ] يُحبُّ مزايلتَها[8]؟!

هذا أمرٌ لم تَجرِ العادة به، ولا حُدِّثنا عنه، بل تَجِد[9] من كان على هذه الصفة أعمى عن طريق الخير، أصمَّ عن داعي الرُشد، أفِل[10] الرأي، سيء النظر[11]، ضعيف الإيمان لم تَترُك له الدُّنيا ما يَسمع به، ولا ما يَرَى الحقائقَ بواسطتِه، إنَّما دينُه وشَغْلَتُهُ[12] وحَديثُه دُنياه، لها يَنْظُر، ولها يَسمع، ولها يُعطي، ولها يأخُذ، قد مَلأت عينَهُ وقلبَهُ وأُذُنَه، كما قالَ القائل:

---

(١) في (م) و(ي): (تقصير).
(٢) في (م): (يمنع في الفكرة من الخروج عنها)، وفي (ي): (يمنع من الفكرة في الخروج منها).
(٣) الغَوائل: المهالك. لسان العرب (٥٠٩/١١).
(٤) زيادة من (م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).
(٥) في (م): (بتزويقها).
(٦) الرَوْنَق: الحُسْن. القاموس المحيط (ص:٨٨٨).
(٧) في (ي): (أم كيف).
(٨) المُزَايَلَة: المُفارَقة. لسان العرب (٣١٧/١١).
(٩) في (م): (نجد).
(١٠) يُقال رجل مَأْفول الرَّأي: أي ناقِص الرأي والعقل. انظر: تاج العروس (٨/٢٨).
(١١) في (م): (الظن).
(١٢) في (م): (وشغله).

مَــلأَتْ قَلْبَــهُ غُــروراً وفِتْنَــه وأَصَــمَّتْ عَــن الحقيقــةِ أُذْنَــهْ
وَرَمَــتْ عينَــهُ بِبُرْقَــةِ[1] سِــحْرٍ طَمَسَــتْهَا فــمَا يَــرَى مَــا أَجَنَّــهْ
لم تَــدَعْ فيــه مَطمَعــاً لِسِــوَاها فَهَوَاهــا لَدَيــهِ فَــرْضٌ وَسُــنَّة
أيُّ خَدَّاعَــةٍ تَعَلَّــقَ مِنهــا إنَّهــا إنَّهــا وَإِنَّــهُ إِنَّــه
فَاطَّرِحهَــا ومَــا إِخَالُــكَ إلا مِثلَــهُ فَــالكَلامُ شِــعْرٌ وَجنَّــة

فَتَجِدُه قد طَوَّلَ أملَه، ومَدَّ المسافةَ بين يديه؛ فإن كان شابّا قال: أنا صغيرٌ والأيامُ بين يدي، وأين حتى أبلُغَ ستين سنة أو سبعين سنة، وأنا محتاجٌ إلى الزَّوجة، والزَّوجة تحتاجُ إلى كذا وكذا، وإذا كانت الزَّوجة كان الولد وكانت البنت، واحتاجَ الولد [٥٨/ب] إلى كذا وكذا، واحتاجَت البنتُ أيضا إلى كذا وكذا، وهذا كلُّه إنَّما يكون بالمال، وإن لم يكن لي مالٌ لم أَصِل إلى مَرغوب، ولم أظْفَرْ بمطلوب، وإن قَعَدْتُ عن الطَّلَبِ احتجتُ إلى النَّاس، وإذا احتجتُ إلى النَّاس احْتُقِرْتُ واستُخِفَّ بي، وجُهِلَ قدري، كما قال القائل:

والمــرءُ لا يَصْــغُرُ مِقــدَارُهُ إلا إذا احتــاجَ إلى النَّــاسِ

وتَرَى[2] فلاناً قد كَسَبَ[3] وجَمَعَ وتَزوَّجَ وتَمَتَّعَ وظَفِرَ بالمراد، ووَصَل إلى ما أراد، وفلان كذلك، وفلان كذلك.

ولا يقول تَرَى فلاناً كان شاباً مثلي، وأراد ما أردتُ، وسعى فيما سعيتُ، فمات قبل أن يَصِلَ إلى إرادته، واختُطِفَ قبلَ أن يحصُل على طَلَبِه.

ولا يقولُ تَرَى[4] فلاناً طَلَبَ واجتهد، فلما اجتَمَعَ له ما اجتمعَ سُرِقَ منه أو عُدِيَ عليه فاغتُصِبَ أو عَطِبَ[5] في رجوعِه إلى بلده، وانصرافِه إلى وطنِه فماتَ في عَطَبَتِه، وهَلَكَ في

---

(١) البُرْقة: المقدار من البَرْق. لسان العرب (١٠/ ١٤).

(٢) من هنا إلى قوله: (يروى عن الحسن) (ص:١٨٠)، ساقط من (م).

(٣) في (ي): (اكتسب).

(٤) في (ي): (نرى).

(٥) العَطَب: الهلاك، يكون في النَّاس وغيرهم. المصدر السابق (١/ ٦١٠).

نكبَتِه، أو [تَرَى فلانا][1] خَرَجَ محزوناً مَسْلُوباً فقيراً حسيراً، وتَرَى فلاناً كذلك، وترى فلاناً كذلك.

إنَّما يَعْرِضُ على نفسِه ويُجرَى على خاطرِه مَن بَلَغَ إلى إرادتِه، ووَصَلَ إلى أمنيتِه؛ لأنَّ ذلك [٥٩/أ] هو الذي غَلَبَ على قلبِه، وشُغِفَ بحديثِه، فتراه يَسعى ويَرْغَب، ويَحرِصُ ويطلُب، ويَزْفِر[2] ويَكْرَب، في حُدُورٍ[3] وصعود، وطلوع وهبوط، آناءَ الليلِ وآناءَ النَّهار، ولا يفوته قَرَار، ولا يَضُمُّه في أكثر الأوقات دار، وكلَّما فَرَغَ [مِنْ شُغْلٍ أَخَذَ في آخر، مما يحتاجُ ومما لا يحتاج إليه بل لا يَفرُغُ][4] مِن شُغْلٍ إلا وقد عَرَضَتْ له أشغال، ولا يَصِلُ إلى أمل إلا انْبَعَث له آمال، فيُمَنِّي نفسَه بالأماني الباطلة، ويُحدِّثُها بالأحاديثِ الكاذبة.

فإنْ وَصَلَ إلى حظٍّ من المال، ونصيبٍ وافر من الكَسْب [مما][5] يُمكن أنْ يَعيش به عُمُرَه كلَّه أو طَعَنَ في السِّن، وقيل له: يا فلان أَرِحْ نفسَكَ وَدَعْ جِسْمَك، وهذا[6] الذي عندك يكفيك، قال: لا تَقُلْ هذا يا أخي[7]، الليلُ والنَّهار بين يدي، ولا يكفيهما قليل، ولن يدوما على أحد إلا أَذْهَبَا ما في يديه، وأخذا ما كان عنده، ولا يَدري ما يكون، والآفاتُ كثيرة، والأمراض مُتوقعة، والحاجة إلى النَّاس صعبة، ولا سيما مع الكِبَر، ولا سيما إن كان الأهل والولد.

فيُقيم العُذْرَ لنفسِه، ويطلب لها الحُجَّة، ويُوْجِدُ لها الدَّليل، ويُصَحِّح لها بزعمِه التأويل.

فإنْ ذُكِّرَ بالموت أو حُدِّثَ بموتِ إنسانٍ قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، [٥٩/ب] والله إنِّي

---

(١) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٢) الزَّفْر: أن يملأ الرجل صدرَه غَمًّا ثم يَزْفِر به ويُخرجه. انظر: المصدر السابق (٤/ ٣٢٤).

(٣) الحَدُور: الهبوط. انظر: القاموس المحيط (ص:٣٧٣).

(٤) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٦) في (ي): (فهذا).

(٧) في (ي): (يا أخي لا تقل هذا).

لَفِي غفلة، والله إنِّي لَفِي غُرُور[1]، والله إنَّ هذه لمصيبة، لا يَدري الإنسانُ متى يُخْتَرَم[2]، ولا متى يُختَطَف، ولا متى تَفْجؤه المَنِيَّة، وتَحِلُّ به هذه الرَّزِيَة، وتَنْزِل به هذه المصيبة.

هكذا قولاً بلا فِعْل، وكلاماً بلا نِيَّة، ولو كان مِن[3] صِدْقِ نِيَّة وصِحَّةِ طَوِيَّة لَظَهَرَ ذلك عليه، وبَدَت مَخَايله[4] منه، وربَّما وَعَدَ نفسه ومَنَّاهَا، وطَمَّعَها في التَّوبة وَرَجَّاها، وقال: لو جِئْتُ من هذه السَّفْرة أو لو بَنَيْتُ هذه الدَّار أو لو جمعتُ ما كان لي مُتفرِّقا أو لو جَهَّزتُ هذه البِنْت، وهذا[5] الولد، وأَدخَلتُه بيتَه، ونَظَرْتُ له فيما يعيش به لَتَفَرَّغتُ للنَّظَر لنفسي، وقَدَّمتُ ما أجده في رَمْسِي[6]، وكنتُ من داري إلى مسجدي، [ومن مسجدي إلى داري، ولا أنظر في شيء][7]، ولا اشتغل بشيء، فإنْ جاء من سَفرته تَجهَّزَ لغيرِها، وإنْ تفرَّغَ[8] من بُنْيَانِ دارٍ[9] نَظَرَ فيما يَصْلُح لها، وإنْ جَمَعَ مالَه نَظَرَ في تفريقِه في الوجه الذي يُنَمِّيه ويَزيدُ فيه، وإنْ جَهَّزَ ولداً بَقِيَ له آخر، وإنْ لم يَكُن له آخر قال: ما تُريد مِنِّي؟! أن آكُلَ ما عندي، وأَرجِع إلى ولدي حتى يُطعِمني ويَكسُوني ويُعِيْلني[10][11]؟! لا يكونُ هذا أبداً! الموتُ في القِفَار[12]، ولُجج[13] البِحَار أهونُ عليَّ من هذا!

---

(١) في (ي): (إنا لفي غفلة، والله إنا لفي غرور).

(٢) اخْتُرِم: أي مات. لسان العرب (١٢/١٧٢).

(٣) في (ي): (عن).

(٤) مَخايل الشيء: مَظَانُّه وعلاماته. انظر: تاج العروس (٢٨/٤٦١).

(٥) في (ي): (أو هذا).

(٦) في رَمْسِي: أي في قَبْري. انظر: لسان العرب (٦/١٠١).

(٧) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) في (ي): (فرغ).

(٩) في (ي): (داره).

(١٠) في (ي): (يعولني).

(١١) يُعيلني: أي يُنفق عليَّ ويكفيني. انظر: تاج العروس (٣٠/٧١).

(١٢) القَفْر: الخلاء من الأرض، وقيل: هي مَفازة لا نبات بها ولا ماء، وجمعه قِفار وقُفُور. انظر: لسان العرب (٥/١١٠).

(١٣) لُجَّة البَحْر: حيث لا يُدرك قَعْرُه. تاج العروس (٦/١٨٠).

فهو هكذا أبدا، لا مع المال [٦٠/أ] ولا دون المال، ولا مع الولد ولا دون الولد، يُحدِّث النَّاس عن الأموات ولا يُحدِّث نفسَه أنَّه يموت، ويُشَيِّع جنائزهم ولا يَتخيَّل أنَّ جِنَازته تُشيَّع، ويُقدِّر لنفسه العيشَ الطويل ولا يُقدِّر [له][1] الموتَ القريب، قد غَلَبَ عليه السَّهو، وأَطبَقَه الجهل، وسَدَّت عليه الغَفلةُ طُرُقَ الإنابة، وصَرَفَتْه عن أسبابِ الفِكْرَة.

وكم رأى من إنسان قد أَعَدَّ ثوبا لِيَلْبَسَه فكان كَفَنه، وكم رأى ممن يَبني دارا لِيَسْكُنها فكانت قبرَه، وكم رأى من آخر يُحِبُّ الولد ويشتهيه، ويتضرَّع إلى الله ﷻ ويرغب إليه فيه، فلما أُعْطِيَه ومَنَّ عليه به، جَمَعَ عليه الرجال، وأنفقَ عليه الأموال، وقال العَقِيقة[2] سُنَّة، والنفقة فيها حسنة، وربَّما كانت نعمته إلى الإسراف أقرب،وإلى التبذير أَمْيَل،وربَّما كانت نفقته سببا للمَناكير[3]،وسُلَّما لبعضِ المعاصي على رؤيةٍ منه ومشاهدة لذلك كما جَرَت العادةُ في الأعراس والولائم والاجتماعات، فيجعل الإسرافَ شُكْرا لتلك النِّعمة، والمعصيةَ جزاءً لتلك المُنْيَة[4][5]،ولعلَّ الولد يموت بعد ذلك بأيام أو بأشهرٍ[6]أو بأعوام أو يَعيش فيرى فيه من الأمراض والأسقام،وأنواع[٦٠/ب]الابتلاء والامتحان، ما يَوَدُّ معه أنَّه هو لم يكُنْ فكيفَ ولدُه؟!

هذا أمرٌ مُشاهد في العِيَان، وموجود بالبُرهان، ولعلَّه إنْ بَلَغَ وشَبَّ[7] فيه الأمل، ورُئِيَ له من العُمُر ذاك[8] الذي كان أَمَّل، صَار[9] له أعدى الأعداء، وكان منه أبعدَ البُعَدَاء، كما قد

---

(١) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٢) العَقِيقَة: الذَّبيحة التي تُذبح عن المولود ذكرا كان أو أنثى، وقيل: هي الطَّعام الذي يُصنع ويُدعى إليه من أجل المولود. انظر: المغني لابن قدامة (١٣/٣٩٣)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٦٣٢).

(٣) في (ي): (للمناكرة).

(٤) في (ي): (المنة).

(٥) المُنْيَة: ما يَتمنَّى الرجل. لسان العرب (١٥/٢٩٤).

(٦) في (ي): (إلى شهر).

(٧) في (ي): (إن شب وبلغ).

(٨) في (ي): (ذلك).

(٩) في (ي): (فصار).

سُمِعَ بجماعة قَتَلَهُم أولادُهم لِيَسْتَعجِلُوا ميراثَهم، ولِيَصيرَ إليهم المُلْكُ بعدَهم، نعوذ بالله من أمر لا يُستخار اللهُ تعالى فيه، ولا يُرَدُّ إليه عِقْدُ يمينه[1]، وكذلك إنْ كان صاحب تجارةٍ في سُوقِه، ومُلتزما في دُكَّانِه، إنما هو من الحانُوت[2] إلى الدار، ومن الدار إلى الحانُوت، من الصَّباح إلى الصَّباح، ومن بُكْرَة[3] إلى آخر الرَّوَاح، وإنْ كان ممن يُصلِّي في المسجد، وكثير[4] التعَاهُد له، قَلَّ ما يخلُو فيه مع ربِّه، ويَتَنَصَّل[5][6] من ذَنْبِه، إنَّما هو في الحديث مع فلان، والضَّحِك مع فلان، والسُّؤال عن أحوال الإخوان، وما جرى في البُلْدان، وما اتَّفَق في القديم من الأزمان[7]، وربَّما أَخْرَجَه ذلك إلى الغِيْبَة، وكثيرٍ من البُهتان[8].

وكذلك صاحب الصَّنْعَة، والضَّعيفُ من الحِرْفَة، إنَّما هو في كَدٍّ وعناء، وتَعَبٍ وشقاء، ونَصَب وبَلاء، كَدُّهُ وجَهْدُه ولَذَّته وأُمنيَتُه أنْ يَكْسُو ظَهْرَه، ويُشْبع بَطنه أو يَقوم على عِيَال [٦١/أ] أو يَغْدُوا أطفالا[9] مع شِكَايته لربِّه، وتَسخُّطِه لحُكْمِه، وتَبَرُّمٍ[10] بقضائِه، وقِلَّةِ صبرٍ على بلائه، ولا يُحدِّث نفسه بموت، ولا يخطُرُ بباله زوال.

---

(١) هكذا في الأصل (ت)، وفي (ي): (عند تمنّيه).

(٢) الحانوت: الدُّكَّان. انظر: تاج العروس (٤/٤٩٨).

(٣) في (ي): (البكرة).

(٤) في (ي): (ويكثر).

(٥) في (ي): (ويستقيل).

(٦) التَنَصُّل من الذَّنب: التبرُّؤ منه والاعتذار. انظر: لسان العرب (١١/٦٦٤).

(٧) في (ي): (الزمان).

(٨) بيَّن النبيُّ ﷺ الفرق بين الغيبة والبهتان في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه [كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الغيبة] (١٢٠٢/٢) ح(٢٥٨٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَه**»، قيل أَفَرَأَيتَ إنْ كان في أَخي ما أقول؟ قال: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**».

(٩) في (ي): (أو يغدو على أطفاله).

(١٠) تَبَرَّم: تَضَجَّر. انظر: لسان العرب (١٢/٤٣).

ولعلَّهُ إنْ ذَكَرَ الموتَ إنَّما يذكُرُه مُتمنِّيا[1] له لِيُريحَه من ذلك العَذاب العاجل الذي عُذِّبَ به، وذلك البلاء النَّازل الذي نَزَلَ عليه، قد شَغَلَه ما لَقِيَ في الحال عن النَّظَر في المآل، وعن التزوُّد من صالح الأعمال، فلا [هو][2] من أبناء الدُنيا المُنَعَّمِين، ولا من طُلابها المُدرِكين، ولا من[3] الصَّابرين الراضين الحامدين الشاكرين، ولا يزال كلُّ واحدٍ من هؤلاء على حالِه مُواظبا، ولما هو فيه مُلازما، حتى يموتَ على ما هو عليه، ثمَّ يبقى في البَرْزخ على ما كان عليه، ثمَّ يُبعث على ما بقي عليه في البَرْزخ أو تَتَغَمَّده الرَّحمة، وتَغشَاه المِنَّة، فيَستَنْقِذه ربُّه تعالى من هذه الغَمَرات، ويأخذ بيده في المُلِمَّات[4]، ويجعل له نُورا يمشي به في الظُّلُمات، على ما يُرجَى مِن مِنَّتِه وفَضلِه لا ربَّ غيره، ولا معبود سواه.

وربما كان الرجل مَبْخُوتا[5] من أول عُمُرِه إلى آخره؛ فيُولَدُ في نعمة، [ويتربَّى في نعمة][6]، وينشأ في نعمة تَمُدُّ عليه ظِلَالها، وتُطَوِّل مِن خَلْفِه أذيالَها، ويُجَدِّدُ عليه في كلِّ حينٍ [٦١/ب] إسعادَها وإقبالها، قد صار لوالديه دِينا ودُنْيا، فلَهُ يقومان، وله يقعدان، وله يَهتمَّان، وله يَجمعان، وبعينيه يَنْظُران، وبِأُذُنيه يسمعان، ثم يموتان ويُسلِّمان له تلك النِّعمة بكمالها، ويتركانها له على حالها، لم يُسمَع له فيها أنين، ولا عَرِقَ له فيها جَبين، فيبقى هو على ما كان عليه، يَمُدُّ في تلك النِّعمة يديه ورجليه، ويفتح لها عينيه وأذنيه، فما شئتَ[7] من لذَّة تُنال في الحال، وأخرى تُنتَظر في المآل، كلما نال لذَّة سعى في أخرى، وكلما وَصَلَ في[8] مطلوبٍ نَظَرَ في غيرِه، لم يَصْحَبْ إلا شكلَه، ولا يَسمعُ إلا قولَه، ولا رأى إلا عمله وفِعْلَه، فإنْ ذُكِّرَ بالتَّوبة أو

---

(١) في (ي): (تمنيا).

(٢) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) في (ي): (ولا مع).

(٤) في (ي): (ويأخذ بيده من هذه الهلكات).

(٥) المَبْخُوت: المَجْدُود المحظوظ. انظر: القاموس المحيط (ص:١٤٧).

(٦) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٧) في (ي): (شاء).

(٨) في (ي): (إلى).

خُوِّفَ بالموتِ قال: دَعْنَا من هذا، وحدثنا في غير هذا! هذه سَنواتُ الصِّبَا وأيامُ الشَّباب، ومنازلُ اللذَّاتِ ومَرْتَع[1] الأحباب، كما قال القائل فيه وفي أمثاله:

نَـالَ أمـوراً خَـابَ مَـنْ نَالَهَـا ... ثُـمَّ سَـعَى يَطلُـبُ أمثالَهَـا

وَوَاقَـعَ[2] الـذَّنْبَ فـما هالَـهُ ... والبَاذِخَـاتُ[3] الشُّـمُّ[4] قـد هَالَهَـا

وقـال هـذي سَـنواتُ الصِّـبَا ... فاسْـحَبْ عـلى رِسْـلِك أذيالَهَـا

وقُـمْ إلى خَـاتمِ جِرْيَالهـا[5] ... فَفُضَّـهَا واشْـتَفَّ[6] جِرْيَالهـا [٦٢/أ]

ومَـنْ يَقُـلْ في شَـأنِنَا قولَـةً ... فَخَلِّهَـا في فَـمِ مَـنْ قَالَهَـا

أَمَـا تَـرَى القُضْـبَانَ مَيَّالَـةً ... فَامْـدُد عَـلى رَأسِـكَ مَيَّالَهَـا

ومـرَّ يَسْـتَهْتِرُ في عُصْـبَةٍ ... مِـنْ شَـكْلِهِ تَصْـحَبُ أشْـكَالَهَا

أَولى لَـهُ ثُمَّـتَ أَولى لَـهُ ... وَتِلْكُـمْ العُصْـبَةُ أَولَى لَهَـا

يَـا وَيحَـهُ مِـنْ غَافِـلٍ يَـا لَـهُ ... وَتِلْكُـمْ يَـا وَيحَهَـا يَـا لَهَـا

و[أمَّا أكثر الشَّبابِ][7] يقول: إذا كَبِرْتُ تُبْتُ، والطَّلْقُ مُمتَدّ، والميدان عَرِيض، ولا يرى هذا البائس أنَّه قد شُيِّعَ إلى الآخرة من كان أصغرَ منه سِنّا، وأحدَث بالرَّحِم منه عَهدا، قد غَرَّتْه الشَّبيبة، وخَدَعَتْهُ الصِّحَة، وتمكَّنَت منه الغِرَّة، بما عنده من الثَّرْوَة والقوَّة، يقول: أنا صحيحٌ ومتى أَمرض ومتى أموت؟! ولا يرى المسكين أنَّ الموتَ في الشَّباب [أكثر][8]، وحَادِثَه إليهم

---

(١) في (ي): (ومرابع).

(٢) في (ي): (وأوقع).

(٣) البَاذِخُات: الجبال العالية الطَّويلة. انظر: لسان العرب (٧/٣).

(٤) الشُّمّ جمع أشم، يقال: جبل أَشَمّ أَي: طويل الرَّأس. انظر: تاج العروس (٤٧٦/٣٢).

(٥) الجِرْيال والجِرْيالة: الخَمْر الشَّدِيدَة الحُمْرة، وقيل: هي الحُمْرة. انظر: لسان العرب (١٠٨/١١).

(٦) في (ي): (ففضّه واستف).

(٧) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

فيهم[1] أسرع، وأنَّ الذي يموت في الهَرَم قليل، وأنَّ الإنسان يموت بَغْتَة، وإنْ لم يَمُتْ بَغْتَة مَرِضَ بَغْتَة ثُمَّ مات؛ كما يروى أنَّ الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ قيل له[2]: إنَّ فلانا ماتَ بَغْتَة، فقال: «ما تَعَجُّبُكُم[3] من ذلك؟! [إنَّه][4] لو لم يَمُتْ بَغْتَة لمرِضَ بَغْتَةً ثمَّ مات»[5].

أما يَعلم هذا [المسكين][6] المغرور أنَّ الأرضَ كلَّها مكانٌ للموت، وأنَّ الزَّمان كلَّه وقتٌ للموت،[٦٢/ب] لا يَختصُّ من الأرض بمكانٍ دونَ مكان، ولا مِن الزَّمان بوقتٍ دونَ وقت، فلا يزالُ هذا المغرور مُكِبّا[7] على شهوتِه، مُثابراً على لذَّتِه، غافلاً عن يوم صَرْعَتِه، حتى يُؤخذَ بما تَقَدَّمَ وما تَأَخَّر.

ويُلْقَى صَرِيعاً لليدينِ والفمِ [إلى حيثُ أَلْقَتْ رَحْلَها أمُّ قشْعَمِ][8]

تَبْكِيهِ بَوَاكٍ طالما من حُبِّها أَبْكَتْه، وتَنْدُبُه[9] نَوَادِبُ طالما قَبْلَ ذلك غَنَّتْه، وفي مثل ذلك قيل:

تَنْدُبُه نادِبَةٌ طالما غَنَّتْهُ مِن قَبْلُ وَغَنَّى لَها
ولم يَكُنْ يخطُرُ ذا بالَهُ ولم يَكُنْ تخطُرُ ذا بالَها

فانْظُر رَحِمك الله كيفَ يَقْصُرُ مع هذه الأحوال أَمَل، ويستقيم[10] معها عَمَل، أو[11] كيفَ يَطمَعُ مع هذه الموانع أنْ يخرُجَ حُبُّ الدُّنيا مِن القلب، أو يَقطعَ علائِقَها عن النَّفسِ أو

---

(١) في (ي): (منه).

(٢) في (م): (يروى عن الحسن أنه قيل له).

(٣) في (ش) و(م): (وما يعجبكم).

(٤) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ والسياق، وقد ذكر ابن الجوزي في آداب الحسن البصري (ص:١٣١) عن الحسن أنه كان يقول: «مَن لم يَمُت فجأةً، مَرِضَ فجأةً، فاتقوا الله، واحذروا مفاجأة ربِّكم».

(٦) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٧) في (ي): (منكبا).

(٨) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٩) النَّدْب: أَنْ تَذكر النائحةُ المُيِّتَ بأحسن أوصافه وأفعاله. النهاية في غريب الحديث (ص:٩٠٧).

(١٠) في (م) و(ي): (أو يستقيم).

(١١) في (ي): (أم).

يخطُرُ بالخاطِرِ ذِكْرُ الموتِ، كلا! حُبُّ الدُّنيا في القلبِ أَرسخ، وإخراجُها منه[1] أصعب، والنَّفس إليها أَميَل، وهي بها أَشْغَف، وفي طلبها أَهْلَك وأَتْلَف، وعن طريق الرُّشْد أَبعَد وأَصْرَف، وإنَّ حُبَّ الدُّنيا لهو الدَّاءُ العِضَال، الذي أَهْلَك الرِّجال، وأَفسَدَ كثيرا من الأعمال إلا أن تأتي العناية الإلهية، والقوَّة الربَّانية[2]، فتَصْرَف الإنسان [٦٣/أ] إلى النَّظَر الصَّحيح، وتحمِله على الطريق المستقيم، فيَرَى بعَيْن الحقيقة، وصحيح البصيرة أنَّه لا بدَّ [لهُ][3] من الموت وإنْ طَالَ المدى، وامتدَّ الطَّلَق[4]، وبَعُدَت الغاية، وأنَّه يُدفَن[5] تحت أطباق الثَّرَى، ويُرمى به في ظُلُمات الأرض، ويُسَلَّط الدُّود على جسده، والهوامُّ[6] على بدنه، فتأخذه[7] من قَرْنِه[8] إلى قدمه، قد عُدِمَ القريب، وأَسلَمه الطَّبيب، وتَرَكه الوليُّ والحبيب[9]، وعُرِضَ عليه عذابُ السَّعير، وأتاه مُنكرٌ ونكير، ولم يجد هنالك[10] أَنِيْسا إلا عمله، ولا صاحبا إلا فِعْلَه الذي فَعَلَه، كما قال القائل:

أَسْلَمَنِي الأهلُ بِبَطنِ الثَّرَى ... وانْصَرَفُوا عَنِّي فَوَا[11] وَحْشَتَا
وَغَادَرُوني مُعْدَماً يائِساً[12] ... مَا بِيَدِيْ اليومَ إلا البُكَا[13]

(١) في (ي): (عنه).

(٢) في (م) و(ي): (والشفاعة الربانية).

(٣) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) الطَّلَق: الشَّوْط والغاية الَّتي يجري إليها الفَرَس، والمراد امتداد الزمان وطوله. انظر: لسان العرب (١٠/٢٣٠).

(٥) في (م): (سيصير)، وفي (ي): (سيُرَضّ).

(٦) الهَوَامّ: الحيَّات وكلُّ ذي سُمٍّ يقتُل سُمُّه، وأَمَّا ما لَا يقتُل ويَسُمّ فهو السَّوامّ. انظر: انظر: تاج العروس (٣٤/١١٩).

(٧) في (ي): (فيأخذه).

(٨) قَرْن الرجل: حَدُّ رأْسه وجانِبُه. المصدر السابق (١٣/٣٣١).

(٩) في (م): (قد عُدِمَ الطبيب، وأَسلَمه الحبيب، وتَرَكه الوليُّ والقريب)، وفي (ي): (قد عُدِمَ الطبيب، وأَسلَمه القريب).

(١٠) في (م): (هناك).

(١١) في (م) و(ي): (فيا).

(١٢) في (ش): (بائسا).

(١٣) في (ش) ورد هذا الشطر هكذا: (مالي نديم اليوم إلا البلى).

وكــلُّ[1] مــا كــانَ كَــأَنْ لَمْ يَكُــنْ وكُلّــــما حَاذَرْتُـــــه قـــــد أَتَــــى
وذاكُـــمُ المجمـــوعُ والــــمُقْتَنَى قَـــد صـــارَ في كَفِّـــيَ مثـــلَ الـــهَبَا
ولم أَجِـــدْ لي مُؤْنِسَـــاً هَاهُنَـــا غـــيرَ فُجُـــورٍ كـــانَ لي أو تُقَـــى
فلـــو تَـــرَاني وتَـــرَى[2] حَـــالَتِي بَكِيْـــتَ لي يـــا صـــاحِ مِمَّـــا تَـــرَى

وأمَّا[3] الدُّنيا فَيَنْظُر إليها؛ فإنْ كان مَلِكاً نَظَرَ إلى مَنْ تَقَدَّمَهُ [٦٣/ب] مِن الملُوك، وما فَعَلَ الدَّهْرُ بهم؛ كيفَ[4] فَرَّقَ جُمُوعَهم، وشَتَّتَ جَميعَهم[5]، وأَقْفَرَ[6] عنهم[7] قصورَهم، وعَمَّرَ بهم حُفَرَهم وقبورَهم، ويَنْظُر إلى أيام مُلْكِه؛ هل يخلُو مِن عدوٍّ يُكابِدُه [أو مُنازعٍ يُكايده][8] أو قِتالٍ يُكَافِحُه أو مرضٍ يَهجُمُ عليه أو خِلْطِ سُوءٍ[9] يثُورُ معه.

وأنَّه كما قيل: تَمْرَةٌ بِجَمْرَة؛ إنْ نَالَ لذَّةً تجرَّعَ بعدَها غُصَّة، وإنْ أَتَتْهُ فَرْحَة غَشِيَتْهُ في إِثْرِها تَرْحَة، بل ربَّما كانت التَّرْحَات أكثرَ مِن الفَرْحَات، والدَّاهية أكثر من العَافِية، وكلَّما عَظُمَ مُلْكُهُ عَظُمَت هِمَّتُه، وامتَدَّ أملُه، وأرادَ ما لا يُمْكِن، وطَلَبَ ما لا يجد، وقد يأتيه النَّكَدُ من حيثُ لا يظُنّ، ويَدخُلُ معه الغَمُّ[10] من حيثُ لا يحتسب، ولو مِن جاريةٍ يُحِبُّها أو امرأةٍ يَشْغَف بها، فَيَجْعَلَها قِبْلَتَه، ويُصفِي لها مودَّتَه ويُخلِصُ لها مَحبَّتَه، ويُريد منها مثلَ ذلك، والقُلُوب قد تَتَنَافَر، والمِزَاج ربَّما يختلف، والطِّبَاع قد لا تتفق، فيرَى منها خِلافَ الذي يُريد، ويجد عندَها غيرَ

---

(١) في (ش): (فكل).

(٢) في (ي): (أو ترى).

(٣) من هنا إلى قوله: (قال أبو حامد) في (ص:١٩١) ساقط من (م)، ومن هنا إلى قوله: (ويروى أن النبي) في (ص:١٩٦) ساقط من (ش).

(٤) في (ي): (وكيف).

(٥) في (ي): (جمعهم).

(٦) يقال: أَقْفر المكانُ: أي خَلَا. انظر: تهذيب اللغة (٩/١٠٧).

(٧) في (ي): (وأقفرت منهم).

(٨) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٩) يقال: رَجُلٌ خِلْطٌ بَيِّن الخَلاطة: أي أَحْمَقُ مُخالَط العقْل. المصدر السابق (٧/٢٩٤).

(١٠) في (ي): (الهم).

الذي يَطْلُب، ولا يَقْدِرُ على معاقبتِها؛ لأنَّه إنْ عَاقبها إنَّما يُعاقِب نفسَه، وإنْ آلمَها إنَّما يُؤلِم قَلْبَه، فَتَجِده يَتَحمَّل منها ما لا يَتَحمَّل منه بعض رَعَيَّتِه، [٦٤/أ] فبينما هو مَلِكٌ إذ صَار[١] مملوكا، وبينما هو رئيسٌ عاد[٢] مَرْؤُوسا، كما قد سُمِعَ وتُحُقِّقَ عن بعض الملُوك، حتى قال أميرُ المؤمنين هارون الرَّشيد[٣] -وقصته مشهورة[٤]-:

مَلَكَ الثَّلاثُ الآنِسَاتُ عِنَاني[٥] ... وحَلَلْنَ مِنْ قَلْبِيْ بِكُلِّ مَكَانِ

مَالِي تُطَاوِعُنِي البَرِيَّةُ كُلُّها ... وَأُطِيعُهُنَّ وَهُنَّ فِي عِصْيَانِ

مَا ذَاكَ إلا أنَّ سُلْطَانَ [الهَوَى][٦] ... وَبِهِ قَوِيْنَ أَعَزُّ مِن سُلْطَانِي

وقد تكون صادِقةً في محبَّتِها، مُخلِصَةً في مودَّتِها، فيتَّهِمَها في وِدَادِها، ولا يُصَدِّقها في إخلاصِها، لِشِدَّةِ كَلَفِه[٧] بها، وفَرْطِ [محبَّتِه][٨] لها؛ لأنَّه يتخَيَّل أنَّ عَيْشَه لا يَطِيْب، وسُرُورَه لا يَتِمّ، وفَرَحَه لا يكونُ إلا بأنْ تُخلِصَ له المَوَدَّةَ من قَلْبِها، وتُحبَّه من ذَات نفسِها، وقد تكون له كما يُريد، فَيَخْلَع عِنَانَه معها، ويَسْتَوفي سُرُورَه بها، فَيُصَاب فيها بِمَرض أو يُفْجَعَ فيها بِموت، فَيَعُودَ الفَرَحُ حُزْنا، والسُّرُورُ هَمًّا.

---

(١) في (ي): (قد صار).

(٢) في (ي): (قد عاد).

(٣) الخليفة أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي، ولد بالرَّي سنة ١٥٠هـ، وقيل ١٤٩هـ، واستُخلِف بعد وفاة أخيه موسى الهادي سنة ١٧٠هـ، وكان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حج وجهاد، وغزو وشجاعة، ورأي، ومحاسنه كثيرة، توفي سنة ١٩٣هـ. انظر: تاريخ بغداد (٩/١٦)، وسير أعلام النبلاء (٢٨٦/٩).

(٤) انظر: تاريخ بغداد (١٧/١٦)، وتاريخ دمشق (٣١٨/٧٣)، وذم الهوى لابن الجوزي (ص:٦٣٥).

(٥) يريد أنه انقاد لهنَّ، يُقال ذَلَّ عِنان فلان إذا انقاد. انظر: لسان العرب (٢٩٢/١٣).

(٦) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل (ت)، ومثبت من (ي).

(٧) الكَلَف بالشيء: محبته والتعلق به. انظر: لسان العرب (٣٠٧/٩).

(٨) في الأصل (ت): (محبتها!) وهو خطأ لا يناسب السياق، والمثبت من (ي).

كما يُروى في قصة يزيد بن عبد الملك(١) أميرِ المؤمنين أنَّه كان مَشْغُوفا بجاريةٍ يُقال لها حَبَابَة(٢)، كانت قد مَلَأت قَلْبَه، وأَطَاشَتْ عَقْلَه، وأَذْهَبَت لُبَّه، ونَزَلَت من نفسِه [٦٤/ب] حيثُ أَرَادَت، وحَلَّت منه بالمَحِلِّ الذي شاءت، وكان قد نَزَلَ منها بالمكان الذي نَزَلَت منه، فقال يوماً لحاجِبِه: لا تَأْذَنْ عليَّ اليومَ لأحدٍ(٣)، ولا تُخبِرني بِخَبَر، ولو كان فيه ذَهَابُ مُلْكِي!

وخَلَا بجاريتِه تِلْك في مجلس أُنْسِه، ومقام(٤) سُرُورِه، ومعه من الدُّنيا ما يكون مع مِثلِه، فبينما هما على ما اشْتَهَيَا، إذ أَخَذَت حَبَّةَ رُمَّانٍ(٥) فَأَدْخَلَتْهَا في فِيْهَا فَشَرَقَت(٦) بها، فتَخَبَّطَتْ حتَّى خَرَجَتْ رُوحُها بينَ يديه!

فلا تَسأَلْ عن حالِ يَزِيدَ وما طَرَأَ عليه وما حَلَّ به، فَقَدَ الصَّبرَ والعَقْلَ، وتَوَلَّهَ(٧) وتَحَيَّرَ وتَدَلَّه(٨)، وأَكثَرَ الصُّرَاخ والبُكَاء والصِّيَاحَ والعَجِيج(٩) والضَّجَيج، ومَنَعَ مِن دَفْنِها، وصَدَّ عن مُوارَاتِها(١٠)(١١).

---

(١) يزيد بن عبد الملك الخليفة أبو خالد القرشي الأموي الدمشقي، ولد سنة ٧١هـ، استُخلف بعهدٍ عَقَدَه له أخوه سليمان بعد عمر بن عبد العزيز، وأمه هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية، مات سنة ١٠٥هـ، وعهد بالخلافة إلى أخيه هشام. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٠)، والبداية والنهاية (١٢/ ٧٢١).

(٢) حَبَابَة -بالتخفيف- وهو لقب، واسمها العَالية، وتكنى أم داود، مولاة يزيد بن عبد الملك، وهي من مولدات المدينة، وكانت أحسن أهل عصرها وجها، وأحلاهم منظرا، وكانت شاعرة متأدبة، ولها فيه مرتبة، توفيت سنة ١٠٥هـ. انظر: تاريخ دمشق (٦٩/ ٨٨) والبداية والنهاية (١٣/ ١٤).

(٣) في (ي): (لا تأذن اليوم عليَّ لأحد).

(٤) في (ي): (ومكان).

(٥) عند الذهبي في السير (٥/ ١٥١) أنه «حَذَفها بِعِنَبَة، وهي تَضحك، فَوَقَعَت في فِيْهَا، فَشَرِقَت، فماتت»، وعند ابن كثير في البداية والنهاية (١٣/ ١٥): «إذ رَمَاها بحبَّة رُمَّان -ويروى: بِعِنَبَة- في فَمِها وهي تضحك، فَشَرِقَت بها فماتت».

(٦) شَرِقَت بها: أَي غَصَّت بِها. انظر: لسان العرب (١٠/ ١٧٧).

(٧) الوَلَه: الحزن أو ذهاب العقل حزنا. القاموس المحيط (ص:١٢٥٦).

(٨) الدَّلْه والدَّلَه: ذهاب الفؤاد مِن هَمّ أو نحوه. لسان العرب (١٣/ ٤٨٨).

(٩) مأخوذ من العَجّ: وهو رَفع الصوت والصياح. انظر: تهذيب اللغة (١/ ٥٥).

(١٠) المُوَاراة: الدَّفن. انظر: لسان العرب (١٣/ ١٥٥).

(١١) لاشك في تحريم هذه الأفعال المحكية عنه -إن ثبتت- من النياحة والتسخط والصراخ ونحو ذلك لما في ذلك من عدم

وأَقَامَتْ على ذلك [الحال][1] أياماً حتَّى تَغَيَّرت وأَنْتَنَت، فاجتَمَعَ إليه بنو أُميَّة، وعَزَّوْهُ فيها، وصَبَّرُوه عنها، وسَألوه في دَفنِها، وقالوا له: يا أمير المؤمنين، هذه فضيحةٌ بنا، وسُبَّةٌ علينا، وأيُّ فائدةٍ لك في تَرْكِها؟ وكم عَسَى أن تَبقَى على هذه الحالة؟ وكم عَسَى أن تَدُوم على هذه الصِّفَة؟ فلم يزالوا به، وكَلَّمَه[2] النِّساءُ ممن يَكْرُمُ عليه من أهلِه وسَرَارِيه[3] إلى أنْ أَمَرَ بدفنِها، وخَرَجَ في جنازتها على رِجْلَيه، ولما دُفِنَت تَمَثَّلَ على [٦٥/أ] قَبرِها ببيتينِ لكثير[4]:

وإنْ تَسْلُ عَنْكِ النَّفْسُ أو تَدَعِ الهوَى ... فباليَأْسِ تَسْلُو عَنْكِ لا بِالتَّجَلُّدِ

وكُلُّ خَليلٍ زَارَني فهو قائلٌ ... مِن أَجلِكِ هذا هَامَةُ اليومِ أو غَدِ

ثمَّ أخرجها من قبرِها بعد شَهْر[5]، وجَعَلَ يعانِقُها ويُقَبِّلُها[6]، فاجتَمَع عليه أهلُه وبنو

الرضا بقضاء الله وقدره، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**» [رواه البخاري (ص:٣١٢) ح(١٢٩٤)، ومسلم (٥٩/١) ح(١٠٣)]، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وإنما الواجب على المسلم إذا مات له ميت أن يصبر ويحتسب، وكذلك رفضه لدفنها حتى أنتنت فلا شك في قبح هذا الفعل وتحريمه وهو منافٍ لأمر النبي ﷺ بالإسراع بدفن الميت كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة عنه ﷺ أنه قال: «**أسرعوا بالجنازة؛ فإن تك صالحة فخير تقدمونها، وإن يك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم**». [رواه البخاري (ص:٣١٧) ح(١٣١٥)، ومسلم (٤١٩/١) ح(٩٤٤)]. انظر: فتح الباري لابن حجر (١٨٤/٣)، ومجموع فتاوى ابن باز (٣٣٨/٩) ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٤٠٩/١٧).

(١) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٢) في (ي): (حتى كلمه).

(٣) السَّرَاري: الإماء والجواري. انظر: تاج العروس (١٣/١٢).

(٤) هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود، يكنى أبا صخر، وهو كثير عزة، الخزاعي، الشاعر الشهير، وكان مزهواً، فيه تشيع ويقول بتناسخ الأرواح، وكان شاعر بني مروان، يعظمونه ويكرمونه، توفي في أول خلافة هشام، وقد زاد على ثمانين سنة. انظر: معجم الشعراء للمرزباني (ص:٣٥٠)، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي (٣٩٣/٢).

(٥) اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز نبش القبور بعد دفنها لمدة طويلة أو قصيرة لغير سبب أو مسوغ شرعي؛ مثل أنْ يكون القبر الأولُ فيه ما يُؤْذِي الميِّت، فيُنقل إلى غيره، كما فعل بعضُ الصحابة. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٠٣/٢٤)، وأحكام المقابر في الشريعة الإسلامية للدكتور عبدالله السحيباني (ص:٤٦٨).

(٦) وهذا من الأمور المستنكرة في هذه القصة؛ فكيف يقبلها ويضمها بعد شهر وقد صارت جيفة؟!

عَمِّه من بني أُميَّة، وقالوا [له](١): ما هذا يا أمير المؤمنين! والله لئن سُمِعَ بهذا لَتُخْلَعَنَّ مِن مُلْكِك، ولَيُنقَضَنَّ عليك أمرُك، ولَيَقُومَنَّ في مقامِك [هذا](٢) غيرُك، فأَقْصَرَ عن ذلك الهَيَمَان(٣)، وسَكَنَ عن(٤) ذلك الهيَجَان، ثمَّ لم يَزَل واجِدا [عليها](٥)، محزوناً بموتها إلى أنْ مات، ولم يَعِش بعدها إلا يسيرا، وغيرُه كذلك، وغيره وغيره، ويُروى أنَّه إنَّما عاش بعدَها تسعةَ أيام [أو نحوها](٦)(٧).

ويُروى(٨) أنَّ الهادي(٩) أمير المؤمنين كان له جارية تسمى غَادِر(١٠)، وكانت أَحْظَى مَنْ عنده، وأغلَبهم على قَلْبه، وأَملَكَهم لنفسه، وكانت من أَحسن النَّاس وَجْها، وأطيبهم غِنَاء، كان إبراهيم الموصلي(١١) هو الذي رَبَّاها وأدَّبَها وعَلَّمَها وبَاعَها بعشرةِ آلاف دينار.

---

(١) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٢) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) الهَيَمان: المحبّة الشديدة. انظر: لسان العرب (١٢/ ٦٢٦).

(٤) في (ي): (من).

(٥) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٦) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٧) ذكرها ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠٨/٦٥)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥١/٥)، وابن كثير في البداية والنهاية (١٤/١٣) بدون إسناد فهي لا تصح ولا تثبت.

(٨) من هنا إلى قوله: (وكذلك إن لم يكن ملكا) (ص:١٨٨)، ساقط من (ي).

(٩) الخليفة الهادي، أبو محمد موسى بن المهدي، محمد بن المنصور عبد الله الهاشمي، وُلِدَ بالرَّي سنة ١٤٧هـ، وقد وَلي عهد أبيه، فلما مات أبوه، تسلَّمَ الخلافة، وكان شجاعا، فصيحا، لَسِناً، عظيم السطوة، مات سنة ١٧٠هـ، وكانت خلافته سنة وشهرا. انظر: تاريخ بغداد (٧/١٥)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٨/ ٣٣٤)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤١).

(١٠) لم أقف على ترجمتها، وإنما ذكر ابن كثير أن وفاتها كانت سنة ١٧٣هـ. انظر: البداية والنهاية (٥٧٢/١٣).

(١١) ابراهيم بن ماهان بن بهمن، الفارسيُ الأصل، التميمي بالولاء، الأرجاني، المعروف بالنديم، أبو إسحاق الموصلي، ولم يكن من الموصل، وإنما سافر إليها وأقام بها مدة، فنسب إليها، وُلِدَ بالكوفة سنة ١٢٥هـ، ونشأ في كفالة بني تميم، فنُسِبَ إليهم، وهو أحد الشُّعَرَاء والمغنِّين والنُّدَماء، وقد اتَّصل بالخلفاء؛ أوَّلهم المهديّ، وحَظِي عند الرَّشيد، ومات ببغداد سنة ١٨٨هـ. انظر: وفيات الأعيان لابن خَلِّكان (٤٢/١)، والبداية والنهاية (٦٦٦/١٣).

فبينما الهادي يوما يَشْرَبُ مَع نُدَمائه[١]، وهي تُغَنِّيهم من وراء السِّتَارة، إذ عَرَضَ له فِكْرٌ وسَهْو، [٦٥/ب] وتَغَيُّرِ لونٍ، وقَطَع الشَّرَاب، فقال له نُدَماؤه: مالك يا أمير المؤمنين؟ قال: وَقَع في فِكْري أنِّي أموت، وأنَّ أخي هارون يَلِي الخلافةَ بعدي، ويتزوَّج جاريتي غَادَر هذه، فقالوا له: نُعِيذُك بالله يا أمير المؤمنين، ويُطِيل بقاءك، ونتقدَّم نحن وهو بين يديك، ونموت قَبلك، فقال لهم: ليس هذا مما يُزِيل ما في نفسي، ثمَّ أَمَرَ أن يُؤتى برأسِ هارون، ثمَّ رَجَعَ عن ذلك، وأَمَرَ بإحضَارِه، فَعَرَّفَه بما خَطَرَ ببالِه فاسْتَعْطَفَه هارون، وجَعَلَ يُكَلِّمُه بما يُوجِبُ زوالَ ما في نفسه، ويَخضَعُ له ويَتَذَلَّل، فلم يَقْنَع بذلك، وقال: لا أرضى حتَّى تَحْلِفَ لي بكلِّ ما أُحَلِّفُك به، أنِّي إذا مِتُّ لم تتزوَّج جاريتي هذه -غَادِر-، قال: أَفْعَل، فأَحْلَفَه بكلِّ يمين يَحلِفُ بها النَّاسُ من طَلاقٍ، وعِتَاقٍ، وحَجٍّ رَاجلاً[٢]، وغيرِ ذلك من الأيمان المؤكدة، أنَّه لا يتزوجُها أبدا، فَحَلَفَ له بجميع ذلك، فَرَضِيَ وسَكَنَ ذلك الخاطِرُ عنه.

ثمَّ قام إلى الجارية، ودَخَلَ عليها السِّتر، فأَحْلَفَها بالأيمان المؤكدة من الحجِّ والعِتْقِ والصَّدَقة، وما يَحلِف به النِّساء، أنها لا تتزوَّجه أبدا، قال: فلَم يَلْبَثْ بعدها إلا شَهْرا أو نحوه حتَّى مات، ووَلِيَ هارونُ [٦٦/أ] الخلافةَ بعده، فلما وَلِيَ بَعَثَ إلى الجارية فَخَطَبَها، فقالت: يا أمير المؤمنين، كيفَ بأيماني وأيمانك؟! قال: أُكَفِّر عن أيماني وأيمانك، وأَحُجُّ رَاجِلا، فَفَعَلَ وتزوَّجَها، فَوَقَعَتْ مِن قَلْبِه ألطَف مَوْقِع، وشُغِفَ بها أشدَّ من شَغَفِ أخيه الهادي، حتَّى كانت تَسْكرُ وتنامُ في حِجْرِه[٣]، فلا يتحرَّك ولا يَنْقَلِب حتَّى تَنْتَبِه.

فبينما هي ليلة نائمةٌ في حِجْرِه إذ انتبَهَت فَزِعَةً مَرعُوبة، فقال لها: مَالَكِ فَدَيْتُكِ؟ فقالت له: رأيتُ أخاك الهادي السَّاعَةَ في النَّوم، فأنشدني:

أَخْلَفْـــتِ وَعْـــدِي بَعْـــدَ مَـــا ... جَـــاوَرْتُ سُـــكَّانَ المقَـــابِرْ

---

(١) ندمائه: أي جلساؤه. انظر: تهذيب اللغة (١٠٢/١٤).

(٢) رَاجِلا: أي مَاشياً. انظر: لسان العرب (٢٦٩/١١).

(٣) هكذا في الأصل (ت)، وهي النسخة الوحيدة التي وردت فيها القصة، ولم يُذكر في المصادر التي ذكرت القصة أنها كانت (تسكر)! ويُخشى أن تكون من زيادات النسَّاخ.

وَنَسَيْتِنِي وَحَنْثْتِ في أيمانِكِ الكُذْبِ الفَوَاجِرْ

وَحَلَلْتُ في أهلِ البِلَى وَغَدَوْتِ في الحُورِ الغَرَائِرْ[١]

وَنَكَحْتِ غَادِرَةً أَخِي صَدَقَ الذي سَمَّاكِ غَادِرْ

لا يَهْنَكِ الإِلْفُ الجديدُ ولا تَدُرْ عَنْكِ الدَوَائِرْ

وَلَحِقتِ بي قَبلَ الصَّبَاحِ وَصِرْتِ حيثُ غَدَوْتُ صَائِرْ

قالت: ثمَّ وَلَّى عَنِّي ولكأنَّها مكتوبة في قلبي، ما نَسِيتُ منها كَلِمَةً!

فقال لها هارون: هذه أحلام الشَّيطان، فقالت: كلا والله يا أمير المؤمنين! [٦٦/ب] ثمَّ اضْطَرَبَت بينَ يديه، وتَخَبَّطَتْ حتَّى خَرَجَتْ روحُها تلكَ السَّاعة!

ولا تَسَلْ عن هارونَ ومَا لَقِيَ عليها[٢].

وكذلك إنْ لم يَكُن مَلِكًا وكان وَزيراً أو غيرَ ذلك من أصناف النَّاس وصفاتِهم في تَقَلُّب الدُّنيا بهم معلومة، وأحوالهم فيها مشهورة، كلُّ واحد مِنَّا يعلم هذا من نفسه، ويراه من غيره.

وأنَّه ليس من إنسان إلا وله شِرْبٌ[٣] من الكَدَر، ونصيبٌ من الهمّ، يَقِلُّ عند إنسان ويَكثُرُ عند آخر، فإذا أَخَذَ نفسه بهذه الأفكار، وعَرَضَ عليها هذا الاعتبار، أَعْرَضَ عن الدُّنيا، ولم يَلْتَفِتْ إليها، ولا شَغَلَ نفسه بها، وتَذَكَّرَ الموتَ وخَافَ فَجْأَتَه، ولم يَأمَن بَغْتَتَه، ولم يَسْمَع إلا وَجْبَته[٤]، ولا رأى إلا صَدْمتَه وصَرْعَتَه، والله تعالى وَلِيُّ التوفيق، بفضله وطَوْلِه[٥] لا ربَّ غيره، ولا معبود سِوَاه، وأنشدوا[٦]:

---

(١) من الغِرَّة وهي الغَفْلَة، فيجَمْعون امرأَة غِرَّة عَلَى غَرائر، كجَمْعِهِمْ ضَرَّة عَلَى ضَرائر، وليس ذلك بقياس مُطَّرد. انظر: لسان العرب (١٠/ ٥٥)، وتاج العروس (١٣/ ٢٢٤).

(٢) أوردها ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٨/ ٣٤٩)، وابن كثير في البداية والنهاية (١٣/ ٥٧٢) بسياق قريب لما ذكره المصنف، بدون إسناد فهي لا تصح ولا تثبت.

(٣) الشِّرْب: الحَظّ والنصيب. انظر: تاج العروس (٣/ ١١٢).

(٤) الوَجْبَة: صوت الشيء يَسقُط. لسان العرب (١/ ٧٩٤).

(٥) الطَّوْل: المَنّ. المصدر السابق (١١/ ٤١٤).

(٦) الأبيات ساقطة من (ي).

سَـــجَعَتْ[1] هـــذه الحَمامَـــةُ سَـــجْعَا فتَـــذَكَّرْتَ أنْـــتَ إلْفَـــاً ورَبْعَـــا[2]

لا لشـــــيءٍ إلا لأنَّـــــكَ قَـــاسٍ مَصْــرَعاً قــد تَقَــدَّمْتَ فيــه صَرْعَــى

وَحَـــديثاً مِـــن بعـــدِهِ وحـــدِيثاً وحـــديثاً يُجْـــرِي فـــؤادَك دَمْعَـــا

[٦٧/أ] يـــا جهـــولاً وغَـــافِلاً وظَلُومـــا كُـــلُّ هـــذي جُمِعْـــنَ عنـــدَك جَمْعَـــا

مَـــا لآمَـــالِي انتَجَعَـــت[3] سَـــنَاها[4] حيـثُ لاحَـتْ بُرُوقُهـا حيـثُ تَسْـعَى

خُلَّـــبٌ[5] أَبـــرَدَ المناهـــلِ[6] مَـــاءً مُهْمَـــلٌ[7] أجــذَبَ المراتِــعَ مَرْعَــى

شَـــغَلَتْ نفسَـــكَ اللَّجُـــوج[8] وأَعْمَـــتْ مِنــكَ عَيْنــاً وأَثْقَلَــتْ مِنْــكَ سَــمْعَا

فتَخَطَّيْـــــتَ بالـــــدواءِ أُسَـــــاةً[9] لم يَــرَوا للــدواءِ عنــدَكَ نَجْعَــا[10]

ومُحَـــالٌ بـــأنْ يُـــرَى فيـــكَ شَـــحْمٌ لانتجــاعِ وأنــتَ جِسْــمَكَ تَرْعَــى

واعلَمْ رحمك الله أنَّ مَنْ كان مُنتَظِرا لعقابٍ يَنْزِلُ به من أمير بَلْدَتِه أو عظيمِ قَرْيَتِه؛ فإنَّه لا يَزَال مُتَعَلِّقَ[11] القَلْب، مَشغولَ النَّفْس، وبِحَسَب النَّوع الذي يَخافُ من العقابِ يكون أَلَم قَلْبه، وشُغْلُ نَفْسِه.

فإنَّه مَن تَوَعَّدَه الأميرُ بأنْ يَضْرِبَه مائةَ سَوْط؛ فإنَّه أَشْغَلُ سِرًّا ممن تَوَعَّدَه أنْ يَضْرِبَهُ عَشرة أسواط، ومَن توعَّدَه أنْ يقطَعَ جارِحَةً من جَوارِحه كان أكثرَ تَوَجُّعاً ممن توعَّدَه بأنْ يَضْرِبَه مائةَ

---

(١) سجَعَت الحَمَامَة: إذا دَعَتْ وطَرَّبَتْ في صَوتها. تاج العروس (٢١/١٨١).

(٢) الرَّبْع: المَنْزِل ودار الإقامة. ورَبْع القوم: مَحَلَّتُهم، وتُطلق أيضا على جماعة الناس. انظر: القاموس المحيط (ص:٧١٨).

(٣) انْتَجَع: طَلَب الكلأ في موضعه. تاج العروس (٢٢/٢٣٣).

(٤) السَّنا: ضوء النار والبرْق. لسان العرب (١٤/٤٠٣).

(٥) البَرْق الخُلَّب: الذي لا غَيْث فيه، كأنه خادِعٌ يُومِض، حتَّى تَطمع بمطره، ثمَّ يُخلِفُك. المصدر السابق (١/٣٦٤).

(٦) المَنْهَل: الموضع الذي فيه المشرَب، يُقَالُ: مَنْهَل بني فلان: مَشْرَبهم. انظر: تاج العروس (٣١/٤٧).

(٧) المُهْمَل: المتروك. انظر: المصدر السابق (٣١/١٦٣).

(٨) اللَّجوج: المتمادِي فِي الأمر ولو تبيَّن له الخطأ. انظر: المصدر السابق (٦/١٧٩).

(٩) الآسِي: الطَّبيب، والجمع أُسَاة وإِسَاء. لسان العرب (١٤/٣٤).

(١٠) يُقال نَجَعَ فيه الدّواء: أي نَفَع. انظر: تاج العروس (٢٢/٢٣٥).

(١١) في (ي): (متألم).

سَوْط، ومن تَوعَّدَه بأنْ يَضْرِبَ عُنُقَه كان أشدَّ خوفاً ممن وَعَدَه بأنْ يقطَعَ بعضَ جَوَارِحه، وكذلك من توَعَّدَه بأنْ يجعلَ عليه أنواع العذاب، ويعاقبَه بضُرُوبٍ من العقاب، [٦٧/ب] حتَّى يموتَ تحتَها، وتخرجَ نفسَه بها، كان أعظمَ جَزَعاً ممن توَعَّدَه بِضَرْب عُنُقِه، هذا هو المتعارف.

فإنْ وُجِدَ إنسانٌ يختارُ تطويلَ العذاب، ويَهُون عليه، رغبةً منه في الحياة ما بينَ موتِه بالعذاب، وسُرْعَة موته بالسَّيْف، فهذا رجل غَلَبَه الجَزَع[1]، ومَلَكَ قلبَه الهلَع، فأطاشَ لُبَّه، وأزال عَقْلَه، حتَّى مَنَعَه مِن حُسْنِ النَّظَر، وأوقَعَه في سيء الاختيار.

ومَا مِنَّا واحدٌ إلا وقد تُوُعِّدَ بالقتل؛ لأنَّ الموتَ قَتلٌ في البَاطن، ألا تَرَى أنَّه يُقال قَتَلَ فلان فلاناً، فيقال: بِمَ قَتَلَه؟ فيُقال: بسَيْفٍ أو بسِكِّين أو بِخَنْجَرٍ أو خَنَقَه أو غَرَّقَه أو بغيرِ ذلك مِن أنواع القتل، والموت كالخَنْق، فهو إذَنْ قِتْلَة من القِتْلَات[2]، وإنَّما جَرَت العَادة بأنْ يُقال: قُتِلَ فلان، إذا قَتَلَه مخلوق، وقد يُقال: قَتَلَ اللهُ فُلانا، وهو قد مات من عِلَّة أو مات بَغْتَةً، ولم يَكُن لمخلوقٍ في ذلك فِعْل.

فقد بَانَ لك إذَنْ أنَّ كلَّ واحدٍ منَّا يَنتظِر القتل، ولا فَرْق بين أنْ يَثِبَ عليك إنسان بسَيْف أو سكِّين أو خَنْجَر أو بغير ذلك فيَقْتُلك أو يَثِبَ عليك مَلَكُ الموت فَيَقْبِضَ روحَك.

فلو كُشِفَ [٦٨/أ] للنَّاس عن أبصَارهم فرأوه حِين يَثِبُ عليك، وشاهدوه في الباطن حينَ يأخذ روحَك، لما كان بينه وبين إنسان يَقْتُلُك في الظَّاهر فَرْق إلا أنَّ الإنسان يحتاجُ إلى آلةٍ يَقتل بها من سَيْف أو سكِّين أو غير ذلك، والمَلَك لا يحتاج إلى شيء من ذلك، فإنْ أَخَذَكَ إنسان وروَّعَك وحَبَسَكَ لِلْقَتْل، وهَدَّدَكَ ثمَّ قَتَلَك، فاجعلْ ذلك الألم الذي تَجِده من حَبْسِه وترويعِه وتهدِيده كالذي يُصِيبُك من المرض أو مما كان من العِلَل قَبل الموت ثم تموت.

ومعلوم أنَّ من الأمراض ما يقوم أَلَمُه مقامَ التهديد والوعيد، بل منها ما هو أشدُّ وأشقّ،

---

(١) في (ي): (رجل قد غلب عليه الجزع).

(٢) في (ي): (فهو كما إذا قتله قتلةً من القتلات).

كوَجَع الاختِنَاق[1]، ووَجَع الحَصَى، وغيرهما، وقد شُوهِد من النَّاس مَن مَات مِن وَجَع الاختناق، ووجع الحَصَى[2] -وليس [القتل][3] الذي هو الضَّرْبُ بشيء على يَدِ مخلوق-، ولا ما يكون على يَدِ غيرِ المخلوق، كالهَدَم[4]، والغَرَق، والحَرْق، وغير ذلك مما يَزِيد في شِدَّة الموت، ويُكثِر من أَلَمِه ووَجَعِه، لأنَّ هذه كلَّها أسبابٌ للموت، والموتُ شيء آخر، وهو أمرٌ إلهي يَنْزِل بالرُّوح، لا يَعلَمُ حَقِيقتَه إلا الذي يَنْزِلُ به [٦٨/ب].

قال أبو حامد[5] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنَّ شدَّة الألم في سَكَرات الموت لا يَعْرِفُها على الحقيقة إلا مَن ذَاقَها، ومَن لم يَذُقْهَا فإنَّما يَعْرِفُها إمَّا بالقياس على الآلام التي أَدرَكَها، وإمَّا بالاستدلال بأحوال[6] النَّاس في النَّزْعِ على شدَّة ما هو[7] فيه، فأمَّا القياس الذي يشهد له:

هو أنَّ كلَّ عُضْو لا رُوح فيه [فـ]ـلا[8] يُحِسُّ بالألم، فإذا كان فيه الرُّوح أَحَسَّ، فالمُدْرِك للألم هو الرُّوح، فمهما أَصاب العُضْو جُرْح أو حريقٌ سَرَى الأثر إلى الرُّوح، فَبِقَدْر ما يَسْرِي إلى الرُّوح يَتَأَلَّم، والمؤلم يَتَفرَّق على اللَّحْم والدَّم وسائر الأجزاء، فلا يُصيب الرُّوح إلا بعض الأثر[9]؛ فإنْ كان في الألم ما يُباشِر نَفْس الرُّوح ولا يُلاقي غيرَه، فما أعظم ذلك الألم وما أشدَّه!

---

(١) في (ي): (الاحتقان).

(٢) في (ي): (وجع الحصى، ووجع الاحتقان).

(٣) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) الهَدَم: أنْ يَنهار عليه بناء أو يَقَع في بئر أو أُهْوِيَّة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:١٠٠٣).

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، أبو حامد الغزالي، صاحب التصانيف الكثيرة كـ«إحياء علوم الدين»، وغيره، ولد سنة ٤٥٠هـ، ونُقمت عليه أمور في التصوف ويوجد في بعض كلامه مادة توافق أصول الفلاسفة؛ المخالفة للنُّبُوَّة، ويُقال: إنَّه مَالَ في آخِر عُمره إلى سماع الحديث، توفي سنة ٥٠٥هـ. انظر: شرح الأصبهانية لابن تيمية (ص:٦٣٩)، وسير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٢)، والبداية والنهاية (١٦/٢١٣).

(٦) في (ي): (على أحوال).

(٧) في (م): (ما هم).

(٨) زيادة من (م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت)، وهي موافقة لما في إحياء علوم الدين.

(٩) في (م): (الألم).

والنَّزْعُ: عبارةٌ عن مؤلِمٍ نَزَلَ بنفس الرُّوح فاسْتَغْرَقَ[(١)] جميع أجزائه، حتَّى لم يُبْقِ جزءًا من أجزاء الرُّوح المنتشر[(٢)] في أعماق[(٣)] البدن إلا وقد حَلَّ به، فلو أَصابَته شَوكَة فالألم الذي يَجِدُه إنَّما يَجِدُه في جَزْءٍ من الرُّوح يُلاقي ذلك الموضِع الذي أصابَته الشَّوْكَة، وإنَّما يَعْظُم أثرُ الاحتراق لأنَّ أجزاء النَّار تَغُوصُ في سائر أجزاء البَدن، فلا [٦٩/أ] يَبقى جُزْء مِن العُضْو المحرَّقِ ظاهرا ولا باطنا إلا وتُصِيبُه النَّار فَتُحِسُّ به[(٤)] الأجزاء الرَّوحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللَّحم، وأمَّا الجِراحة: فإنَّها[(٥)] تُصِيب الموضع الذي يَمَسُّه الحديد فقط، فكان لذلك[(٦)] ألمُ الجُرْح دون ألم النَّار.

فألم النَّزْع يَهجُم على نفس الرُّوح، ويَستَغْرِق[(٧)] جميع أجزائه، فإنَّه المنْزُوع المجذوب من كلِّ عِرْقٍ من العُرُوق، وعَصَبٍ من الأعصاب، وجُزْءٍ من الأجزاء، ومِفْصَل من المفاصل، ومن أصل كلِّ شَعْرَةٍ وبَشْرَة، ومن القَرْنِ إلى القدم.

فلا تَسأل عن كَرْبِه وألمه، حتَّى قالوا: إنَّ الموتَ أشدُّ من ضَرْبٍ بالسَّيْف، ونَشْرٍ بالمناشير، وقَرْضٍ بالمقاريض؛ لأنَّ قَطْع البدن بالسَّيْف، إنَّما يُؤلِم لِتَعَلُّقِه بالرُّوح، فكيف إذا كان المُتناولُ المباشر نَفْسُ الرُّوح؟!

وإنَّما يَستغيث المضروبُ ويَصِيح لبقاء قُوَّة في قَلْبِه، وفي لِسَانه، وإنَّما انْقَطَع صَوْتُ الميِّت وصِيَاحُه مع شدَّة ألمه[(٨)]، لأنَّ الكَرْبَ قد بالَغ فيه، وتصاعَدَ على قَلْبِه شدَّةُ ألمه، وغَلَبَ على كلِّ موضع منه، فَهَدَّ كلَّ جُزْء، وأَضْعَفَ كلَّ جارِحَة، فلم يَتْرُك له قُوَّة الاستغَاثة.

---

(١) في (م): (ما يستغرق).

(٢) في (ي): (المنتشرة).

(٣) في (م): (أعضاء).

(٤) في (ي): (فيحس به في).

(٥) في (م): (فإنها).

(٦) في (م) و(ي): (كذلك).

(٧) في (ي): (فيستغرق).

(٨) في (ي): (ألمه وكربه)، والمثبت من الأصل هو الموافق لما في إحياء علوم الدين.

أمَّا العَقْل [٦٩/ب] فقد غَشِيَه وشَوَّشَه، وأمَّا اللِّسان فقد أَبْكَمَه، وأمَّا الأطْرَاف فقد أَضْعَفَها، ويَوَدُّ أنْ [لو](١) قَدِرَ على الاستراحة بالأَنِين والصِّيَاح والاستِغَاثة، ولكنَّه لا يَقْدِر على ذلك؛ فإنْ بَقِيَت فيه قوَّة سَمِعْتَ له عند نَزْعِ الرُّوح وَجَذْبِهِ خُوَاراً(٢) وغَرْغَرَةً(٣) من حَلْقِهِ وصَدْرِه، وقد تَغَيَّرَ لونُه وارْبَدَّ(٤)، حتَّى كأنَّه ظَهَرَ منه التُّراب الذي هو أصل خِلْقَتِه، وقد جَذَبَ منه كلَّ عِرْق على حياله(٥)، فالألم مُنتشر في داخله وخارجه(٦)، حتَّى تَرْتَفع الحدقتان إلى أعلى جفونه، ويتقَلَّص اللِّسان إلى أصله، وتَرتفع الأُنثَيَان(٧) إلى أعالي موضعهما، وتَخْضَرّ أنامله، فلا تَسأل عن بدنٍ يُجذَب منه كلُّ عِرْقٍ من عُرُوقه، ولو كان المجذوب عِرْقاً واحداً لكان ألمُه عظيما، فكيفَ والمجذوب نَفْس الرُّوح المتألم، لا مِن عِرْقٍ واحد(٨) بل من العُرُوق كلِّها؟!

ثم يموت كلُّ عُضْو من أعضائه تدريجا، فَتَبرُد أولاً قَدَمَاه، ثمَّ سَاقَاه، ثمَّ فَخِذَاه، ولكلِّ عُضْو سَكْرَةٌ بعد سَكْرَة، وكَرْبَة بعد كَرْبَة، حتَّى يبلُغ بها(٩) الحُلْقُوم، فعند ذلك يَنقَطِع نَظَرُه عن الدُّنيا وأهلِها، ويَنْغَلِقَ دونَه باب التَّوبة، وتُحِيطُ به النَّدَامة والحَسْرَة»(١٠)[٧٠/أ].

ويُروى(١١) أنَّ العبد يقول لـمَلَك الموت عند [نزول](١٢) الموت: يا مَلَك الموت! أَخِّرْنِي يوماً أَسْتَعْتِبُ فيه، وأتوب إلى ربِّي، وأعمل صالحا، فيقول له: فَنِيَت الأيامُ فلا يوم! فيقول:

---

(١) زيادة من (م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٢) الخُوَار: الصوت، وقد خَار يَخُور خُوَاراً: إذا صَاح. انظر: تاج العروس (١١/٢٣١).

(٣) في (م): (سُمِعَتْ له عند نَزع الرُّوح وَجَذْبِهِ خُوَارٌ وغَرْغَرَةٌ).

(٤) ارْبَدَّ أَي تَغَيَّرَ إِلى الغُبرة؛ وقيل: الرُّبْدة لون مِن السَّوَاد والغُبرَة. انظر: لسان العرب (٣/١٧٠).

(٥) حِياله: أي إزائه. انظر: القاموس المحيط (ص:٩٩٠).

(٦) في (ي): (ظاهره وباطنه).

(٧) الأُنثَيان في الأصل: الخُصيتان، وتُطلق أيضا على: الأذُنين. انظر: معجم مقاييس اللغة (١/١٤٤).

(٨) في (ي): (وليس هو من عرق واحد).

(٩) في (م): (يبلغ منها إلى).

(١٠) إحياء علوم الدين (ص:١٨٤٠).

(١١) من هنا إلى قوله: (نعوذ بالله) قبل الأبيات ساقط من (م).

(١٢) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

أَخِّرْني ساعةً، فيقول: فَنِيَت السَّاعَات فلا ساعة، قال: فَتَبلُغ الرُّوحُ الحُلْقُوم، فيُؤْخَذ بكَظَمِهِ[١] عند الغَرْغَرَة فيُغْلَق بابُ التَّوبة دونَه، ويُحجَبُ عنها، وتَنْقَطِع الأعمال، وتُطوَى الصُّحُف، وتَتِمُّ الأوقات، ويَبقَى عددُ الأنفاس يَشهد فيها المعايَنة عند كَشْف الغِطَاء فيُحِدّ بصره، فإذا كان في آخر نَفَس يُدرِكه ما سَبَق له من السَّعادة فتَخرج[٢] رُوحه على الإيمان فذلك حُسْنُ الخاتمة، أو يُدرِكه ما سَبَقَ له من الشَّقَاوة فتَخرج رُوحه على الكُفْر أو الشَّكِّ وذلك سُوء الخاتمة، ونعوذ بالله ثمَّ نعوذ بالله[٣]، وأنشد بعضهم في الموت:

كأنِّي بنَفْسِي على ضَعْفِها ... تُجَرَّع رَغْماً كُؤوس الرَّدَى
وقد كَشَفَ اللهُ عنها الغِطَا[٤] ... فَحَنَّتْ[٥] هُناك لِكَشْفِ الغِطَا
ومُدَّتْ إليها يَدٌ فَظَّةٌ ... لِفَظٍّ غَلِيظٍ شديد القُوَى
فما شِئتَ من نَفَسٍ ضَيِّقٍ ... وجَذْبِ عُرُوقٍ وقَطْعِ حَشَا[٦] [٧٠/ب]
ونَفْسٍ تُسَاقُ أشَدَّ مَسَاق[٧] ... فَتُضْغَطَ في لَهَواتِ الفَتَى
ولا دَافِعٌ يُرتَجى دَفْعُهُ ... ولا قَائِلٌ[٨] ما بِهِ يُفتَدى[٩]
ومَاليْ انْتِصَارٌ ولا لي[١٠] قَرَارٌ ... ومَالِيَ مِنْ حِيْلَةٍ تُرْتَجى

---

(١) الكَظَم: مَخْرَج النَّفَس مِن الحَلْق، يُقَال: أَخذت بكَظَمِهِ أَيْ بمَخْرَجَ نَفَسه. انظر: لسان العرب (١٢/ ٥٢٠).

(٢) في (ي): (وتخرج).

(٣) القائل هو أبو طالب المكي في كتابه قوت القلوب (١/ ٣٠٤) مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، وهذا الكلام لا يُقبل من قائله؛ لأنه من الأخبار الغيبية التي لا تؤخذ إلا عن طريق الوحي، وأبو طالب قد شحن كتابه بالأحاديث الضعيفة والموضوعة فلا يُعوَّل على أخباره. انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٨٤).

(٤) في (ي): (العمى).

(٥) في (ي): (فجنت).

(٦) في (ي): (الحشا).

(٧) في (ي): (المساق).

(٨) من الإقالة وهي الصَّفْح والعفو والترك. انظر: لسان العرب (١١/ ٥٨٠).

(٩) ورد هذا الشطر في (ي) هكذا: (ولا قابل إذ به يقتدى).

(١٠) في (م): (وما لي).

فَــــدَعْنِي ويـــــومِيَ أَبكــــيْ لَــــهُ فَحُــــقَّ ليَـــــومِيْ بِطُـــــولِ البُكَـــــا

وأنشدوا أيضا:

يـــــا نَـــــدَماً أَندَمُـــــهُ لـــــيسَ في ذلـــك مِـــــن رَيْـــــبٍ ولا شَـــكِّ
إذا رَسَـــى(١) المــوتُ عــلى لَبَّتِـــي(٢) وحَـــالَ بـــينَ الفَـــكِّ والفَـــكِّ
ولم يَكُـــن لي عَنـــهُ مِـــنْ مَخْلَـــصٍ ولم أكُـــنْ عَنْـــهُ بمُنفَـــكِّ
وَحَشْـــرَجَتْ نَفسِـــي في صَـــدرِها كأنَّهـــا تُمخَـــطُ(٣)(٤) في مسْـــكِ
وكُـــلُّ مَـــا تَدرِيـــهِ(٥) مِـــنْ نَخْـــوَةٍ فيَّ ومِـــنْ عُجْـــبٍ ومِـــنْ فَتْـــكِ
قَـــد عَـــادَ ذَاكُـــمْ كُلَّـــهُ ذِلَّـــةً يَظَـــلُّ مِنهـــا شَـــامِتِي يَبكِـــي
وذَلِـكَ(٦) المـالُ الـذي كُنـتُ قَـدْ جَمعـــتُ مِـــن وِزْرٍ ومِـــن إِفْـــكِ
قـــد حِيْـــلَ مَـــا بَينِـــيْ ومَـــا بينَـــهُ وَزَالَ عـــن حُكْمِـــي وعَـــن مُلْكِـــي
غَـــير تِبَاعَـــاتٍ(٧)(٨) تحمَّلْتُهـــا تُكْثِـــرُ مِـــن هَمِّـــي ومِـــن مَعْكِـــي(٩)
فَكَيْـــفَ لا أَنْـــدَمُ أو كَيْـــفَ لا مِـــلءَ جُفُـــونِيْ بِـــدَمٍ أَبْكِـــي [٧١/أ]
فيـــا إلٰهـــيْ والـــذي جُـــوْدُهُ سَـــالَ لـــذي الإخـــلاصِ والشَّـــكِّ
رُحْمَـــاكَ في وَاهـــي القُـــوَى بَـــائِسٍ في عَيْشِـــهِ(١٠) مِـــنْ حَالَـــةٍ ضَـــنْكِ(١١)

---

(١) في (ي): (أرسى).

(٢) اللَّبَة: موضع المَنْحَر من كلّ شيء، يقال: لَبَبْتُه لَبّاً: ضَرَبْتُ لَبَّتَه. انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/ ٢٠٠).

(٣) في (ي): (تمخض).

(٤) المَخْط: النَّزع. لسان العرب (٧/ ٣٩٨).

(٥) في (ي): (ما قد كان).

(٦) في (ي): (وذاكم).

(٧) في (ي): (تبعات).

(٨) التِّباعَات والتَّبِعَات: ما فيه إِثم يُتبَع به. تاج العروس (٢٠/ ٣٧٣).

(٩) المَعْك: المماطلة. انظر: لسان العرب (١٠/ ٤٩٠).

(١٠) في (ي): (عيشةٍ).

(١١) الضَّنْك: الضِّيق. معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٧٤).

قَـــــد حَجَبَتْـــــهُ عَنـــــكَ آثَامُـــــهُ   وردَّ عَـــــن بَابِـــــكَ بالصَّـــــكِّ[1]
إنْ لم يَنَلْـــــهُ عَفْـــــوُكَ الـــــمُرْتَجى   وتَحتوِيـــــهِ[2] سَـــــعَةُ الـــــملْكِ
فَـــاعْفُ إلهـــيْ عَنـــهُ واغْفِـــرْ لَـــهُ   واعْـــدِلْ بِـــهِ عـــن هُـــوَّةِ الـــهُلْكِ[3]
أولا فَمَـــــنْ ذا جُـــــودهُ يُرتَجَـــــى   غـــيرُكَ أو عَـــن فَضْـــلِهِ نَحْكِـــي

ويُروى أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ على مريض، فقال: «**إنِّي لأَعْلَمُ ما يَلْقَى؛ ما فيه عِرْقٌ إلا وهو يَألَمُ[4] الموتَ على حِدَتِه**»[5].

وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحضُّ على القِتَال ويقول[6]: «إنْ لم تُقْتَلُوا تموتُوا، والذي نَفْسُ محمدٍ بيدِه لألفُ ضَرْبَةٍ بالسَّيْفِ[7] أهوَنُ مِن مَوتٍ على فِرَاش!»[8].

وقال شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الموتُ أفظَعُ هَوْلٍ في الدُّنيا والآخرة على المؤمن، وهو أشدُّ مِن نَشْرٍ بالمناشير، وقَرْضٍ بالمقاريض، وغَلْيٍ[9] في القُدُور، ولو أنَّ الميِّتَ نُشِرَ فأخبرَ أهلَ الدُّنيا بالموت[10] ما انتَفَعُوا بِعَيْشٍ، ولا التذُّوا بِنَوْم»[11].

---

(١) الصَّكّ: الضَّرب الشَّديد. لسان العرب (١٠/٤٥٦).

(٢) في (ي): (وتحترمه).

(٣) الهَلْك والهُلْك: الهلاك. انظر: المصدر السابق (١٠/٥٠٣).

(٤) في (ش): (يعلم).

(٥) أخرجه البزار في مسنده (٦/٤٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/٢٦٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٣٢٧): «رواه الطَّبراني في الكبير، والبزَّار بنحوه، وفيه موسى بن عُبَيدة، وهو ضعيف».

(٦) في (ش): (ولا يحض عليٌّ على القتال إلا ويقول).

(٧) في (ش): (بالسيف في سبيل الله).

(٨) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (ص:١٨٤١)، والراغب الأصفهاني في الذريعة (ص:٢٣٣)، وذكر الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/٢٦١) أنه في كتاب الموت لابن أبي الدنيا، وبحثت عنه ولم أجده في كتبه المطبوعة.

(٩) في (ي): (وغليان).

(١٠) في (م): (بألم الموت).

(١١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٢/٤١٦)، وعزاه السيوطي في شرح الصدور (ص:٤٠) لابن أبي الدنيا، وذكر الزبيدي في إتحاف السادة (١٠/٢٦١) أنه في كتاب الموت لابن أبي الدنيا، وبحثت عنه ولم أجده في كتبه المطبوعة.

ودَخَلَ الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٧١/ب] على رجلٍ مريضٍ فَوَجَدَهُ في سَكَرَات الموت، فَنَظَرَ إليه وقال: «إنَّ أمراً هذا أولُهُ يَنْبَغي أنْ يُتَّقى آخِرُه، وإنَّ أمراً هذا آخِرُه يَنبغي أنْ يُزهَدَ في أولِه»[١].

ويُروى أنَّ النبيَّ ﷺ كان عنده قَدَحٌ من ماءٍ عندما نَزَلَ به الموت، فجَعَلَ يُدخِلُ يدَه في القَدَح ثمَّ يَمسَح وجهه ويقول: «**اللَّهمَّ أعنِّي على سَكَرَاتِ الموت**»[٢]، ويُروى: «**اللَّهم هَوِّن عَلَيَّ سَكَرَات الموت**»[٣]، ويروى: فَجَعَلَ يُدخِلُ يَدَه في الماء ويَمْسَح بها وجهَه ويقول: «**لا إله إلا الله، إنَّ للموتِ سَكَرات**»[٤].

وفاطمة ابنته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تقول: واكَرْبَاه لكَرْبِك يَا أبَتَاه[٥]، وهو يقول: «**لا كَرْبَ على أبيكِ بعدَ اليوم**»، ذكره البخاري[٦]، والنسائي[٧]، وغيرهما، ذَكَرَ كلُّ واحدٍ منهم شيئاً لم يَذْكُره صاحبه.

---

(١) أخرج البيهقي في الزهد الكبير (ص: ٢١٦) بإسناده عن أبي المنذر قال: نَظَرَ الحسن إلى ميِّت يُدفن، فقال: «واللَّهِ إنَّ أمرًا هذا أَوَّلُه لحريٌّ أَنْ يُخاف آخِرُه، وإنَّ أمرًا هذا آخِرُه لحريٌّ أَنْ يُزهدَ في أَوَّلِه».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠/ ٤١٥) ح(٢٤٣٥٦)، وابن ماجه في سننه [كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ] (ص:٢٨٥) ح(١٦٢٣)، والترمذي في جامعه [كتاب الجنائز، باب ما جاء في التشديد عند الموت] (ص:٢٣٤) ح(٩٧٨)، والنسائي في السنن الكبرى [كتاب وفاة النبيّ ﷺ، باب ذِكْر ما كان يقوله النبيُّ ﷺ في مرضه] (٣٨٩/٦) ح(٧٠٦٤)، وضعَّفه الألباني في مختصر الشمائل (ص:١٩٤)، وكذا ضعفه محققو مسند الإمام أحمد.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ في المصادر الحديثية، وإنما ذكره بهذا اللفظ الغزالي في الإحياء (ص:١٤٠٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته] (ص:١٠٩٠) ح(٤٤٤٩).

(٥) هذه تسمى نُدْبة: وهي تقال للتوجع والتأسف وحسن الثناء على الميت وليست من باب الطلب والسؤال وهذا كقولهم: وا فُلاناهْ وا هَناه ونحو ذلك. انظر: لسان العرب (٧٥٤/١)، وصيانة الإنسان للسهسواني (ص:٣٩٢).

(٦) صحيح البخاري [كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته] (ص:١٠٩٢) ح(٤٤٦٢) بلفظ: «وَا كَرْبَ أَبَاهُ»، فَقَالَ لَهَا: «**لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ**» .

(٧) أخرجه النسائي في السنن الكبرى [كتاب الجنائز، باب في البكاء على الميت] (٣٨٨/٢) ح(١٩٨٣) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ فاطمةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بَكَتْ على رسولِ اللهِ ﷺ: حين مات فقالت: «**يَا أَبَتَاهُ! مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ، يَا أَبَتَاهُ! إِلَى جِبْرِيلَ أَنْعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ! جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ**».

وعن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال: «يا معشر الحواريين، ادعُوا اللهَ لي أن يُهوِّنَ عليَّ هذه السَّكْرَة -يعني: الموت-، فقد خِفْتُ الموتَ مخافَة، أوقَفَني[1] خَوفي مِن الموت على الموت»[2].

(١) في (ي): (أوقعني).

(٢) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦٩/٤٧)، بإسناده عن علي الصنعاني قال: بلغنا أن عيسى بن مريم... ثم ذكره.

وعن أسلم[1] مولى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إذا بَقِيَ على المؤمن شيء مِن ذُنوبِه لم يَبلُغه بعمَلِه شُدِّد عليه[٧٢/أ] الموتُ؛ لِيَبلُغَ بِسَكَرَات الموت وشدائدِه دَرَجَتَه في الجنَّة، وإنَّ الكافرَ إذا كان قد عَمِلَ معروفاً في الدُّنيا هُوِّنَ عليه الموت؛ لِيَسْتَكْمِلَ ثوابَ معروفِهِ في الدُّنيا ثمَّ يَصِيرُ إلى النَّار»[2].

وكان عَمرُو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول[3]: «لَوَدِدْتُ أنِّي رأيتُ رجلا لبيباً حَازِما قد نَزَلَ به الموت فَيُخْبِرَني عن الموت»، فلما نَزَلَ به الموتُ قيل له: يا أبا عبد الله، قد كُنتَ تقول أيام[4] حياتِك: «وَدِدْتُ[5] أنِّي رأيتُ رجلاً لبيباً حَازِما قد نَزَلَ به الموتُ يُخبِرُني[6] عن الموت»، وأنتَ ذلك الرَّجُل اللبيبُ الحازِم، وقد نَزَلَ بك الموت فأَخْبِرْنَا عنه؟

فقال: «أَجِدُ كأنَّ السَّماوات أَطْبَقَت على الأرض وأنا بَيْنَهُما، وكأنَّ نفسي تَخْرُج مِنْ[7] ثُقْبِ إِبْرَة، وكأنَّ غُصْنَ شَوْكَةٍ[8] يُجَرُّ بِهِ من هَامَتِي[9] إلى قَدَمِي، ثمَّ قال مُتمثلاً[10] بقول أُمَيَّة بن

---

(١) أَسْلَم العَدَويّ العُمَريّ مولى عُمَر بن الخطَّاب، الفقيه أبو زيد، ويقال: أبو خالد القرشي، قيل: هو من سبي عين التمر، اشتراه عمر بمكة إذ حج بالناس في العام الذي يلي حجة الوداع ، زمن الصديق، من ثقات التابعين، حدث عن أبي بكر، وعمر، وطائفة من الصحابة، وحدث عنه ابنه زيد، ونافع مولى ابن عمر، وآخرون، توفي سنة ٨٠هـ. انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٣٦/٨)، وسير أعلام النبلاء (٩٨/٤).

(٢) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (ص:١٨٤١)، وعزاه السيوطي في شرح الصدور (ص:٣٦) لابن أبي الدنيا، وبحثت عنه ولم أجده في كتبه المطبوعة، وقد أخرج وكيع في الزهد (٣١٧/١) بإسناده -وصححه المحقق- عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إنَّ المؤمن لَيَعمل السَّيئة فيُشدَّد عليه بها عند موته لِيَكون بها، وإنَّ الفَاجرَ لَيَعمل الحسنة، فَيُخفَّف بها عليه عند موتِه لِيَكون بها».

(٣) في (ش): (ويروى أن عمرو بن العاص كان يقول)، وفي (ي): (وعن عمرو بن العاص أنه قال).

(٤) في (ي): (في أيام).

(٥) في (ش) و(م): (لوددت).

(٦) في (ش): (فيخبرني).

(٧) في (ش): (على).

(٨) في (ش): (شوك).

(٩) في (ش): (رأسي).

(١٠) في (ش): (ثم تمثل).

الصَّلْت[1]:

لَيْتَنِــيْ كُنْــتُ قبــلَ مــا قَــد بَــدَالِي[2]　　في رُؤُوسِ الجبَــالِ أَرْعَــى الوُعُــولا[3][4]

ويُروى عن مكحولٍ[5] رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لو أنَّ شَعْرَةً مِن شَعَرَات الميِّت وَقَعَت على** [٧٢/ب] **أهل السَّماوات والأرض لماتُوا بإذن الله تعالى، لأنَّ في كلِّ شَعْرَةٍ من الميِّت الموت، ولا يَقَعُ الموت على شيءٍ إلا مات**»[6]، وأنشدوا:

مَــاذا تُؤَمِّــلُ والأيــامُ ذَاهِبَــةٌ　　ومِــن وَرَائِــكَ للآمَــالِ قُطَّــاعُ

وَصَــيْحَةٌ لهجُــومِ المــوتِ مُنكَــرَةٌ　　صُــمَّت لوقعتِهــا الشَّــنْعَاءِ أَســماعُ

وغُصَّــةٌ بكــؤوسٍ أنــتَ شَــارِبُها　　لهــا[7] بقلبِــكَ آلامٌ وأوجَــاعُ

يــا غــافلاً وهــو مَطلُــوبٌ ومُتَّبَــعٌ　　أتــاكَ سَــيْلٌ مِــن الفُرْسَــانِ دَفَّــاعُ

خُــذْهَا إليــك طِعَانــاً فيــك نَافِــذَةً　　تُعْــدِيْ الجلِيسَ وأَمــرٌ لــيسَ يُسْـطَاعُ

إنَّ المنيَّــةَ لــو تُلْقَــى عــلى جَبَــلٍ　　لأصبحَ الصَّــخْرُ مِنْــهُ[8] وهــوَ مَيَّــاعُ

---

(١) أمية بن أبي الصَّلْت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عُقْدَة بن غِيَرَة ابن ثقيف، أبو الحكم الثقفي، شاعر جاهلي قدم دمشق قبل الإسلام، وقيل إنه كان مستقيما أول أمره على الإيمان ثم زاغ عنه، وقيل غير ذلك، قَالَ عنه ﷺ: «**كَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمِ**». [صحيح البخاري ح(٣٨٤١)، صحيح مسلم ح(٢٢٥٦)]. انظر: تاريخ دمشق (٩/ ٢٥٥)، والبداية والنهاية (٣/ ٢٧٤).

(٢) في (ش): (تراني).

(٣) الوَعْل: تَيس الجبل. القاموس المحيط (ص:١٠٦٨).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في المتمنين [(٥/ ٢١٤) ضمن موسوعته].

(٥) مَكحول الدِّمشقيّ، عالم أهل الشام، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو أيوب ، وقيل: أبو مسلم، مولى امرأة هذلية، أَرْسَلَ عن النبي ﷺ أحاديث، وأرسل عن عدة من الصحابة لم يُدركهم، وعداده في أوساط التابعين، قال أبو حاتم: (ما بالشام أحد أفقه من مكحول)، اختلف في وفاته فقيل سنة ١١٢هـ، وقيل ١١٣هـ، وقيل غير ذلك. انظر: حلية الأولياء (٥/ ١٧٧)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٥).

(٦) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (ص:١٨٤٢) وقال العراقي في تخريجه: «أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت من رواية أبي ميسرة رفعه»، ولم أجده في كتبه المطبوعة، ومكحول لم يُدرك النبيَّ ﷺ.

(٧) في (ش): (فيها).

(٨) في (ش) و(م): (منها).

ويُروى أنَّ إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ لما مات قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ له: «كيف وجدتَ الموت؟»، قال: «كسُفُّودٍ[(1)(2)] ثمَّ أُدخِلَ[(3)] في صُوفٍ رَطَبٍ ثمَّ جُذِبَ»، فقال[(4)]: «أَمَا إنَّا قد هَوَّنَاهُ عليك يا إبراهيم!»[(5)].

عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه لما صارت رُوحُه إلى الله[(6)] تعالى قالَ له: «يا موسى، كيفَ وجدْتَ الموت؟»، قال: «وَجَدْتُ نفسي كالعُصْفُورِ حين يُقْلَى[(7)] في[(8)] المِقْلَى[(9)] لا يموتُ فيستريح، ولا يَنجُو فيَطير»، ويُروى عنه أنَّه قال: «وَجَدْتُ نفسي كَشَاةٍ حَيَّةٍ بِيَدِ القَصَّاب تُسْلَخ»[(10)][73/أ].

وقال عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكعب الأحبار: «يا كعب، حَدِّثنا عن الموت»، فقال: «نعم يا أمير المؤمنين، كَغُصْنٍ كثيرِ الشَّوكِ أُدخِلَ في جَوْفِ[(11)] رجلٍ فَأَخَذَت كلُّ شَوْكَةٍ بِعِرْقٍ ثمَّ جَذَبَهُ رجلٌ شديدُ الجَذْب، فَأَخَذَ مَا أَخَذ، وأَبقَى ما أَبقَى»[(12)].

---

(1) في (ي): (كسفود جُعل في النار).

(2) السَّفُّودُ والسُّفُّود: حديدة ذات شُعَب مُعَقَّفَة يُشْوى به اللَّحم، وجمعه سفافيد. لسان العرب (3/218).

(3) في (ش) و(م): (جُعِل).

(4) في (ي): (فقال الله تعالى: لقد...).

(5) ذكره بهذا اللفظ المحاسبي في الرعاية لحقوق الله (ص:140)، والغزالي في إحياء علوم الدين (ص:1842)، وابن الجوزي في بستان الواعظين (ص:147)، وأخرج أحمد في الزهد (ص:78) بإسناده عن ابن أبي مليكة قال: «لما توفي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فقيل له: يا إبراهيم كيف وجدت الموت؟ قال: يا ربِّ وجدتُ نفسي تُنزَعُ بالبلاء، فقيل: فقد هوَّنَا عليك» وبنحوه أخرجه الدينوري في المجالسة (1/331).

(6) في (ي): (ويروى أن موسى لما قبضه الله).

(7) في (ش) و(م): (يلقى).

(8) في (ش): (على).

(9) يقال: قَلا اللَّحْمَ يَقْلُوه قَلْواً: شَواهُ حَتَّى أَنْضَجَه في المِقْلَى. تاج العروس (39/338).

(10) ذكرهما المحاسبي في الرعاية لحقوق الله (ص:141)، والغزالي في إحياء علوم الدين (ص:1842)، وابن الجوزي في بستان الواعظين (ص:148).

(11) في (ش): (بطن).

(12) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (19/484) ح(36793)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (5/365).

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده[1] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**حَدِّثُوا**[2] **عن بني إسرائيل**[3]**، فإنَّه كانت فيهم أعاجِيب**»، ثمَّ أنشأَ يُحدِّثُ فقال: «خرجت طائفةٌ منهم فأَتوا مَقبرةً من مقابِرِهم فقالوا: لو صَلَّيْنَا رَكعَتين وَدَعَونَا الله تعالى أنْ يُخرِجَ لنا بعضَ الأموات فَيُخبِرَنا عن الموت، قال: فَفَعَلُوا، فبينَا هم كذلك[4] إذ أَطْلَعَ رجلٌ رأسَه مِن قَبْر، خِلاسِي[5][6]، بين عَيْنَيه أثرُ السُّجُود، فقال: يا هؤلاء، مَا أَرَدْتُم إليَّ؟! فو الله لقد مِتُّ مُنذ مائةَ سَنة فما[7] سَكَنَت عَنِّي حَرارةُ الموت حتَّى الآن! فادعُوا اللهَ أنْ يُعِيدَني كما كُنْتُ».

ويُروى في الخبر: «إنَّ العبدَ[8] ليُعَالِجُ سَكَرَات الموت وكُرُوبه، وإنَّ مَفَاصِلَه لَتُسَلِّمُ[9] بعضُها على بعضٍ وتقول: عليك السلام، [عليك السلام][10][11]»[12].

وأمَّا مشاهدةُ صُورة مَلَك الموت، وما يَدخُل في القَلْب منهُ مِن الرَّوْعِ [٧٣/ب] والفَزَع،

---

(١) لم أقف عليه في مسنده، وإنما أخرجه في مصنفه (٤٨٢/١٣) ح(٢٧٠١٧) من طريق وكيع، وهو في الزهد له (٢٨٠/١)، واختصره ابن أبي شيبة إلى قوله «الأعاجيب»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٢٨/٦) ح(٢٩٢٦).

(٢) في (م): (تحدَّثوا).

(٣) في (م) و(ي): (عن بني إسرائيل ولا حرج).

(٤) في (ي): (فبينما هم على ذلك).

(٥) في (ش) و(م) و(ي): (خلاشي).

(٦) الخُلْس: السُّمْر، ومنه: صَبيٌّ خِلَاسِيّ، إذا كان بين أبيض وأسود. النهاية في غريب الحديث (ص:٢٧٧).

(٧) في (ي): (وما).

(٨) في (ش): (الرجل)، وفي (ي): (العبد الصالح).

(٩) في (ش): (يسلم).

(١٠) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١١) في (ي): (لا نجتمع إلى يوم القيامة) وفي القُشيرية والطُّيُوريَّات: «تُفَارِقنِي وَأُفَارِقُكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

(١٢) أخرجه أبو القاسم القُشيري في الرسالة القُشيرية (٤٦٨/٢)، وأبو طاهر السِّلَفي في الطُّيُوريَّات (٣٥٥/٢) مرفوعا عن النبيِّ ﷺ، قال محقق الطُّيُوريَّات: «إسناده واه جدا، بل موضوع».

فهو أمرٌ لا يُعلَم[١] عنه؛ لِعِظَم هولِه وفَظَاعَة رؤيتِه، ولا يَعْلَم حقيقةَ ذلك إلا الذي يُشاهده[٢] ويَطَّلع عليه، وإنَّما هي أمثالٌ تُضْرَب، وحكايات تُحكَى.

يُروى أنَّ[٣] إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال لمَلَك الموت: «هل تستطيع أن تُرِيني الصورةَ التي تَقْبِضُ فيها رُوحَ الفاجر؟ قال: لا تُطيق ذلك، قال: بلى، قال: فأَعْرِضْ عنِّي[٤]، [قال:][٥] فأعرض عنه، ثمَّ التفتَ إليه فإذا هو برجلٍ [أسود اللون][٦] أسودَ الثياب، قائم الشَّعْر، مُنتِن الرِّيح، يخرُجُ مِنْ فِيْهِ ومَناخِره لهيبُ[٧] النَّارِ والدُّخان، فغُشِيَ على إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ثمَّ أفاق، وقد عَاد مَلَكُ الموت إلى صورته الأولى، فقال: يا مَلَكَ الموت، لو لم يَلْقَ الفاجرَ عند موتِه إلا صورة وجهِك[٨] لكان ذلك حَسْبُه!»[٩].

ونَظَرَ[١٠] إبراهيم الزيات[١١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أُناس يَترحمون على ميِّت فقال: «لو تَتَرحمون على أنفسِكم لكان خيراً لكم، إنَّ صاحبَكُم[١٢] قد نَجَا مِن أهوالٍ ثلاثة: وَجه مَلَك الموت قد رآه، ومَرارَة الموت وقد ذَاقها، وخوف الخاتمة قد أَمِنَها»[١٣].

---

(١) في (م): (لا يُعبَّر).

(٢) في (ش) و(م): (يتبدَّى له).

(٣) في (ش): (عن).

(٤) في (ش): (عنه).

(٥) زيادة من (م)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٦) زيادة من (ش)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٧) في (ش) و(ي): (لهب).

(٨) في (م): (لو لم يلق الفاجر إلا صورتك وقباحة وجهك)، وفي (ي): (رؤية).

(٩) ذكره بهذا اللفظ الغزالي في إحياء علوم الدين (ص:١٨٤٣)، وقد أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٧/٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥٣/٦)، مطولا عن كعب الأحبار، وهو مشهور برواية الإسرائيليات.

(١٠) سقط هذا الأثر من (ش).

(١١) لم أقف على ترجمته.

(١٢) في (م) و(ي): (ميتكم).

(١٣) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (ص:١٨٦٦).

ويُروى[1] عن عبد الله بن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّه قال: «إذا قَبضَ مَلَكُ الموت [٧٤/أ] رُوحَ العبد قَامَ على عَتَبَة بابِه[2]، ولأهل البيت ضَجَّة؛ فمنهم الضَّارِبَة وجهها، ومنهم النَّاشِرَة شَعْرَها، ومنهم الداعية يا وَيْلَها، فيقول مَلَكُ الموت: فِيمَ هذا الجزع؟! فو الله ما انتَقَصْتُ لأحدٍ منكم عُمُرا، ولا أخذْتُ لأحدٍ منكم رِزْقا، ولا ظلمتُ أحداً منكم حَقّا، فإنْ كانت شكايتكم وتسخُّطُكم[3] عليَّ، فإنِّي -والله- مأمورٌ، ولَئِنْ[4] كانت مِن ميِّتكم فهو[5] مقهور، ولَئِنْ[6] كانت من ربِّكم فأنتم به كَفَرَة، ولي فيكم عَوْدَةٌ ثم عودة!، قال: فلو سَمِعوا كلامَه، ورأوا مكانه، لشُغِلُوا[7] عن ميِّتهم، وبَكوا[8] على أنفسهم»[9]، وأنشد بعضهم[10]:

بَكَى لَئن مَاتَ مَيْتٌ مِن عَشِيرتِهِ ... وقالَ وا حُزنَا وَصَاحَ وَا حَرَبا[11][12]
وباتَ فوقَ حَشَاهُ للأسَى لَهَبٌ ... إذا أراد خُبُوًّا[13] فَارَ والتَهَبَا
ولو رَأى بصحيحِ العقلِ حِينَ رَأى ... وَكَشَّفَ اللهُ عنهُ للهَوَى حُجُبَا
لما رَأى الدَّهرَ مَيْتاً أو أَحَسَّ بِهِ ... إلا بَكَى نفسَه المسكِينَ وانتحَبَا

(١) في (ش): (وروي).

(٢) في (م): (داره).

(٣) في (ش): (وسخطكم).

(٤) في (م) و(ي): (وإن).

(٥) في (م) و(ي): (فإنه).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (وإن).

(٧) في (ش): (لشغلهم).

(٨) في (ش) و(م): (ولبكوا).

(٩) أورده القرطبي في التذكرة (١/٢٥٨) وقال: «خرَّجَه أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفي في كتاب اللؤلؤيات له»، ولم أقف على هذا الكتاب.

(١٠) من هنا إلى نهاية الأبيات ساقط من (م)، ومنه إلى قوله: (وقال عمر بن صبيح) ساقط من (ش).

(١١) في (ي): (يا هربا).

(١٢) وا حَرَبا، مأخوذ من أَحْرَبَه: أَي دَلَلْتُه عَلَى مَا يَغْنَمُه مِن عَدُوٍّ يُغِيرُ عَلَيْهِ. انظر: لسان العرب (١/٣٠٤).

(١٣) يقال: خَبَت النارُ خَبْواً وخُبُوًّا: سَكَنَت، وطَفِئَت. انظر: القاموس المحيط (ص:١٢٧٨).

ومَــن رأى السُّــمْرَ[١] في جَنْبَيــه شَــارِعَةً أنَّـــى يَرَاهَـــا بجَنْـــبٍ نَـــاءَ أو قَرُبَـــا
وطَلْعَــة المــوتِ أَنْ تَطْلُــعْ عَــلى أحــدٍ أَرَتْـــهُ في نفسِـــه مِـــن هَولِهـــا عَجَبَـــا

ولعلَّك تقولُ قد ذَكَرْتَ من هَولِ الموت وشِدَّته، وكَرْبِه [٧٤/ب] وغُمَّتِه[٢]، وأنَّه أشدُّ من نَشْرٍ بالمناشير، وقَرْضٍ بالمقاريض، وإنَّه قد شاهدنا مِن بعض الأموات[٣] ما يَدلُّ على أنَّ الموت ليس كما وَصَفْتَ، وأنَّه إنَّما هو كأسٌ يَسْهُلُ على إنسان، ويَصْعُبُ على آخر، وقد[٤] رأينا من الأموات من يُحدِّثُك ويُوصي[٥] إليك، ويَشهدُ بما لَه وعليه[٦]، ونفسه تخرُج مِن صدرِه إلى قَدَميه[٧]، أو إلى حَلْقِه، وهو على حالِهِ في وصيَّتِه وإشهادِه، وربَّما ظَنَّ مَن رآه فجأةً أنَّه لا بأس عليه، ولا موت عنده، ثمَّ يموتُ كذلك، وما هذه صفةُ مَن يُنْشَرُ بالمناشير، ويُقْرَضُ بالمقاريض، ويُفعَلُ به ويُفعَل، ولو كان كذلك لمَنَعَه ألمُ النَّشْر، وَوَجَعُ القَرْض، وكَرْبُ الموت عن الكلام والإشهاد، وعن الوصيَّة بأنْ يُدفَنَ في موضع كذا، ويُكَفَّن في ثوب كذا[٨].

وحتَّى لو كان كما قلتَ فقد رأينا مِن سُرعة خروج بعضِ الأرواح ما لو كان في الميِّت[٩] أضعافُ ما قلتَ من الشِّدَّة لما كان يُبالي في[١٠] ذلك، لسُرعة خروج رُوحِه، وعَجَلَةِ استلابِها[١١].

---

(١) السُّمْر أي الرِّماح. انظر: المصدر السابق (ص:٤٠٩).

(٢) في (م) و(ي): (وغصته).

(٣) في (م): (وقد رأينا الأموات وشاهدنا ما يدل).

(٤) من هنا إلى قوله: (فأقول: صدقت والأمر كما قلت) ساقط من (م).

(٥) في (ي): (يتحدث فيوصي).

(٦) في (ي): (وبما عليه).

(٧) في (ي): (من قدميه إلى صدره).

(٨) في (ي): (في موضع كذا وكذا، وأن يُكفن في ثوب كذا وكذا).

(٩) في (ي): (الموت).

(١٠) في (ي): (عن).

(١١) الاسْتِلاب: الاختِلاس والانتزاع. انظر: لسان العرب (١/٤٧١).

نعم، للموت عند الأكثرِ مُقدِّماتٌ من الآلام والأمراض والأسقام يَبلُغ منه المبَالِغَ قبل الموت ثمَّ يموت، وقد تَنْزِلُ [٧٥/أ] تلك الأمراض والأسقام بآخر فتُشْرِفَ[١] به على اليقين، وتُرِيه[٢] الـمَنُون قبل الـمَنُون، ثمَّ تُقلع عنه، فلا يَبقى لها أثر، وكأنَّه ما سَمِعَ لها بخَبر.

فأقول: صَدَقتَ والأمرُ كما قلت[٣]، قد شُوهِد من[٤] بعض الأموات ما ذكرتَ، وقد عُلِمَ أنَّ الموت يَهُون على بعض النَّاس ويَسْهُل عليه، وبعضهم أو أكثرهم يُشدَّد عليه ويَغُصُّ به، فمن أيِّ الفريقين أنتَ، ممن يُهوَّنُ عليه أو[٥] ممن يُصَعَّبُ عليه؟!

لا[٦] بدَّ لك مِن أنْ تَشْرَبَ بأحدِ الكأسين، وتُرْمَى بأحد السَّهمَين، لا بدَّ لك من ذلك، فما الذي يُؤمِّنُك أنْ تُطعَمَ أضرَّه، وتُسقَى أَمَرَّه، وتُصْلَى أشَقَّه وأحَرَّه، ما[٧] الذي أَمَّنَكَ مِن هذا؟!

وكيفما كان، فالموت شَرْبَةٌ كَريهة، وكأسٌ مُرَّة، حتَّى إنَّ الإنسان لو عُرِضَ عليه مَقْعَدهُ من الجنَّة، وقيل له: تموتُ وتسيرُ[٨] إليه، ربَّما انْقَبَضَ لذلك[٩]، واجتمَعَ عنده ما يذكُر له الموت.

كما يُروى[١٠] عن سَهْل بن عبد الله التُّسْتَرِي[١١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ وَلِيّا من أولياء الله ﷻ تبدّى

---

(١) في (ي): (فيشرف).

(٢) في (ي): (فتريه).

(٣) في (م): (كما ذكرت).

(٤) في (ي): (في).

(٥) في (م): (أم).

(٦) في (ي): (فلا).

(٧) في (م): (فما).

(٨) في (ي): (ثم تصير).

(٩) في (ي): (عن ذلك).

(١٠) في (ي): (كما روي).

(١١) سهل بن عبد الله بن يونس، أبو محمد التُّسْتَري، صَحِبَ خالَه محمد بن سوار، ولقي في الحج ذا النُّون المصْرِي وصَحِبَه، له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة؛ ويقال أنه عاش ثمانين سنة أو أكثر، توفي سنة ٢٨٣هـ. انظر: حلية الأولياء (١٠/١٨٩)، سير أعلام النبلاء (١٣/٣٣٠).

له مَلَكُ الموت[1]، فأخبَرَه برضا الله ﷻ عنه، وبَشَّرَه بالجنَّة، وأنَّه يموتُ في وقتٍ قريبٍ حَدَّهَ له، قال سَهْل: فقلتُ له: كيفَ وَجَدْتَ [٧٥/ب] نفسَك عند ذِكْر الموت؟ فقال: أصابَتْنِي قُشَعْرِيرَة[2] ثمَّ مَاتَ الرَّجل في الوقت الذي حَدَّ لَه[3].

وقد تقدَّم لك أنَّ النبيَّ ﷺ كان عند الموت يُدخل يَدَه في قَدَح فيه ماء، فيَمسَح بها[4] وَجهَه[5]، ويقول: «**اللَّهم أَعنِّي على سَكَرَات الموت**»[6].

وقال عُمَر بن صَبيح السَّعدي[7]: رأيتُ عبدَ العزيز بنَ سليمان العابد[8] في منامي بعد موته، وعليه ثيابٌ خُضْر، على رأسه إِكْلِيل[9] من لُؤلؤ، فقلتُ له: يا أبا محمد، كيفَ كنتَ بعدَنا[10]، وكيف وجدتَ طعمَ الموت، وكيف وجدتَ الأمرَ هنالك؟ فقال: «أمَّا الموت؛ فلا [تُحدِّث فيه، ولا][11] تسألْ عَن شِدَّتِه وكَرْبِه [وغَمِّه][12]، لكنَّ رحمةَ الله تعالى سَتَرَتْ مِنَّا كلَّ عيْب، وما نِلْتُها[13] إلا بفَضْلِه[14]»[15].

---

(١) في (م): (تبدى له الملَك).

(٢) القُشَعْرِيرة: الرِّعْدَة والرَّجفة. انظر: لسان العرب (٥/٩٥).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (م) و(ي): (ويمسح به).

(٥) في (م): (وجهه الكريم).

(٦) انظر: (ص:١٩٧).

(٧) لم أجد من ترجم له، وجاء اسمه في المنامات لابن أبي الدنيا: «عمر بن صالح السعدي».

(٨) عبد العزيز بن سليمان، أبو محمَّد الرَّاسبي البصريّ، مشهورٌ بالزُّهد والتذكير، وفاته في حدود ١٨٠هـ. انظر: حلية الأولياء (٦/٢٤٣)، والمنتظم في التاريخ (٨/١٢٥)، وتاريخ الإسلام (٤/٦٨٣).

(٩) الإكليل: التاج. انظر: لسان العرب (١١/٥٩٥).

(١٠) في (ش): (يا أبا محمد كنت تعظنا).

(١١) زيادة من (م)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١٢) زيادة من (م)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١٣) في (م): (وما نلناها).

(١٤) في (ش) و(م): (بتفضله).

(١٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات [(٦/٢٢٧) ضمن موسوعته].

وأيضا فإنَّك[1] لا تدري بما[2] تَسمع نَغمة المَلَك الوارِد عليك من ربِّك، ولا بماذا يُبشِّرُك[3] [به][4]، ولا بدَّ لك من إحدى البُشْرَيَين[5]، والإعلام بمَنزِلك الذي كُتِبَ[6] لك من إحدى الدَّارين، ولا بدَّ أنْ يَقرَعَ سَمْعَك قوله، إمَّا: يا ولي اللهِ أَبْشِرْ بالجنَّة، وإمَّا: يا عَدُوَّ الله أَبْشِرْ بالنَّار، وهذا هو الذي قَطَّعَ قلوبَ [العارفين][7] الخائفين، وأَسَالَ عَبَرَات التَّائبين، [٧٦/أ] وأَسْهَرَ ليالي العابدين، [فنسأَلُ اللهَ أن يُسامحنا بمنِّه وكرمِه][8]، وإنْ كُنتَ من جُملة المُخطئين[9]، وأصحابِ[10] الكبائر مِن المسلمين، فلا بدَّ أن يُفْتَحَ لك[11] البابُ الذي تَلِج منه، ويَظهَر لك العمل الذي تُسأل عنه، وقد تقدَّم الحديثُ[12] الصحيحُ عن الله تبارك وتعالى: «**إذا أحبَّ عبدِي لقائي أحببتُ لقاءَه، وإذا كَرِهَ[13] لقائي كَرِهتُ لقاءَه**»، وأنَّ هذه المحبَّة وهذه الكراهية[14]، لا تكون إلا عند الموت[15]، ذَكَرَت ذلك عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[16]،

(١) في (ش): (واعلم يا أخي بأنك).

(٢) في (ش): (كيف).

(٣) في (م): (بشرك).

(٤) زيادة من (ش) و(م)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) في (ش): (البشارتين).

(٦) في (ش): (كتب الله).

(٧) زيادة من (ش)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) زيادة من (ش)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٩) في (ش): (الخطائين)، وفي (ي): (المخلطين).

(١٠) في (ش): (وأهل).

(١١) في (م): (إليك).

(١٢) في (م): (الخبر).

(١٣) في (ي): (كره عبدي).

(١٤) في (ش): (الكراهة).

(١٥) في (ش) و(م): (إنما تكون عند الموت).

(١٦) انظر (ص:٦٧).

وهذا مَوضِع ذِكْرَى تَتَفَتَّتُ لها الأعضاد، وتَتَصدَّع لها الأكباد[1].

وسأذكر لك جُملةً من كلام المرضى والمحتَضرين من الصَّحابة والتَّابعين، ومَن بعدَهم من الصَّالحين رحمهم الله أجمعين، وغيرهم من المغتَرين[2] والجهلَة المخدوعين، لعلَّه يُحرِّك[3] منك سَاكنا، ويخوِّف منك آمِنا[4]، ويَشْغَلك بعونِ الله وتوفيقه ظاهرا وباطنا.

يُروى[5] عن أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه مَرِضَ فقالوا: أَنَدعُو[6] لك طبيبا؟ فقال: «قد رَآني»، فقالوا له: وأيُّ شيءٍ قالَ لك؟ فقال: «قالَ إنِّي فَعَّالٌ لما أُرِيد»[7].

ومَرِضَ أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالوا له: أيُّ شيءٍ تشتهي؟ قال: «الجنَّة»، قالوا: أَنَدعُو[8] لك [٧٦/ب] طبيبا؟ قال: «الطبيبُ أَمرَضَني»[9]، وقال[10] له رجلٌ من أصحابه: يا أبا الدرداء أَتَشتهي أنْ[11] أُسَامِرَك الليلة؟ فقال له أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنتَ معافى، وأنا مُبْتَلَى؛ فالعافية لا تَدَعُك أنْ تَسْهَر، والبلاء لا يَدَعُني أنْ أنام، أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يَهَبَ لأهل العافية الشُّكْر، ولأهل البَلاء الصَّبر»[12].

---

(١) في (ش): (تتفتت منه الأكباد وتتصدع منه الأعضاد).

(٢) في (م): (المقصرين).

(٣) في (ش): (يتحرك)، وفي (م): (سيحرك).

(٤) في (ش): (باطنا).

(٥) في (م) و(ي): (ويروى)، وفي (ش) زيادة قبلها (وقد جاء من كلام المحتضرين) لم ترد في جميع النسخ.

(٦) في (م) و(ي): (قيل له: ألا ندعو)، وفي (ش): (فقالوا له: ألا ندعو).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩/ ١٣٧)، وأحمد في الزهد (ص:١١٣).

(٨) في (م): (ندعو).

(٩) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩/ ١٨٠)، وأحمد في الزهد (ص:١٣٤)، وعندهما «أضجعني» بدلا من «أمرضني».

(١٠) في (ش) و(م) و(ي): (فقال).

(١١) في (م): (أني).

(١٢) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٣/ ٢٣١) لكن عن الأصمعي قال: مَرِضَ أبو عمرِو بن العلاء... فذكره. وورد هكذا أيضا في تهذيب الكمال (٣٤/ ١٢٨)، ولم أقف عليه عن أبي الدرداء.

وقيل[1] لحسَّان بن أبي سِنَان[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مرضه: كيف أنت؟ قال: «بخيرٍ إنْ نَجوتُ من النَّار»، قيل: فما تَشتهي؟ قال: «ليلة طويلة أُصَلِّيها كلَّها»[3].

ولما اشتَدَّ مَرَضُ عُمَر[4] بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ جاءُوه بطبيب، فلما دَخَلَ عليه ورآه قال: إنَّه قد سُقِيَ السُّمّ، ولا آمَنُ عليه الموت، فَرَفَعَ عُمَرُ بصرَه إليه وقال: «ولا يُؤمَن أيضا الموت على من لم يُسْقَ السُّمّ[5]»، فقال الطبيب: وهل أَحْسَسْتَ بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال[6]: «نعم، عرفتُ ذلك حِين وَقَعَ في بطني»، فقال: تَعَالَجْ يا أمير المؤمنين، فإنِّي أخافُ أنْ تَذْهَبَ نفسُك، فقال عُمَر: «ربِّي تبارك وتعالى خَيرُ مَذهُوبٍ إليه، -والله- لو عَلِمْتُ أنَّ شِفَائي عندَ شَحْمَةِ أُذُني ما رَفَعْتُ إليه يَدِي![7] اللَّهمَّ خِرْ لِعُمَر في لقائك»، فلم يَلْبَث إلا [77/أ] أياماً قلائل حتَّى مَات رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[8].

ومَرِضَ الرَّبيع بن خُثيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقالوا له: ألا نَدعُو لك طبيبا؟ فَتَفَكَّرَ وقال[9]: «أينَ عَادٌ

---

(1) هذا الأثر ورد في النسخ الثلاث متأخرا، حيث جاء قبل أثر أبي سعيد الخراز الآتي.

(2) حسان بن أَبِي سنان البَصْرِيّ، أحد زُهَّاد التابعين، روى عن الحسن البَصريّ، وروى عنه جعفر بن سُلَيْمان الضبعي، وعبد الله بن شوذب، قال البخاري: كان من عُبَّاد أهل البصرة، وفاته بين ١٢١ و١٣٠هـ. انظر: حلية الأولياء (٣/ ١١٤)، تهذيب الكمال (٦/ ٢٦)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣٩٥).

(3) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/ ٣٧١) ضمن موسوعته]، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١١٧)، كلاهما بلفظ: «قيل: فما تشتهي؟ قال: ليلةً بعيدة ما بين الطَّرفين، أُحْيِي ما بين طرفيها».

(4) في (م): (المرض بعمر)، وفي (ي): (المرض على عمر).

(5) في (ش): (فقال: أيُؤمن الموت على من لم يُسق السم).

(6) في (ش) و(م) و(ي): (فقال).

(7) ما ذكره المصنّف -وما سيذكره- من آثار تتضمن ترك بعض السَّلف والصَّالحين للتداوي عند الموت -وهو مرويٌّ عن خلقٍ لا يُحصون- إنَّما هو من باب التَّرك تفضّيلاً واختياراً لما اختاره اللهُ ﷻ وتسليماً له، ولا يُعلم عن أحدٍ من السَّالفين أنه أوجب التداوي، وهو المنصوص عن أحمد، وإِنْ كان مِن أصحابه مَن يُوجِبُه، ومنهم من يَستحِبُّه. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢١/ ٥٦٤).

(8) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/ ٣٤٨) ضمن موسوعته]، وأورده ابن الجوزي في سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز (ص:٣١٧).

(9) في (ش): (ففكر ثم قال).

وثَمُود وأصحابُ الرَّسِّ وقروناً بين ذلك كثيرا؟! قد كانت فيهم الأدواء، وكانت فيهم الأطباء، فلا أرى المداوي بَقِي ولا المداوى، كلٌّ [قد][1] فَنِيَ ومَضَى، -والله- لا أدعو لي طبيباً أبدا»[2].

وذكر ابنُ جَهْضَم في كتابه[3] عن أبي يعقوب يوسف بن أحمد[4] قال: خرجتُ إلى مكَّةَ على طريق البَصْرَة ومعي جماعة فقراء، وفيهم شابٌ كنتُ أميلُ إليه لحُسْن سَمْتِه، ومراعاة حاله، واهتمامه[5] بذِكْرِ ربِّه، وكثرة مناجاته وتملُّقِه، فلما وَصَلنا المدينة شرَّفَها الله تعالى، مَرِضَ مَرَضاً شديدا وانفَرَدَ عنَّا، فَسِرْتُ إليه مع جماعة [من][6] أصحابنا نتَعَرَّفُ خَبَرَه، فلما رأينا شِدَّة ما به قال بعضُنا: لو أَحضَرْنَا طبيبا يَنْظُرُ[7] إليه، ويرى عِلَّته، فلعلَّه يكون عنده دواء، فسَمِعَ[8] الشابُّ مقالتَهم[9] فتبسَّمَ من ذلك وقال: يا مشايخي، ويا أحبابي، ما أقبح المخالفة بعد الموافقة[10]، مَن أراد اللهُ له حالاً[11]، وأراد هو غيرَها، أليس قد خالف اللهَ في إرادته؟![12]

---

(١) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/٢٩)، وهناد بن السري في الزهد (١/٢٣٠).

(٣) يريد كتابه «بهجة الأسرار» -والله أعلم- وهو ليس بثقة كما تقدم في ترجمته (ص:٧١)، بل متهم بالكذب، ولم أقف على كتابه هذا.

(٤) يوسف بن أحمد بن عبد الله أبو يعقوب الصوفي البغدادي، صحب ذا النون المصري، وحدث عن أحمد بن أبي الحواري، وروى عنه الدامغاني، والأَبْهُري، وغيرهما. انظر: تاريخ بغداد (١٦/٤٥٥).

(٥) في (ش): (واستيثاره)، وفي (م) و(ي): (واشتهاره).

(٦) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٧) في (ش): (فينظر).

(٨) في (ي): (فاستمع).

(٩) في (ش) و(م) و(ي): (مقالتهم).

(١٠) في (ي): (الموالفة).

(١١) في (ش): (أراد الله وفاته).

(١٢) هذا الاستدلال باطل؛ فلا يصح أن نعارض الإرادة الشرعية بالإرادة الكونية، فمن تداوى طلبا للشفاء لا يقال له: خالفت أمر الله! بل إن التداوي وبذل أسباب الشفاء هي من قدر الله؛ فقد أخرج الترمذي في جامعه [كتاب الطب، باب ما جاء في الرُّقى والأدوية] (ص:٤٦٧) ح(٢٠٦٥) عن أبي خِزَامَةَ، عن أبيه قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ:

قال أبو يعقوب: فَخَجِلْنَا من كلامِه، فنَظَرَ إلينا وقال: لو عَرَفتُم[1] داءَ القتِيل لطلبتم لدائِه دواء، [٧٧/ب] إنَّ الأمراض والأسقام فيها تَطهيرٌ وتكفيرٌ[2] وتذكير، وداء القتِيل مشاهدة النَّفس وموافقة الهوى، ثم أنشأ[3] يقول:

بِيَـــــــــدِ اللهِ دَوَائِـــــــــيْ ... وبِعِلْـــــــــمِ اللهِ دَائِـــــــــيْ

إنَّـــــما أَظْلِـــــمُ نَفْسِـــــيْ ... باتِّبَـــــاعِي لِهَـــــوَائِيْ

كُلَّـــــما دَاوَيْـــــتُ دَائِـــــيْ[4] ... غَلَـــــبَ الـــــدَّاءُ دَوَائِـــــيْ

قال: فقُمنا من عنده وتركناه[5]، يريد بقوله[6]: «داء القتيل» الداء الذي يقتلُ صاحبَه وهو اتِّبَاع الهوى.

وقال بعضُ الصَّالحين: دَخَلنَا على مُغيرَة الخرَّاز[7] وهو مَريض، فقلنا له: كيف تَجِدُك؟ فقال: «أَجِدُني مُوقَراً [بالذنوب][8] والآثام[9]»، فقلنا له: فما تَشتكي؟ قال: «الحسْرَة على طُول

يا رسولَ الله، أَرَأيتَ رُقىً نَستَرقِيها ودَوَاءً نَتداوَى به وَتُقَاةً نَتَّقِيها، هل تردُّ مِن قَدَرِ الله شيئا؟ قال: «هي مِن قَدَرِ اللهِ»، وقال: «هذا حديث حسن»، وأخرج أيضا في جامعه [كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه] (ص:٤٦١) ح(٢٠٣٨) عن أسامة بن شريك قال: قالت الأعرابُ: يَا رسولَ اللَّه ألا نَتَدَاوَى؟ قال: «**نعم يا عباد اللَّه، تَدَاوَوا؛ فإنَّ اللَّه لَم يَضَع دَاءً إلاَّ وَضَعَ لَه شِفَاءً -أو قال دَوَاءً- إلاَّ دَاءً وَاحِدًا**»، قالوا: يا رسولَ اللَّه وما هو؟ قال: «**الهَرَم**»، وقال: «حديث حسن صحيح» وهذا من تلبيسات الشيطان على المتصوفة!. انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص:٣٢٤).

(١) في (ي): (لو علمتم).

(٢) في (ش): (تكفير وتطهير).

(٣) في (م): (أنشد).

(٤) في (ش): (قلبي).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) في (ش): (يردد قوله).

(٧) لم أقف على ترجمته.

(٨) زيادة من (م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٩) موقراً بالآثام: أي محمَّلاً بها، مأخوذ مِن الوِقْر: وهو الحِمْل. انظر: لسان العرب (٥/٢٨٩).

الغَفْلَة»، قلنا: فما تَشتهي؟ قال: «الإنابة [إلى ما عند الله][1] والنُّقْلَة عمَّا يَكرَهُه الله»، قال: فبَكَى القومُ جميعا[2].

ودَخَلَ الحسن البَصرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على عَطاء السُّلَمِي[3] يعودُه وهو مريض، فوَجَدَه قد عَلَاه الغُبَارُ والصَّفَار، فقال: «يا عطاء لو خرجتَ إلى صَحْنِ الدَّار فكَان يَضْرِبُك الهواءُ فتَجِدَ له رَاحة»، فقال [له][4]: «يا أبا سعيد، وبهذا تأمرني؟! —والله- إنِّي لأَسْتَحِي مِن اللهِ ﷻ أنْ أَخطُو خُطوَةً في رَاحة بدني»[5] [٧٨/أ].

وقال منصور[6]: «دَخَلْتُ على عَطَاء السُّلَمي [بعد][7] هذا أعودُهُ وهو مريض، فرأيتُه يَتَبَسَّم، فَعَجِبْتُ من ذلك، فكأنَّه فَهِمَ[8] عنِّي»، فقال: «أتعجبُ يا ابنَ أخي؟[9]» فقلت: «وكيف[10] لا أعجب»، فقال: «وكيفَ لا أضحَكُ وقد دَنَا فِرَاقي ممن كُنتُ أَخَافُه وأَحذَرُه، ودَنَا قُدُومي على مَن كُنتُ أرجوه وآمُلُه، أَتَجعَل مَقَامي مع مخلوقٍ أَخَافُهُ كقُدُومي على خالقٍ

---

(١) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) عطاء السَّلِيمِي البَصْري العابد، من صغار التابعين، أدرك أنس بن مالك، وسَمِع من الحسن البصري، وغيره، ولا يُعرف له حديث مسند، وله حكايات في الخوف وإزرائه على نفسه، مات بعد ١٤٠هـ. انظر: حلية الأولياء (٢١٥/٦)، وسير أعلام النبلاء (٨٦/٦) وقد نبّه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤٧/٥) على أن الصواب في نسبه السليمي لا السلمي.

(٤) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) لم أقف عليه، وقد ذكر البيهقي في الزهد الكبير (ص: ١٥٥) أنه قيل لداود الطَّائِيّ: لو صَعَدْتَ إلى السَّطح يُصِيبك الرَّوح؟ قال: «إنِّي لأَكْرَهُ أنْ أَخطُوَ خُطوةً يكون لبدَنِي فيها راحة».

(٦) لم أهتد إلى مقصود المصنف به.

(٧) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) في (ش): (ففهم).

(٩) في (ش): (يا أخي).

(١٠) في (ش): (فقلت: نعم، قال: وكيف لا أعجب).

أَرجُوه؟!»[1]، قال هذا قبلَ أنْ يَحتضِرَ ويَنْزِلَ به الموت.

وقال أحمد بن أبي الحواري: «دَخَلْتُ على بعض المتعبدين [وهو مريض][2] فقلتُ: كيف تَجِدُك؟»، فقال: «بحالٍ شريفة، أَسِيْرَ كريمٍ، حَبِيسَ[3] جَوَادٍ، مع أعوانِ صِدْق، -والله- لو لم يَكُن لي مما تَرَون عِوَضاً إلا ما أُودِعَ قَلْبي مِن محبَّتِه لكُنتُ خَلِيقاً[4] أن أدوم على الرِّضَى عنه، وما الدُّنيا وما غايةُ البَلاء فيها؟ هل هو إلا ما تَرَونَ من هذه العِلَّة؟ ويوشك إنِ اشْتَدَّ بي الأمرُ أنْ يُرحلني[5] إليه سيدي[6]، ولَنِعْمَت العِلَّة عِلَّةً رَحَلَتْ بِمُحِبٍّ[7] إلى محبوبٍ قد أَحزَنَه طُولُ التَّخَلُّفِ عنه»[8].

ويُروى أنَّ مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ دَخَلَ على شابٍّ يعودُهُ فَوَجَدَه خيالا[9] على فراشه كالشَّنِّ البَالِي[10]، فسأله عن حالِه، فلَم يَستَطِعِ الجوابَ بلسَانه وأشَارَ[11] [٧٨/ب] بِطَرْفِه، فبينما[12] نحن كذلك وإذا[13] بصوتِ المؤذِّن فَسَمِعْنَاه يقولُ مثلَ[14] ما يقولُ المؤذِّن، ويُشيرُ بأُصْبَعِه عند الشهادتين، ثمَّ أَمَرَ وَالدَه فوضَّاهُ ثمَّ أَمَرَه أن يُوجِّهَهُ إلى القِبْلَة ليُصَلِّي رَاقداً بالإيماء،

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) زيادة من (م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) في (ش) و(م): (حسن).

(٤) خَلِيقاً أي: جَدِيراً. انظر: القاموس المحيط (ص:٨٨٠).

(٥) في (ي): (يُدخلني).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (إلى سيد).

(٧) في (ش) و(م): (بمحبوب).

(٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق(٧١/٢٤٨).

(٩) أي أنه لم يره على حالته المعهودة، والخيال يُطلق على الشخص والطيف والظل. انظر: لسان العرب (١١/ ٢٣٠).

(١٠) الشَّنّ البالي: الجِلد اليابس الخَلَق. معجم مقاييس اللغة (٣/١٧٦).

(١١) في (ش) و(م) و(ي): (فأشار).

(١٢) في (ش): (فبينا)، وفي (م): (بينما).

(١٣) في (ش) و(م) و(ي): (فإذا).

(١٤) في (ش) و(م) و(ي): (كما).

ثمَّ قال: يا مَالِك! البَلاءُ منهُ سُبحانه رَاحَةٌ مع بقاء الإيمان، يا مَالِك! نِعَمُهُ لا تُعَدُّ وبَلاؤُه واحِد»، قال مَالِك: «فتَعَجَّبْتُ مِن يَقينِه وصَبرِهِ وصِدْقِ وَفَائِه وخَالِصِ محبَّتِه، ثمَّ لم[1] يَلبَثْ إلا يسيراً حتَّى ماتَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2].

وقال عبدُ الله بن عُتْبَة[3][4] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عُدْتُ رجلاً مريضا، فلما قَعَدْتُ عندَه قلتُ له: كيفَ تَجِدُك؟» فقال:

خَرَجْتُ من الدُّنيا وقامَتْ قِيَامَتِي ... غَداةَ أَقَلَّ الحامِلُونَ جِنَازَتِي
وَعَجَّلَ أهلي حَفْرَ قَبريْ وصَيَّرُوا ... خُرُوجِيْ وتَعْجِيلي أَجَلَّ كَرَامَتِي
كأَنَّهمُ لم يَعرفُوا قطُّ صُورَتي ... غَدَاةَ أتَى يَومِيْ عَليَّ وسَاعَتِي[5]

ولما احتُضِرَ أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[6] جاءته ابنتُه عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أمُّ المؤمنين فلما رَأَتْهُ تمثَّلَت بهذا البيت[7]:

لَعَمْرُكَ ما يُغْنِيْ الثَّرَاءُ عَن الفَتَى ... إذا حَشْرَجَتْ يَوماً وضَاقَ بها الصَّدْرُ

[٧٩/أ] فكَشَفَ أبو بكرٍ عن وجهِهِ، وقال: «ليس كذلك، ولكنْ قُولِي: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾[8]»، ثمَّ قال: «فيما[9] كُفِّن رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟»، قالت: «في ثلاثة أثوابٍ بِيضٍ سَحُولية[10]»، ....

---

(١) في (ش) و(ي): (فلم).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (م): (عقبة).

(٤) لم أهتد إلى مقصود المصنف به.

(٥) أورده ابن الجوزي في بستان الواعظين ورياض السامعين (ص:٢٠١) عن بعض الصالحين.

(٦) في (ي): (ولما حضرت أبو بكر الصديق الوفاة).

(٧) في (ش): (أنشدت هذا البيت)، وفي (م) و(ي): (رثته بهذا البيت).

(٨) السورة: ق، الآية: ١٩.

(٩) في (ش) و(م) و(ي): (في كم كُفِّن).

(١٠) يُروى بفتح السِّين وضمِّها، فالفتح منسوبٌ إلى السَّحُول، وهو القَصَّار؛ لأنَّه يَسْحَلُها: أي يغسِلها أو إلى سَحُولٍ وهي قرية باليمن، وأمَّا الضَّمّ فهو جمع سَحْل، وهو الثَّوب الأبيضُ النَّقي. انظر: النهاية في غريب الحديث (ص:٤٢٠).

فقال أبو بكر: «خُذوا ثوبي هذا[1] -لثوب[2] عليه قد أصابه مِشْقٌ[3] أو زعفران- فاغسِلُوه ثمَّ كَفِّنُوني فيه مع ثوبين آخرين»، وكان ثوبا خَلِقا، فقالت له عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «ما هذا؟»، -تريد أنه خَلِق-، فقال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «الحيُّ أحوجُ إلى الجديد من الميِّت، إنَّما هذا[4] للمُهْلَة»[5]، يريد للصَّديد[6] والقيح، ثمَّ سَمِعَ[7] مُنشدا في البيت يُنشِد:

وأَبْـيَضَ يُسْتَسْـقَى الغَـمامُ بوجْهِـهِ ... ثِـمالَ اليتـامى عِصْـمَةٌ للأَرَامِـلِ

فالتفتَ إليه أبو بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقال: «ذاك رسولُ الله ﷺ»، [وصدق أبو بكر، هذا البيت][8][9]، قاله أبو طالب عمُّ رسول الله ﷺ في قصيدته الطَّويلة التي يَمدَحُ بها[10] رسولَ الله ﷺ، قال[11] فيها:

ومَـا تَـرْكُ قـومٍ لا أبَـا لَـكَ سَـيِّداً ... يَحُـوطُ الـذِّمَارَ[12] غـيرَ ذَرْبٍ مُواكِـلِ

[٧٩/ب] وأبـيضَ يُستسـقَى الغَـمامُ بوجهِـهِ ... ثِـمَالَ اليتـامى عِصْـمَةٌ للأرامِـلِ

يَلُـوذُ[13] بـه الهُـلَّاكُ[14] مِـن آلِ هاشـمٍ ... فهـم عنـدَهُ في رحمـةٍ وفَوَاضِـلِ

---

(١) في (ش) و(م) و(ي): (خذوا هذا الثوب).

(٢) في (ش) و(م): (ثوب كان).

(٣) المِشْقُ، بالكسرِ والفتحِ: المَغْرَة، يقال ثوبٌ ممشَّق أي مَصْبوغ. انظر: القاموس المحيط (ص:٩٢٤).

(٤) في (ي): (هذه).

(٥) ذكر هذه الرواية مالك في الموطأ [كتاب الجنائز، ما جاء في كفن الميت] (٢/٣١٤).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (الصديد).

(٧) في (ش) و(م): (سمعوا).

(٨) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٩) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/٣٣٤) ضمن موسوعته].

(١٠) في (ش): (فيها).

(١١) من هنا إلى نهاية تعليقه على الأبيات (من ولد بني آدم) ساقط من (ش) و(م).

(١٢) الذِّمار: ما وراء الرَّجل ممَّا يجب عليه حمايته من أهل وغيره. انظر: لسان العرب (٤/٣١٢).

(١٣) لاذ به أي التجأ واعتصم واحتمى. انظر: النهاية في غريب الحديث (ص:٨٤٥)، ولسان العرب (٣/٥٠٨).

(١٤) الهُلّاك: الهالكون، أي يَستترون به ويَحتمُون. انظر: النهاية في غريب الحديث (ص:٨٤٥)، ولسان العرب (٣/٥٠٨).

كذا قال أبو طالب: «يَلُوذ به الهُلَّاكُ من آلِ هاشم»، ولم يَدرِ أنَّه ﷺ يَلُوذ به الهُلَّاكُ مِن ولدِ بني آدم[1].

ويُروى عن سعيد بن المسيِّب[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال: «لما احتُضِرَ أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أتاه نَاسٌ مِن أصحابِه فقالوا له: يا خَلِيفةَ رسولِ الله، إنَّا نراك لَمَّا[3] بك[4]، فأَوصِنَا بوصيةٍ وزَوِّدنا بمَوعِظة[5]؟ فقال: مَن قالَ هؤلاء الكلمات ثمَّ مات، جَعَلَ اللهُ رُوحَه في الأُفُقِ المُبين، قالوا[6]: ومَا الأُفُق المُبين؟ قال[7]: قاعٌ بين يَدِيَ العَرش، فيه رِيَاضٌ وأشجارٌ وأنهار، فمَن قالَ هذا القولَ جَعَلَه اللهُ في ذلك المكان:

اللَّهمَّ إنَّك ابتدأتَ الخَلْقَ من غير حاجةٍ بك إليهم ثمَّ جَعَلْتَهم فريقين: فريقاً للنَّعيم، وفريقاً للسَّعير، فاجعَلْنِي للنَّعيم، ولا تجعَلْنِي للسَّعير، اللَّهمَّ إنَّك خَلَقْتَهم وميَّزْتَهم قبلَ أن تخلُقَهم، فجَعَلْتَ منهم شقيًّا وسعيداً وغَوِيًّا ورَشِيداً، فلا تُشْقِنِي بمعاصيك، اللَّهمَّ إنَّك عَلِمْتَ ما تَكْسِبُ كلُّ نفسٍ قبلَ أنْ تخلُقَها [٨٠/أ]، ولا محيصَ لهم[8] مما عَلِمت، فاجعَلْنِي ممن تَستَعمِلُه بطاعتك، اللَّهمَّ إنَّ أحداً لا يشاء شيئا حتَّى تشاء، فاجعلْ مَشيئتي أنْ أشاءَ ما يُقَرِّبُني إليك، اللَّهمَّ إنَّك قَدَّرْتَ حركاتِ العباد فلا يَتحرَّك شيءٌ إلا بإذنك، فاجعلْ حركاتِنا[9] في

---

(١) هذا الإطلاق فيه نظر بل لا يصح، فاللياذ لا يكون مطلقا إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأما المخلوق فإنما يلاذ به فيما يقدر عليه. انظر: تلخيص الاستغاثة لابن كثير (٤٢١/١)، ومصباح الظلام لعبداللطيف آل الشيخ (ص:٣٢٨).

(٢) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو، أبو محمد القرشي المخزومي، سيد التابعين في زمانه، ومراسيله يُحتجُّ بها، قال ابن المديني: (لا أعلم في التابعين أحداً أوسع علماً من ابن المسيب)، ولد في المدينة لسنتين مضتا من خلافة عمر، وقيل: لأربع، مات سنة ٩٤هـ. انظر: حلية الأولياء (١٦١/٢)، وسير أعلام النبلاء (٢١٧/٤).

(٣) لَمَّا أي نَزَل. انظر: لسان العرب (٥٥٠/١٢).

(٤) في الفوائد والأخبار لابن حمكان (ص:١٢٧): «إنَّا لَنَرَاكَ وَجِعًا».

(٥) في (ش) و(م) و(ي): (فأوصنا منك بوصية وزودنا منك بموعظة).

(٦) في (ش) و(ي): (فقالوا).

(٧) في (ش) و(ي): (فقال).

(٨) في (م): (لها).

(٩) في (ش) و(م) و(ي): (حركاتي).

تَقْوَاك، اللَّهمَّ إنَّك خَلَقْتَ الخير والشَّر، وجَعَلْتَ لكلٍّ واحد منهما عاملاً[1] يعمَلُ به، فاجعَلْنِي مِن خير القِسْمَين، اللَّهمَّ إنَّك خَلَقْتَ الجنَّة والنَّار، وجَعَلْتَ لكلٍّ واحدة[2] منهما أهلا، فاجعَلْنِي مِن سَاكني جنَّتِك، اللَّهمَّ إنَّك أَرَدْتَ بقومٍ الضَّلَال[3]، وضَيَّقتَ به صدورَهم، فاشرَحْ صَدرِي للإيمان، وزَيِّنه في قَلبي، اللَّهمَّ إنَّك دَبَّرتَ الأمور، فجعَلْتَ مَصيرَها إليك، فأَحيني حياةً طيِّبةً وقرِّبني إليك زُلْفَى، اللَّهمَّ مَن أصبَحَ وأمسَى ثقتُه ورجاؤُه غيرك، فأنتَ ثِقَتي ورَجَائي، ولا حَوْلَ ولا قوَّة إلا بك[4]، قال أبو بكر: وهذا كلُّه في كتاب الله ﷻ»[5].

وقال الشَّعبِيُّ[6] رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما طُعِن عُمَرُ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ بِلَبَن فَشَرِبَ منه فَخَرَجَ اللَّبَنُ مِن طَعْنَتِه فقال: اللهُ أكبر! وعَلِمَ أنَّه يَموت، [٨٠/ب] فَجَعَلَ جُلَساؤُه يُثنُون عليه خيرا، فقال: وَدِدتُ أنْ أخرُجَ منها[7] كِفَافاً كما دَخَلْتُ لا عليَّ ولا ليَّ، -والله- لو كان ليَ اليومَ ما طَلَعَتْ عليه الشَّمسُ لافتديتُ به من هَوْلِ المَطلَع»[8].

---

(١) في (ي): (أهلا).

(٢) في (م) و(ي): (واحد).

(٣) في (ش): (بقوم الضلال)، وفي (م): (أردت الضلال لأعدائك)، وفي (ي): (أردت الضلال بقوم).

(٤) في (ش) و(م): (بالله).

(٥) أخرجه ابن حمكان في الفوائد والأخبار والحكايات (ص:١٢٧) موصولا عن ابن عباس قال: لما احتضر أبو بكر... فذكره، وأما رواية ابن المسيب فأوردها المتقي الهندي في كنز العمال (٥٣٩/١٢)، وهذا الأثر لا يصح فصاحب كتاب الفوائد وهو الحسن بن حمكان حديثه ليس بشيء. انظر: تاريخ بغداد (٢٥٤/٨)، وديوان الضعفاء للذهبي (ص:٧٩).

(٦) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، أبو عمرو الهمداني ثم الشَّعْبِي، ولد سنة ١٩هـ، وقيل ٢١هـ، وقيل غير ذلك، من أجلَّة التابعين، رأى عليًّا وصلَّى خلفه، وسمع من عدة من كبراء الصحابة، قال مكحول: (ما رأيت أحدا أعلم من الشعبي)، توفي سنة ١٠٤هـ، وقيل سنة ١٠٧هـ وقيل غير ذلك. انظر: حلية الأولياء (٣١٠/٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٩٥/٤).

(٧) في (ي): (من الدنيا).

(٨) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٤٥/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤٣/٤٤).

ولما حُضِرَ[1] غُشِيَ عليه ورأسُه بالأرض[2]، فَوَضَع ابنُه عبدُ الله رأسه في حِجْرِه، فلما أَفَاق قال: «ضَعْ رأسِي بالأرض[3]»، فقال له ابنه: «يا أبتِ، وهل الأرض وحِجْرِي إلا سواء؟»، فقال: «ضَعْ رأسي بالأرض[4] كما أَمَرْتُك»، فَوَضَعَه، قال: فَمَسَحَ خَدَّيه بالتُّراب ثمَّ قال: «ويلٌ لعُمَر! ويلٌ لعُمَر! ويلٌ لأمِّ عُمَر إنْ لم يَغْفِرِ الله لعُمَر!»، ثمَّ قال: «إذا قُبِضْتُ[5] فأَسرِعُوا بي إلى حُفْرَتي، فإنَّما هو خيرٌ تُقدِّمُوني إليه[6] أو شَرٌّ تَضَعُونه عن رِقَابِكُم»[7].

ولما حُضِرَ[8] عُثمان بنُ عفَّان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جَعَلَ يقول -ودمُه يَسِيل [في الأرض][9]-: «لا إله إلا أنتَ سُبحانك إنِّي كُنتُ من الظالمين، اللَّهمَّ إنِّي أَستَعينُك[10] على أمورِي، وأسأَلُك الصَّبرَ على بَلائِي»[11].

ولما حُضِرَ[12] سلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بَكَى، فقيل له: ما يُبكِيك؟ فقال[13]: -والله- ما أبكِي جَزَعاً من الموت، ولا حِرصاً على الدُّنيا، ولكنْ عَهدٌ عَهِدَهُ إلينا رسولُ الله [٨١/أ] ﷺ

---

(١) في (ي): (احتضر).

(٢) في (ي): (في الأرض).

(٣) في (م): (في الأرض)، وفي (ي): (على الأرض).

(٤) في (ش): (في الأرض).

(٥) في (ش): (فإذا قبضت)، وفي (ي): (فإذا قضيت).

(٦) في (م): (عليه).

(٧) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/١٤٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/٤٤٤).

(٨) في (م) و(ي): (احتضر).

(٩) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١٠) في (م) و(ي): (أستعين بك).

(١١) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/٣٣٧) ضمن موسوعته] بلفظ: «لا إله إلاَّ أنتَ سُبحانك إنِّي كنتُ مِن الظَّالمينَ، اللَّهمَّ إنِّي أَستَعدِيكَ عليهم، وأستَعينُك على جميع أُمُوري، وأسأَلك الصَّبرَ على ما أَبليتَنِي».

(١٢) في (م) و(ي): (احتضر).

(١٣) في (ش) و(م) و(ي): (قال).

قال: «**ليكُن بلاغُ أحدِكم من الدُّنيا كزَادِ الرَّاكِب**»[١]، فلما مَاتَ نُظِرَ في جميع ما تَرَك، فإذا قيمتُه ثلاثون دِرهماً، وقد كان أميراً على المدائن، مدائن كسرى[٢].

ويُروى أنَّ امرأتَه قالت -وهو في الموت[٣]-: وا حُزْنَاه[٤]! فقال سلمان: «بل واطَرَباه! غداً نلْقَى الأحِبَّة، محمَّداً وحِزْبَه»[٥].

ومثل هذا القول أيضا يُروى[٦] عن بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولى أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال [عند موته][٧]: «غداً نَرَى الأحِبَّة، محمَّداً وحِزْبَه»[٨].

ويُروى أنَّ عمرو بنَ العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما دَنَا منه الموتُ دَعَا بِحَرَسِه ورِجَالِه، فلما دَخَلُوا عليه قال: «هل تُغنُون عنِّي مِن اللهِ شيئاً؟»، قالوا: لا، قال: «فافتَرِقُوا عنِّي»، ثمَّ دَعَا بماءٍ فَتَوَضَّأ وأَسبغَ[٩] الوضوء، ثمَّ قال: «احملُوني إلى المسجد»، فَحَملُوه[١٠] فقال: «استقبِلُوا بيَ القِبلَة»، فَفَعَلُوا، فقال: «اللَّهمَّ إنَّك أَمرتَني فَعَصَيتُ، وائتمَنتَني فخُنْتُ، وحَدَّدْتَ لي فتَعدَّيتُ، اللَّهمَّ لا بريءَ فأعتذِر، ولا قويَّ فأنتَصِر، بل مُذنِبٌ مُستغفِر، لا مُصِرّ ولا مُستَكْبِر»، [ثم قال:][١١] «لا إله إلا أنتَ سُبحانك إنِّي كُنتُ من الظالمين»، فلم يَزَلْ يُردِّدُها حتَّى ماتَ

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/٣٤٤)، ووكيع في الزهد (١/٢٩٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/٢٦١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/٢٩١) ح(١٧١٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/١٩٦)، وفيه: «عشرون درهما» بدلا من ثلاثين.

(٣) في (ش) و(م): (عند موته).

(٤) في (ش) و(ي): (يا حزناه).

(٥) لم أقف عليه مرويا عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (يروى أيضا).

(٧) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/٣٩٨) ضمن موسوعته].

(٩) في (ش) و(م) و(ي): (فأسبغ).

(١٠) في (ش) و(م) و(ي): (ففعلوا).

(١١) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[1]. [٨١/ب]

وقولُه لحَرَسِه ورِجاله: «هل تُغنُون عنِّي مِن اللهِ شيئاً»، إنَّما فَعَلَ ذلك تَصغيراً لنفسِه وتحقيراً [لها][2]، ولِيُرِيها رؤيةَ مشاهدةٍ أنَّ الذين كانوا يُغنُون عنه في الدُّنيا لا يُغنُون عنه عند نُزُول الموت شيئاً.

ويُروى[3] أنَّ ابنه عبدَ الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال له: «يا أبَت، ما كنتُ أظنُّ أنْ يَنْزِلَ بك أمرٌ مِن اللهِ إلا صَبرتَ عليه»، فقال: «يا بُني، نَزَلَ بأبيك ثلاث خِصَال: فِرَاقُ أحبَّتِه، وانقطاعُ أملِه، والثالثةُ هَوْلُ المطلَع»، ثمَّ قال: «اللَّهمَّ إنَّك أمرتَ فتَوَانيتُ، ونهيتَ فعصيتُ، اللَّهمَّ ومِن شِيمَتِك العَفوُ والتَّجَاوز»[4].

ولما حَضَرَت الوفاةُ مُعاويةَ بنَ أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «أقعدوني»، فَأقعَدُوه، فَجَعَلَ يذكرُ الله تعالى ويُسبِّحُه ويُقَدِّسُه، ثمَّ قال: الآنَ تذكُرُ ربَّكَ وتُقدِّسُه يا معاويةَ بعد الانحِطَام والانهدام؟! ألا كانَ ذلك وغُصْنُ الشَّبابِ نَضِير[5] ريان؟!»، وبَكَى حتَّى عَلا بُكاؤه، ثمَّ قال:

هو الموتُ لا مَنْجَى مِن الموتِ والذي ... أُحَاذِرُ بعدَ الموتِ أدهى وأفظَعُ

ثمَّ قال: «[اللَّهم يا ربِّ ارحَمْ الشَّيخَ العاصِي، ذا القَلْبِ القاسي][6]، اللَّهمَّ أَقِل العَثرَة،

(١) لم أقف عليه، وقد أخرج ابن أبي الدنيا في المتمنين [(٥/ ٢٠٥) ضمن موسوعته] عن الحسَن، قال: لمَّا حَضَرَت عَمرَو بنَ العاص الوفاةُ، نَظَرَ إلى صناديق، ثُمَّ قال لِبَنِيه: «مَن يَأخذُها مِنِّي بِمَا فِيهَا؟ يَا لَيْتَهُ كَانَ بَعْرًا!» ثُمَّ أَمَرَ بِالحَرَسِ فَأَحَاطُوا بِقَصْرِه، قال بَنُوهُ: ما هذا؟ قال: «ما ترون هذا يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا»، وأخرج ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/١٤٧) عن أبي نَوفَل بن أبي العَقْرَب قال: لَمَّا حَضَرَت عَمرَو بن العاص الوفاةُ، وَضَعَ يدَهُ مَوْضِعَ الْغُلِّ مِن ذقنِه، ثمَّ قال: «اللَّهُمَّ أَمَرتَنَا فَتَرَكنَا، وَنَهَيتَنَا فَرَكِبنَا، وَلَا يَسَعُنَا إِلَّا مَغْفِرَتُكَ»، وكانت تِلكَ هِجِّيرَاهُ حتَّى مات رَحِمَهُٱللَّهُ.

(٢) زيادة من (ش)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) هذا الأثر ساقط من (ش) و(م) و(ي)، ومثبت من الأصل (ت).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/٣٩٨) ضمن موسوعته].

(٥) النَضِير: الحَسَن. انظر: لسان العرب (٥/٢١٢).

(٦) زيادة من (ش) و(م)، غير موجودة في الأصل (ت).

واغفِر الزَّلَة، وجُدْ بِحِلْمِك على من لم يَرْجُ غيرَك، ولا وَثِقَ بأحد سِوَاك»[١]، ثمَّ قال لابنه يزيد: «يا بُني، [٨٢/أ] إذا وَفَى أجلي فاعْمِدْ إلى المنديل الذي في الخزانة؛ فإنَّ فيه ثوباً من أثواب رسول الله ﷺ، وقُرَاضَةٌ[٢] من شعره وأظفاره[٣]، فاجعَل الثوب مما يَلي جسدي، واجعلْ أكفاني فَوقَه، واجعل القُرَاضَةَ في فَمِي وأنفي وعيني؛ فإن نَفَعَني شيءٌ فهذا، فإذا جَعَلْتُمُوني في قَبري فَخَلُّوا مُعاويةَ مع أرحمِ[٤] الرَّاحمين!»[٥].

ويُروى أنَّه قال في جُملة ما قال: «يا لَيتني كنتُ رجلاً من سَائر قُريش بذِي طُوَى[٦]، ولم آلُ من هذا الأمر شيئاً»[٧].

ولما حَضَرَت أبا هُريرة الوفاةُ بَكَى، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: «يُبكيني بُعْدُ السَّفَر[٨]، وقِلَّةُ الزَّاد، وضَعف اليقين، والعَقَبَة الكَؤُود[٩]؛ التي المَهْبَط منها إمَّا إلى الجنَّة، وإمَّا إلى النَّار»[١٠].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله [(٢/٣٤٠) ضمن موسوعته]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/٢٢٦).

(٢) القُراضَة: ما سقط بالقَرْض من ثوبٍ أو غيره. انظر: تاج العروس (١٩/١٦).

(٣) هذا التبرك خاص بآثار النبي ﷺ دون غيره من الصالحين، وقد ورد عن جملة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. انظر: صحيح البخاري [كتاب فرض الخُمس، باب مَا ذُكِرَ مِن دِرع النَّبيِّ ﷺ، وعصاه، وَسَيفه وَقَدَحِه، وخَاتَمِه، وما استَعمل الخلفاءُ بعدَه مِن ذلك مما لم يُذكَر قِسْمَتُه، ومِن شَعَرِه، وَنَعْلِه، وآنِيتِه مما يَتَبَرَّكُ أصحابه وغيرهم بعد وفاته]، وكتاب التبرك للدكتور ناصر الجديع (ص:٢٤٣).

(٤) في (ش) و(م) و(ي): (فخلوا معاوية وأرحم).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/٣٤١) ضمن موسوعته].

(٦) واد من أودية مكة، كله معمور اليوم، يسيل في سفوح جبل أذاخر والحجون من الغرب، وعليه من الأحياء: العُتَيبة، وجَرْوَل، ومعظم شارع المنصور، وانحصر الاسم اليوم في بئر في جَرْوَل تسمى بئر طُوَى. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/٥١)، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية لعاتق البلادي (ص:١٨٨).

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/٣٤٤) ضمن موسوعته].

(٨) في (ش) و(م) و(ي): (المفازة).

(٩) العَقَبة الكَؤُود: الصَّعبة. معجم مقاييس اللغة (٥/١٥٢).

(١٠) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/ ٣٨)، وأحمد في الزهد (ص: ١٥٣)، بلفظ: «أَمَا إنِّي لا أبكِي على دُنياكم هذه، ولكنِّي أبكِي على بُعدِ سَفَرِي، وقلَّة زادي، وإنِّي أَمسيتُ في صعودٍ ومَهْبَطَةٍ على جنَّةٍ ونارٍ، لا أدرِي إلى أَيَّتهما يُؤخذُ بِي».

ولما حَضَرَت الوفاةُ حُذيفةَ بنَ اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «اللَّهمَّ إنِّي كنتُ أخافك، وأنا اليوم أرجُوك، اللَّهمَّ إنَّك تعلمُ أنِّي لم أكن أُحِبُّ البقاء في الدُّنيا لجري الأنهارِ ولا لِغَرْسِ الأشجار، ولكنْ لِظَمَأ الهواجِر(1)، وقيامِ اللَّيل، ومكابَدَة السَّاعات، ومُزاحمة العُلَماء في حِلَقِ الذِّكْر»(2).

ولـمَّا اشتدَّ به النَّزْع جَعَلَ كلَّما أَفاقَ [٨٢/ب] مِن غَمْرَةٍ فَتَحَ عَينيهِ وقال: «يا ربِّ شُدَّ شدَّاتِك، واخْنُق خَنقاتِك، وعِزَّتِك(3) إنَّك تعلمُ(4) أنِّي أُحِبُّك»(5).

ومثل هذا القول يُروى عن محمَّد بن المنكدر(6) رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه لما نَزَلَ به الموتُ بَكَى، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: «ما أبكِي جَزَعاً من الموت، ولا حِرْصاً على الدُّنيا(7)، ولكن أبكِي على ما يَفُوتُني مِن ظَمَأ الهواجِر، وقيامِ ليالي الشِّتاء»(8)، وكذلك يُروى عن عامِر بن عبد قيس(9)(10)

---

(1) الهاجِرَة: نِصف النَّهار عند زوال الشَّمس مع الظُّهر أو من عِند زوالِها إلى العصر، سُمِّي بذلك لأنّ الناس يَستَكِنُّونَ في بُيوتهم كأنّهم قد تَهاجَروا. انظر: تاج العروس (٤٠٢/١٤).

(2) أخرجه أحمد في الزهد (ص:١٨٠)، وابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/ ٣٥٨) ضمن موسوعته]، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٣٩/١) جميعهم عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(3) في (ش) و(م) و(ي): (فوعزتك).

(4) في (ي): (لتعلم).

(5) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤٤٢/٣)، وابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٣٦٦/٥) ضمن موسوعته]، كلاهما عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «اخْنُقْ خَنْقَكَ، فَوَعِزَّتِكَ إِنِّي أُحِبُّكَ»، والبيهقي في الشعب (١٢/ ٣٩٣) عن معاذ أيضا بلفظ: «رَبِّ غُمَّنِي غَمَّتَكَ، فَوَعِزَّتِكَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ».

(6) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث، أبو عبد الله القرشي التيمي المدني، الحافظ القدوة، وُلِدَ سنة بضع وثلاثين، وأرسل أحاديثَ عن النَّبيِّ ﷺ، وأدرك جَمْعاً من الصَّحابة، قال عنه سفيان: (كان من معادن الصدق، ويجتمع إليه الصالحون)، توفي سنة ١٣٠هـ، وقيل ١٣١هـ. انظر: حلية الأولياء (١٤٦/٣)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٣).

(7) في (ي): (حِرْصاً على الدُّنيا ولا جزعاً من الموت).

(8) لم أقف عليه.

(9) في (ش) و(م) و(ي): (عامر بن قيس).

(10) عامر بن عبد قيس بن ناشب بن أسامة بن حذيفة، أبو عبد الله التميمي العنبري البصري، من عُبَّاد التابعين وأجلَّتهم، لقي جماعة من الصحابة، يروى أنَّ كَعبَ الأَحْبَارِ قال عنه: (هذا رَاهِبُ هذه الأمَّة)، توفي في زمن معاوية. انظر: حلية

رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

وقال أَنس بنُ مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لمن حَضَرَهُ وقد نَزَلَ به الموت[2]: «لَيُعَايِنِ النَّاسُ غداً مِن عَفْوِ اللهِ وسعَةِ رحمتِه مَا لم يَخطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَر»[3]، كُشِفَ[4] له رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مِن[5] سعَةَ رحمة الله، وكَثْرَةِ عَفوِه، وعَظيم تجاوزِه ما أَوجَبَ أنْ قَالَ هذا.

ولما دَنَت[6] مِن عُمَر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ الوفاةُ بَكَى، فقيل له: ما يُبكيك يا أميرَ المؤمنين؟ أَبشِرْ، فقد أحيا اللهُ تبارك وتعالى بك سُنَنًا، وأَظهَرَ بِك عَدْلا، فَبَكَى ثمَّ قال: «أليسَ أُوقَفُ ثمَّ أُسأَلُ عن هذا الخلْق؟ -والله- لو عَدَلْتُ فيهم لخِفْتُ أنْ لا تقوم نفسي بحُجَّتِها عند الله تعالى، إلا أنْ يُلَقِّنَها حُجَّتَها ويُثَبِّتَها، [٨٣/أ] فكيفَ بكثيرٍ مما صنعتُ[7]؟!»، ثمَّ بكى[8].

ويُروى عن فاطمةَ بنت عبدِ الملك بنِ مروان[9] امرأة عُمَرَ بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا، أنَّها قالت: كنتُ أسمعُ عُمَرَ بن عبد العزيز في مرضِه الذي مات فيه يقول: «اللّٰهمَّ اخْفِ

الأولياء (٢/ ٨٧)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٦/ ٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٥).

(١) أخرج ذلك ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٩٥)، وأحمد في الزهد (ص:٢٢٥).

(٢) في (ش) و(م) و(ي) تكررت (قال) هنا.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) الكشف عند أهل السنة نوع من الخوارق، وذلك بأن يَسمع العبد مالا يسمعه غيره، أو يرى ما لا يراه غيره، أو يعلم ما لا يعلمه غيره، ويسمَّى كَشْفا ومُكاشَفة، لكن ينبغي أن يُربط بالكتاب والسُّنَّة، وأن يُعلم أنَّ المعارف التي تحصل بالكَشْف متَّى خالفت الكتاب والسنة، أو خالفت العقل الصريح، فهي باطلة، وهذا هو الكشف الصوفي الباطل.
انظر: بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام (٢/ ١٨٧)، ومجموع الفتاوى له أيضا (١١/ ٣١٣).

(٥) في (ي): (عن).

(٦) في (ي): (دنت الوفاة).

(٧) في (ي): (ضيعت).

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/٣٤٩) ضمن موسوعته]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٥/ ٢٥٤).

(٩) فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ابن الحكم، زوجها -ابن عمِّها- عمر بن عبد العزيز، ولدت له إسحاق ويعقوب، ثم خَلَف عليها سُليمان بن داود بن مروان بن الحكم، وكان أعْوَر، فقيل: هذا الخَلَفَ الأعور، فولدت له عبد الملك، وهشاما، وحكى عنها عطاء بن أبي رباح، والمغيرة بن حكيم، تُوفِّيت في خلافة أخيها هشام. انظر: تاريخ دمشق (٧٠/٢٨)، وتاريخ الإسلام (٣/٢٩٥).

عنهم(١) مَوتِي ولو ساعةً من نَهار»، فلما كان(٢) اليوم الذي ماتَ فيه، خَرَجْتُ من عنده فَجَلَسْتُ في بيتٍ قريبٍ منه، بيني وبينَه بابٌ، فسَمِعْتُه يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣) ثمَّ [بعد ذلك](٤) هَدَأَ فَجَعَلْتُ لا أَسمعُ [له](٥) حركةً ولا كلاما، فقلتُ لوَصِيفٍ(٦) لنا: انظُر إلى أمير المؤمنين ما صَنَع؟ فلما دَخَلَ عليه صَاحَ! فأسرَعْتُ إليه فإذا هو ميِّت رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٧).

ويُروى أنَّه لما قَرُبَ موتُه(٨) قال: «أجلِسُوني»، فأجلَسُوه، فقال(٩): «اللّٰهمَّ أنا الذي أَمَرتَني فَقَصَّرْتُ، ونَهيتَني فَعَصيتُ -قالها ثلاث مرات-، فإنْ عَفَوتَ فقد مَنَنْت، وإنْ عَاقَبْتَ فما ظلمت»، ثمَّ قال: «لكن لا إله إلا الله»(١٠)، ثمَّ أَحَدَّ(١١) النَّظَر، فقيل له في ذلك، فقال: «أرَى حَضرَةً ما هُم بإنسٍ ولا جَان!»، ثمَّ خَرَجَ مَن كان عنده، فلم يَلبَث إلا قليلا [٨٣/ب] حتَّى(١٢) مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١٣).

---

(١) في (م) و(ي): (عليهم).

(٢) في (ش) و(م): (فلما كان في اليوم).

(٣) السورة: القصص، الآية: ٨٣.

(٤) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٦) الوَصِيف: العَبد. لسان العرب (٩/ ٣٥٧).

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/ ٣٤٧) ضمن موسوعته]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٠/ ٣٣).

(٨) في (م): (قربت وفاته).

(٩) في (م): (فأجلسوني فلما أجلسوه قال).

(١٠) في (ي) زيادة: (لكن أرجو خيرا بقولي لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ولا وجود لها في النسخ الثلاث الباقية ولا في المحتضرين لابن أبي الدنيا.

(١١) في (م): (حد).

(١٢) في (م): (ثم).

(١٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/ ٣٤٩) ضمن موسوعته]، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٦/ ٥٥).

ويُروَى أنَّه قيل لهُ وقد اشتدَّ مرضُه: وصِّنا[1] يا أمير المؤمنين، فقال: «أُحذِّرُكُم مثلَ[2] مَصْرَعي هذا»[3].

ويُروى أنَّه دَخَلَ عليه قبل أن يموت بأيامٍ ابنُ أبي زكريّا[4] أو أحدُ الفقهاء، فتذَاكَرَا الآخرةَ فبَكَى عُمَرُ، وبَكَى الرجل، ثمَّ دَعوا الله جميعاً وسألاه أنْ يَقْبِضَهُما جميعاً إليه[5]، فجاء ابنٌ صغيرٌ لعُمَرَ يَدُبُّ[6] فقال عمر: «اللَّهمَّ وَمَعَنا هذا[7]؛ فإنِّي أُحِبُّه»، قال: فماتوا كلّهم[8] قريباً مِن قريب أو في جُمُعة أو نحوها[9][10].

ويُروى عن عبد الملك بن مروان[11] أنَّه لما حَضَرَه الموتُ، نَظَرَ في[12] موضعٍ له مُشرِفٌ

---

(١) في (ش) و(م) و(ي): (أوصنا).

(٢) في (م): (من).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٣٤٨/٥) ضمن موسوعته]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥٦/٤٥).

(٤) عبد الله بن أبي زكريا، أبو يحيى الخزاعي الدمشقي، من فقهاء أهل دمشق من أقران مكحول، أرسل عن جمعٍ من الصَّحابة، قال الاوزاعي: (لم يكن بالشام رجل يفضل على ابن أبي زكريا)، وكان ثقة قليل الحديث صاحب غزو، مقرّبا من عمر بن عبد العزيز، توفي سنة ١١٧هـ. انظر: حلية الأولياء (١٤٩/٥)، وتاريخ دمشق (١١١/٢٧)، وسير أعلام النبلاء (٢٨٦/٥).

(٥) في (ي): (إليه جميعا).

(٦) يدبُّ: أي يمشي رُوَيدا. انظر: لسان العرب (٣٦٩/١).

(٧) في (ش) و(ي): (وهذا معنا).

(٨) في (ش) و(م) و(ي): (فماتوا ثلاثتهم).

(٩) في (ي): (جمعة واحدة).

(١٠) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٥/٢٧)، وأورده أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم في سيرة عمر بن عبد العزيز (ص:٩٩).

(١١) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، الخليفة، أبو الوليد القرشي الأموي، ولد سنة ٢٦هـ، بويع زمن خلافة ابن الزبير سنة ٧٣هـ، وكان عابداً ناسكاً قبل الخلافة، وشهد يوم الدار مع أبيه، وسمع جمعاً من الصحابة، وكان حازما فَهِماً فَطِنا، سَائِساً لأمور الدُّنيا، وله سبعة عشر ولداً، توفي سنة ٨٦هـ. انظر: تاريخ الإسلام (٩٧٠/٢)، والبداية والنهاية (٣٧٧/١٢).

(١٢) في (ش) و(م): (من).

إلى[1] رجلٍ وبيدِه ثوبٌ وهو يَضْرِب به المغسَلَة، فقال: «يا لَيتَني كُنتُ مثلَ هذا الرجل، أعيشُ مِن كَسْبِ يَدِي يوماً بيوم، ولم آلُ مِن هذا الأمر شيئاً!»[2].

وقال له رجل: كيفَ تَجِدُك يا أميرَ المؤمنين؟ قال: «أَجِدُني[3] كما قال اللهُ تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾[4]»[5]، ويُروى[6] أنَّه قالَ عند موتِه -أيضا- يذُمُّ الدُّنيا: «إنَّ طَويلَكِ لَقَصِير، وإنَّ كبيرَكِ لصَغير، وإنْ كنَّا منكِ لفي غُرُور»[7].

ولما حَضَرَت الوفاةُ أبا جعفرٍ المنصور[8] أمير المؤمنين[٨٤/أ]، تمثَّلَ بهذه الأبيات:

المـرءُ يأمَـلُ أنْ يَعِيـشْ ... وَطُـولُ عَـيشٍ قَـد يَضُـرُّه
تَـبْلَى بَشَاشَـتُهُ ويَبقَـى ... بَعـدَ حُلْـوِ العَـيشِ مُـرُّه
وَتُخزِنُـهُ الأيـامُ حتَّـى ... لا يَـرَى شَـيئاً يَسُـرُّه
كَـم شَـامِتٍ [بي][9] إنْ هَلَكـتُ ... وقائـلٍ للـهِ دَرّه[10]

ثمَّ قال للرَّبيع[11]: «يا ربيع، هذا السُّلطَانُ لا سُلطَانَ من يموت!»، ثمَّ قال: «اللَّهمَّ إنِّي

---

(١) في (ي): (على).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/٣٤٤) ضمن موسوعته]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥٧/٣٧).

(٣) في (ش) و(ي): (تجدني).

(٤) السورة: الأنعام، الآية: ٩٤.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/ ٣٤٥) ضمن موسوعته]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥٦/٣٧).

(٦) من هنا إلى نهاية البيتين القادمين: (زال عن النعمة بالموت) ساقط من (ش) و(م) و(ي).

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥٩/٣٧) وفيه أنَّه قال: «ارفعُوني»، فرفعُوه حتَّى شمَّ الهواء، وقال: «يا دُنيا، ما أَطيبَكِ! إنَّ طويلك لَقصيرٌ، وإنَّ كثيرَكِ لحقير، وإنْ كنَّا منكِ لفي غُرُور».

(٨) عبد الله بن مُحَمَّد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو جعفر المنصور، استخلف بعد أخيه السفاح، وكان يتصدَّى للأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والنَّظر في المصالح العامَّة في النهار، وينظر في الكتب والرَّسائل الواردة من الآفاق بعد العشاء، ثمَّ يقوم إلى أهله، فينام، ثم يقوم إلى صلاته حتَّى الصَّباح، توفي سنة ١٥٨هـ، وكان عمره ثلاثًا وستين سنة، وخلافته إحدى وعشرون سنة. انظر: تاريخ بغداد (٢٤٤/١١)، البداية والنهاية (٤٥٩/١٣).

(٩) في الديوان وتاريخ دمشق والمطبوع هذه الزيادة ولم أجدها في النسخ الخطية ولا يستقيم البيت إلا بها.

(١٠) الأبيات للنابغة الذبياني. انظر: ديوان النابغة الذبياني (ص:١٢٢).

(١١) الربيع بن يونس بن محمَّد بن يونس بن أبي فروة، أبو الفضل، مولى أبي جعفر المنصور وحاجبه، ثمَّ صار وزيره، توفي

ارتكبتُ الجرائمَ من الذنوبِ جُرأةً عليك، وأطعتُكَ في أحبِّ الأشياءِ إليك، شهادة أنْ لا إله إلا الله مَنًّا مِنكَ لا مَنًّا عَليك، اللَّهمَّ اجعَلْ ذلك قُرْبةً لي عندك»، ثمَّ مَاتَ مِن سَاعتِه[1].

وعن محمَّد بن منصور البغدادي[2] قال: دَخَلتُ على عبدِ الله بن طاهر[3] وهو في سَكَرات الموت، فقلتُ: السلامُ عليكَ أيُّها الأمير، فقال: «لا تُسَمِّني أميرا، وسَمِّني أسيرا، ولكنْ اكتُبْ عنِّي بيتين ما أَرَاهما إلا آخر بيتينِ أقولُهما»، ثمَّ أنشأَ يقول:

بَــادِرْ فَقَــد أَســمَعَكَ الصَّــوْت إنْ لم تُبَــادِرْ فهــوَ الفَــوْت
مَــنْ لَمْ تَــزُلْ نِعْمَتُــهُ قَبلَــهُ زَالَ عَــن النِّعمَــةِ بــالموت[4] [٨٤/ب]

ولما نَزَلَ الموتُ بهشام بن عبد الملكِ أميرِ المؤمنين، نَظَرَ إلى أولادِه وأهلِه يَبكُون حولَه، فقال لهم: جَادَ لكم هشامٌ بالدُّنيا، وجُدْتُم عليه[5] بالبُكاء، [وتَرَكَ لكم هشامٌ ما جَمَعَ، وتركتُم عليه ما اكتسَب][6]، مَا أعظمَ مُنقَلَب هشامٍ وأسوأَه[7] إنْ لم يَغْفِرِ اللهُ له»[8].

وكان أميرُ المؤمنين هارون الرَّشيد ينتَقِي أكفانَه بيدِه، ويَنظُر إليها ويقول: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾[9][10].

سنة ١٧٠هـ. انظر: المنتظم (٣٣٢/٨)، تاريخ بغداد (٤٠٣/٩).

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤٣/٣٢).

(٢) لم أهتد إلى ترجمته.

(٣) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق، أبو العباس الخزاعي، ولّاه المأمون الشام ومصر، ثم صار حاكم خُراسان، وما وراء النَّهر، وأقام بها حَتَّى مات، وكان ملكا مُطاعاً، عادلاً، سائساً، مَهيباً، جواداً، توفي سنة ٢٣٠هـ، وكان له ثمان وأربعون سنة. انظر: تاريخ دمشق (٢١٦/٢٩) سير أعلام النبلاء (٦٨٤/١٠).

(٤) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٢٨/٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣٩/٢٩).

(٥) في (ش) و(م) و(ي): (له).

(٦) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٧) في (م): (وما أسوأه).

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٣٥١/٥) ضمن موسوعته]، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١٩٠/٧).

(٩) السورة: الحاقة، الآية: ٢٨-٢٩.

(١٠) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٣٥١/٥) ضمن موسوعته]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٢٢/٧٣).

ويُروى[1] عن الأصْمَعِي[2] أنَّه قال: دَخَلْتُ على هارون الرَّشيد فرأيتُهُ يَنظُرُ في الكتاب، ودمُوعُهُ تسيلُ على خَدَّيه، فَوَقَفْتُ حتَّى سَكَنَ وحَانَت منه التِفَاتة، فَنَظَر إليَّ فقال: «اجلسْ»، ثمَّ رَمَى بالقِرْطَاس إليَّ؛ فإذا فيه شِعْرٌ لأبي العتاهية[3]:

الخَلْـــقُ مُختَلِـــفٌ جَـــوَاهِرُهُ ... ولَقَـــلَّ مَـــنْ تَزكُـــو سَرائِـــرُهُ
ولَقَـــلَّ مَـــنْ تَصـــفُو إرادَتُـــهُ ... ويَصِـــحُّ باطنُـــهُ وظَـــاهِرُهُ
النَّـــاسُ في الـــدُّنيا ذَوُو ثِقَـــةٍ ... والـــدَّهرُ مُسْـــرِعَةٌ دَوَائِـــرُهُ
والمـــوتُ لـــو صَـــحَّ اليقـــينُ بِـــهِ ... لم يَنتَفِـــعْ بِـــالعَيْشِ ذَاكِـــرُهُ
لا خـــيرَ في الـــدُّنيا لِـــذي بَصَـــرٍ ... عَمِيَـــتْ لمـــا فِيهـــا نَـــواظِرُهُ
وَسَـــبيلُنا في المـــوتِ وَاحِـــدَةٌ ... يَتلُـــو أكـــابرَهُ أصـــاغِرُهُ [٨٥/أ]
مَـــن كـــان للصَّـــالحاتِ مُـــدَّخِراً ... فستَسْـــتَبِينَ غـــداً ذَخَـــائِرُهُ
يـــا مَـــن يُريـــدُ المـــوتَ مُهجتَـــه ... لا شـــكَّ مَـــا لَـــكَ لا تُبَـــادِرُهُ
هـــل أنـــتَ مُعتَـــبِرٌ بِمَـــن خَرِبَـــتْ ... مِنـــهُ العِـــدَاةُ معـــاً دَسَـــاكِرُهُ
وبِمَـــن أذَلَّ الـــدَّهرُ مَصْـــرَعَهُ ... فتَـــبَرَّأت مِنـــهُ عَشَـــائِرُهُ
وبِمَـــن خَلَـــت مِنـــهُ أَسِرَّتُـــهُ ... وبِمَـــن خَلَـــت مِنـــهُ مَنَـــابِرُهُ
دَرَسَـــت محاســـنُ وجهِـــهِ ونَفَـــى ... عَنـــهُ النَّعِـــيمُ ثَـــرَىً يُبَـــاشِرُهُ
أيـــنَ الملُـــوكُ وأيـــنَ غـــيرهُمُ ... صـــاروا مَصِـــيراً أنـــتَ صَـــائِرُهُ

(١) هذا الأثر سقط من جميع النسخ الخطية عدا الأصل (ت).

(٢) عبد الملك بن قريب بن عبدالملك بن علي، أبو سعيد الأصمعي البصري، ولد سنة بضع وعشرين ومئة، صاحب اللغة، والنحو، والغريب، والأخبار، والملح، قال الشافعي: (ما عَبَّرَ أحدٌ عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي)، وقد أثنى عليه أحمد بن حنبل في السنة، توفي سنة ٢١٥هـ، وقيل ٢١٦هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٢/١٥٧)، سير أعلام النبلاء (١٠/١٧٥).

(٣) إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان، أبو إسحاق العنزي، مولاهم الكوفي، نزيل بغداد، لُقِّب بأبي العتاهية لاضطراب فيه، وقيل: كان يحب الخلاعة، فيكون مأخوذا من العتو، سار شعره لجودته وحسنه وعدم تقعره، وقد تنسَّكَ بآخر عمره، وقال في المواعظ والزهد فأجاد، توفي سنة ٢١١هـ، وقيل٢١٣هـ. انظر: تاريخ بغداد (٧/٢٢٦)، سير أعلام النبلاء (١٠/١٩٥).

يَـــا مُـــؤْثِرَ الـــدُّنيا لِلَذَّتِـــهِ وَالمســـتعِدُّ لِمـــن يُفَـــاخِرُهُ

نَـــلْ مَـــا بَـــدَا لَـــكَ أنْ تَنَـــالَ مِـن الـدُّنيا فـإنَّ المـوتَ آخِـرُهُ[1]

ثمَّ قال الرَّشيد: «-والله- لكأنِّي المُخَاطَبُ بهذا دون النَّاس!»، قال: فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات[2].

قال أبو الحسن عليُّ بن الحسين المسعُودي[3] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما اشتدَّت عِلَّةُ هارونَ الرَّشيد وسَارَ إلى طُوس[4][5]، هَوَّنَ الأطباءُ عليه عِلَّتَه، وحَقَّروا أمرَها، فأرسل ماءَه في قارورةٍ مع جُملة قوارير إلى مُتطبِّبٍ[6] فارسيٍّ كان هنالك، فَجَعَلَ ينظر فيها[7] قارورةً قارورةً، ويقولُ ما يقولُ حتَّى أَتَى على [٨٥/ب] القارورة التي فيها ماءُ هارون الرَّشيد، فَنَظَر فيها فقال: «عرِّفُوا صاحبَ هذه القارورة[8] أنه هالكٌ بعد ثلاث[9]، ومُرُوه[10] فَلْيُوص؛ فإنَّه لا بُرءَ له من عِلَّتِه

---

(١) ديوان أبي العتاهية (ص:٢٠٥).

(٢) أورده المسعودي في مروج الذهب ومعادن الجوهر (٣/٣٦٦)، وأسامة بن منقذ في المنازل والديار (ص:٢٩٧).

(٣) علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية ابن مسعود، عِدَاده في البغادِدَة، ونزل مِصر مدة، صاحب «مروج الذهب»، وغيره من التواريخ، وكان إخباريا، معتزليا، أخذ عن أبي خليفة الجمحي، ونفطويه، وعدة، توفي سنة ٣٤٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/٥٦٩)، وشذرات الذهب لابن العماد (٤/٢٤٢).

(٤) في (ش) و(م) و(ي): (طرسوس)، والمثبت من الأصل (ت)، وهو الموافق لما في مروج الذهب.

(٥) مدينة بخراسان قريبة من نيسابور، وتسمى اليوم مَشْهَد، وتقع في حدود إيران، وكانت قد فتحت في عهد عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهي البلدة التي يُنسب إليها أبو حامد الغزالي ومحمد بن أسلم الطوسي وغيرهم. انظر: معجم البلدان (٤/٥٥).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (فعرضت على متطبب).

(٧) في (ش) و(ي): (إليها)، وفي (م): (إلى).

(٨) في (ش) و(م) و(ي): (هذا الماء).

(٩) هذا التحديد لا يصح ولا يجوز، وهو رَجمٌ بالغيب، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان:٣٤]، وإنما الذي يذكره الطبيب هو الظن الغالب الذي يبنيه على ما ظهر له من قرائن، وقد يُخطأ ويكتب الله الشفاء للمريض كما هو مشاهد في حالات كثيرة.

(١٠) في (ي): (فمروه).

هذه»، فأتى الغلامُ هارونَ فقال له: «ما قال لك؟»، فجَمْجَمَ[1] الغلامُ ولم يُبيِّن، فَعَزَم عليه فأخبَرَهُ بما قال، وقال: قال عرِّفُوا صاحبَ هذا الماء أنَّه هالكٌ بعدَ ثلاثٍ، فبَكَى هارونُ[2] بكاءً شديدا، وتمايلَ على فراشِهِ وجَعَل يُنشِدُ[3]:

إنَّ الطبيـــبَ بِطِبِّـــهِ ودَوَائِـــهِ ... لا يَسـتَطيعُ دِفَـاعَ محـذورٍ أَتَـى[4]

مَـا للطبيـبِ يَمـوتُ بالـدَّاءِ الـذي ... قـد كـان يُـبرِىءُ مثلَـهُ فـيما مَضَـى

ذَهَـبَ المـدَاوِي والمـدَاوَى والـذي ... جَلَـبَ الـدواءَ وبَاعَـهُ ومَـن اشـتَرَى

واشتدَّ ضعفُهُ عندما سَمِعَ كلامَ هذا الطبيب، وأَرجَف النَّاس بموتِه، فلما بَلَغَه ذلك دَعَا بحِمار لِيَركَبَه، فلما صَارَ عليه سَقَطَ ولم يَقدِر أنْ يَثبُت على السَّرج، فقال: «صَدَقَ المرجِفُون!»، ثمَّ دَعَا بأكفانٍ نُشِرَت[5] بينَ يديه، فَجَعَل يختارُ منها ما يَصلُح [وجَعَلَ يقول هذا القول: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾[6]][7]، ثمَّ أَمَرَ بقَبرِه فَحُفِر، [٨٦/أ] فلما اطَّلَعَ عليه[8] جَعَلَ يقول: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾[9].

ومثلُ[10] هذا القول يُروى عن أبي شُجَاعٍ فَنَّاخُسْرُو[11]، عَضُد الدَّولة، يُروى عنه أنَّه لما

---

(١) الجَمْجَمة: عدم تبيين الكلام. انظر: لسان العرب (١٢/١٠٩).

(٢) في (ش): (هارون الرشيد).

(٣) في (ش) و(م) زيادة: (هذين البيتين).

(٤) في (ي): (دفاع مقدور القضاء).

(٥) في (ش) و(م) و(ي): (فنشرت).

(٦) السورة: الحاقة، الآية: ٢٨-٢٩.

(٧) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) في (ي): (فيه).

(٩) ذكره في مروج الذهب (٣/٣٦٥).

(١٠) هذا الأثر سقط من (ش) و(م).

(١١) أبو شجاع فَنَّاخُسْرُو، صاحب العراق وفارس، عضد الدولة ابن السلطان حسن بن بويه الديلمي، تملك بفارس بعد عمه عماد الدولة، ثم كثرت بلاده، وكان جبارا، عسوفا، شديد الوطأة، معتزليا، شيعيا جلدا يشيد المشاهد وشعارات الرفض، وجرت في عهده ويلات على المسلمين، مات سنة ٣٧٢هـ، وقد عاش ثمانيا وأربعين سنة. انظر: المنتظم

نَزَل به الموتُ لم يُسمَعْ منه إلا قوله: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾[١]، ويُروى عنه أنَّه قالَ قبل ذلك شِعْراً يَمدَح فيه نفسَه، منه قوله:

لـيسَ شُرْبُ الـرَّاحِ[٢] إلا في المطـرْ ... وغِنَـاءٍ مـن جَـوَارٍ في السَّـحَرْ

غالبـاتٍ سـالباتٍ للنُّهَـى ... نـاعماتٍ[٣] في تضـاعيفِ الـوَتَرْ[٤]

مـبرزاتِ الكـأسِ مـن مطلعهـا ... سـاقيات الـرَّاحِ مَـن فَـاقَ البَشَـرْ

عَضُـدُ الدَّولـة وابْـنُ رُكنهـا ... مَلِـكُ الأمـلاكِ[٥] غـلَّابُ القَـدَرْ[٦]

قال أبو منصور الثعالبي[٧]: «لم يُفلِحْ بَعدَ هذا البيت!»[٨]، يعني قوله:

عَضُـدُ الدَّولـة وابْـنُ رُكنهـا ... مَلِـك الأمـلاك غـلَّابُ القَـدَرْ[٩]

ولما حَضَرَ أمير المؤمنين المأمون الوفاة، أمر بِجُلِّ[١٠] دابَّته فَفُرِشَ له، فاضطجَعَ عليه، وَوَضَعَ الرَّماد على رأسه، وجَعَل يقول: «يَا مَن لا يَزُولُ مُلكُه، ارْحَم اليومَ مَن قَد زَالَ

(٢٩٠/١٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٤٩/١٦).

(١) السورة: الحاقة، الآية: ٢٨-٢٩.

(٢) الرَّاح: الخمر. لسان العرب (٤٦٧/٢).

(٣) هكذا في الأصل، وفي يتيمة الدهر (٢٥٩/٢) والبداية والنهاية (٤١٣/١٥): «ناغمات».

(٤) الْوَتَر: مفرد أوتار، وهو ما كان على العود. انظر: لسان العرب (٢٧٨/٥)، وتهذيب اللغة (١٣٠/٤).

(٥) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٤١١/١٥) عنه أنه أوَّل من تسمَّى بـ(شَاهِنْشَاه)، ومعناه مَلِك الملوك، وقد ثبت في صحيح مسلم (١٠٢٧/٢) ح(٢١٤٣) عنه ﷺ أنّه قال: «إنَّ أَخْنَعَ اسمٍ عند الله -وفي رواية: أغيَظ رجلٍ على الله يوم القيامة، وأخبثه وأغيَظُه عليه- رجل تسمّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ».

(٦) هذه الأوصاف لا تكون إلا لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فنعوذ بالله من هذا الكفر والضلال.

(٧) عبدالملك بن محمد ابن إسماعيل النيسابوري، أبو منصور الثَّعالبي، وسُمِّي الثَّعالبيّ؛ لأنَّه كان فرَّاءً يخيط جلود الثَّعالب، ولد سنة ٣٥٠هـ، له كتاب (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر)، و(فقه اللغة)، كان إماما في اللُّغة والأخبار وأيَّام النَّاس، ورأسا في النظم والنثر، توفي سنة ٤٣٠هـ، وقيل ٤٢٩هـ، وله ثمانون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٣٧/١٧)، والبداية والنهاية (٦٧١/١٥).

(٨) قاله في يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (٢٥٩/٢).

(٩) أورد خبره ابن الجوزي في المنتظم (٢٩٣/١٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤١٣/١٥).

(١٠) جُلُّ الدَّابَّةِ وجَلُّها: الذي تُلْبَسه لتُصان به. لسان العرب (١١٩/١١).

مُلْكُه»[1].

ويُروى[2] أنَّه قيل له في صِبَاه: إنَّك تموتُ في أرضٍ يُقالُ لها: مُدَّ رِجلَك[3]، فلما وَلِيَ الخلافةَ، وأقامَ [٨٦/ب] ما أقامَ غَزَا بلادَ الرُّوم، فلما انْصَرَفَ من غَزَاتِه نَزَل بموضعٍ فيه عَيْن ماء عظيمة، لها قَعْر عَميق، فاطَّلَع فيها فرأى في قَعْرِها حُوتاً كبيرا، فأَمَرَ به فأُخْرِجَ وجُعِلَ بين يديه، فانتَفَضَ الحوتُ انتفاضةً فَرَشَّه بما كان عليه من الماء، فأخَذَتْهُ قُشَعْرِيرَة وحُمَّ، فسَأَلَ عن اسم الموضع الذي هو فيه، فَذُكِرَ له اسمٌ أعجمي، قال: «فَسِّرُوه»، فَفَسَّرُوه: مُدَّ رِجلك، فلما سَمِعَ ذلك تَفَكَّرَ فيما قيل له، فأيقَنَ بالموت، فأَمَرَ بجُلِّ دابَّتِه[4]، فَفُرِشَ له فاضطَّجَع عليه، وأَمَرَ[5] أن يُطَافَ به على هذه الحالة[6]، وأَمَرَ المنادي أن يقول هذا القول: «يَا مَن لا يَزُولُ مُلكُه، ارْحَم اليومَ مَن قَد زَالَ مُلْكُه»[7].

وكان المعتصِم[8] أخوه يقولُ عند موتِه -وكان قد وَلِيَ بعدَه-: «لو عَلِمْتُ أنَّ عُمُري هكذا قصير، مَا عَمِلْتُ مَا عَمِلْت!»، وجَعَلَ يقولها ويَبكي[9].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٣٥٥/٥) ضمن موسوعته] عن بعض الملوك ولم يعيّنه، وأخرجه البغدادي في تاريخ بغداد (٢٧/١٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣٠/٧٣) كلاهما عن الواثق، وقد ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (ص:١٨٦٢) عن المأمون.

(٢) هذا الأثر سقط من (ش) و(م).

(٣) هذا من علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، وقد جرى التنبيه على مثل هذا في (ص:٢٢٨).

(٤) جُلُّ الدَّابَّة: الذي تُلْبَسه لتُصان به. لسان العرب (١١٩/١١).

(٥) في (ي): (ويروى أنه أمر).

(٦) في (ي): (الحال).

(٧) لم أقف عليها.

(٨) محمد بن الرشيد هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، أبو إسحاق، المعتصم، يقال له: المُثَمَّن، ولد سنة ١٨٠هـ، وبويع بعهد من المأمون، وفي عهده فتوحات مشهودة، ومواقف حميدة، لكنه قليل العلم، وهو ممن امتحن الناس بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الامصار، وأخذ بذلك المؤذنين وفقهاء المكاتب، ودام ذلك حتى أزاله المتوكل بعد أربعة عشر عاما، وقد توفي سنة ٢٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٩٠/١٠)، والبداية والنهاية (٢٨٣/١٤).

(٩) أورده ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٤٣/٧٣)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢٨٧/١٤).

ولما حَضَرَت المنتصر[1] الوفاةُ جَعَلَ يضطرِب، فقالوا: لا بأسَ عليك يا أمير المؤمنين، فقال: «هكذا تقولون! لا بأس عليَّ؟![2] ذَهَبَت عنِّي الدُّنيا والآخرةُ وتقولون[3] لا بأس عليك؟!»[4]، ولما[5] حَضَرَت أُميَّة بنَ أبي الصَّلْت الوفاةُ أُغمِيَ عليه ثمَّ أفاقَ وجَعَلَ يقول: «لَبَّيكُما لَبَّيكُما، هَا أنا ذَا لَديكُما، لا [٨٧/أ]بريءٌ فأعتذر، ولا قويٌّ فأنتَصِر»، ثمَّ أُغمِيَ عليه وأفاقَ فَجَعَل يقول:

إنْ تَغْفِرَ اللّٰهمَّ تَغْفِرْ جَمَّا ... وأيُّ عبدٍ لكَ لا ألَمَّا

ثمَّ أُغمِيَ عليه وأفاقَ فأنشأَ يقول:

كُلُّ عيشٍ وإنْ تَطاوَلَ دَهْرًا ... قَصْرُه[6] مَرَّةً إلى أنْ يَزُولا

لَيتَنِي كُنتُ قبلَ مَا قد بَدا لي ... في رؤوسِ الجِبَالِ أَرْعَى الوعُولَا[7]

ولما حَضَرَت عبدَ الله بنَ علي[8] الوفاةُ قال: «ما أَغْفَلَني أمس عن مَصْرَعي اليوم!»[9].

وقال أبو سليمان الداراني: دَخَلنا على عابدٍ وقد حَضَرَه الموت وهو يَبكي، فقلنا له: ما يُبكيك رحمك الله؟ فأنشأَ يقول:

وَحُقَّ لمثلي بالبُكا عِندَ موتِهِ ... ومَاليَ لا أَبكِيْ ومَوتِي[10] قد اقْتَرَبْ

---

(١) محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، الخليفة المنتصر بالله، أبو جعفر، وأمه أم ولد رومية، ولد سنة ٢٢٢هـ، وبويع بالخلافة لما قُتل أبوه، وقلَّ ما وقع في دولته من الحوادث لقصر مدة خلافته، عاش ٢٦ سنة، ومات سنة ٢٤٨هـ، وكانت خلافته ستة أشهر وأياما. انظر: تاريخ بغداد (٢/٤٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٢/٤٢).

(٢) في (ي): (يقولون هكذا، لا بأس عليك).

(٣) في (ي): (ويقولون).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/٣٥٢) ضمن موسوعته].

(٥) هذا الأثر ساقط من (ش) و(م) و(ي)، ومثبت من الأصل (ت).

(٦) عند ابن أبي الدنيا والدينوري: «صَائِرٌ».

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/٣٩٠) ضمن موسوعته]، والدينوري في المجالسة(٣/٣٠).

(٨) لم أهتد إلى مقصود المصنف به.

(٩) لم أقف عليه.

(١٠) في (ش) و(م): (وأجلي)، وفي (ي): (وعمري).

وليْ عمــلٌ في اللَّــوحِ أَحْصَــاهُ خَــالِقِيْ   فــإنْ لم يَجُــدْ بِالصَّــفْحِ[1] صِرْتُ إلى العَطَــبْ[2]

وقال عبد الله بن العلاء[3]: شَهِدتُ أعرابياً قد نَزَلَ به الموتُ، فَشَخَصَ بِبَصرِه ثمَّ قال:

كُـــــلُّ آتٍ فإنَّــــه سَـــــوفَ يـــــأتي   أنـــــتَ يـــــا مَـــــوتُ هَـــــادِمُ اللَّـــــذَاتِ

رَحِـــــمَ اللهُ أعظُــــــماً بَالِيَــــــاتٍ   أَصْــبَحَت في عَسَــاكِرِ الأمــواتِ[4] [٨٧/ب]

وقال الحجَّاج بنُ يوسف الثَّقَفي عند موته: «اللَّهمَّ اغفِر لي، فإنَّهم يَزعُمون أنَّك لا تَفْعَل!»، فكان عُمَر بن عبد العزيز تُعْجِبُه هذه الكَلِمَة، وذُكِرَ ذلك للحسنِ [البصري][5] فقال: «أقالها؟»، قالوا: نعم، قال: «عسى!»[6].

وقال سليمان التَّيمي[7] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دَخَلتُ على بعض أصحابنا وهو في الموت، فرأيتُ من جَزَعِه ما ساءَني، فقلتُ له: هذا الجَزَعُ كلُّه لماذا؟ وقد كنتَ تحمدُ اللهَ على كذا -أعني على حالةٍ صَالحة[8]- فقال: «ومالي لا أَجْزَعُ، ومَن أحقُّ بالجزَعِ منِّي؟![9] -والله- لو أَتَتنِي المغفِرَةُ مِن

---

(١) في (ش) و(م) و(ي): (بالعفو).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) عبد الله بن العلاء بن زبر بن عطارد بن عمرو بن حجر بن منقذ بن أسامة، أبو زبر الربعي العجليّ الدمشقي، ولد سنة ٧٥هـ، وحدث عن القاسم بن محمَّد بن أبي بكر، وسالم، والزهري، ومكحول، وروى عنه الوليد بْن مسلم وشبابة، وكان ثقة، توفي سنة ١٦٥هـ، وقيل ١٦٤هـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ١٨٨)، والمنتظم (٨/ ٢٧٩).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله [(٢/ ٣٤١) موسوعته]، وابن عساكر في تاريخه (١٢/ ١٩٤)، وأخرج أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٣٤٥) عن عُمَر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «ما حَسَدْتُ الحجَّاجَ عدوَّ اللهِ على شيءٍ حسدي إيَّاهُ على حُبِّه القرآن وإعطائه أهلَه، وقولِه حين حَضَرَتْهُ الوفاةُ: اللَّهمَّ اغفرْ لي، فإنَّ النَّاس يَزعُمونَ أنَّكَ لا تفعل!».

(٧) سليمان بن طرخان، أبو المعتمر التيمي البصري، نزل في بني تيم فقيل التيمي، روى عن أنس بن مالك، وروى عن جمع من التابعين، وكان مقدما في العلم والعمل، قال شعبة: (ما رأيت أحدا أصدق من سليمان التيمي) توفي سنة ١٤٣هـ، وله سبع وتسعون سنة. انظر: حلية الأولياء (٣/ ٢٧)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٩٥).

(٨) في (ش) و(م): (يعني على حال صالحة)، وفي (ي): (يعني على حالة صالحة).

(٩) في (ش) و(م) و(ي): (مني بالجزع).

اللهِ ﷻ لأهمَّنِي الحياءُ منهُ فيما أفضَيتُ بهِ إليه»[1].

وقال بعض الصَّالحين لغُلامِه -وقد حضره الموت-: «يا غلام، شُدَّ كِتَافِي، وعَفِّرْ بالتُّرابِ[2] خَدِّي»، فَفَعَلَ الغُلام، ثمَّ قال: «دَنَا الرَّحيل، اللَّهمَّ لا براءةَ لي مِن ذنب، ولا عُذراً[3] أعتذرُ به، ولا قوَّة فأنتَصِرُ بها»، ثمَّ قال: «أنتَ لي! أنتَ لي!»، ثمَّ صَاحَ صَيحَةً ومات، فَسَمِعُوا صَوْتاً يقولُ: «استكَانَ العبدُ لمولاهُ فَقَبِلَه [وأدناه][4]»[5].

ولما حَضَرت محمَّد بنَ سيرين[6] رَحِمَهُ ٱللَّهُ الوفاةُ بَكَى، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: «أبكِي لتَفريطي في الأيام الخالية، وقِلَّة عَمَلي للجَنَّة العَالية، وما يُنَجِّينِي من النَّارِ الحاميَة»[7].

وقيل[8] لجابرِ بن زيد[9] رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند موتِه[٨٨/أ]: ما تَشتَهي؟ فقال: «نَظْرَة إلى الحسَن»، فجاء الحسَن[10]، فقيل له: هذا الحسن، فَرَفَع طَرْفَهُ وقال: «يا إخوتاه، السَّاعَة أُفَارِقُكم إلى

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٥٣٠)، وابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/ ٣٧٨) ضمن موسوعته].

(٢) في (ش) و(م): (في التراب).

(٣) في (ش) و(م) و(ي): (ولا عذر لي).

(٤) زيادة من (ش) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) أوردها القشيري في الرسالة القشيرية (٢/ ٤٧٠)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (١/ ٤٥٨)، والقائل هو ضرغام بن وائل الحضرمي كما ذكر ابن الجوزي، ومثل هذه القصص الغريبة التي يذكرونها من غير إسناد لا يُعتمد عليها.

(٦) محمد بن سيرين، أبو بكر الأنصاري، الأَنَسِيّ البَصري، مولى أنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ، وكان أبوه من سبي جَرْجَرَايَا، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، من كبار فقهاء التابعين، أدرك جمعاً من الصحابة، قال مورق العِجلي: (ما رأيت أحدا أفقه في ورعه، ولا أورع في فقهه من محمد بن سيرين)، توفي سنة ١١٠هـ. انظر: حلية الأولياء (٢/ ٢٦٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦).

(٧) لم أقف عليه.

(٨) هذا الأثر ساقط من (ش) و(م).

(٩) جابر بن زيد الأزدي اليَحْمدي، مولاهم، أبو الشعثاء البَصْرِي، الخَوْفِي، وهي ناحيةٌ من عُمَان، من طبقة الحسن وابن سيرين، من علماء البصرة، وحديثه في الدواوين المعروفة، وقد روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (لو أَنَّ أهلَ البَصرةِ نَزَلُوا عند قول جابر بن زيد، لأَوسَعَهُم عِلماً عمَّا في كتاب الله)، توفي سنة ٩٣هـ. انظر: حلية الأولياء (٣/ ٨٥)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨١).

(١٠) في (ي): (فجاء الحسن فلما دخل عليه قيل له).

النَّارِ أو إلى الجنَّة(١)»(٢).

ولما حَضَرَت إبراهيمَ النَّخعي(٣) الوفاةُ بَكَى، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: «انتَظِرُ رسولاً مِن ربِّي يُبشِّرُني بالنَّار أو بالجنَّة»(٤).

وقال حمَّادُ بن سعيد بن [أبي](٥) عطية المذبوح(٦): لما حَضَرَ أبا عطية(٧) الموتُ جَزِعَ، فقالوا له: أَتجْزَعُ من الموت؟ فقال: «وما لي لا أَجزَعُ وإنَّما هي سَاعةٌ فلا أدري أينَ يُسْلَكُ بي!»(٨).

---

(١) في (ي): (أفارقكم إما إلى الجنة أو إلى النار).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/٨٩) عن ثَابِتٍ قال: لَمَّا ثَقُلَ جابرُ بن زيد قيل له: ما تشتهي؟ قال: «نَظرةٌ إلى الحسن»، قال: فأتيتُ الحسن فأخبرتُه، فَرَكِبَ إليه، فلمَّا دَخَلَ عليه قال لأهلِه: «أرقِدُوني»، فجلس، فما زال يقول: «أعوذ بالله من النَّار وسوء الحساب».

(٣) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل، أبو عمران النخعي، اليماني ثم الكوفي، أحد الاعلام، دخل على عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وهو صبي، ولم يثبت له منها سماع، معدود من التابعين، ولكنه ليس من كبارهم، قيل إنه عاش ٤٩ سنة، وقيل ٥٨سنة، وتوفي سنة ٩٦هـ. انظر: حلية الأولياء (٤/٢١٩)، وسير أعلام النبلاء (٤/٥٢٠).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/ ٣٧٤) ضمن موسوعته].

(٥) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٦) حماد بن سعيد بن أبي عطية المذبوح، روى عن والده، وروى عنه أبو بكر بن أبي مريم. انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣/٢٠)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣/١٤٠).

(٧) عبد الرحمن بن قيس بن سواء، أبو عطية المذبوح، مشهور بكنيته، له إدراك، وشهد اليرموك، وإنما قيل له المذبوح، لأنه أصابه سَهْمٌ، وهو مع أبي عبيدة باليرموك، فَقَطَع جِلدَه، ولم يَفرِ الأودَاج، فكان إذا شرب الماء يرى مجراه، عاش بعد ذلك زمانا فسمي المذبوح. انظر: حلية الأولياء (٥/١٥٣)، وتاريخ دمشق (٣٥/ ٣٤٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (٨/١٥٥).

(٨) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/١٤٧)، و ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/٣٧٤) ضمن موسوعته]، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/١٥٤).

ولما حَضَرَت الوفاةُ فضيلَ بنَ عِيَاض[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ غُشِيَ عليه ثمَّ أفاقَ وقال: «وا بُعدَ سَفَري! وا قِلَّةَ زَادِي!»[2].

وكان عامرُ بنُ عبد قَيْس[3] رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُصلِّي كلَّ يومٍ وليلة ألفَ رَكعة[4]، فلما حَضَرَه الموتُ بَكَى، فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: «أبكِي لقولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[5]»[6]، وقد تقدَّمَ عنه كلامٌ آخر قاله عند الموت أيضا [يدلُّ على علوِّ منزلتِه، وارتفاع درجته][7][8].

ويُروى أنَّ ابنَ المُنكَدِر رَحِمَهُ ٱللَّهُ نَزَلَ به الموتُ فبَكَى، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: «والله ما أبكِي لذَنْبٍ أتيتُه وأنَا أعلمُ أنِّي أتيتُه، ولكنِّي أخافُ أنْ أكون قد أذنَبتُ ذنباً حَسبتُه هيِّناً وَهو عند الله عظيم»[9]، وقد روي عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام آخر يدل على علوِّ منزلتِه وارتفاع درجته [٨٨/ب].

ولما نَزَل الموتُ بسُليمان التَّيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قيل له: أَبْشِر، فقد كنتَ مجتهداً في طاعة اللهِ تعالى، فقال: «لا تقولوا هكذا؛ فإنَّه[10] لا أدري ما يَبدُو لي مِن الله ﷻ، فإنَّه سبحانه يقول[11]: ﴿وَبَدَا

---

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بِشْر، أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني، ولد بسمرقند، وقَدِمَ الكوفة، وهو كبير، فسمع من منصور وغيره، ثم تعبَّد، وانتقل إلى مكة إلى أن مات بها، وكان ثقة نبيلا عابدا وَرِعا، قال ابن المبارك: (ما بقي على ظهر الأرض عندي أفضل من الفضيل بن عياض) توفي سنة ١٨٧هـ، في خلافة هارون. انظر: حلية الأولياء (٨/٨٤)، وسير أعلام النبلاء (٨/٤٢١).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (ش) و(م) و(ي): (عامر بن قيس).

(٤) صلاة ألف ركعة في اليوم واللَّيلة مع القيام بسائر الواجبات غيرُ ممكن؛ فلا يسع الوقت! انظر: منهاج السنة (٤/٣١).

(٥) سورة: المائدة، الآية: ٢٧.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/٣٦٩) ضمن موسوعته]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦/٣٣).

(٧) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) انظر (ص:٢٢٣).

(٩) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (١/٦٥٦)، وابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/٣٨٣) ضمن موسوعته].

(١٠) في (م): (فإني).

(١١) في (ش) و(م) و(ي): (يقول سبحانه).

﴿لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾(1) قال بعضُهم: عَمِلُوا أعمالاً كانوا يظنُّونها(2) حَسناتٍ فوجدُوها سيئات»(3).

وكان الجنيدُ(4) يقرأُ القرآن وهو في سياق الموتِ ويُصلِّي فَخَتَم، فقيل له: في مِثل هذه الحال يا أبا القاسم(5)؟ فقال: «ومَن أحقُّ بذلك منِّي؟(6) وها هو ذا تُطوَى صحيفةُ عملي»، ثمَّ كَبَّرَ وماتَ(7)، وقيل له: قُل: لا إله إلا الله، فقال: «ما نَسِيتُه فأذكُرَه»(8).

ولما نَزَلَ الموتُ بِبِشْرٍ الحافي(9) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان على ما كان عليه من العبادة والزَّهَادة، شَقَّ عليه وساءَه [ذلك](10)، فقيل له: أَتُحِبُّ الحياةَ يا فلان؟ فقال: «يا قوم، القُدُوم على الله ﷻ شَديد»(11).

---

(1) سورة: الزمر، الآية:47.

(2) في (ش) و(م) و(ي): (يظنون أنها).

(3) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (3/30).

(4) الجنيد بن محمَّد بن الجنيد ، أَبُو الْقَاسِمِ الخزَّاز، النَّهاونديّ ثمَّ البغداديّ، القَوَارِيري، والده الخَزَّاز، ولد سنة نيِّف وعشرين ومائتين، لقي العلماء، وتفقَّه على أبي ثَور، واشتهر بصحبة الحارث المحاسبي، وسري السقطي، وتكلم على طريقة التصوف، ثم اشتغل بالعبادة ولازمها، وله أخبار مشهورة، وأقوال مأثورة، كقوله: (علمنَا مُقَيّد بِالْكتاب وَالسّنة فَمن لم يقْرَأ الْقُرْآن وَيكْتب الحَدِيث لَا يَصح أَن يتكَلَّم فِي علمنَا)، وقد وصفه شيخ الإسلام بأنه «إِمَامُ هُدى»، وأثنى عليه، توفي سنة 298هـ. انظر: مجموع الفتاوى (8/369)و(5/491)، وسير أعلام النبلاء (14/66).

(5) في (م) و(ي): (أبا علي).

(6) في (ش) و(م) و(ي): (مني بذلك).

(7) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (4/542)، والخطيب في تاريخ بغداد (8/176).

(8) أورده القشيري في الرسالة القشيرية (2/472)، والغزالي في الإحياء (ص:1864).

(9) بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي، المشهور بالحافي، ابن عمِّ المحدث علي بن خَشْرَم، ولد سنة 152هـ، وأخذ عن مالك، وحماد بن زيد، وابن المبارك، وعدة، وكان رأسا في الورع والإخلاص، وقَلَّ ما روى من المسندات، قال أحمد بن حنبل يوم موته: (لم يكُن له نظيرٌ إلا عامر بن عبد قيس، ولو تزوَّجَ لكان قد تَمَّ أمرُه)، توفي سنة 227هـ. انظر: تاريخ دمشق (10/177)، سير أعلام النبلاء (10/469).

(10) زيادة من (ش) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(11) أورده الخركوشي في تهذيب الأسرار (ص:543)،والقشيري في رسالته(1/254)، والغزالي في الإحياء (ص:1864).

ولما حَضَرَ أبا سليمان الدَّارَاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ الموتُ قال له أصحابُه: أَبْشِر؛ فإنَّك تَقْدُمُ على ربٍّ غفورٍ رحيم، فقال لهم: «ألا تقولون: تَقْدُمُ على ربٍّ يُحاسِبُك بالصَّغِير، ويُعاقِبُك بالكَبير؟!(١)»(٢)، أبو سليمان هذا غلب عليه الخوف في هذه الحال(٣) [٨٩/أ] [فتكلم](٤) عن حاله.

وقيل لرُوَيْم(٥) رَحِمَهُ ٱللَّهُ [عند الموت](٦): قل: لا إله إلا الله، فقال: «ما أُحسِن غيره»(٧)، وكان رُوَيْمٌ هذا من الصَّالحين، يُروى(٨) أنَّه كان يدعو الطَّيرَ فتُجِيبه(٩).

واحتُضِرَ بعضُ الصَّالحين فَبَكَت امرأتُه فقال لها: «ما يُبكيكِ؟»، قالت: عليك أبكي، قال: «إنْ كُنتِ باكيةً فابْكِي على نفسِكِ، فأمَّا أنا فقد بَكَيْتُ على هذا اليوم مُنذُ أربعينَ سنة»(١٠).

ولما حَضَرَت أبا عليٍّ الرُّوذْبَارِيّ(١١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ الوفاةُ، وكان رأسُه في حِجْر ابنتِه فاطمة، فَفَتَح عينيه ثمَّ قال: «هذه أبوابُ السَّماءِ قد فُتِحَت، وهذه الجِنَان قد زُخْرِفَت، وهذا قائلٌ

---

(١) في (ش) و(م): (على الكبير).

(٢) أورده الخركوشي في تهذيب الأسرار (ص:٥٤٣)، والغزالي في الإحياء (ص:١٨٦٤).

(٣) في (ي): (الحالة).

(٤) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) رُوَيْم بن أحمد وَقيل: رويم بن محمَّد بن يَزِيد بن رُوَيْم بن يزيد، أبو الحسن، وقيل أبو محمَّد الصوفي البغدادي، من بني شيبان، وجدُّه هو رُوَيْم الكبير، كَانَ فِي أَيَّامِ المَأْمُوْن، وكان عالما بالقراءات، وتفقه على داود الظاهري، وهو من شيوخ الصُّوفيّة، توفي سنة ٣٠٣هـ. انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٤٢٨)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٣٤).

(٦) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٧) أورده الخركوشي في تهذيب الأسرار (ص:٥٤٨)، والغزالي في الإحياء (ص:١٨٦٥).

(٨) في (ش) و(م): (ويروى عنه).

(٩) لم أقف على ذلك.

(١٠) أورده الغزالي في الإحياء (ص:١٨٦٤).

(١١) محمد بن أحمد بن القاسم، أبو عليّ الرُّوذباري، من كبار الصوفية، سكن مصر، وأصله بغدادي كان من أبناء الرؤساء والوزراء والكتبة، لزم الجنيد وصحبه وصار أحد أئمة الزمان، وأقام بمصر وصار شيخ الصوفية ورئيسهم بها، روي عنه أنه قَالَ: (أستاذي في الفقه: ابن سُرَيج، وفي الأدب: ثعلب، وفي الحديث: إبراهيم الحربيّ، وفي التصوف: الجنيد)، توفي سنة ٣٢٢هـ، وقيل ٣٢٣هـ. انظر: حلية الأولياء (١٠/ ٣٥٦)، تاريخ بغداد (٢/ ١٨٠).

يقول: يا أبا عليٍّ، قد بَلَّغنَاكَ الرُّتبةَ القُصوَى، وإنْ لم تُرِدْها»، ثمَّ قال:

وَحَقِّكَ لا نَظَرْتُ إلى سِوَاكَ ... بِعَينِ مُودَّةٍ حتَّى أَرَاكَ
[أَرَاكَ مُعذِّبي بِفُتُورِ لَحْظٍ ... وبالخَدِّ المورَّد من حياكَ
أَرَاكَ مُنَعِّمِي بِجَميلِ ظَنٍّ ... وبالأَمنِ الـمُكرَّمِ مِن رِضَاكَ
فلَو قَطَّعْتَنِي في الحُب إِرباً ... لما نَظَرَ الفؤادُ إلى سِوَاكَ][1][2]

وكان أبو عليٍّ هذا ممن يعبدُ اللهَ لذاته، وكان يقول: «لا أُريد الجنَّةَ ونعيمها، إنما أُريدك يا رب»[3].

وكذلك كان مُمْشَاذ الدِّينَوري[4] رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما[5] نَزَل به الموتُ جَعَلَ بعضُ المشايخ يَدعو له، فَضَحِكَ وقال: «مُنذُ ثلاثينَ سنة تُعْرَضُ عليَّ الجنَّةُ بما فيها، فما نَظَرْتُ إليها»[6] [٨٩/ب].

ويُروى أنَّ[7] بعضَ الصَّالحين لما نَزَلَ به الموتُ ضَحِكَ[8] وقال: «يَا صَادِق، يا وَفي،

(١) الأبيات الثلاثة زيادة من (ي)، غير موجودة في بقية النسخ كلها.

(٢) أورده القشيري في الرسالة القشيرية (٢/٤٧١)، والغزالي في الإحياء (ص:١٨٦٤).

(٣) لم أقف عليه ولو صحّ عنه فهو باطل، فإن عبادة الأنبياء والصالحين تتضمن الخوف والرجاء والمحبة، قال تعالى في وصف دعاء الملائكة والأنبياء والصالحين: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[الإسراء:٥٧]، وقال في وصف الأنبياء: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]، وقد قال ﷺ لرجلٍ: «**مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟**» قال: أَتَشَهَّد، ثمَّ أسألُ اللَّهَ الجنَّةَ، وأعوذ به من النَّار، أما واللَّه ما أُحسِنُ دَنْدَنَتَكَ، ولا دندنة معاذ، قال: «**حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**». [رواه أبو داود (ص:١٤٠) ح(٧٩٣)]، قال بعض السلف: (مَن عبد الله بالحب وحده: فهو زنديق، ومَن عبده بالخوف وحده: فهو حروري، ومَن عبده بالرجاء وحده: فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء: فهو مؤمن موحد). انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٨١)،(١٠/٦٢-٦٣)،(١٠/٢٤١)، وبدائع الفوائد لابن القيم (٣/٨٥١).

(٤) مُمْشاذ الدِّيْنَوريّ الزَّاهد، أحد مشايخ الصوفية، صحب يحيى ابن الجلّاء، وغيره، وقد ذكر أبو نعيم أنَّ والده لَقِيَه وسَمِع منه، توفي سنة ٢٩٩هـ. انظر: حلية الأولياء (١٠/٣٥٣)، وتاريخ الإسلام (٦/١٠٥٨).

(٥) في (ش) و(ي): (ولما).

(٦) أورده القشيري في الرسالة القشيرية (٢/٤٧٤)، والغزالي في الإحياء (ص:١٨٦٥)، وانظر التعليق على الأثر الذي قبله.

(٧) في (م): (عن).

(٨) في (ش) و(م) و(ي): (بعض الصالحين ضحك عند موته).

وَفَّيْتَ لي، وَما وَفَّيْتُ لك»[1].

ويُروى عن عبد الله بن المُبارك[2] رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه لما احتُضِرَ نَظَرَ إلى السَّماء فَضَحِكَ ثمَّ قال: «﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[3] »[4]، ومثل[5] هذا يُروى عن بعض أصحاب ابن فُوْرَك[6] – وكان من الصَّالحين الكِبَار المجتهدين – أنَّه لما نَزَلَ به الموتُ فَشَخَصَ ببصرِه إلى السَّماء ثمَّ قال: «يا ابنَ فورك، ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[7]»[8].

وفَتَحَ ابنُ بنانٍ[9] عَينيه عند الموتِ وقال[10]: «ارْتَعْ، فهذا مَرْتَعُ الأحبَاب»، وخَرَجَت رُوحُه[11].

---

(١) أخرج أبو نعيم في الحلية (١٥٢/٨) عن محمَّد بن يَزِيد بن خُنَيس، قَالَ: حَلَفَ وُهَيْب بن الوَرد أنْ لا يراهُ اللهُ ضاحكاً ولا أحدٌ مِن خَلْقِه حتَّى يعلمَ ما يأتي به رسول الله، قال: فسَمِعوهُ عند الموت وهو يقول: «وفَّيتَ لي، ولَمْ أُوَفِّ لك».

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرحمن الحنظلي، مولاهم التُّركي، ثمَّ المروَزي، كانت أمة خوارزمية، ولد سنة ١١٨هـ، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة، وسمع من الأوزاعي وغيره، أحد الأعلام الكبار، جمع الحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء، والتجارة، والمحبة عند الناس، قال ابن مهدي: (ما رأيت رجلا أنصح للأمة من ابن المبارك)، توفي سنة ١٨١هـ. انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٦٢/٨)، وسير أعلام النبلاء (٣٧٨/٨).

(٣) سورة: الصافات، الآية: ٦١.

(٤) أورده القشيري في الرسالة القشيرية (٤٦٩/٢)، والغزالي في الإحياء (ص:١٨٦٣).

(٥) سقط هذا الأثر من (م).

(٦) محمد بن الحسن بن فُوْرَك، أبو بكر الأصبهاني، كان أشعريا، رأسا في علم الكلام، أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري، وحدَّث عنه أبو بكر البيهقي، والقشيري، وآخرون، وصنف التصانيف الكثيرة، وله مشاركة في الأصول والأدب والنحو والوعظ، توفي سنة ٤٠٤هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢٧٢/٤)، وسير أعلام النبلاء (٢١٤/١٧).

(٧) سورة: الصافات، الآية: ٦١.

(٨) لم أقف عليه.

(٩) أبو الحسين بن بنان المصري الصوفي، صحب أبا سعيد الخراز وعمرو بن عثمان المكي وغيرهما، وهو من شيوخ الصوفية. انظر: الرسالة القشيرية (١٢٩/١)، وتاريخ دمشق (١٤٧/٦٦).

(١٠) في (ش) و(م) و(ي): (فقال).

(١١) أورده القشيري في الرسالة القشيرية (٤٧٤/٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤٨/٦٦).

ولما نَزَلَ الموتُ بأبي يعقوب النَّهْرَجُورِيّ(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال له أبو الحسن المُزَيِّن(٢): قُل: لا إله إلا الله، فتَبَسَّمَ أبو يعقوب وقال: «إيايَ تَعني؟ وعِزَّةِ مَن لا يَذوقُ الموتَ مَا بَيني وبينَه إلا حجابُ العِزَّة»، ثمَّ خَرَجَت رُوحُه مِن سَاعتِه، فكان أبو الحسن يأخُذُ بِلِحيَة نفسِه ويقول: «يا حَجَّام! مثلُك يُلَقِّنُ أولياءَ الله الشَّهادة؟!»، وكان إذا ذَكَرَ هذه القِصَّة بَكَى(٣).

وقال الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دَخَلتُ على سريٍّ السّقطي(٤) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند الموت، وكان ممن أحرَقَ قلبَه الخوف، فقلت له: كيف تَجِدُك؟ فقال[٩٠/أ]: «كيف أشكو إلى طبيبي ما بي، والذي قد أصَابَنِي من طَبيبي؟»، [قال الجنيد:](٥) فأخذتُ المروَحة لأُرَوِّح عليه، فقال: «كيف يَجِدُ(٦) رَوح المروَحَة مَن قَلْبُه يَحترِق؟! ثمَّ أنشد:

القَلْبُ مُحتَرِقٌ والدَّمعُ مُسْتَبِقٌ ... والكَرْبُ مُجتمِعٌ والصَّبرُ مُفتَرِقٌ

كيف العَزَاءُ(٧) على مَن لا قَرَارَ لهُ ... مما جَنَاهُ الأسَى والشَّوْقُ والقَلَقُ

[يَا رَبِّ إنْ كَانْ شَيْءٌ فِيهِ لِي فَرَجٌ ... فَامْنُنْ عَلَيَّ بِهِ مَا دَامَ لِي رَمَقُ](٨)»

---

(١) إسحاق بن محمد، أبو يعقوب النَّهرَجُورِي، الصُّوفي، صَحِب الجنيد، وعمرو بن عثمان المكي، وجاور مدة، ومات بمكة، توفي سنة ٣٣٠هـ. انظر: حلية الأولياء (١٠/٣٥٦)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٢٣٢).

(٢) علي بن محمَّد المُزَيِّن، أبو الحسن البغدادي، ويقال له: المُزَيِّن الصَّغير، ولأبي جعفر المُزَيِّن الكبير، صَحِبَ سهل بن عبد الله التُّستَري والجنيد، وجاور بمكة، وكان من أهل الورع، توفي سنة ٣٢٨هـ. انظر: حلية الأولياء (١٠/٣٤٠)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٢٣٢).

(٣) أوردها القشيري في الرسالة القشيرية (٢/٤٧٤).

(٤) السَّرِيّ بن المُغَلِّسِ السَّقَطِيّ، أبو الحسن البغدادي، وهو خال الجنيد، ولد في حدود ١٦٠هـ، وحدث عن الفضيل بن عياض، وغيره، أحد العبّاد الزهّاد، صَحِبَ معروفاً الكَرْخي، وهو أجلُّ أصحابه، توفي سنة ٢٥٣هـ، وقيل ٢٥١هـ. انظر: حلية الأولياء (١٠/١١٦)، وسير أعلام النبلاء (١٢/١٨٥).

(٥) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٦) في (ش): (تجد).

(٧) في (ي): (القرار).

(٨) زيادة من (م)، غير موجودة في الأصل (ت)، وهذه الزيادة موافقة لما في الحلية وتاريخ دمشق.

ثمَّ ذَكَرَ اللهَ تعالى ومَات رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

وقيل لِذِي النُّون[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند موته: ما تَشتهي؟ قال[٣]: «أشتَهي أنْ أعرِفَه تبارك وتعالى قبلَ موتي بِلَحظَة»[٤]، لم يَقُل هذا القولَ ذو النُّون رَحِمَهُ ٱللَّهُ لجهلِه[٥] بالله تعالى، لكنَّه كان يَسْتَقِلُّ معرفتَه، وصَدَقَ في هذا، فشَأنُ الله أجلُّ وأعظمُ مِن أنْ يُحاطَ بمعرفتِه أو يُبلَغ كُنْهَ[٦] صِفَتِه[٧].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/٢٧٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠/١٨٩).

(٢) ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيض بن أحمد، وقيل: فيض بن إبراهيم النُّوبي الإِخْمِيْمِيّ، يكنى أبا الفيض، ويقال: أبا الفيَّاض، ذو النُّون المصري، ولد في أواخر أيام المنصور، وقلَّ ما روى من الحديث، وإنما كان واعظا، وقد حكيت عنه أقوال منكرة، وهجره جماعة من الشيوخ، ورُمي بالزندقة، والله أعلم بثبوت هذه الأقوال عنه، توفي سنة ٢٤٦هـ، وقيل ٢٤٨هـ. انظر: حلية الأولياء (٩/٣٣١)، ومجموع الفتاوى (١١/٣٩٢)، وسير أعلام النبلاء (١١/٥٣٢).

(٣) في (ش) و(م) و(ي): (فقال).

(٤) أورده القشيري في الرسالة القشيرية (٢/٤٧٠)، والغزالي في الإحياء (ص:١٨٦٤).

(٥) في (ش) و(م): (بجهله).

(٦) كُنْهُ الشيء: قَدْرُه ونهايته وغايته. انظر: لسان العرب (١٣/٥٣٦).

(٧) في (ش) و(ي): (وصفه).

ويُروى عن عبد الله بن شُبْرُمَة[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال: دَخَلتُ مع عَامِر الشَّعْبِي[2] على مريضٍ نَعُودُه، فَوَجَدنا لَمَّا به[3]، ورجلٌ يُلقِّنُه الشَّهادة، يقول له: قُل: لا إله إلا الله، وهو يُكثِرُ عليه، فقال له الشَّعبِيُّ: «ارفِقْ بِه»، فتكَلَّمَ المريضُ وقال: «إنْ يُلقِّنِّي أو لا يُلَقِّنِّي[4] فإنِّي لا أَدَعُها ثمَّ قرأَ ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[5] فقال الشَّعبيُّ [٩٠/ب]: «الحمد لله الذي نَجَّى[6] صاحِبَنا»[7].

وحُكِي أنَّ قوماً مِن أصحاب الشِّبلي[8] قالوا له عند الموت[9]: قُل: لا إله إلا الله، فأنشد[10]:

---

(١) عبد الله بن شُبْرُمَة بن طُفَيل بن حسَّان الضَّبِّيّ، أبو شُبرُمة، من فقهاء الكوفة، حدَّث عن أنس بن مالك، وعامر الشَّعبيّ، وطائفة، وحدَّث عنه الثوري، وابن المبارك، وسفيان بن عيينة، وخلق سواهم، وعداده فِي التابعين، وثَّقه أحمد بن حنبل، وكان من أئمة الفروع، وأما الحديث، فما هو بالمكثر منه، له نحو من ستين أو سبعين حديثا، وكان شاعرا، كريما، جوادا، توفي سنة ١٤٤هـ. انظر: تهذيب الكمال (١٥/٧٦)، وسير أعلام النبلاء (٦/٣٤٧).

(٢) عامر بن شَرَاحِيل بن عبد بن ذِي كِبَار أبو عمرو الهمْدَاني ثمَّ الشَّعْبِي، ولد سنة ١٩هـ وقيل سنة ٢١هـ، رأى عليّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وصلّى خلفَه، وسمع من عِدة من كُبراء الصحابة، وهو من كبّار التابعين وثقات المحدّثين، وكان حافظا وما كَتَبَ شيئا قطّ، قال مكحول: (مَا رأيت أفقه من الشَّعْبِي)، توفي سنة ١٠٤هـ، وقيل سنة ١٠٥هـ. انظر: حلية الأولياء (٤/٣١٠)، سير أعلام النبلاء (٤/٢٩٤).

(٣) الإِلمام: النزول، وقد لَمَّ بِهِ وأَلَمَّ والْتَمَّ أَي نَزَلَ بِه. انظر: لسان العرب (١٢/٥٥٠).

(٤) في (ش) و(م): (تلقني أو لا تلقني).

(٥) السورة: الفتح، الآية: ٢٦.

(٦) في (ش): (أنجى).

(٧) لم أقف عليه، وقد نقله القرطبي في التذكرة (١/١٨١).

(٨) أبو بكر الشبلي البغدادي، قيل: اسمه دُلَف بن جعفر، ويُقال: دُلف بن جَحدر، وقيل: جعفر بن يونس، وقيل: جعفر بن دُلَف، من شيوخ الصوفية، صَحِبَ الجنيد وغيره، وكان عارفا بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة، وقال الشعر، وله حِكَم، ولكنه ليس ممن يقتدى به لما كان يعرض له من أحوال يغيب فيها عقله ويصدر منه ما لا يحسن، توفي ببغداد سنة ٣٣٤هـ، عن نيف وثمانين سنة. انظر: الاستقامة لابن تيمية (٢/١٦)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٣٦٧).

(٩) في (ش) و(ي): (عند موته).

(١٠) الأبيات لعبدالسلام بن رغبان (ديك الجن) قالها يتغزل بمحبوبته. انظر: ديوانه (ص:١٦١).

إنَّ بَيتـــاً أنـــتَ سَـــاكنُهُ[1] غـــيرُ محتـــاجٍ إلى السُّـــرُجِ
[وعلــــيلاً أنـــتَ زائـــرُهُ قـــد أتـــاهُ اللهُ بـــالفَرَجِ][2]
وَجهُـــكَ المـــأمولُ[3] حُجَّتُنـــا يـــومَ يـــأتي النَّـــاسُ بـــالحجَجِ
لا أَتـــاحَ اللهُ لي فَرَجـــاً يـــومَ أدعُـــو منـــكَ بـــالفَرَجِ[4]

يُريد الشِّبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ القلْبَ إذا امتلأ بعظمةِ الله وجلاله لم يَحتَجْ إلى مُنبِّهٍ يُنبِّهُه، ولا إلى مُذكِّرٍ يُذكِّره[5].

ويُروى أنَّ الجنيد بنَ محمَّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ دَخَل على بعض المشايخ، فَوَجَدَه في سِياق الموت، فقال له الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قل: لا إله إلا الله»، فَنَظَرَ إليه الشيخ شَزَارا[6]، فأعادَ عليه الجنيد ثانيا فَلَم يَقُلْها، فأعادَ عليه ثالثا، فقال له الشيخ: «يا جُنيد، تُذكِّرُني بالتَّوحِيد وأنا مُنذُ ثلاثين سَنةً أَبكي عليه، [ولا أسلو عنه][7]؟![8] يا جُنيد، إنِّي مُشاهِد[9] حَبيبي، ....

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٣٦٧): «المؤمنون يعرفون الله ويحبونه ويعبدونه ويذكرونه، ويقال: هو في قلُوبِهم، والمراد: معرفته ومحبَّته وعبادته، وهو المثَل العِلْمِيّ، ليسَ المراد نفْسَ ذاته، كما يقول الإنسان لغيره: أنتَ في قلبي، وما زلتَ في قلبي وبين عينيّ، ويقال:

سَاكِنٌ فِي الْقَلْبِ يَعْمُرُهُ لَسْتُ أَنْسَاهُ فَأَذْكُرُهُ

ويقال:

إِنَّ بَيْتًا أَنْتَ سَاكِنُهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى السُّرُجِ».

(٢) زيادة من (م)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) في (م): (الميمون).

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٦/٥٦٣) عن أبي محمَّد الحريري، قال: «مكثتُ عند الشبلي في الليلة التي مات، فكان يَقُولُ طول ليلته هذين البيتين:...»، ثم ذكرهما، وأوردها الغزالي في الإحياء (ص:١٨٦٥) بمثل سياق المصنف.

(٥) في هذا نظر؛ فإن النبي ﷺ أمرنا -كما ذكر المصنف- بتلقين موتانا الشهادتين، ولم يخصص من كان قلبه عامرا بمحبة الله ﷻ دون من لم يكن كذلك، والله أعلم.

(٦) الشَّزْرُ: النَّظَر بمؤخَّر العَين، وأكثر ما يكون في حال الغضب. انظر: لسان العرب (٤/ ٤٠٤).

(٧) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) إنكاره على من يلقنه الشهادة لا وجه له؛ لأن المُلَقِّنَ ممتثلٌ لأمرِ النبي ﷺ الذي أمر بذلك.

(٩) المشاهدة مصطلح من مصطلحات الصوفية، وهي رتبة يصلها العبد بزعمهم ويشاهد فيها الحق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولا شك

ومُستأنِسٌ به»[1].

ويُروى أنَّ إبراهيم بن أَدهم[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ دَخَل على بعض العُبَّاد يعودُه، فَوَجَدَه في الموت أو في مُقدِّمات الموت، فَجَعَل العابدُ يتنفَّسُ ويتأَسَّف، فقال له إبراهيم: «عَلَامَ تتأَسَّف [٩١/أ] رحمك الله؟»، فقال: «ما تأسُّفي على البقاءِ في[3] دار [الدنيا، دار][4] الأحزان والأسْقَام والخطايا والذُّنوب، ولكنَّ تأسُّفي على يومٍ أفطرْتُه أو ليلةٍ نِمتُها أو[5] ساعةٍ غَفَلْتُ عن ذِكْرِ الله فيها، ولكنْ يا أخي إنْ وَقَعَ في هذا تقصيرٌ فما[6] يَقَع في التَّوحِيد تقصير، فما[7] عَبدتُ سِوَاه ولا وَحَّدْتُ غيرَه، ولا سَكَنَ في قلبي محبةُ شيءٍ[8] إلا محبته»[9].

أن هذا اعتقاد باطل، وقد بيّن ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لا يصحُّ لأحد في الدُّنيا مقام المشاهدة أبدا، وأنَّ هذا مِن أوهام القوم وترَّهَاتِهم، وإنَّما غاية ما يَصِل إليه العبد أن يصل إلى شواهد الحقِّ مِن ذِكرِ الله ومَحبَّتِه، وإجلاله وتعظيمه وتوقيره، وهي مرتبة الإحسان، ومن زَعَم غير هذا فلِغَلَبَة الوهم عليه، وحُسْن ظَنِّه بتُرَّهَات القوم وخَيالاتهم، وكل ما يدعي القوم بأنه مكاشفة أو مشاهدة ولم يوافق الكتاب والسنة، فهو من الضلالات. انظر: مدارج السالكين (٦٧/٣-٦٦)، وبيان تلبيس الجهمية (٩٥/٥)، ودرء تعارض العقل والنقل (٣٤٨/٥).

(١) لم أقف عليه.

(٢) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أبو إسحاق العِجلي، وقيل: التَّميمي، الخراساني البلخي، نزيل الشام، ولد في حدود المئة، وكان من أولاد الملوك، أحد مشاهير الزُّهاد، حدَّث عن منصور بن المعتمر ومالك بن دينار وجماعة، قال الثَّوري: (كان إبراهيم بن أدهم يُشْبِهُ إبراهيم الخليل، ولو كان في الصَّحابة لكان رجلاً فاضلاً)، توفي سنة ١٦٢هـ. انظر: حلية الأولياء (٣٦٧/٧)، وسير أعلام النبلاء (٣٨٧/٧).

(٣) في (م): (على النقلة في) وفي (ي): (عن النقلة من).

(٤) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) في (ش) و(م): (وساعة).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (فلم).

(٧) في (ش) و(م) و(ي): (ما).

(٨) في (ش): (في قلبي من محبة شيء غيره)، وفي (م): (في قلبي محبة شيء غيره).

(٩) لم أقف عليه.

ودَخَل المُزَنيُّ[1] على الشَّافعي[2] رَحِمَهُمَاٱللَّهُ في مَرضه[3] الذي مات فيه، فقال له: «كيفَ أصبحتَ يا أبا عبد الله؟» فقال: «أصبحتُ مِن الدُّنيا راحلا، وللإخوَان مُفَارِقا، ولسيءِ عَملي مُلاقيَا، ولكأسِ المنيَّة شَارِبا، وعلى ربِّي تبارك وتعالى وارِدَا[4]، ولا أَدرِي رُوحِي للجنَّةِ[5] فأُهنِّيها أو للنَّارِ فأُعزِّيها؟! ثمَّ أنشد:

ولما قَسَا قَلْبِي وضَاقَتْ مَذَاهِبي ... جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلَّمَا

تَعَاظَمَني ذَنْبِي فلمَّا قَرَنْتُهُ ... بِعَفْوِكَ ربِّي كانَ عَفْوُكَ أَعظَمَا

فَمَا زِلْتَ ذا عفوٍ عَن الذَّنْبِ لم تَزَلْ ... بِجُودِكَ تَعْفُو[6] مِنَّةً وتَكَرُّمَا

ولولاكَ لم يَغْوَ بِإبلِيسَ عَابِدٌ ... فكيفَ وقَد أَغوَى صَفِيَّكَ آدَمَا»[7]

ولما[8] حَضَرَت الحسنَ بن هانئ[9] الوفاةُ أنشد [٩١/ب]:

---

(١) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري، أبو إبراهيم، تلميذ الشافعي، ولد سنة ١٧٥هـ، وهي سنة وفاة الليث بن سعد، وهو قليل الرواية، ولكنه كان رأسا في الفقه، وامتلأت البلاد بمختصره في الفقه، وله تصانيف أخرى كثيرة، توفي سنة ٢٦٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٩٢/١٢) طبقات الشافعيين لابن كثير (ص:١٢٢).

(٢) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، أبو عبدالله الهاشمي القرشي ثم المطلبي، أحد الأئمة الأربعة، ولد بغزة سنة ١٥٠هـ، ونشأ يتيما في حجر أمه، أقبل على العربية والشعر من صغره، فبرع في ذلك ثم حبب إليه الفقه، فساد أهل زمانه، وقد أفتى وتأهل للإمامة وهو ابن نيف وعشرين سنة، وأخذ عن مالك وابن عيينة وجمع من الأئمة، قال أحمد بن حنبل: (إني لأدعو للشافعي منذ أربعين سنة في صلاتي)، توفي سنة ٢٠٤هـ. انظر: مناقب الشافعي للبيهقي، وحلية الأولياء (٦٤/٩)، وسير أعلام النبلاء (٥/١٠).

(٣) في (ش): (المرض).

(٤) في (م): (قادما).

(٥) في (م): (إلى الجنة).

(٦) في (ي): (تجود وتعفو).

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣١/٥٠)، والأبيات لأبي نوَّاس كما في تاريخ بغداد (٤٨٩/٨).

(٨) هذا الأثر والذي بعده سقطا من (ش) و(م).

(٩) الحسن بن هانئ بن صباح بن عبد الله بن الجراح، أبو عليّ الحكمي، الشاعر المعروف بأبي نواس، قيل: أنه لُقِّبَ بهذا؛ لِضَفِيرَتينِ كانتا تَنُوْسَان على عاتقيه - أي: تضطرب-، ولد بالأهواز، ونشأ بالبصرة، سمع حَمَّاد بن زيد، وجماعة،

دَبَّ فِيَّ السَّــــقَامُ سُــفلا وعُلـــوا وأَرَاني أمـــوتُ عُضـــواً فَعُضْـــوَا
لـــيسَ مِـــن سَـــاعةٍ مَضَـــتْ بي إلا نَقَصَـــــتْنِيْ بِمُرِّهَـــــا بِيَّ جُـــــزْوَا
لَـــهْفَ نَفسِـــي عـــلى لَيَـــالٍ وأيَـــامٍ قَضَـــــيتُهُنَّ لَعِبـــــاً ولَهـــــوَا
قَـــد أَسَـــأْتُ كـــلَّ الإسَـــاءَةِ فاللـــ هُـــمَّ صَـفْحَاً عَنَّـا وغُفْـرَاً وعَفْـوَا[١]

ولما[٢] حَضَرَت أحمد بن خضرويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ الوفاةُ سُئِلَ عن مسألةٍ فقال: «يا بُني، بابٌ أدُقُّه منذُ خمسٍ وتسعينَ[٣] سنة، وها هو ذا يُفتَح ليَ السَّاعة، ولا أدري بما يُفتَح لي، بالسَّعادة أم بالشَّقَاوة، فآن لي أَوَانُ الجواب»[٤].

وقال عطاء بن يَسَار[٥] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تَبَدَّى إبليسُ لَعنه اللهُ لعابدٍ عند الموتِ فقال له: نَجَوْتَ يا هذا! فقال [له][٦]: مَا أَمِنْتُكَ بَعدُ!»[٧].

ولما[٨] نَزَلَ الموت بسيبويه[٩] رَحِمَهُ ٱللَّهُ غُشِيَ عليه ورأسُه في حِجْر أخيه، فَأَفَاق ودُمُوعُه

وحفظ أيام الناس، ونظر في النحو، وانتقل إلى بغداد فسكنها إلى حين، وفاته، وشعره بديع، حتى قال فيه أبو عبيدة: (أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للمتقدمين)، وله أخبار وأشعار في الغزل والخمور، وحظوة في أيام الرشيد، توفي سنة ١٩٥هـ، وقيل ١٩٦هـ، وقيل ١٩٨هـ. انظر: تاريخ بغداد (٨/٤٧٥)، وسير أعلام النبلاء (٩/٢٧٩).

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٨/٤٩٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/٤٥٧).

(٢) في (ي) جاء هذا الأثر بعد أثر عطاء بن يسار الذي يليه.

(٣) في (ي): (وسبعين).

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/٤٢).

(٥) عطاء بن يَسَار الهلالي، أبو محمد، ويقال أبو عبد الله، ويقال أبو يسار المدني القَاص، مولى ميمونة أم المؤمنين، حدث عنها وعن طائفة من الصحابة، وكان فقيهاً، واعِظاً، كبيرَ القَدْر، قال أبو حازم: (ما رأيتُ رجلاً كان ألزمَ لمسجد رسول الله ﷺ من عطاء بن يَسَار)، توفي سنة ٩٤هـ، وقيل ٩٣هـ، وهو ابن أربع وثمانين سنة. انظر: تاريخ دمشق (٤٠/٤٣٨) تهذيب الكمال (٢٠/١٢٧).

(٦) زيادة من (ش) و(م)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٧) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/١٠٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٥٨).

(٨) هذا الأثر ساقط من (ش) و(م).

(٩) عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بِشْر، المعروف بسِيبَوَيْه، مولى بني الحارث بن كعب، الفارسيّ، ثمَّ البصريّ، إمام النُّحاة، سمِّيَ سِيبَوَيْه؛ لأنَّ أمَّهُ كانت تُرقِّصه وتقول له ذلك، ومعنى سِيبَوَيْه: رائحة التُّفَّاح، طلب الفقه والحديث مدّة، ثمَّ أقبل

تَقْطُر على خَدِّه، فقال:

أُخَيَّـــيْنِ(١) كنَّـــا فـــرَّق الـــدهرُ بيننـــا إلى الغايـةِ القُصـوَى فمَـنْ(٢) يَـأْمَنُ الـدَّهْرَ؟!(٣)

ويُروى عن مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه دَخَلَ على جارٍ له وقد نَزَلَ به الموت، فقال له الرجل: «يا مالِكُ إنِّي أَرى [٩٢/أ] جَبَلَين من نارٍ بين يَدَيَّ وأنا أُكَلَّفُ الصُّعُود عليهما»، قال مالِكٌ: «فسألتُ امرأتَه عن حالِه، فقالت: كان له مِكيَالان يأخُذُ بأحدِهما، ويُعطي بالآخر»، قال: «فَدَعَوتُ بهما فضرَبتُ أحدَهما بالآخر حتَّى كَسَرْتُهما، ثمَّ قلتُ له: ما تَرَى؟»، قال: «ما أرى الأمرَ يزدادُ إلا شدَّة!»(٤).

ويُروى(٥) أنَّ رجلا نَزَلَ به الموتُ وعند رأسه صندوقٌ له فيه مَال، فَجَعَل يُشير إليه ويقول: «النار في الصندوق! [النار في الصندوق!](٦)»(٧).

ويُروى أنَّ طلحة بنَ عبيد الله القُرشي(٨)(٩) رَحِمَهُ اللَّهُ عادَ مريضا فَوَجَدَه في الموت، فَسَمِعَ

على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وألَّف فيها كتابه المشهور (الكتاب)، قيل أنه عاش اثنتينِ وثلاثين سنة، وقيل نحو الأربعين، توفي سنة ١٨٠هـ. انظر: تاريخ بغداد (٩٩/١٤)، وسير أعلام النبلاء (٣٥١/٨).

(١) في (ي): (أخيان).

(٢) في (ي): (ومن).

(٣) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٣٢/٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٠٣/١٤).

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٢٧) -مختصرا-، وأبو إسحاق الثعلبي في الكشف والبيان (١٥٠/١٠).

(٥) هذا الأثر والذي بعده سقطا من (ش) و(م).

(٦) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٧) لم أقف عليه.

(٨) هكذا في الأصل، ولعله وهم من المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، فعند ابن أبي الدُّنيا: «محمَّد بن طلحة القرشي»، وهو محمَّد بن طَلحَة بن عُبيد الله بن عُثمان القُرشي التَّيْمي، سمَّاه النبيُّ ﷺ محمَّدا، ونَحَلَه كُنيَتَه فكان يُكْنَى أبا القاسم، والده طلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأمُّهُ حَمْنَة بنتُ جَحْش، كان يُقال له السَّجَّاد، وقيل: نَاسِك قريش؛ لكثرة عبادته، قُتِل يوم الجمَل سنة ٣٦هـ مع أبيه. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (١٦٦/١)، الإصابة في تمييز الصحابة (٣١/١٠).

(٩) طلحة بن عبيد اللَّه بن عثمان، أبو محمَّد، القرشي التَّيمي، يُعرف بطلحة الخير، وطلحة الفيّاض، من السابقين الأولين، وأحد العشرة المبشرين، وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، قتل يوم الجمل سنة ٣٦هـ، وكان عمره ستين سنة، وقيل: اثنتان وستون سنة، وقيل: أربع وستون سنة. انظر: أسد الغابة (٤٦٧/٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٤١٧/٥).

صوتاً وهو يقول:

نــادِ رَبَّ الــدارِ ذا المـــالِ الــذي ... جَمَـعَ المــالَ بِحِـرْصٍ مَـا فَعَـلْ؟!

فأجابه آخر:

كَـــــانَ في دَارٍ سِــــــوَاها دَارُهُ ... عَلَّلَتْــهُ بالــمُنى ثُــمَّ انْتَقَــل![1]

ويُروى أنَّه ما مِن ميِّتٍ يموتُ إلا ويُكلِّمُه مَلكاهُ اللذان يَكتُبانِ عملَهُ في الدُّنيا، فإنْ كان مُطيعا قالا له: «جزاك اللهُ مِن صاحبٍ خيراً؛ فرُبَّ كلامٍ حسنٍ قد أسمعتناه، ورُبَّ[٩٢/ب] مجلسِ خَيْرٍ قد أجلسْتَنَاه، ورُبَّ عملٍ صالحٍ قد أَحْضَرْتَنَاه، فنحن لك اليوم على ما تُحِب»، وإن كان فاجِراً قالا له: «جزاك اللهُ مِن صاحبٍ شرّاً، فرُبَّ كلامٍ قبيحٍ قد أَسمَعْتَنَاه، ورُبَّ مجلسِ سوءٍ قد أَجلَسْتَنَاه، ورُبَّ عملِ سوءٍ قد أَحضَرْتَنَاه، فنحن لك اليوم على ما تَكرَه»[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/٣٩٢) ضمن موسوعته].

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/١٥١) عن وُهَيب بن الوَرد، ولم أقف على حديث مرفوع صحيح يؤيد هذا المعنى.

بابٌ مِن أخبارِ بَعضِ الأمواتِ عندَ الموت[1]

ذَكَر مُسلِمُ بن الحجَّاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**جاء مَلَكُ الموت إلى مُوسى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **فقال له: أَجِبْ ربَّك، فَلَطَمَ مُوسى عينَ مَلَكِ الموتِ فَفَقَأَها! قال: فَرَجَع المَلَكُ إلى الله** عَزَّ وَجَلَّ، **فقال: إنَّكَ أَرسَلْتَني إلى عبدٍ لكَ لا يُريد الموت، وقد فَقَأَ عيني، قال: فَرَدَّ اللهُ عليه عينَه، وقال: ارجِعْ إلى عَبدي فَقُل: الحياةَ تُريد؟ فإنْ كنتَ تُريد الحياةَ فَضَعْ يَدَكَ على مَتْنِ ثَورٍ فما وَارَتْ يَدُكَ مِن شَعرَةٍ فإنَّك تَعيشُ بها سَنة، قال: ثمَّ مَهْ[2]؟ قال: ثمَّ تموت، قال: فالآنَ مِن قريب؟ ربِّ أدنِني من الأرض المقدسةِ رَمْيَةَ حَجَر**»، [٩٣/أ] قال رسولُ الله ﷺ: «**فواللهِ لو أنِّي عنده لأَرَيتكُم قبرَه إلى جَنبِ الطَّريقِ عندَ الكَثيبِ[3] الأحمر**»[4].

ويُروى عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كان داودُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رجلاً غيورا، وكان إذا خَرَجَ غَلَّقَ الأبواب، فَغَلَّقَ ذاتَ يومٍ أبوابَه وخَرَج، فأشرَفَت امرأتُه فإذا هي برجلٍ في الدَّار، فقالت: مَن أدخَلَ هذا دارنا؟ لَئِنْ جاء داودُ فرآه لَتَلْقَيَنَّ منه عَنَتاً، فجاءَ داودُ فرآهُ فقال: مَن أنت؟ فقال: أنا الذي لا أَهابُ الملوك، ولا يَمنَعُني الحُجَّاب، قال: فأنت إذنْ -والله- مَلَكُ الموت! ثمَّ قَبَضَ رُوحَه ﷺ»[5].

ويُروى عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ غيوراً، وكان له بيتٌ يَتعبَّدُ فيه، فإذا خَرَجَ أَغْلَقَه، فَرَجَع ذاتَ يومٍ بعدما أَغلَقَ بابَه فإذا هو برجلٍ في جَوْفِ البيت، فقال له: مَن أَدخَلَكَ دارَنا؟ قال: أدخَلَنِيها ربُّها، فقال: أنا ربُّها، قال: أدخَلَنِيها مَن هو أَمْلَكُ بِها مِنك، فقال له إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: مَن أنتَ مِن الملائكة؟ قال: مَلَك الموت، فقال له[٩٣/ب]: هل تَستطيعُ أنْ تُريني الصُّورةَ التي تَقْبِضُ فيها رُوح المؤمن؟ قال: نعم، فأَعرِضْ عنِّي، -فأَعرَضَ

---

(١) سقط هذا الفصل كله من جميع النسخ عدا الأصل (ت).

(٢) استِفهام، أي: ثمَّ ماذا يكون أحياة أم موت؟ انظر: شرح النووي لمسلم (١٢٨/١٥).

(٣) الكثيب: الرَّمل المستطيل المجتمع المحدودب. انظر: شرح النووي لمسلم (١٢٨/١٥).

(٤) صحيح مسلم [كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ] (١١١٣/٢) ح(٢٣٧٢).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥٤/١٥) ح(٩٤٣٢)، وضعَّفَه محققوه لانقطاعه.

عنهُ- فإذا هو بِشَابٍّ -فَذَكَر مِن حُسْنِ وجهِه وطِيبِ رِيحه-، فقال: يا مَلَكَ الموت، لو لم يَلْقَ المؤمِنَ عندَ الموتِ إلا صورتَك لكانَتْ حسبُه، ثم قَبَضَ رُوحُه ﷺ»(١).

ويُروى أنَّ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مَرَّ برأس ميِّتٍ فَضَرَبَه بِرِجلِه وقال: «تَكَلَّمْ بإذن الله»، فتَكَلَّمَ فقال: يا رَوح الله، أنا مَلِكُ زمان كذا وكذا، بينا أنا جالسٌ على سريرِ مُلْكِي، عَلَيَّ تَاجي، وحولي حَشَمِي وجُنْدِي، إذ تَبدَّى لي مَلَكُ الموت، فَزَالَ مِنِّي كلَّ عُضْوٍ على حِيَالِه، وخَرَجَتْ نفسي إليه، فيا لَيتَ مَا كان مِن تلكَ الجمُوع كان فُرْقَة، ويَا ليتَ ما كان من ذلك الأُنسِ كان وَحْشَة»(٢).

قال وَهْبُ بن منبِّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان مَلِكٌ من الملوك أرادَ الخروج إلى أرضٍ له، فلَبِسَ أحسن ثيابه، ورَكِبَ أَفْرَه دوابِّه، وخَرَجَ في خاصَّته وجنوده ورجاله، فنَفَخَ الشَّيطانُ فيه نفخة، ملأه كِبْراً وعُجبا، فكان يَمشي ولا يلتفت إلى أحدٍ من النَّاس كِبْراً وإعجَاباً بنفسه، فَتَصدَّى له رجلٌ رَثٌّ[٩٤/أ] الهيئةِ فسَلَّم عليه، فلم يَرُدَّ عليه السَّلام ولا التفتَ إليه، فأَخَذَ بلِجَام دابَّتِه فقال له: وَيْلَكْ! لقد تعاطَيتَ أمراً عظيماً، كُفَّ يدَكَ عن اللِّجَام، فقال له: أنا مَلَكُ الموت! فتَغَيَّرَ لونُ المَلِك وَدُهِشَ واضطَّرَب لسانُه، وقال: سألتُكَ إلا ما تَرَكتَني حتَّى أرجعَ إلى أهلي وَأُوَدِّعهم، وأَقضِي حاجتَهم منِّي، وحاجتي منهم، فقال: لا والله! لا رأيتَ أهلكَ أبداً، وقَبَضَ رُوحَه فَخَرَّ كأنَّه خَشبةٌ مُلقَاة.

ثمَّ لَقِيَ آخر في مثل حالِه إلا أنَّه كان متواضعا، فَتَعرَّضَ لهُ فسَلَّمَ عليه، فَرَدَّ عليه السَّلام، فقال له: إنَّ لي إليكَ حاجة، وأُرِيدُ أنْ أذكُرَها لكَ في أُذُنِك، قال: هات، وأعطاه أُذُنَه، فقال له: أنا مَلَكُ الموت، فقال له: مرحباً بمن طالَتْ غَيبتُه عنِّي! فوالله ما كان غائبٌ أحبَّ إليَّ أنْ ألقَاهُ منك، فقال له مَلَكُ الموت عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: اقْضِ حاجتَك التي خَرَجْتَ لها، قال: لا، هذه الحاجة أهمُّ عليَّ، ولا أَحبَّ إليَّ مِن لقاء الله ﷻ، قال: فاختَرْ على أيِّ حالةٍ تُريدُ أنْ أَقبِضَ رُوحَك،

(١) تقدم في (ص:٢٠١).

(٢) أورده الغزالي في الإحياء (ص:١٨٤٣)، وذكر أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/١٠-٩) نحوه.

قال: وَتَقدِرُ على ذلك؟ قال: بِذَلك أُمِرْتُ، قال: فَدَعنِي حتَّى أتوضأَ وأُصلِّي، وتَقبِض رُوحِي وأنا سَاجِد، قال: نعم، فَتَوضَّأَ وصلَّى، [٩٤/ب] فَقَبَضَ رُوحَه في سُجودِه»[١].

وقال بَكرُ بن عبد الله[٢]: «جَمَعَ رجلٌ من بني إسرائيل مَالاً، فلما أَشْرَفَ على الموت قال لِبَنِيه: أَرُونِي أصنافَ أموالي التي جمعتُ، فأُتِيَ بشيءٍ كثير، فلما رآهُ بَكَى تحسُّراً عليه، فقال له مَلَكُ الموت: ما يُبكيكَ؟ فوالله ما أنا بخارجٍ من منزلكَ حتَّى أُفرِّقَ بين رُوحك وبَدَنك، فقال له: أمهِلْنِي حتَّى أُفرِّقَه، فقال: هيهات! انقطَعت المُهْلَة، فهلَّا كان هذا قبلَ حُضور أجلِك؟! ثمَّ قَبَضَ رُوحَه»[٣].

ويُروى أنَّ رجلاً جَمَعَ مالاً فأوعَى، لم يَدَعْ صِنْفاً مِن أصناف المال إلا اتَّخَذه، ثمَّ ابتَنَى قَصراً وجَعَلَ عليه حُجَّاباً وحُرَّاساً، ثمَّ جَمَعَ أهلَه وعِيَالَه وصَنَع لهم طعاما، وقَعَدَ على سريره ووَضَعَ إحدى رِجلَيه على الأخرى وهم يأكلون، ثمَّ قال: يا نفسُ تمتَّعي سِنين! فقد جمعتُ لكِ ما يكفيك، فما فَرَغَ مِن كلامه حتَّى أقبل إليه مَلَك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ في هيئة رجلٍ عليه خَلِقَان من الثِّيَاب، فقَرَعَ البابَ بِشدَّةٍ عظيمة، فوَثَبَ إليه الغِلْمان، فقالوا له: وَيْلَك ما شأنُك، ومن أنت؟! فقال: ادعُوا لي مولاكُم، [٩٥/أ] فقالوا: إلى مِثلك يخرجُ مولانا؟! قال: نعم، قال: فأخبَرُوا مولاهم، فقال: هلَّا فَعلتُم به وفعلتُم! فقَرَعَ البابَ قَرْعَةً أشدَّ مِن الأولى، فوثَبَ إليه الحرَس، فقال: أخبرُوه أنِّي مَلَك الموت، فلما سَمِعُوه أُلقِيَ عليهم الرُّعب، ووَقَعَ على مولاهم الذُّلُّ والخشوع، فقال لهم: قولوا له يَدخُل، وقولوا له قولاً ليِّنا، فدَخَل، فقال له: اصنَعْ بمالِكَ ما أنتَ صانِعٌ؛ فإنِّي لستُ بخارجٍ عنك حتَّى أَخرُجَ بنفسك، فأَمَرَ بمالِه فجُمِع، فلما رآه قال:

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/٢٠٢).

(٢) بكر بن عبد اللَّه المُزَني، أبو عبد اللَّهِ البَصريّ، تابعي جليل، روى عن ابن عمر وأنس وغيرهما، يُذكرُ مع الحسَن، وابن سِيرين، وحديثه مخرّج في الكتب الستة، وقيل عنه أنه مُجاب الدعوة، قال ابن المديني: (كان من خيار الناس، لَهُ نحو خمسين حديثا)، توفي سنة ١٠٦هـ، وقيل ١٠٨هـ. انظر: حلية الأولياء (٢/٢٢٤)، تهذيب الكمال (٤/٢١٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/٥٣٢).

(٣) أورده الغزالي في الإحياء (ص:١٨٤٧).

لعنَكَ اللهُ من مال، فأنتَ شَغَلْتَنِي عن عبادة ربِّي، ومنَعَتْنِي عن النَّظر لنفسِي، فأنطَقَ اللهُ ﷻ المالَ فقال: لِمَ تسبُّني؟! وبي جَلَستَ مجالسَ الملوك، وبي نَكَحتَ المتنعِّمات، وبي فعلتَ وفعلت، وكنتَ تُنفقني في سبيل الشرِّ فلا أمتنعُ منك، ولو أنفقتني في سبيل الخيرِ وطريق البرِّ لنفعتُك اليوم، ثمَّ قَبَضَ مَلَكُ الموت رُوحَه فَسَقَط ميتا(١).

وقال يزيد الرقاشي(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بينما جبَّارٌ من جبابِرَة بني إسرائيل في منزلِهِ قد خَلَا ببعض أهله، إذ رأى شخصاً قد دَخَلَ عليه من باب بيته، فوَثَبَ إليه مُغضَباً، [٩٥/ب] فقال: وَيْلَكَ مَن أنتَ، ومَن أدخلَك دَاري، وما حَمَلَك على الهجوم عليَّ في بيتي؟! فقال له: أمَّا الذي أدخَلَني الدَّارَ فربُّها، وأمَّا أنا، فأنا الذي لا يَمنعُنِي الحُجَّاب، ولا أستأذِنُ على الملوك، ولا أخافُ صَوْلَةَ السَّلاطين!

فأُسْقِطَ في يدِ الجبَّارِ وأُرْعِدَ حتَّى سَقَطَ مُنكَبًّا على وجهه، ثمَّ رَفَعَ رأسَه إليه مُستَخزِيا مُتذلِّلا، فقال له: فأنتَ إذنْ مَلَكُ الموت؟ قال: أنا هو مَلَكُ الموت، قال: فَهَل أنتَ بِمُمْهِلِي حتَّى أُحْدِثَ عَهداً؟ فقال: هيهات! انقطَعَت مُدَّتُك، وانقَضَتْ أنفَاسُك، ونَفِدَتْ ساعاتُك، فليسَ إلى إِمهالكَ سبيل، قال: فإلى أين يُذهب بي؟ قال: إلى عَمَلِك الصَّالحِ الذي قَدَّمت، وإلى بيتِك الحسَنِ الذي بَنَيْتَ ومَهَّدت، قال: فإنِّي لم أُقدِّم عملاً صالحا، ولا بَنَيتُ بيتاً حسنا، قال: فإلى نَارٍ لَظَى، نزَّاعةٍ للشَّوى، ثمَّ قَبَضَ رُوحَه فسَقَطَ بين أهله، فمِن بين صَارِخةٍ تصرُخ، وباكيةٍ تَبكي»، قال يزيد: «ولو يعلمون سُوءَ المنقَلَبِ لكان العَويلُ أعظم، والبكاءُ أكثر»(٣).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/٢٤٠) عن يزيد بن ميسرة أنّ رجلا...فذكره، وإسناده لا يثبت لجهالة الرجل، ومثل هذه الحكايات الغريبة لا يُعتمد عليها لعدم ثبوتها ولغرابتها.

(٢) يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عَمرو البَصريّ، القاص، من زهاد أهل البصرة، روى عن أبيه، وأنس بن مالك، والحسن، وجماعة، وقد رُمي بالقدر، وتُكلِّم في حفظه، قَال أَبُو حاتم: (كَانَ واعظا بكَّاءً، كثير الرواية عَن أَنَس بما فيه نظر، صاحب عبادة، وفي حديثه ضعف)، توفي قبل ١٣٠هـ. انظر: حلية الأولياء (٣/٥٠)، تهذيب الكمال (٣٢/٦٤)، تاريخ الإسلام (٣/٥٦١).

(٣) أورده الغزالي في الإحياء (ص:١٨٤٨).

باب ما يستحب من أحوال الميت عند الموت [٩٦/أ] وفي تلقين الميت الشهادتين للمسلم وغيره وما يستحب[١] للمسلم من الرجاء وحسن الظن بالله عند الموت

اعلمْ رحمك الله أنَّ المستحبَّ[٢] من حال الحيِّ عند الموت[٣] أنْ يكونَ يَعْلُوه الهدوء والسُّكون، ومن لسانِه الكلمةَ بالشَّهادتين، ومن قَلْبِه حُسنَ الظَّنِّ بالله تعالى.

وذَكَرَ التِّرمذيُّ[٤] رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث بُرَيدَة بن حَصِيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**المؤمِنُ يَموتُ بِعَرَقِ الجَبين**[٥]».

ويُروى في خبرٍ عن النبيِّ ﷺ: «**ارْقُبُوا الميِّتَ عندَ ثلاث: إذا رَشَحَ جبينُه، وذَرَفَت**[٦] **عينَاه، ويَبِسَت شَفَتاه، فذلك مِن رحمةِ الله تَنزِلُ به، وإذا غَطَّ غَطيطَ المجنون، واحمَرَّ لونُه، وارْبَدَّتْ**[٧] **شَفَتَاه**[٨]**، فهو مِن عذابِ الله قد نَزَلَ به**»[٩].

---

(١) في (ش) و(ي): (وما يستحب من أحوال الميت).

(٢) في (ش) و(م) و(ي): (المحبوب).

(٣) في (ش) و(م) و(ي): (من حال الميت).

(٤) جامع الترمذي [كتاب الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أنَّ المؤمن يموتُ بِعَرَق الجَبين] (ص:٢٣٤) ح(٩٨٢) وقال: «هذا حديثٌ حسن»، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص:٤٩).

(٥) قيل إنَّ عرق الجبين يكون لما يُعالج المؤمن من شدَّة الموت، وقيل إنه يُجازَى بها بقي عليه من ذنوب عند الموت أو يُشَدَّد ليَتَمحَّص، وقيل أنَّه كناية عَن كَدِّ المؤمن في طَلَب الحلال وتَضييقِه على نفسه بالصَّوم والصَّلاة حتَّى يَلقَى ربَّه، وقيل إنَّه يكون مِن الحياء وذلك أنَّ المؤمن إذا جاءتهُ البُشرَى مع ما كان قد اقتَرَف من الذُّنوب حصل له بذلك خجَل واستحياء من اللَّه تعالى فيعرَق جبينُه، وقيل إنه يَحتمِل أَنْ يكون علامة جُعِلَت لموت المؤمن ولم يُعقل معناها. انظر: حاشية السيوطي على سنن النسائي (٣/٤)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٢٧/٤)، وسبل السلام للصنعاني (٤٦٥/١).

(٦) في (م) و(ي): (وإذا ذرفت).

(٧) في (ش) و(ي): (وازبدت).

(٨) الرُّبْدَة: الغُبْرَة، أَو لون يميل إِلى الغُبْرَة. انظر: تاج العروس (٨٢/٨)، وقد وردت في نوادر الأصول: «وأزبد شدقاه».

(٩) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول (٤١٤/١)، من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال العراقي في تخريج إحياء علوم الدين (ص:١٨٤٥): «لا يصح».

وأمَّا انطِلاق اللِّسانِ[1] بالشَّهادتين فهو علامةُ الخير، ودليلُ السَّعَادة، وأَمَارَةُ الاتِّصَال بالحضْرَةِ الإلهية.

وذَكَرَ أبو داود[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث معاذ بن جبلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن كان آخرُ كلامِهِ: لا إلهَ إلا الله، دَخَلَ الجنَّة**» [٩٦/ب].

وذَكَرَ[3] مُسلِمٌ[4] رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث عثمان بن عفَّان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن مَاتَ وهو يَعلَمُ أنَّهُ لا إلهَ إلا الله، دَخَل الجنَّة**».

وذَكَرَ أيضا[5] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَقِّنُوا موتَاكُم[6]: لا إلهَ إلا الله**».

ومِن غيرِ كِتاب مُسلِمٍ: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**حَضَرَ مَلَكُ الموتِ رجلاً، [فنظَرَ في عملِهِ][7]، فلم يَرَ له شيئا، فَفَكَّ لِحْيَيه، فوَجَدَ طَرَفَ لسانِه لاصقاً بِحَنَكِه[8]، يقول: لا إله إلا الله، فَغَفَرَ اللهُ له بكلمة الإخلاص**»[9].

وقال عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «احضُرُوا موتَاكُم ولَقِّنُوهم: لا إله إلا الله؛ فإنَّهم يَرَونَ ما لا تَرَون»[10].

---

(١) في (ش) و(ي): (لسانه).

(٢) سنن أبي داود [كتاب الجنائز، باب في التلقين] (ص:٥٦١) ح(٣١١٦)، وحسّنه الألباني في أحكام الجنائز (ص:٤٨).

(٣) جاء هذا الحديث في جميع النسخ الخطية بعد الحديث الذي يليه عدا الأصل (ت).

(٤) صحيح مسلم [كتاب الإيمان، باب مَن لَقِي اللهَ بِالإيمان وهو غير شَاكٍّ فيه دَخَل الجنَّة وحُرِّمَ على النَّار] (٣٤/١) ح(٢٦).

(٥) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلَّا الله] (٤٠٨/١) ح(٩١٦).

(٦) في (م): (أمواتكم).

(٧) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) الحَنَك: باطن أعلى الفم من الداخل. انظر: لسان العرب (٤١٦/١٠).

(٩) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٣٢٤/٥) ضمن موسوعته]، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٨١/١٠)، وضعّفه الألباني وحكم عليه بالنكارة في السلسلة الضعيفة (٩٩/٦) ح(٢٥٩٠).

(١٠) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١١٦/٧)، وابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٣٢٤/٥) ضمن موسوعته].

وذَكَرَ مُسلِمٌ(١) من حديث سعيد بن المسيَّب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالبٍ الوفاةُ جاءَه رسولُ الله ﷺ، فوَجَدَ عنده أبا جهل بنِ هشام، وعبد الله بن أبي أُمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عمّ، قُلْ: لا إله إلا الله، كَلِمَةً أَشهدُ** [٩٧/أ] **لكَ بها عندَ الله**»، فقال أبو جهل وعبدُ الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أَتَرْغَبُ عن مِلَّة عبد المطلب؟! فلم يَزَلْ رسولُ الله ﷺ يَعرِضُها عليه، ويُعِيدانِ(٢) له تِلْك المقالة حتَّى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به: هو على مِلَّة عبد المطلب، وأَبَى أن يقولَ: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَا -واللهِ- لأستَغفِرَنَّ لكَ مَا لم أُنْهَ عنك**»، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾(٣)، وأنزل الله ﷻ في أبي طالب [فقالَ لرسولِ اللهِ ﷺ](٤): ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾(٥)، ويُروى: ويعودان له بتلك المقالة -يعني أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية-(٦).

ويُروى عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ غُلاماً من اليهود كان يخدِمُ النبيَّ ﷺ فَمَرِضَ فأتَاهُ النبيُّ ﷺ يعودُه، فقعَدَ عند رأسِهِ فَعَرَضَ عليه الإسلام، فقال له: «**أَسْلِمْ**»، فنَظَرَ الغُلامُ إلى أبيه وهو عندَهُ، فقال له أبوه: أَطِعْ أبا القَاسِم [٩٧/ب]، فأَسلَم، فقام النبيُّ ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذَهُ بي من النَّار**» ذكر هذا الحديث البخاري(٧) وأبو داود(٨) وغيرهما.

---

(١) صحيح مسلم [كتاب الإيمان، باب أوَّل الإيمان قول لا إله إلَّا الله] (٣٣/١) ح(٢٤).

(٢) في (ش): (ويعيد).

(٣) السورة: التوبة، الآية: ١١٣.

(٤) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) السورة: القصص، الآية: ٥٦.

(٦) صحيح مسلم [كتاب الإيمان، باب أوَّل الإيمان قول لا إله إلَّا الله] (٣٣/١) ح(٢٤)، وأخرجه البخاري [كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله] (ص:٣٢٨) ح(١٣٦٠).

(٧) صحيح البخاري [كتاب الجنائز، باب إذا أَسلم الصَّبيُّ فمات هل يُصلَّى عليه وهل يُعرضُ على الصَّبيِّ الإسلام] (ص:٣٢٧) ح(١٣٥٦).

(٨) سنن أبى داود [كتاب الجنائز، باب في عيادة الذِّمِّي] (ص:٥٥٧) ح(٣٠٩٧).

ويَنبَغِي أن لا يُلِحَّ على الميِّت بتَلقِين الشَّهادة(١)، قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَقِّنُوا موتاكُم(٢): لا إله إلا الله، فإذا قالَها فَدَعُوه»(٣).

ولأنَّه(٤) يُخافُ عليه إذا ألَحَّ عليه بها أنْ يَبرَمَ(٥) ويَضْجَر، ويُثقِّلها الشَّيطانُ عليه، فيكون ذلك سبباً لسُوء الخاتمة، وكذلك أَمَرَ ابنُ المبارك أن يُفعلَ به.

ذَكَرَ(٦) أبو بكرٍ الدِّينَوَري(٧) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب المجالسة(٨) عن الحسن بن عيسى(٩) قال: لما حَضَرَت ابنَ المبارك الوفاةُ قال لنَصْرٍ -مولاه-: «اجعَلْ رأسِي على التُّراب»، [قال:](١٠) فبَكَى نَصْر، فقال: «ما يُبكيك؟»، قال: ذَكَرتُ ما كنتَ فيه من النَّعيم، وأنتَ هذا تموتُ فقيراً غريباً، فقال له: «اسكُتْ؛ فإنِّي سألتُ اللهَ ﷻ أنْ يُحيِيني حياةَ الأغنياء(١١)، ويُمِيتني مِيتةَ

---

(١) في (ي): (الشهادتين).

(٢) في (ش) و(م) و(ي): (الميت).

(٣) أورده القرطبي في التذكرة (١/١٧٩)، وقد أخرج الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٢/٢٥٣) عن المعتمر بن سُليمان التَّيميّ، عن أبيه؛ قال: «لَقِّنْ مَيِّتك، فإذا قالها؛ فَدَعْه ولا تُضْجِرْه».

(٤) هذا التعليق ورد بعد الأثر الذي ذكره أبو بكر الدينوري في جميع النسخ عدا الأصل (ت).

(٥) في (م) و(ي): (يتبرم).

(٦) في (م): (وذكر).

(٧) أحمد بن جعفر بن مروان بن محمد القاضي، أبو بكر الدينوري، يُعرف بالمالكي وبالخَيَّاش، سمع أبا بكر بن أبي الدنيا، وأبا محمد بن قتيبة صاحب التصانيف، وعددا كثيرا، وكان بصيرا بمذهب مالك، وله كتاب في مناقب مالك، توفي سنة ٢٩٨هـ وقيل بعد ٣٣٠هـ، وسِنُّه أربع وثمانون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/٤٢٧)، الديباج المذهب لابن فرحون (١/١٥٢).

(٨) المجالسة وجواهر العلم (٢/٢٥٣).

(٩) الحسن بن عيسى بن ماسرجس، أبو عليّ النيسابوري، مولى عبد الله بن المبارك، كان نصرانيا، ثم أسلم على يد ابن المبارك ورحل في العلم، ولقي المشايخ، وحدَّثَ عن ابن المبارك، وسفيان بن عيينة، ووكيع، وآخرون، وسمع منه أحمد ابن حنبل، وكان دَيِّنا وَرِعا ثِقَة، وبقي بعده مِن عَقِبه بنيسابور فقهاء ومحدثون، توفي سنة ٢٤٠هـ، وقيل ٢٣٩هـ بعد حَجَّتِه وانصرافه من مكة. انظر: تاريخ بغداد (٨/٣٣٢)، وتهذيب الكمال (٦/٢٩٤).

(١٠) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١١) في (م) و(ي): (السعداء).

الفُقراء»، ثمَّ قال له: «لَقِّنِّي -يعني: الشَّهادة- ولا تُعِدْ عليَّ إلا أنْ أتكَلَّمَ بكلامٍ ثان»(١).

والمقصود أنْ يموتَ الرجل وليس(٢) في قَلْبِه إلا الله ﷻ [وحده](٣)؛ لأنَّ المدارَ على القَلْب، [٩٨/أ] وعمل القلب هو الذي يُنظَرُ فيه وتكونُ النَّجاة بسببه، وأمَّا حركة اللِّسان دونَ أنْ تكون تَرْجَمة عما في القلبِ فلا فائدةَ فيها، ولا خيرَ عندها، وأمَّا حُسن الظَّنِّ بالله تعالى عند الموت فواجب؛ قال ﷺ: «**لا يموتنَّ أحدُكم إلا وهو يُحسِّنُ الظَّنَّ بالله تعالى**» ذكره مسلم(٤).

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والذي لا إله غيره، لا يُحسِّنُ أحدٌ الظَّنَّ باللهِ إلا أعطاهُ اللهُ ظَنَّه، وذلك أنَّ الخيرَ بيدِه»(٥)، وقال عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إذا رأيتُم الرجلَ قد نَزَلَ به الموتُ فبشِّرُوه حتَّى يَلْقَى ربَّه وهو حَسَنُ الظَّنِّ به(٦)، وإذا كان حيًّا فخوِّفُوهُ بربِّه، و[ذكِّرُوه](٧) شدَّة عِقَابه»(٨)، وقال المعتَمِرُ بن سليمان(٩) رَحِمَهُمَا اللَّهُ: «قال لي أبي عند موته(١٠):

---

(١) أخرج ابن الجوزي في الثبات عند الممات (ص:١٥٨) عن الحسن بن الرَّبيع قال: سمعتُ ابنَ المبارك حين حَضَرَتْهُ الوفاةُ وأقبل نُصَيْرٌ يقول له: يا أبا عبد الرحمن، قل: لا إله إلا اللَّه، فقال: «يا نُصَيْر، قد تَرَى مَقدِرَةَ الكلام، فإذا سَمِعتَنِي قد قلتُها فلا تُرَدِّدْهَا حتَّى تسمعنِي قد أَحدَثتُ بعدَها كلاما، فإنَّما كانوا يَستحِبُّون أنْ يكون آخرُ كَلامِ العبدِ ذلك».

(٢) في (ي): (ولم).

(٣) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) صحيح مسلم [كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحُسن الظَّنِّ بالله تعالى عند الموت] (١٣١٥/٢) ح(٢٨٧٧).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله [(٣٣٣/٢) ضمن موسوعته]، وضعّفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٣٥٩/٢).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (بالله).

(٧) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١٤٨/١).

(٩) معتمر بن سُليمان بن طرخان التَّيميّ، أبو محمَّد البَصريّ، قيل: إنه كَانَ يلقب بالطفيل، ولم يكن من بني تيم، وإنما نزل فيهم فنسب إليهم، وكان مولى لبني مرة، روى عن والده وعاصم الأحول، ومَنصور بن المُعتَمِر وغيرهم، ورَوَى عَنه أحمد بن حنبل، وابن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم، قال ابن سعد: (كان ثقة، ولد سنة ١٠٦هـ، ومات سنة ١٨٧هـ بالبصرة في خلافة هارون). انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٤٩/٨)، وتهذيب الكمال (٢٥٠/٢٨).

(١٠) في (م) و(ي): (الموت).

يا مُعتَمِر، حدِّثني بالرُّخَصِ، لعلِّي أنْ ألقَى اللهَ ﷻ وأنَا حَسَنُ الظَّنِّ به»[1]، وكانوا يَستحبون أن يُذَكَّرَ[2] [العبدُ][3] بمحاسِن عمله عند موتِه لكي يُحسِّنَ ظنَّه بربِّه[4].

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما دُمتَ حيًّا فلا يكنْ شيءٌ عندك أخوفَ من اللهِ ﷻ، فإذا نَزَلَ بك الموتُ فلا يكن عندك شيءٌ[5] [٩٨/ب] أرجى من الله ﷻ»[6].

ويُروى أنَّ حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما نَزَل به الموتُ قال: «حبيبٌ جاء على فَاقة، قد كنتُ قبلَ اليوم أخشَاك، وأنا اليوم أرجوك»[7].

ويروى عن الحسن بن اللَّيث[8] رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «رأيتُ محمَّد بنَ محمَّد الرَّازي[9][10] في

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٣٣١/٥) ضمن موسوعته].

(٢) في (م) و(ي): (يذكروا).

(٣) زيادة من (ش) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) أخرج ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٣٣١/٥) ضمن موسوعته]، والبيهقي في شعب الإيمان (٣١٩/٢) عن إبراهيم النَّخعي أنه قال: «كانوا يَستحبُّون أنْ يُلَقِّنُوا العبدَ مَحَاسِنَ عملِهِ عند مَوتِهِ؛ لكَي يُحسِنَ ظَنَّه بربِّه».

(٥) في (ش) و(م): (شيئا عندك).

(٦) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولعل المصنف ذكر بالمعنى ما أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨٩/٨) عن إسحاق، قال: سَمعتُ الفضيل يقول: «الخوف أفضلُ مِن الرَّجاء مادام الرَّجلُ صحيحًا؛ فإذا نَزَلَ به الموت فالرَّجاءُ أفضل مِن الخوف. يقول: إذا كان في صحَّته مُحسِنًا عَظُمَ رجاؤُه عند الموت وحَسُنَ ظَنُّهُ، وإذا كان في صحَّته مُسِيئًا ساء ظنُّه عند الموت ولَم يَعْظُم رجاؤُه».

(٧) تقدم في (ص:٦٨).

(٨) الحَسَن بن أَحْمَد بن اللَّيْث، أَبُو الحَسَن الرَّازيّ، سَمِع إبراهيم بن موسى الحافظ، وعبد الله القواريري، وأقرانهما، وَروى عنه أبو الحسن القطان، وطائفة، وهو ثقة، توفي سنة ٢٨٧هـ. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/٣)، تاريخ الإسلام (٧٣٤/٦).

(٩) هكذا ورد الاسم في (ت)، ولعله تصحيف، وقد جاء في تاريخ بغداد: «محمد بن حميد الرازي ».

(١٠) محمد بن حُميد بن حيَّان، أبو عبد الله الرازي، مولده في حدود الستين ومئة، حدث عن ابن المبارك، والفضل بن موسى، وخلق كثير، وحدث عنه أبو داود، والترمذي، والقزويني في كتبهم، وأحمد بن حنبل، وخلق كثير، وهو مع إمامته منكر الحديث، صاحب عجائب، ولذلك تكلَّم بعض الأئمة فيه وضعّفوه، توفي سنة ٢٤٨هـ. انظر: تهذيب الكمال (٩٧/٢٥)، وسير أعلام النبلاء (٥٠٣/١١).

المنام، فقلت له: يا أبا عبد الله، ما فَعَل اللهُ بك؟ قال: غَفَرَ لي، قلتُ: بِمَ؟ قال: بِرَجَائي له مُنذُ ثمانين سنة»[1].

ودَخَل وَاثِلَة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رجلٍ فَوَجَدَه في الموت، فقال له: أخبِرْني كيفَ ظنُّكَ بالله تعالى؟ فقال[2] الرجل: أغرقتني ذنوبي، وأَشرَفَت [بي][3] على الهلَكة، ولكنْ أرجو رحمةَ الله تعالى، فكبَّرَ وَاثلَةُ وكبَّرَ أهلُ البيت لتكبيرِه، وقال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**قال اللهُ تعالى: أنا عندَ ظنِّ عبدي بي، فلْيَظنَّ بي ما شاء**»[4].

ويُروى أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ على شابٍّ وهو في الموت، فقال [له][5]: «كيفَ تَجِدُكَ؟»، قال: أرجو اللهَ يا رسول الله، وأخافُ ذنوبي، فقال رسول الله[6] ﷺ: «**لا يجتمِعَانِ في قَلْبِ عبدٍ في مثل هذا الموطنِ إلا أعطاهُ اللهُ ما[7] يَرجُو**،[٩٩/أ] **وأَمَّنَه مما[8] يَخاف**» خرجه الترمذي[9].

ورأى[10] بعضُ الصَّالحين رَحِمَهُ اللَّهُ الحسنَ بن هانئ بعد موتِه في النَّوم، فقال له: ما فَعَلَ

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٦٧/٣) في ترجمة محمد بن حميد.

(٢) في (م): (قال).

(٣) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥/ ٣٩٨) ح(١٦٠١٦)، وابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٣٢٧/٥) ضمن موسوعته] –والسياق له–، والبيهقي في شعب الإيمان (٣١٨/٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٤/٤) ح(١٦٦٣)، وصححه كذلك محققو المسند.

(٥) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (النبي).

(٧) في (ش) و(م): (الذي).

(٨) في (ش) و(م) و(ي): (الذي).

(٩) جامع الترمذي [كتاب الجنائز عن رسول الله ﷺ، ولم يبوِّب عليه] (ص:٢٣٤) ح(٩٨٣)، وأخرجه –أيضا– ابن ماجه في سننه [كتاب الزهد، باب ذِكر الموت والاستعداد له] (ص:٧٠٦) ح(٤٢٦١)، والنسائي في السنن الكبرى [كتاب اليوم والليلة، ما يقول المريض إذا قيل له: كيف تَجِدُك؟] (٣٩٠/٩) ح(١٠٨٣٤)، وجوَّد إسناده النووي في خلاصة الأحكام (٩٠٢/٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤١/٣) ح(١٠٥١).

(١٠) هذا الأثر ساقط من جميع النسخ عدا الأصل (ت).

اللهُ بك؟ فقال: غَفَرَ لي، قلتُ: بماذا؟ قال: بأربعةِ أبياتٍ قلتُهنَّ في طَيِّ فِرَاشي، فَمَشَى الرَّجل إلى دار الحسَن فالتمَسَها فَوَجَدَها، وهي:

يَـــا ربِّ إنْ عَظُمَـــتْ ذُنُـــوبي كثـــرةً ... فَلَقَـــد عَلِمْـــتُ بـــأنَّ عَفْـــوَكَ أعظَـــمُ

أدعُـــوكَ ربِّ كـــما أمـــرتَ تَضـــرُّعاً ... فـــإذا رَددتَ يَـــدِيْ فمَـــن ذَا يَـــرْحَمُ

إنْ كـــانَ لا يرجُـــوكَ إلا مُحسِـــنٌ ... فمَـــن ذا الـــذي يرجُـــو المسـيءُ المجـرِمُ

مـــاليْ إليـــكَ وســـيلةٌ إلا الرَّجَـــا ... وجميـــلُ ظنِّـــي ثـــمَّ إنِّي مُســـلِمُ[١]

وقال ثابتٌ البُنَانِي[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان شابٌّ به حِدَّة، وكانت أُمُّه تَعِظُهُ وتقولُ له: يا بُنَي، إنَّ لكَ يوماً فاذْكُرْ يَومَك، وإنَّ لكَ مَصْرَعاً فاذْكُرْ مَصْرَعَك، فلما نَزَلَ به أمرُ اللهِ أكبَّتْ عليه أُمُّه، فجَعَلَت [أمُّهُ][٣] تقول: يا بُنَي، قد كنتُ أُحذِّرُك مَصْرَعَكَ هذا، فقال لها: يا أُمَّة، إنَّ لي ربًّا كثيرَ المعروف، وإنِّي لأرجُو أنْ لا يُعذِّبَني بكرَمِهِ ورحمتِه، قال ثابتٌ: فمات فرَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بحُسْنِ ظنِّهِ بربِّه[٤]»[٥]، أَخبَرَ بذلك في النَّوم أو أُخْبِرَ به عنه.

وقال[٩٩/ب]جابر بنُ عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان شابٌّ به زَهْو[٦]، فَنَزَل به الموت، فقالت له أُمُّه: يا بُني، تُوصِي بشيء؟ قال: [نعم][٧]، خاتمي ادفنِينِي به؛ فإنَّ فيه ذِكْرَ الله تعالى، فلعلَّه يرحمُني[٨]، فلما دُفِنَ رُئِيَ في النَّوم[٩] ....

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٨/٤٧٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/٤٦٦).

(٢) ثابت بن أسلم، أبو محمد البُنَاني البصري، وبُنَانة هم بنو سَعد بن لؤي، ولد في خلافة معاوية، وحدث عن ابن عمر، وابن الزبير، وغيرهم، وعنه عطاء، وقتادة، وغيرهم، وهو من ثقات التابعين، قال أنس: (إنَّ للخير أهلا، وإن ثابتا هذا من مفاتيح الخير)، توفي سنة ١٢٣هـ، وقيل ١٢٧هـ، وله ٨٦ سنة. انظر: حلية الأولياء (٢/٣١٨)، والسير (٥/٢٢٠).

(٣) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) وردت العبارة في الزهد لأحمد (ص:٣٠٨) مختلفة حيث قال ثابت: «مات رَحِمَهُ اللَّهُ يُحسِّن ظَنَّه باللهِ في حالِهِ تِلْك».

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٠٨)، وابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/٣٢٨) ضمن موسوعته].

(٦) الزَّهْو: الكِبْر والتِّيه والفَخْر. لسان العرب (١٤/٣٦٠).

(٧) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) لا دليل على هذا الفعل ولم يرد في الكتاب والسنة ولا عن أصحاب رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والخير كل الخير في اتباعهم.

(٩) في (ش) و(ي): (المنام).

فقال: اخبرُوا أُمِّي أنَّ اللهَ قد غَفَرَ لي»[1].

وقال ذو النُّون المصرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان في جِوَارِي شابٌّ مُسرِفٌ على نفسِه، كثيرَ الخطايا، فمَرِضَ فَدَخَلْتُ عليه أعودُه، فإذا هو قد ماتَ وأوصَى أنْ يُكتَبَ على قبرِه بشيء[2][3]، فرأيتُه في منامي، فقلتُ له: ما فَعَلَ اللهُ بك؟ فقال: غَفَرَ لي، فقلتُ: بماذا؟ قال: فَكَّرْتُ في جُرْمِي وفي عَفْوِه؛ فرأيتُ عَفْوَهُ أكثرَ[4] مِن جُرْمِي»، قال ذو النُّون: «فلما أصبحتُ جِئتُ إلى قبرِه فإذا عليه مكتوب[5]:

رَبِّ جَـــــــرَّأَني عَلَيكـــــــا ... حُسْـــــنُ ظَنِّـــــيْ بِـــــكَ يَـــــا[6]

فَـــــــارْحَمِ اللَّهمَّ عَبْـــــــداً ... صَـــــارَ رَهْنـــــاً في يَـــــدَيكا»[7]

ويُروى عن بعض الصَّالحين قال: «قال مالِكُ بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيتُ مُسْلِمَ بنَ يسارٍ[8]

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله [(٣١٦/٢) ضمن موسوعته] عن «مُرَجَّى بن وداع»، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٣٢٦) عن «رجا بن وداع»، وأورده الغزالي في الإحياء (ص:١٨٤٦) عن جابر بن وداعة، ولعل الصواب في ذلك أنه «مرجى بن وداع» لأنه الوارد في كتب التراجم. انظر: تاريخ دمشق (٢٠٨/٥٧)، لسان الميزان (١٤/٦).

(٢) في (ش) و(م) و(ي): (شيء).

(٣) ثبت عن النبيِّ ﷺ النهي عن الكتابة على القبر كما أخرجه الترمذي في جامعه (ص:٢٤٩) ح(١٠٥٢) عن جابرٍ قال: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُجَصَّصَ القُبُورُ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهَا، وَأَنْ تُوطَأَ»، وصححه الألباني في الإرواء (٢٠٧/٣) ح(٧٥٧)، وقال الذهبي في تلخيص المستدرك (٥٢٥/١): «ولا نعلم صحابياً فعل ذلك، وإنما هو شيء أحدثه بعض التابعين فمن بعدهم، ولم يبلغهم النهي»، وذهب إلى تحريم الكتابة على القبور جماهير العلماء. انظر: المغني لابن قدامة (٤٣٩/٣)، والمجموع شرح المهذب للنووي (٢٦٦/٥)، وأحكام المقابر للسحيباني (ص:١٧٧).

(٤) في (ش) و(م): (أكبر).

(٥) في (ش) و(م) و(ي) زيادة: (شعر)، وهي غير موجودة في الأصل (ت).

(٦) ينبغي أن يُعلم الفرق بين حسن الظن بالله وبين الغرور، فإنّ حسن الظن بالله هو الذي يحمل على العمل، ويسوق العبد إليه، وأما إن دَعَا إلى البطالة والانهماك في المعاصي، فهو غرور. انظر: الداء والدواء لابن القيم (ص:٨٦).

(٧) لم أقف عليه.

(٨) مسلم بن يسار، أبو عبد الله البصري، مولى بني أمية، وقيل: بني تيم، من موالي طلحة، روى عن عدة من الصحابة، وقيل أن لأبيه صحبة، وحدث عنه ابن سيرين، وقتادة، وآخرون، تابعي جليل، قال ابن عون: (كان لا يفضل عليه أحد في زمانه)، توفي سنة ١٠٠هـ، وقيل ١٠١هـ. انظر: تاريخ دمشق (١٢٤/٥٨)، وسير أعلام النبلاء (٥١٠/٤).

فِي النَّوم بعد موتِه بسنة، فسلَّمْتُ عليه فلم يَرُدَّ عليَّ السَّلام، فقلتُ له: لِمَ لا تَرُدَّ [١٠٠/أ] عليَّ السَّلام؟ قال: وكيفَ أرُدُّ عليكَ السَّلام[١] وأنا ميِّت؟ فقلتُ له: وماذا لَقِيتَ بعدَ الموت؟ قال: ودَمَعَت عَينَا مالكٍ عند هذا القول، فقال: لَقِيتُ أهوالاً وزلازلَ وعَظَائِمَ وشَدائد، قال مالِكٌ: فقلتُ له: ما[٢] كان بعد ذلك[٣]؟ قال: وما تراهُ يكونُ من الكَريم إلا الكرم؟! قَبِلَ [مِنَّا][٤] الحسنات، وغَفَرَ لنا السيئات، وضَمِنَ عنَّا التَّبِعَات، كما كان حُسْنُ ظَنِّي [به][٥]، قال: ثمَّ شَهِقَ مالِكٌ شهقةً خَرَّ مَغشِياً عليه، فلَبِثَ في غَشْيَتِه أياماً مريضاً ثمَّ ماتَ من مرضِه ذلك، وكان يُقال إنَّ قَلْبَه انصَدَع»[٦].

ولولا حُسْنُ الظَّنِّ بالله ﷻ لهلَكَ الخَلْق.

وقال عبد الواحد بن زيد[٧] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان سببُ موتِ مالك بن دينارٍ هذه الرُّؤيا[٨]، سألتُه عنها، فَقَصَّهَا عليَّ، فَجَعَل يَشهَقُ ويضطَّرِبُ حتى ظننتُ أنَّ كَبِدَه قد تقَطَّعَتْ في جَوْفِه، ثمَّ هَدَأَ فحَمَلْنَاهُ إلى منزِله، فلم يَزَلْ مريضاً منها يُعَاد، حتَّى ماتَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٩].

---

(١) في (ش): (السلام عليك).

(٢) في (ش) و(م) و(ي): (فما).

(٣) في (ش): (الموت).

(٤) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات [(٢٢٠/٦) ضمن موسوعته]، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٤٥٢/١).

(٧) عبد الواحد بن زيد، أبو عُبيدة البَصريّ، روى عن الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وجماعة، وعنه وكيع، وأبو سُليمان الداراني، وجماعة، قال ابن حبان: (كان ممن غلب عليه العبادة حتى غفل عَن الإتقان فكثر المناكير فِي حديثه)، كان واعظا، وقد زل في مسائل في القدر، قيل أنه توفي سنة ١٧٧هـ، وضعّفه الذهبي وذكر أن وفاته قبل ١٥٠هـ. انظر: تاريخ دمشق (٢١٥/٣٧)، وتاريخ الإسلام (١٣٩/٤).

(٨) في (ش) و(م) و(ي): (وما كان سبب موت مالك بن دينار إلا هذه الرؤيا).

(٩) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات [(٢٢١/٦) ضمن موسوعته].

وقال أبو عُمَر الضَّرير[1]رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدَّثني سُهيل[2] -أخو حَزْم- قال: «رأيتُ مالِكَ بنَ دينارٍ[١٠٠/ب]في النَّوم بعد موتِه بسنة، فقلتُ له: أبا يحيى،[ماذا فعل الله بك؟][3]وماذا قَدِمْتَ به على الله تعالى[4]؟ فقال: قَدِمْتُ عليه بذنوبٍ كثيرةٍ فمَحَاها[5] حُسْنُ ظَنِّي به تبارك وتعالى»[6].

وقال عَمَّارُ بن سَيْفٍ[7] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رأيتُ الحسَنَ بنَ صالح[8] في منامي بعد موته، فقلتُ له: لقد كنتُ [متمنّياً][9] لِلِقائك، فماذا عندك؟ فأخبِرْنا[10] بما عندك؟ فقال: لم أرَ[11] شيئاً مثلَ حُسْنِ الظَّنِّ بالله تبارك وتعالى»[12]، وأنشدوا[13]:

---

(١) حفص بن عُمَر، أبو عمر الضرير الأكبر البَصريّ، روى عن بشر بن المفضل، وجرير بن حازم، وآخرون، وروى عنه أحمد بن حنبل، جماعة، قال ابن حبان: (كان من العلماء بالفرائض، والحساب، والشعر، وأيام الناس، والفقه، ولد وهو أعمى)، توفي سنة ٢٢٠هـ، وهو ابن نيف وسبعين سنة. انظر: الجرح والتعديل (١٨٣/٣)، تهذيب الكمال (٤٥/٧).

(٢) سُهيل بن أَبي حزم القُطَعِي، واسم أبيه مهران، وقيل: عبد الله، أبو بكر البَصريّ، أخو حزم بن أَبي حزم، روى عن ثابت البناني، ومالك بن دينار، ويونس بْن عُبَيد، وآخرون، وعنه ابن المبارك، وزيد بن الحباب وآخرون، وفاته قبل١٧٠هـ. انظر: تهذيب الكمال (٢١٧/١٢) تاريخ الإسلام (٤٠٣/٤).

(٣) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) في (ي): (قدمت به عليه).

(٥) في (ي): (محاها).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات [(٢٢١/٦) ضمن موسوعته].

(٧) عمار بن سيف الضبي، أَبُو عبد الرحمن الكوفي، وَصِيُّ سفيان الثوري، روى عنه، وعن عاصم الأحول، وآخرون، وروى عنه ابن المبارك، وأبو نعيم الفضل بن دكين، قَال أبو حاتم: (كان شيخا صالحا، وكان ضعيف الحديث)، وفاته قبل ١٧٠هـ. انظر: تهذيب الكمال (١٩٤/٢١)، وتاريخ الإسلام (٤٦٤/٤).

(٨) الحسن بن صالح بن بن حي، وهو حيَّان بن شُفَيِّ بن هُنَيِّ الهَمْدَانِي الثَّوريّ، أبو عبد الله الكوفي، ولد سنة ١٠٠هـ، روى عن أبيه، وسلمة بن كُهَيْل، وآخرون، وروى عنه ابن المبارك، ووكيع وجماعة، ومع ما كان عليه من الحفظ والعبادة إلا أنه كان يرى رأي الخوارج، توفي سنة ١٦٩هـ. انظر: تهذيب الكمال (٦/ ١٧٧)، وسير أعلام النبلاء (٣٦١/٧).

(٩) في الأصل (ت) كلمة غير واضحة، والمثبت من بقية النسخ (ش) و(م) و(ي).

(١٠) في (ش) و(م) و(ي): (أخبرنا).

(١١) في (ي): (يك).

(١٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات [(٢٢٥/٦) ضمن موسوعته].

(١٣) من هنا إلى نهاية الأبيات ساقط من جميع النسخ عد الأصل (ت).

أَحْسِــــنِ الظَّـــــنَّ بِــــرَبٍ لم يَـــزَلْ　　دَائــــمَ الإحسَـــــانِ بَـــرًّا لا يَمَـــلْ
مَـــن غَـــدَتْ نَعـــماؤُهُ في ذا الــوَرَى　　جُمَـــــلاً تُرْفَــــقُ في إِثْـــــرِ جُمَـــــلْ
وَسِــــعَ العـــالمَ فضـــلاً وجَـــدًا[1]　　مُرسِـلُ العَـزْلَاءِ[2] سَـحًّا[3] مُتَّصِـلْ
وإذا لم تُحسِـــــنِ الظَّـــــنَّ بِـــــهِ　　فَمَـــــنْ يُحَسِّــــنْهُ يَـــا ذَا الرَّجُـــلْ
وإذا لم تَرْجُــــــهُ مَــــــنْ يُرْتَجَــــى　　وإذا مَـــا لم تَسَــــلْهُ مَــــنْ تَسَــــلْ
فَلْتَطِــبْ نَفسَـــاً عَليــهِ ولَـــهُ الـــ　　ـمَثَلُ الأعــلى والاسْــنَى والأَجَـلْ

وقال أيضا:

أَحْسِـنِ الظَّـنَّ مـا اسـتَطَعْتَ بِرَبِّـكْ　　فالأمــــاني جُمِعـــنَ في حُسْــــنِ ظَنِّـــكْ
وإذا مَـــا أُصِـــبْتَ يومــــاً بِضُــــرٍّ　　فإليـــهِ اللَّجَـــأُ في كَشْـــفِ ضُرِّكْ [١٠١/أ]
وإذا مَـــا انتَحَـــاكَ[4] أمــرٌ عَسِــيرٌ　　فهــــو المرتَجَـــى لِتَيســـــيرِ أَمْـــرِكْ
وذنــــــوبٌ خَبَّــــأتَهُنَّ قــــدِيماً　　وحــــديثاً فَكَسَــــرَتْ عَظْــمَ ظَهْــرِكْ
تُــــبْ إليـــهِ والجَـــأْ مِنهـــا إليـــهِ　　فهـــو أدْنَـــى إليـك مِـن ذَاتِ نفسِـكْ
ودُمُـــوعُ الحــــزينِ لا تُمسِـــكْنَها　　وَلْتَـــدَعْهَا مَسَـــارِباً[5] تحــتَ نَحْــرِكْ
واقْـدَحَنَّ[6] في الضُّـلُوعِ نـارَ مَتَـابٍ　　فعَسَـــــاها تُميــــتُ نِــــيرَان رَوْعِـــكْ
وإذا مَـــــا تَعَاظَمَتْــــكَ ذُنــــوبٌ　　فاعتقـــادُ القُلُـــوبِ أعظـــمُ ذَنبِـــكْ

---

(١) الجَدّ: الحظّ والسَّعادة والغِنَى. لسان العرب (١٠٨/٣).

(٢) العَزْلاَء: في الأصل: مَصَبّ الماء من الرَّاوِية والقِرْبة، وأُطلق على السَّحابة إذا انهمَرَتْ بالمطر، فيُقال: قد حَلَّت عَزَالِيَها. انظر: تاج العروس (٤٦٧/٢٩).

(٣) السَّح. الصَّبّ المتتابع. انظر: المصدر السابق (٤٥٦/٦).

(٤) انتحاك: أي قَصَدَك. انظر: تاج العروس (٤١/٤٠).

(٥) المسارب مأخوذة من السَّرَب وهي القَنَاة التي يجري فيها الماء. انظر: المصدر السابق (٥٠/٣).

(٦) القَدْحُ: إشعالك النار بالعُود أو بالحجر، ويُقال للَّذي يُضرب فتَخرُج منه النَّار قدَّاحة. انظر: لسان العرب (٥٥٤/٢).

ومَرِضَ أعرابيٌ فقيل له: إنَّك تموت، قال[1]: «فإذا مِتُّ فأينَ يُذهبُ بي؟» فقالوا[2]: إلى الله تعالى، قال: «وما أَكرَهُ أن يُذهَبَ بي إلى مَن لا يرى خيراً[3] إلا مِن عنده»[4].

(١) في (ي): (فقال).

(٢) في (م) و(ي): (قال).

(٣) في (ي): (الخير).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٥/ ٣٣٠) ضمن موسوعته].

باب في الجنائز وفضل اتِّباعِها

ذَكَرَ البخاريُّ[١] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبيَّ[٢] ﷺ قال: «**مَن تَبِعَ جَنازةَ مُسلمٍ إيماناً واحتساباً وكان مَعَه حتَّى يُصلَّى عليها، ويُفرغَ مِن دَفنِها؛ فإنَّه يَرجع من الأجر بقِيراطين، كلّ قيراطٍ مثلُ أُحد، ومَن صلَّى عليها ثمَّ رَجَع قبل أن تُدفن[٣]؛ فإنَّه يَرجِع بقيراط**».

وذكر مُسلم[٤] عن ثَوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال [١٠١/ب] رسول الله ﷺ: «**مَن صَلَّى على جنازة، فله قيراط؛ فإنْ شَهِدَ دفنَها فله قيراطان؛ القيراطُ مثلُ أُحد**».

واعلمْ رحمك الله تعالى أنَّ في الجنائز عبرةً للمعتبرين، وفِكرةً للمتفكرين، وتنبيهاً للغافلين، وإيقاظاً للنائمين؛ بينا[٥] الإنسان في قيامٍ وقعود، ونزولٍ وصعود، وخُذْ هذا ودَعْ هذا[٦]، وابْنِ هذا واهدِمْ هذا، وقد كانَ وما كان، وأينَ ذَهَبَ فلانٌ ومِن أينَ جاء فلان، إذ جاءَه أمرٌ إلهيّ، وحادِثٌ سَماويّ، وحُكْمٌ ربَّاني، فسَكَّنَ حَركتَه، وأطفَأ شُعْلَتَه، وأذهَبَ نضَارَتَه[٧]، وتَرَكَه كالخَشَبة المُلقاة، والحجرِ المرمي؛ إنْ صِيْحَ به لم يَسْمَع، وإنْ دُعِيَ لم يُجِب، وإنْ قُطِّعَ أو أُحرِقَ[٨] لم يَتكلَّم، إنَّ ربَّك على ما يشاءُ قدير.

ولكنَّ حُبَّ الدُّنيا وحِجَاب الهوى الذي غَطَّى القُلُوب، وأَعْشَى[٩] البصائر، منَع[١٠] من الفِكْرَة في الجنائز، والاعتبارِ بها، فصَارت لا تزيدُ رؤيتها ولا مشاهدتُها إلا غَفلَة[١١]، حتَّى كأنَّ

---

(١) صحيح البخاري [كتاب الإيمان، باب اتِّباع الجنائز مِن الإيمان] (ص:٢٢) ح(٤٧).

(٢) في (ش) و(م) و(ي): (رسول الله).

(٣) في (م): (يُدفن)، وفي (ي): (الدفن).

(٤) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة] (١/ ٤٢١) ح(٩٤٦).

(٥) في (م) و(ي): (بينما).

(٦) في (ش): (وأخذ هذا أو دع هذا)، وفي (ي): (وأخذ هذا ودع هذا).

(٧) في (ش) و(م) و(ي): (نضرته).

(٨) في (ش) و(م) و(ي): (حُرِّق).

(٩) يقال: عَشَا عن الشيء يَعْشُو: ضَعُف بصره عنه. انظر: تاج العروس (٣٩/ ٥١).

(١٠) في (ش) و(م) و(ي): (يمنع).

(١١) في (ش): (لا تزيدُ رؤيتها إلا قسوة ولا مشاهدتُها إلا غَفلَة)، وفي (م) و(ي) كذلك إلا أن (غفلة) جاءت قبل (قسوة).

الميِّت إنَّما هو نائمٌ يستيقظُ[1] بعد ساعة، ويَهُبُّ عن قريب، وكأنَّ[2] الذي يراها لا يكونُ مثلها، ولا يَدخُل مدخلَها، وأنَّ ذلك الميِّت نَزَلَ به الموتُ[3] [١٠٢/أ] وحدَه، وإيَّاهُ قَصَدَ خاصَّة.

نعم، يَعلم الإنسانُ منَّا أنَّهُ سيموتُ كما ماتَ هذا، وتُشيَّعُ جنازتَه كما شُيِّعَتْ جنازة هذا، وربَّما مات بحيثُ لا تُشيَّعُ[4] له جنازة[5]، ولا توارَى[6] له جُثَّة، ولكنْ لا يَظُنُّ ذلك عن قريب، ولا يَحسبُ أنَّه منه[7] غيرُ بعيد، قد فَسَحَ لنفسه في المدَّة، ومَدَّ لها في المُهلَة، وحَكَمَ أنَّه لا يموتُ إلا بعد سِنين، وإنْ قالَ: ربَّما أموتُ اليومَ أو غدا! فقولٌ ضعيفٌ لا يَتحرَّكُ منه بسببه سَاكِن، ولا يَظهرُ منه عليه[8] أثرٌ[9]؛ لأنَّه عند رُؤية الجنازة كما كَان قَبل أنْ يَرَاها!

وربَّما تحدَّثَ[10] بحديثه الذي [كان][11] يتحدَّث، والميِّت يُدفن أو هو وراءه يُشيِّعُه إلى قبرِه، وإنْ جاءَه ضَحِكٌ ضَحَكَ، وإنْ حَضَرَهُ نَادِرٌ[12] من لغوِ الكلامِ تَكَلَّمَ به، وأَودَعَه صحيفتَه، وبَعَثَ به إلى ربِّه!

وقلَّما يَبكِي على الجنائز[13] إلا أهلُها تألُّما لفراقِها لا لنفس الموت؛ كبكاء الصَّبيّ والمرأة

---

(١) في (ش) و(م): (فيستيقظ).

(٢) في (ش) و(ي): (أو كأن).

(٣) في (ش) و(م) و(ي): (الميت به نزل ملك الموت).

(٤) في (ي): (لا يشيع).

(٥) في (م) و(ي): (جنازته).

(٦) في (ي): (ولا يوارى).

(٧) في (ي): (منه أنه).

(٨) في (ش) و(م) و(ي): (عليه منه).

(٩) في (ي): (أثر نازل).

(١٠) في (ي): (يحدث).

(١١) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١٢) في (م): (نادرة).

(١٣) في (ي): (الجنازة).

اللذينِ لا يَعقلانِ ولا يَعلمان، ولو كانوا يعلمونَ لكان بكاؤُهم على أنفسِهم لا على ميِّتِهم؛ لأنَّ ميِّتَهم قد مات، وهم يَنتظرون الموت، وأنشد(١)(٢) بعضهم [١٠٢/ب]:

أعـــاذل حتَّـــام(٣) تَعـــذِليني إنْ لم تُعِينِينـــيْ [فـ]ـــاترُكِيني(٤)
لُـــومي بـــما شِـئتِ مِـــنْ مَـــلامٍ وَوَبِّخِينـــــــي وفَنِّـــــــدِينِي
غـــيرَ بُكـــائِي فَعنْـــهُ عَـــدِّي وعَـــن عَـــوِيلِي وعَـــن أنينِـــيْ
وعَـــن ضُـــلُوعي تَفُـــورُ نـــاراً تَأكُـــلُ مِنِّـــي عَـــدَى الـــوَتِينِي(٥)
واســـترحمي لي بـــرًّا رحـــيماً يُســـرِع في ســـببه المُعـــينِ
ولا تَظُنِّـــي بـــأنَّ حُـــزْنِي وَسُـــقْمَ جِسْـــمِي ومَـــا تَرَيْنِـــي
آثَـــار ذَاكُـــمْ إنْ مَـــات مَيْـــتٌ قـــد كـــانَ دُنيَـــايَ ذَا ودِيـــنِ
تَرَكْتُـــهُ في القُبُـــورِ فَـــرْدَا وَحَيَيْـــتُ في دَمعِـــهِ الحـــزِينِ
لا وَالـــذي جُـــودُه يُرجَـــى كـــلَّ أوانٍ وكـــلَّ حِـــينِ
مَـــا أنَـــا بـــاكٍ إلا لِنَفْسِـــي لا لِقَريـــبٍ ولا خَـــدِينِ
وَمَصْـــرَعٌ لِلمَنُـــونِ ضَـــيقٌ أُتَـــلُّ(٦) فيـــهِ عـــلى الجَبـــينِ
أُؤْخَـــذُ فيـــه مِـــنْ كُـــلِّ أُفْـــقٍ أَخْـــذَ شـــديدِ القُـــوى مَتـــينِ
فمِـــن أَمَـــامي ومِـــن وَرَائِـــي وعَـــن شِـــمالي وعَـــن يَمينـــي
وفـــوقَ رأسِي معـــا وتحتِـــي مِـــن حيـــثُ مـــا زُغْـــتُ(٧) يَلْتَقِينـــي
ولا احتيـــالٌ ولا افتـــداءُ لا برفيـــعِ ولا بـــدونِ [١٠٣/أ]

---

(١) من هنا إلى نهاية الأبيات ساقط من (ش) و(م).

(٢) في (ي): (وأنشدوا).

(٣) حَتَّامَ: أَصلُه (حَتَّى مَا)، فَحُذِفَت ألف (ما) للاستفهام. لسان العرب (٢/ ٢٤).

(٤) زيادة الفاء من (ي).

(٥) الوَتِين: عِرْقٌ في القلبِ إذا انقَطَعَ مات صاحبه. تاج العروس (٣٦/٢٣٨).

(٦) أُتَلُّ: أي أُصرَعُ، ويُسقَط بي. انظر: القاموس المحيط (ص:٩٧٠).

(٧) مأخوذ من الزَّيْغ: وهو الميل والعدول. انظر: لسان العرب (٨/ ٤٣٢).

فَخَلِّنِــــي عَــــاذِلِي وشَــــأني   فلــيسَ شــأني مِــن ذي الشُّــؤونِ

وكان سليمان التَّيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا كان في الحيِّ جنازة لم يَنَم تِلك اللَّيلة[١].

واعلمْ أنَّ الجنازةَ تمرُّ بالإنسانِ ولا يَدرِي مآلها، ولا يَتبيَّن حقيقةَ مصيرِها، وإنَّما يُرجى لها بِحَسبِ ما ظَهَرَ منها مِن الطَّاعات، ويُخافُ عليها بِحَسب ما بَدَا منها من المخالفات، وإنَّ لها لكلاماً لو سَمِعَه الإنسانُ لانْصَدَعَ له حِجَابُ قَلْبِه، وشَغَلَهُ[٢] عن بَنِيهِ وأهله، بل أَذهَلَهُ عن النَّظَر في خاصَّةِ نفسِه.

ذَكَرَ البُخاريُّ[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن حديث أبي سعيد الخُدريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسُول الله ﷺ: «**إذا وُضِعَت الجنازةُ فاحتَمَلَها الرِّجَال على أعناقهم؛ فإنْ كانت صالحةً قالت: قَدِّمُوني، وإنْ كانت غيرَ صالحةٍ قالت: يا وَيلها أينَ يذهبون[٤] بي؟! يَسمعُ صوتَها كلُّ شيءٍ إلا الإنسان، ولو سَمِعَها الإنسانُ لَصُعِق**».

وهما ميِّتانِ: فميِّتٌ يَسْتَرِيحُ مِن تَعَبِ[٥] هذه الدَّار، ويُفْضِي إلى راحةِ دَارِ القَرار، وميِّتٌ يَستريحُ منه البلاد والعِبَاد[٦]، ويُفْضِي إلى سُوء [١٠٣/ب] المصير، وبئسَ المهاد؛ ذَكَرَ أبو قتادةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: مُرَّ على النبيِّ[٧] ﷺ بجنازةٍ فقال: «**مُستَرِيحٌ ومُستَرَاحٌ[٨] منه**»، فقالوا: يا رسول الله، ما المستريحُ وما المُستراحُ منه؟ فقال: «**العَبدُ المؤمن يَستريحُ من نصب الدُّنيا وأذاها[٩]**

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور [(٤/ ٥٣٠) ضمن موسوعته].

(٢) في (م): (ويشغله).

(٣) صحيح البخاري [كتاب الجنائز، باب قول الميت وهو على الجنازة: قدموني] (ص:٣١٨) ح(١٣١٦).

(٤) في (ي): (يا ويلتا)، ولفظ البخاري: (يا ويلها أين يذهبون بها).

(٥) في (م): (نصب).

(٦) في (ش): (العباد والبلاد).

(٧) في (ش) و(م) و(ي): (رسول الله).

(٨) في (ت): (أو مستراح)، والمثبت من النسخ الثلاث الأخرى وهو الموافق لما في الصحيحين.

(٩) في (ت): (أذى الدنيا ونصبها)، والمثبت من النسخ الثلاث وهو الموافق لما في الصحيحين إلا أن في (م) و(ي): (تعب) بدلا من (نصب).

إلى رحمة الله، والعَبدُ الفَاجِرُ يَستريحُ منه العباد والبلادُ[1] **والشَّجَر والدَّوَاب**»، ذكر هذا الحديثَ مُسلِمُ بن الحجَّاج[2] وغيرُه[3].

وربَّما يكونُ مِنَّا مَن يَهتزُّ عندَ رُؤيةِ الجنازة، ويَرْتَاعُ عند مُشاهدتها، ثمَّ لا يَلْبَثُ أنْ يَعُودَ إلى حالِهِ إلا بمقدار ما يكونُ بين يَديه أو ساعةٍ تمرُّ عليه.

ويُروى عن [أبي][4] عَمْرو بن العَلاء رَحِمَهُ اللَّهُ[5] قال: «جَلَسْتُ إلى جَريرٍ وهو يُمْلِي على كاتبِه شِعْراً، فاطلعت جنازة فأَمْسَك، وقال: شَيَّبتنِي واللهِ هذه الجنائز[6]!»[7]، وأنشأَ يقول:

تُرَوِّعُنَـــا الجنَـــائزُ مُقـــبِلاتٍ ... وَنَلْهُـــو حـــينَ تَـــذْهَبُ مُـــدْبِرَاتِ
كَرَوْعَـــةِ ثَلَّـــةٍ[8] لِـــمَغَارِ ذِئْـــبٍ ... فَلَـــما غَـــابَ عَـــادَتْ رَاتِعَـــاتِ[9]

وكأنَّ هذا الغَافِل البائِس[10] لم يَسمَعْ بِرَجُل قد شَيَّعَ جنازةً ثمَّ ماتَ المُشيِّعُ بعدَ جُمُعة، [أو أقلَّ من جمعة][11]، وربَّما كان بعدَ يومٍ واحدٍ أو أقلَّ مِن يوم [واحد][12] [١٠٤/أ] أو كأنَّه لم يَعلَم أنَّ هذا الميِّتَ كان طويلَ الأمل، مُمتدَّ الرَّجاء، يَطمَع في العَيْش، ويحرِصُ على البقاء، حتَّى

---

(١) في (ش): (البلاد والعِبَاد).

(٢) صحيح مسلم [كتب الجنائز، باب ما جاء في مُستريح ومُستراح منه] (٤٢٣/١) ح(٩٥٠).

(٣) صحيح البخاري [كتاب الرقاق، باب سكرات الموت] (ص:١٦١٩) ح(٦٥١٢).

(٤) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) في (ي): (أبي أمامة الباهلي).

(٦) في (م): (الجنازة).

(٧) أوردها الغزالي في الإحياء (ص:١٨٦٦).

(٨) الثَّلَّة: جماعة الغَنَم. لسان العرب (٨٩/١١).

(٩) نُسبت هذه الأبيات لجرير كما عند الغزالي والمصنّف، ونُسِبت لعروة بن أذينة كما في المجالسة وجواهر العلم (٢٧٧/٣)، وتاريخ دمشق (٢٠٠/٤٠)، وغيرهما، ونسبت لحسين بن عبدالرحمن كما في القبور لابن أبي الدنيا [(٥٢٨/٤) ضمن موسوعته].

(١٠) في (ش) و(م) و(ي): (البائس الغافل).

(١١) زيادة من (ش) و(م)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١٢) زيادة من (ش) و(م)، غير موجودة في الأصل (ت).

هَجَمَ عليه مَلَكُ الموتِ في الوقت الذي لم يَكُن يَظُنُّ به، وقام معه من[1] المكان الذي لم يَكُن يحسبُه، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وقد كان السَّلَف الصَّالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بخلاف هذا؛ كانوا إذا رَأوا الجنازَةَ نَظَرُوا إليها نَظَرَ المعتبرين، وتَكلَّموا عندَها بكلام الموفَّقِين[2]، وكانوا يقولونَ القولَ ويَعملُون بمُقتضاه، وسأذكُر لك من كلامهم، وأحكي لك من أقوالِهم ما أمكنني، لعلَّه يُحرِّكُ منك ساكنا، ويُوقِظُ[3] منك نائما، واللهُ المستعان، وعليه التُّكلان، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يُروى عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه كان إذا رأى جنازةً قال: «امْضِ ونحنُ على إِثْرِك»[4].

وكان[5] مكحولٌ الدِّمشقي رَحِمَهُ اللَّهُ إذا رأى جنازةً قال: «اغْدُ؛ فإنَّا رائحون! مَوعظةٌ بليغة، وغفلةٌ سريعة، يذهبُ الأولُ والآخرُ لا عقلَ له!»[6].

ومَرَّت بالحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ [١٠٤/ب] جنازةٌ فقال: «يا لها مِن مَوعظة! ما أَبلَغَها وأَسْرَعَ نِسيانَها، يا لها موعظة! لو وَافَقَتْ مِن القُلُوب حياة!»، ثمَّ قال: «[يا غفلةً شامِلَةً للقومِ، كأنَّهم يرونَها في النَّوم][7]، مَيْتُ غَدٍ يَدفِنُ مَيْتَ اليومِ»[8].

---

(١) في (م): (في).

(٢) في (م): (الموقنين).

(٣) في (م): (أو يوقظ).

(٤) أخرجه هناد بن السري في الزهد (١/ ٢٩٠).

(٥) هذا الأثر ساقط من (ش).

(٦) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٨٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٧/ ٣٧٩)، كلاهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولعل المصنّف تبع الغزالي في نسبته لمكحول كما في الإحياء (ص:١٨٦٦).

(٧) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) لم أقف عليه بهذا اللفظ والسياق، وقد أخرج البيهقي في الزهد الكبير (ص:٢١٧) عن الحَسَن أنَّه قال: «إنَّ هذا الموتَ فَضَحَ الدُّنيا ولم يَدَع لذي لُبٍّ فَرَحًا، يَا لَهَا مِن مَوعِظَةٍ لو وَافَقَت مِن القُلُوبِ حَيَاة»، وأورد ابن الجوزي في آداب الحسن البصري (ص:٨٠) عن الحسَن أنَّه صلى على جنازةٍ، ثمَّ مَشَى إلى القبر، ثم قال: «يا لها موعظةً وعظ بها عباد الله، لو وافقت قلباً حياً، ولكن لا حياة للقلوب».

وقال أسيد بن حضير[1]: «ما شَهِدْتُ جنازةً وحَدَّثتُ نفسي بشيءٍ سِوَى ما يُفعلُ بالميِّت ومَا هو صَائِرٌ إليه؟!»[2].

ولما ماتَ أخو مالك بن دينارٍ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ خَرَجَ مالكٌ في جنازتِه، فَوَقَفَ على قبره وبَكَى، ثمَّ قال: «واللهِ يا أَخِي لا تَقَرُّ عيني بَعدَك حتَّى أعلمَ [إلى][3] ما صِرْتَ إليه! ولا واللهِ لا أعلمُ ذلك ما دُمْتُ حيّا»[4].

وقال الأعمش رَحِمَهُٱللَّهُ: «كُنَّا نَشهدُ الجنازةَ فلا نعرِفُ[5] مَن المُعَزَّى فيها؛ لكثرة الباكين، وإنَّما كان بكاؤُهم على أنفسِهم لا على الميِّت»[6].

وقال[7] ثابِتٌ البُنَاني رَحِمَهُٱللَّهُ: «كُنا نَشهدُ الجنازةَ فلا نَرَى إلا بَاكيا»[8].

وقال إبراهيم النَّخَعي رَحِمَهُٱللَّهُ: «إنْ كانوا ليَشهدون الجنازةَ فيُرَى ذلك فيهم أيَّاما، كان يُرى فيهم الفِكْرَة في الموتِ وفي حال الميِّت»[9].

---

(١) في (ش): (الحضير).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٨٢)، وأحمد في مسنده (٣١/ ٤٣٩).

(٣) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) أورده ابن عبد ربه في العقد الفريد (٣/ ٢٥٨)، والغزالي في الإحياء (ص:١٨٦٦).

(٥) في (ش): (فلا ندري)، وفي (ي): (ولا يدرى).

(٦) أخرجه وكيع في الزهد (٢/ ٤٦٠)، وأحمد في الزهد (ص:٣٦٥).

(٧) هذا الأثر والذي يليه سقطا من (ش) و(م).

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩/ ٤٩٦)، وابن أبي الدنيا في القبور [(٤/ ٥٢٤) ضمن موسوعته].

(٩) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٨٣)، ووكيع في الزهد (٢/ ٤٦٠)، وأحمد في الزهد (ص:٣٦٥).

وقال مُطَرِّفُ بن عبد الله بن الشِّخِّير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبيه أنَّه كان يَلقَى الرَّجل [١٠٥/أ] في الجنازة مِن خاصَّة إخوانِه قد بَعُدَ عهدُه به، فما يَزيدُه على التسّليم[١] حتَّى يَظُنَّ الرَّجلُ أنَّ في صدرِه [عليه][٢] مَوجِدَة![٣] كلُّ ذلك انشغالاً[٤] بالجنازة، وتَفكُّراً[٥] فيها وفي مصيرِها، حتَّى إذا فَرَغَ مِن الجنازة لَقِيَه وسَأَلَه ولاطَفَه، وكان في[٦] أحسنَ مَا عَهِد[٧].

ورأى عبدُ الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صاحب رسول الله[٨] ﷺ رجلاً يَضحَكُ في جنازةٍ فقال: «وتَضْحَكُ[٩] وأنتَ في جنازة؟! واللهِ لا أُكلِّمُك أبدا»[١٠].

وفي الخبر: «**إنَّ اللهَ كَرِهَ[١١] لكم ثلاثاً: العَبَث في الصَّلاة، والرَّفَث في الصِّيام[١٢]، والضَّحِك عندَ المقابِر**»[١٣].

---

(١) في (ي): (السلام).

(٢) زيادة من (ش) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) المَوْجِدَة: الغضب. انظر: القاموس المحيط (ص:٣٢٤).

(٤) في (ش) و(م): (اشتغالا)، وفي (ي): (لانشغاله).

(٥) في (ي): (وتفكره).

(٦) في (ش) و(ي): (منه).

(٧) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٨٣/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣٢/٥٨) كلاهما عن مطرِّف نفسه، حيث أخرجاه عن بُدَيْلٍ، قال: «كان مُطَرِّفٌ يَلقَى الرَّجلَ مِن خَاصَّة إخوانه في الجنازة، فعسى أنْ يكون غائبًا، فما يَزِيدُه على التَّسليم، ثمَّ يُعرِض، اشتغالاً بما هو فِيه».

(٨) في (ش) و(م): (النبي).

(٩) في (ش) و(ي): (أتضحك).

(١٠) أخرجه وكيع في الزهد (٤٦١/٢)، وأحمد في الزهد (ص:١٦١).

(١١) في (ش) و(م) و(ي): (يكره).

(١٢) في (ي): (الصوم).

(١٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٥٤٣/١)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٨٢/٧).

ولما مات ذَرُّ بنُ عُمَر بن ذَر[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَوُضِعَ في قبرِه قال أبوه عُمَر[2]: «يا ذَرْ، لقد شَغَلَنا الحزنُ لك عن الحزنِ عليك، فليتَ شِعْرِي ماذا قلتَ وماذا قِيلَ لك؟!»، ثمَّ قال: «اللّٰهمَّ إنَّ هذا وَلدي ذَر[3] مَتَّعْتَني به ما مَتَّعْتَني، ووفَّيْتَهُ[4] أجلَه ورِزْقَه ولم تُنْقِصْهُ حقَّه، اللّٰهمَّ وقد كنتَ ألزمتَه طاعتَك وطاعتِي[5]، وإنِّي قد وَهبتُ له ما فَرَّط فيه من طاعتِي، فَهَبْ له ما فَرَّطَ فيه من طاعتِك، اللّٰهمَّ وما وعدتَني عليه من الأجر [١٠٥/ب] في مصيبتي، فقد وهبتُ ذلكَ له فَهَبْ لي عذابَه[6]، ولا تُعذِّبْهُ وأنتَ أجودُ الأجودين، وأكرم الأكرمين»، قال: فأبكَى النَّاسَ ثمَّ قال عند انصرافِه: «يا ذَر، ما علينا بعدَكَ مِن خَصَاصَة[7]، وما بنا مع الله إلى إنسان مِن حَاجة، يا ذَر، مَضَينا وتركنَاك، ولو أَقمنَا [عندك][8] ما نَفَعناك»[9].

ألا تَرَى إلى هذا لم يَشْغَلْهُ الحزنُ بولدِه وثَمرة كَبِدِه عن الحزنِ بما قالَ وما[10] قيلَ له؛ لأنَّهم إنَّما كانوا يُقدِّمون الأهمَّ فالأهم، ويبدأون بالأعظمِ فالأعظم.

ويُروى عن الأصمعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «حَجَّت امرأةٌ من العربِ ومعها ابنٌ لها، فأُصِيبَت به، فلما دُفِنَ قامَت على قبرِه وهي مُوجَعة فقالت: يا بُنيّ، والله لقد غَذَوتُك رَضيعاً، وفَقدْتُك

---

(١) لم أقف على ترجمة مستقلة له، وإنما تُذكر هذه القصة في ترجمة والده.

(٢) عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة، أبو ذر الهمداني، ثم المُرهِبي الكوفي، حَدَّث عن أبيه، ومجاهد، وابن جبير، وطائفة، وروى عنه ابن المبارك، ووكيع، وغيرهم، ولم يكن مكثرا من الرواية، له نحو ثلاثين حديثا، ومع صدقه وتوثيق بعض الأئمة له إلا أنه كان يرى الإرجاء، توفي سنة ١٥٦هـ. انظر: تاريخ دمشق (١٣/٤٥)، سير أعلام النبلاء (٣٨٥/٦).

(٣) في (ش): (ذرا).

(٤) في (ي): (فوفيته).

(٥) في (ش) و(م): (طاعتي وطاعتك).

(٦) هذا من الاعتداء في الدعاء؛ فإن الله لا يؤاخذ بالذنب إلا من فعله، فمن الاعتداء أنْ يسأل العبدُ ما لم يكُن الرَّبُّ ليَفعلَه. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣٠/١)، (٢٢/١٥)، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٢٩٨).

(٧) الخصاصة: أصلها الفَقر والحاجة إلى الشَّيء. لسان العرب (٢٥/٧).

(٨) زيادة من (م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٩) أخرجه أحمد في الزهد (ص: ٣٥٦) مختصرا، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠٨/٥) بتمامه.

(١٠) في (ش) و(م) و(ي): (وبما).

سريعاً، ولم[1] يَكُن بين الحالتين مُدَّة ألتذُّ فيها بعَيْشِك، وأتمتَّعُ فيها بالنَّظَرِ إلى وجهك[2]، [وبَقِيتُ مدَّةً أتذكَّرُك فيها، وأذُوب فيها بالحزن عليك][3]، ثمَّ قالت: اللّهمَّ مِنك العَدل، ومِن خُلُقِكَ الجود، اللّهمَّ وهبتَني قُرَّةَ عينٍ فَلَم تُمَتِّعنِي به كثيراً، بل سَلَبْتَنِيه[4] وَشِيكاً، ثمَّ أمرتَني بالصَّبر[5]، ووعدتني عليه الأجرَ فصدَّقتُ وعدَك، ورَضِيتُ قضاءَك، اللّهمَّ ارحَمْ غُرْبَته [١٠٦/أ]، واستُرْ عورتَه يومَ تُكشِفُ العورات، وتَظهر السوآت، ورَحِمَ[6] الله من تَرحَّمَ على من استودعْتُه الرَّدْم[7]، ووسَّدته الثَّرَى، فلما أرادَت الخروجَ إلى أهلها وَقَفَت على قبرِه وقالت: أيْ بُنَي، [إنِّي][8] قد تَزوَّدْتُ [من الدُّنيا][9] لسَفَري، فيا ليتَ شِعْري ما زادُك لسَفَرك ويوم معادك؟! اللّهمَّ إنِّي أسألُك رضَاك[10] له برضاي عنه، ثمَّ قالت: استودِعُك مَن استودعَنِيكَ جَنيناً في الأحْشَاء، وأذاقني عليك غُصَّة الثَّكْلَى [11]، ثمَّ قالت: واثُكل الوالدات! ما أقلَّ أُنْسَهُنَّ وأشدَّ وَحشتَهُنَّ! ثمَّ صَلَّتْ على[12] قبرِه رَكَعَاتٍ[13] وانصرفت[14].

---

(١) في (ي): (وكأن لم يكن).

(٢) في (ش) و(م): (بالنظر إليك).

(٣) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) في (ي): (سلبته).

(٥) في (ي): (عليه بالصبر)، وفي (ش): (بالصبر عليه).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (فرحم).

(٧) الرَّدْم: السّد أو مَا جُعِل بعضُه على بعض. تاج العروس (٣٢/٢٤٢).

(٨) زيادة من (ش)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٩) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١٠) في (ش) و(م) و(ي): (الرضى).

(١١) من الثُّكْل وهو الموت والهلاك وفقدان الحبيب والولد. انظر: تاج العروس (٢٨/١٦١).

(١٢) في (م): (عند).

(١٣) هكذا في الأصل! وليست صلاةً على الميت، لأن الصلاة على الميت لا ركوع فيها! وأما الصلاة للتبرك ونحوه فلا تجوز؛ ومن اعتقد أن الصلاة عند القبور فيها فضيلة أو أنه ينبغي أن يُقصَد الصلاة عندها وأن في ذلك أجرًا، فهو مخطئٌ ضالّ باتفاقِ أئمة المسلمين. انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٣/١٢١)، والاقتضاء له رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/١٩٣).

(١٤) أورده أبو إسحاق القيرواني في زهر الآداب وثمر الألباب (٢/٤٥٩).

ولعلَّكَ[1] يا هذا ممن يُلْبِسُ النَّعْشَ[2] الثِّياب الملوَّنة، ويجعلُ عليه الأَردية المصبغة، ويُحلِّيه الحِلْيَة المبيضة، ويُخرِجُه كالفتاة المُحَلَّاة، والعَروس المُجلَّاة[3]، ولا يَتفكَّرُ في مَيِّتِه هل كُسِيَ أثوابَ الحرير أو قَطِران السَّعير؟!

وإنَّهُ لموضِع الفِكْرَة، وإرسال العَبْرَة، وإطالة العَويل والحسْرَة، وأنشدوا:

وأَلبَسُوا النَّعْشَ أثواباً مُلوَّنَةً ... مِثْلَ العَرُوسِ تُقامُ عندَ جَلْوَتِها
مِثْلَ العَرُوسِ تُنَصُّ في مِنَصَّتِها[4] ... لِتَسْتَمِيلَ القُلُوبَ زِينَتُهَا [١٠٦/ب]
وفِيهِ مَيْتٌ أزالَ اللهُ نَضْرَتَهُ ... كالأرضِ قد زَالَ عنها ثَوْبُ نَضْرَتِها
وشَيَّعُوهُ جماعاتٍ تَطُوفُ بِهِ ... يَغشَى العيونَ بِمَرآهَا وكثرَتِها
مِن بينِ باكٍ يَكُفُّ فَيْضَ دَمْعَتِهِ ... وبينَ صارِخَةٍ تُعْدِيْ بِصَرْخَتِها
حتَّى أَتَوا حُفَراً إزاءَ بَلْدَتِهم ... فَغَادَرُوهُ بها رَهْينَ وَحْشَتِها
ومَا دَرَوا هَلْ تَلَقَّتْهُ بِنَفْحَتِها ... دارُ المُقَامَةِ أو لَظَى بِلَفْحَتِها
ثُمَّ انْثَنَوا نحوَ أموالٍ قَد أَحرَزَها ... للنائباتِ فَحَازُوا بِجُملَتِها
وذاكُم البائِسُ المغرورُ مَا دَفَعَتْ ... عَنه القَضَاءَ ولا اسْتَشْفَى بِلَذَّتِها
لكنْ تَحَمَّلَ منها كلَّ فادِحَةٍ ... مِن الكَبائِرِ لا يَقوَى لِعِدَّتِها
ومَنْ تَرفعه الدُّنيا وتُسْعِفُهُ ... وهو المحير مَغمورٌ بِحَسْرَتِها
فما بَكَتْهُ السَّماءُ والأرضُ حينَ مَضَى ... ولا الرِّياضُ نَضَتْ[5] أثوابَ زَهْرَتِها

---

(١) من هنا إلى نهاية الفصل ساقط من جميع النسخ عدا الأصل (ت).

(٢) النَّعْش: سَرير الميِّت، سُمِّي بذلك لارتفاعه. انظر: لسان العرب (٦/ ٣٥٥).

(٣) يقال: جَلَوْتُ العروسَ جِلاءً وجَلْوَةً إذا نظرت إليها مَجْلُوّةً مُزيَّنة. انظر: المصدر السابق (١٤/ ١٥٢).

(٤) المِنَصَّة: مَا تقعد عَليه العروسُ لتُرَى. انظر: القاموس المحيط (ص:٦٣٢).

(٥) نضَت أي ألْقَت. انظر: لسان العرب (١٥/ ٣٢٩).

بابٌ في الثناء الحسن على الميت والثناء السوء

ذكر مُسلم بن الحجَّاج[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن حديث أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: مُرَّ بِجنازةٍ فأُثْنِيَ عليها خيراً، فقال نبيُّ الله ﷺ: «**وَجَبَت، وَجَبَت، وَجَبَت**»، ومُرَّ بجنازةٍ فأُثْنِيَ عليها شرًّا، فقال نبيُّ الله ﷺ: «**وَجَبَت، وَجَبَت، وَجَبَت**»، فقال [١٠٧/أ] عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فِدَاكَ أبي وأمِّي، مُرَّ بجنازةٍ فأُثْنِيَ عليها خيراً، فقلت: وَجَبَت، وَجَبَت، وَجَبَت، ومُرَّ بجنازةٍ فأُثْنِيَ عليها شرًّا، فقلت: وَجَبَت، وَجَبَت، وَجَبَت، فقال رسول الله ﷺ: «**مَن أَثْنيتُم عليه خيراً وَجَبَت لهُ الجنَّة، ومن أَثْنيتُم عليه شرًّا وَجَبَت لهُ النَّار، أنتُم شُهداءُ اللهِ في الأرض، أنتُم شُهداءُ اللهِ في الأرض، أنتُم شُهداءُ اللهِ في الأرض**»، وفي بعض طرق البخاري[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقيل يا رسول الله، قلتَ لهذا: وَجَبَت، ولهذا: وَجَبَت، قال: «**[شهادة]**[3] **القوم المؤمنون شُهداءُ اللهِ في الأرض**»، وفي بعض طرق البخاري[4] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال النبيُّ ﷺ: «**مَن شَهِدَ له أربعةٌ بخيرٍ أَدخَلَهُ اللهُ الجنَّة**»، قلنا[5]: وثلاثة؟ قال: «**وثلاثة**»، قلنا: واثنان؟ قال: «**واثنان**»، ولم[6] نسأله عن واحد.

وهذا الحديثُ مخصُوص، والله أعلم، والذي قَبلَه يُعطِي العُمُوم، وأنَّ مَنْ كَثُرَت شهودُه وانطلقَت أَلسِنة المسلمين فيه بالخيرِ والثَّناء الصَّالح كانت له الجنَّةُ والله أعلم.

وغيرُ مُستنكرٍ إذا أحبَّ اللهُ عبداً أنْ يُلقِي على ألسِنة [١٠٧/ب] المسلمينَ الثَّناء عليه، وفي قُلُوبِهم المحبَّة له، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[7].

---

(١) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب من أثنى عليه المؤمنون بالخير أو بالشر] (٤٢٢/١) ح(٩٤٩).

(٢) صحيح البخاري [كتاب الشهادات، باب كم تعديل يجوز؟] (ص:٦٤٢) ح(٢٦٤٢).

(٣) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) صحيح البخاري [كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت] (ص:٣٣٠) ح(١٣٦٨).

(٥) في (ي): (قلت).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (ثم لم).

(٧) السورة: مريم، الآية: ٩٦.

وقال ﷺ: «**إذا أحبَّ اللهُ عبداً دَعَا جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: إنَّ اللهَ ﷻ يُحِبُّ فُلاناً فأَحِبَّهُ، قال فيُحبُّه جبريلُ ثمَّ يُنادي في السَّماء: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فلاناً فأَحِبُّوه، قال فيُحِبُّه أهلُ السَّماء ثمَّ يُوضَعُ له القَبُول في الأرض**»، وذَكَرَ في البغضاء مثلَ ذلك، وهذا حديثٌ صحيح أخرجه مُسلم بن الحجَّاج(١)، وغيرُه(٢).

وقد شُوهِدَ رجالٌ مِن المسلمين علماءُ وصالحون وكَثُرَ الثَّناءُ عليهم، وصُرِفَت القُلُوبُ إليهم في حيَاتِهم وبعدَ مماتهم(٣)، ومنهم من كَثُرَ المشيِّعُون بجنازتِه(٤)، والحاملون لها(٥)، والمشتغِلُون بها، وربَّما كَثَّرَ اللهُ تعالى الخَلْقَ بما شاء من الجنِّ(٦) المؤمنينَ أو غيرِهم مما شاءَ(٧) يكونون في(٨) صُوَرِ النَّاس؛ ذَكَرَ قَاسِمُ بن أَصْبَغ(٩) قال: حدَّثَنا أحمدُ بنُ زُهير(١٠) قال: حدَّثَنا

---

(١) صحيح مسلم [كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أَحَبَّ اللَّهُ عبدًا حَبَّبَهُ إلى عباده] (٢/١٢١٧) ح(٢٦٣٧).

(٢) صحيح البخاري [كتاب التوحيد، باب كلام الرَّبّ مع جبريل ونداء اللَّه الملائكة] (ص:١٨٤٨) ح(٧٤٨٥).

(٣) بالدعاء لهم وذكرهم والثناء عليهم والاستفادة مما تركوه من علم نافع ونحوه لا بطلب الدعاء منهم والاستغاثة بهم، ومعلوم أن مخاطبة الأموات ودعائهم والتوسل بهم لم يفعله أحد من السلف ولا شرع الله ذلك ولا رسوله ولا أحد من الأئمة ولا مع من يفعل ذلك حجة شرعية أصلا بل من فعل ذلك كان شارعا من الدين ما لم يأذن به الله؛ فإن هذا الفعل منه ما هو كفر صريح ومنه ما هو منكر ظاهر. انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة (١/٩٤).

(٤) في (م): (لجنازته).

(٥) في (م): (وكثر الحاملون لها)، وفي (ي): (كثر المشيعون والحاملون لجنازته).

(٦) في (ي): (من الجن والإنس).

(٧) في (ش) و(م) و(ي): (يشاء).

(٨) في (ش) و(ي): (من).

(٩) قَاسم بن أَصْبَغ بنِ مُحمَّد بن يوسُف بن نَاصِح، أبو محمَّد القُرْطُبيّ، مولى بني أُميَّة، سمِعَ بَقِيَّ بن مَخْلَد، وابن وَضَّاح، وغيرهم، وروى عنه حفيده قاسم وغيره، انْتَهَى إليه عُلُوُّ الإسناد بالأندلُس مع الحِفْظ والإتقَان، والتقدُّم في الفتوَى، ومؤلفات ابن حزم، وابن عبد البرِّ، والباجي طافحةٌ برواياته، توفي سنة ٣٤٠هـ، وقد بلغ التِّسعين. انظر: بغية الملتمس للضبي (ص:٤٤٧)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٤٧٢).

(١٠) أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب بن شَدَّاد، أبو بكر، نسائي الأصل، وكان ثقةً، عالما حافظا بصيرا بأيام الناس، راوية للأدب، أخذ عن ابن معين، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، وله كتاب التاريخ الَّذي أحسن تصنيفه، توفي سنة ٢٧٩هـ، وقد بلغ أربعا وتسعين سنة، وقيل نحوا من الثمانين. انظر: تاريخ بغداد (٥/٢٦٥)، وسير أعلام النبلاء (١١/٤٩٢).

محمدُ بن يَزِيد الرِّفَاعي[1] قال: «ماتَ عَمرُو بنُ قيسٍ المُلائي[2] بناحيةِ فَارِس، فاجتَمَعَ بجنازته من الخَلْق ما لا يُحصَى، فلما دُفِنَ نَظَرُوا فلم يَرَوا أحدا»، [قال الرِّفَاعي][3]: «سَمِعتُ هذا ممن لا أُحْصِي كثرةً!»[4].

وكان سُفيان الثَّوري يتبرَّكُ بالنَّظَر إلى عَمْرو بن قيسٍ هذا[5]. [١٠٨/أ]

ولما مات أحمدُ بنُ حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ صلَّى عليه من المسلمين ما لا يُحصى، فأَمَرَ المتوكِّلُ[6] أنْ يُمسَحَ مَوضِعَ الصَّلاة عليه مِن الأرض، فَوُجِد[7] مَوقِف أَلفَي أَلف وثلاثمائة ألف أو نحوها[8]، ولما انتَشَرَ خبرُ موتِه أقبَلَ النَّاسُ من البلاد يُصلُّون على قبرِه[9]، فصلَّى عليه ما لا

(١) محمد بن يزيد بن محمد بن كثير بن رفاعة، أبو هشام العجلي الرفاعي الكوفي المقرئ، حدَّث عن أبي الاحوص سلام، وأبي بكر بن عياش، وطبقتهم، وحدث عنه مسلم، والترمذي وابن ماجة، وأحمد بن زهير، وآخرون، وأخذ القراءة عن جماعة، وصنف كتابه في القراءات في شذوذ كثير، وهو صاحب غرائب في الحديث، وقد ضعّفه كثير من المحدثين، توفي سنة ٢٤٨هـ. انظر: تاريخ بغداد (٥٩٥/٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥٣/١٢).

(٢) عمرو بن قيس الكوفي، الملائي، البزاز، أبو عبدالله، الحافظ، حدث عن عكرمة، وعطاء، وليس هو بالمكثر، وحدث عنه سفيان الثوري وصحبه زمانا، والمحاربي، وسعد بن الصلت، وآخرون، وقد ذكره الثوري، فأثنى عليه، وكان ثقة عابدا، توفي بسجستان في حدود ١٥٠هـ. انظر: تاريخ بغداد (٦٠/١٤)، وتاريخ الإسلام (٩٤٥/٣).

(٣) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) أوردها ابن الجوزي في صفة الصفوة (٧٣/٢)، وقد ذكر الذهبي نحوا منها في سير أعلام النبلاء (٢٥٠/٦).

(٥) لم أقف على هذا مرويا مسندا عن سفيان، والسَّلف الصَّالحُ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن بعدهم إنَّما كانوا يتبركون برسول الله ﷺ، ولم يتبركوا بغيره من الصحابة فضلا عمّن هو دونهم.

(٦) جعفر بن مُحَمَّد جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون بن المهدي بن المنصور، القرشي العباسي البغدادي، الخليفة، المتوكل عَلَى الله، يكنى أَبا الفضل، ولد سنة ٢٠٥هـ، بويع له بالخلافة بعد الواثق، وقد نصر الله به السنة وأهلها في محنة خلق القرآن، توفي سنة ٢٤٧هـ، وكانت خلافته أربع عشرة سنة. انظر: تاريخ بغداد (٤٥/٨)، وسير أعلام النبلاء (٣٠/١٢).

(٧) في (م) و(ي): (فوجدوا).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣١٢/١)، وابن جوزي في مناقب الإمام أحمد (ص:٥٥٩)، وقد جاء عندهما: «ألفي ألف وخمس مئة ألف».

(٩) في (م): (يصلون عليه).

يُحصى[1].

ولما مات الأوزاعيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجتَمَعَ للصَّلاة عليه من الخَلْق ما لا يُحصى، ويُروى أنَّه أَسلَم في ذلك اليوم من أهل الذِّمَّة -اليهود والنَّصارى- نحو ثلاثين ألفا؛ لما رأوا مِن كثرة الخلائق[2] على جنازته[3]، ولما رأوا من العَجَب ذلك اليوم[4].

ولما مات سَهل بن عبد الله التُّسْتَري رَحِمَهُ اللَّهُ انكَبَّ النَّاسُ على جنازته، وحَضَرَها من الخلْق ما لا يعلمُه إلا الله، وكانت[5] في البلد ضَجَّة، فَسَمِعَ بها يهوديٌّ، شيخٌ كبير، فَخَرَجَ فلما رأى الجنازة صَاحَ وقال: «هل تَرَونَ ما أرى؟»، قالوا: وما تَرَى؟ قال: «أَرَى قوماً يَنزِلُون من السَّماء يتمسَّحون بالجنازة»، ثمَّ أسلَمَ فحَسُنَ إسلامُه[6].

ويُقالُ إنَّ الكعبة لم تَخْلُ من طائفٍ[7] إلا يوم مات المغيرةُ بن حَكيم؛ فإنَّها خَلَت لانحشَارِ النَّاسِ لجنازته [١٠٨/ب] تبرُّكاً بها، ورغبةً في الصَّلاة عليها[8].

---

(١) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص:٥٦٣).

(٢) في (ش): (كثرة من صلى)، وفي (م): (كثرة الخلق).

(٣) في (ي): (الجنازة).

(٤) لم أقف عليه، وقد ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٢٨/٣٥)، والذهبي في تاريخ الإسلام (١٣١/٤) أنه قد شيّع جنازة الأوزاعي أهل أربعة أديان: المسلمون واليهود والنصارى والقبط، والله أعلم بدقة العدد الذي ذكره المصنف.

(٥) في (ش) و(م) و(ي): (وكان).

(٦) أوردها القشيري في الرسالة القشيرية (٤٧٥/٢) بلا إسناد ونسبها إلى كتاب بهجة الأسرار وقد سبق التنبيه على أن صاحب هذا الكتاب من المتهمين بالكذب فلا يُعوَّل على ما ينقله، خصوصا وأن في هذه القصة من النكارة والمخالفة ما هو بيِّنٌ واضح، ومن نظر في مثل هذه الكتب يجدها طافحة بمثل هذه القصص الواهية في التبرك والتعلق بالمخلوقين.

(٧) في (ش): (طائف يطوف)، وفي (م): (طائف يطوفها)، وفي (ي): (طائف يطوف بها).

(٨) لم أقف عليه، ويجب أن يُعلم أنه لا يُشرع التبرك بالأموات وإنما المشروع زيارة القبور للدعاء للمسلمين والاستغفار لهم لا لدعائهم أو التوسل بهم أو التبرك بهم فكل هذا لا يُشرع باتفاق أئمة المسلمين وإنما أُحدث بعد القرون المفضلة. انظر: الرد على الإخنائي لابن تيمية (ص:٢٣٧).

وقد شُوهِدَ من جنائزِ الصَّالحين مَن يُشيِّعُها الطَّير، ويسِيرُ[1] معها حيثُ سارت، حَدَّثَ بذلك الثِّقات.

وذكر أبو الحسن بن جَهْضَمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه[2] قال: حدَّثنا محمد بن عبدالله بن جعفر[3] -أبو الحسن-[4] ساكنُ دمشق، قال: سَمِعتُ أبا بكرٍ محمَّد بن رَيَّان المصريّ[5][6] يقول: لما مات أبو الفَيْض ذو النُّون بالجِيزَة[7]، وحُمِلَ في[8] قارِب مخافةَ أنْ تَتَقطَّع[9] الجسورُ مِن كثرة مَن يَتبعُ[10] جنازتَه مِن النَّاس، وكنتُ قائما مع النَّاسِ على[11] كُوْمٍ[12][13] أنظُر، فلما أُخْرِجَ من القارب وَوُضِعَ على الجنازة -يعني: النَّعْش- وَحَمَلَها[14] الرِّجالُ على أعناقهم، رأيتُ طيراً خُضْراً قد اكتَنَفَت الجنازة، تُرَفْرِفُ عليها، حتَّى عُطِفَ به إلى حَمَّامِ المغَار[15]، وغابَ عنِّي، قال

---

(١) في (ي): (تسير).

(٢) هو كتاب بهجة الأسرار المشار إليه في التعليق السابق، ولم أقف عليه مطبوعا.

(٣) في (ش) و(م) و(ي): (أخبرنا محمد بن جعفر).

(٤) محمد بن عبدالله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد، أبو الحسين الرازي، نزيل دمشق، والد تمام بن محمد، وكان ثقة نبيلا مصنفا، له مصنف في أخبار الشافعي وأحواله، توفي سنة ٣٤٧هـ. انظر: تاريخ دمشق (٣٣٥/٥٣)، وتاريخ الإسلام (٨٥٧/٧)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١٣٢/١).

(٥) في (ش) و(م) و(ي): (أبا بكر المصري).

(٦) لم أقف على ترجمة له.

(٧) الجِيزَة: بلدة تقع في شمال مصر، ولا تزال موجودة ومعروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا. انظر: معجم البلدان (٢٣٢/٢).

(٨) في (ي): (على).

(٩) في (م) و(ي): (تنقطع).

(١٠) في (ش) و(م) و(ي): (شيّع).

(١١) في (ش) و(م) و(ي): (في).

(١٢) في (ش) و(ي): (كوّة).

(١٣) يريد بذلك: المكان المرتفع. انظر: تاج العروس (٣٨٨/٣٣).

(١٤) في (ش) و(م) و(ي): (وحمله).

(١٥) يريد والله أعلم المكان المعدّ لغسيل الأموات، وعند ابن عساكر «حمام الغلة».

أبو بكر: فَحَدَّثتُ[1] به خالي الحسَن[2] بن يحيى[3]، فقال: قد واللهِ رأيتُ مثلَ هذه الطُّيور على جنازة أبي إبراهيمَ المُزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذَكَر مرثيَّةً[4] رثاهُ بها، فقال منها:

وَرَأيتُ أَعْجَبَ مَا رأيتُ ولم أَكُنْ مِنْ قَبْلُ ذاكَ رأيتَهُ لِمُشَيَّعِ [١٠٩/أ]

طَيراً تُرَفْرِفُ نَعْشَهُ وتَحُفُّهُ حتَّى تَوارَى في حِجَابِ المضْجَعِ

ثمَّ[5] احْتَجَبْنَ عَنِ العُيُونِ ولم أَكُن[6] عَلِماً بِكُنْهِ مَصيرِهِ[7] في المَرْجِعِ

وَأَظُنُّها رُسْلَ الإلهِ تَنَزَّلَتْ واللهُ أَعلمُ فوقَ ذاكَ الشَّرْجَعِ[8][9]

ويَجِبُ ألا يُحتَقَرَ أحدٌ مِن المسلمينَ وإنْ كان ظاهرَ الفُسُوق؛ فلعلَّ له بِطَانة مِن خَيرٍ وخبيئةٍ مِن عملٍ صالح، ولأنَّه أيضا قد صارَ إلى أرحم الرَّاحمين.

حُكِيَ أنَّ رجلاً مِن المنهمكِين في الفسادِ مات في نوَاحي البَصْرَة، فلم تَجِدُ امرأتُه مَن يُعينُها على حَمل جنازتِه، إذ لم يَدْرِ بها أحدٌ مِن جِيرَانِه لكثرةِ فِسْقِه وتحامِي النَّاسِ له، فاستأجَرَت [امرأته][10] حمَّالَينِ يَحملانِه[11] إلى المصلَّى، فما صلَّى عليه أحدٌ فحمَلُوه إلى الصَّحراءِ ليدفنُوه،

---

(١) في (ي): (فحُدِّث).

(٢) في (م): (الحسين).

(٣) لم أعرف مقصوده به.

(٤) في (ي): (مرثاة).

(٥) في (ش) و(ي): (قد).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (ولم أحط).

(٧) في (ش) و(م) و(ي): (مسيره).

(٨) الشَّرْجَع: النعش أو الجنازة. انظر: لسان العرب (١٧٩/٨).

(٩) القصة بهذا السياق الذي ذكره المصنف لم أقف عليها، وقد نقلها من كتاب ابن جهضم -وقد سبق التنبيه عليه وأنه لا يُعتمد على مروياته- وقد أخرجها أبو نعيم في الحلية (٣٦٣/٩) -مختصرة- عن محمَّد بن زياد قال: «لمَّا مات ذُو النُّون رأيت على جنازته طُيُورًا خضراء فلا أدري أيَّ شيءٍ كان، ومات عندنا بمِصرَ فأمر أنْ يُجعلَ قبره مع الأرض»، وكذا ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤٢/١٧) بسياق قريب منه.

(١٠) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١١) في (ش) و(م) و(ي): (يحملونه).

وكان بالقُرْبِ من الموضِع جبلٌ فيه رجلٌ مِن الزُّهاد الكِبَار، فَنَزَل ذلك الزَّاهدُ مِن جبلِه للصَّلاة عليه، وانتَشَر [الخبر][١] في البلد وقالوا: نَزَل فلانٌ ليصلِّي على فلان، فَخَرَج النَّاسُ فصلّوا عليه مع الزَّاهد، وجَعَلوا يتعجَّبُون مِن صلاتِه عليه، فقال لهم: [إنه][٢] قيل لي في النَّوم: انْزِلْ إلى الموضع الفُلاني تَرَى فيه جنازةَ رجلٍ ليس معهُ[٣] أحدٌ إلا امرأته فصَلِّ عليه[٤] [١٠٩/ب]؛ فإنَّه مغفورٌ له، فزَادَ تعَجُّب النَّاس، فاستدعَى الزَّاهدُ زوجتَه فسألَها عَن حالِه[٥]، وكيف كانت سيرتُه؟ فقالت: كان كما سَمِعتَ، كان طولَ نهارِهِ[٦] في الماخُور[٧]، مشغولاً[٨] بشُرْب الخمر[٩]، فقال: انظُري هل تعرفينَ له شيئاً مِن أفعال الخير؟ قالت: لا إلا أنَّه كان يَفِيقُ[١٠] كلَّ يومٍ مِن سُكْرِه عند صلاة الصُّبح، فيبدِّل ثيابَه ويتوضَّأ ويُصلِّي الصُّبح ثمَّ يعودُ إلى مَاخورِه[١١]، فيشتَغِل بشُرْبه ولهوِه [وما هو عليه][١٢]، وكان لا يخلُو بيتُه مِن يتيم أو يتيمين يُفضِّلُه على وَلده، وكان يَفِيقُ في أثناءِ سُكْرِه فيبكِي ويقول: إلهي، أيُّ زاويةٍ مِن زَوايا جهنَّمَ تُرِيدُ أنْ تملأَها بهذا الخبيث؟! -يعني نفسه-[١٣].

---

(١) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٢) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) في (ش) و(ي): (معها).

(٤) في (ش): (عليها).

(٥) في (ي): (ذلك).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (النهار).

(٧) الماخُور: بيت الرِّيبة ومَجْمَع أهل الفسق والفساد، ومجلس الخَمَّارين. تاج العروس (١٤/٩٢).

(٨) في (ي): (مشتغلا).

(٩) في (ش) و(م): (الخمور).

(١٠) في (ي): (يفيق في).

(١١) في (م) و(ي): (إلى ما هو عليه).

(١٢) زيادة من (ش) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١٣) أوردها الغزالي في الإحياء (ص:١٨٦٧)، وقد تقدم التنبيه (ص:٧٦) على أن المنامات لا يحتج بها، إلا إذا وافقت حجة شرعية صحيحة، وعند ذلك تكون العبرة بالنص لا بها، وإنما حاصلها البشارة والاستئناس.

وكذلك إنْ كان الميِّتُ منبوذاً أو مطروحاً لا يُعرَف أو لا يَحضُرُه أحدٌ فلا تَحقِره[1]، ولا تَنظُرْ[2] إلى الظَّاهِر مِن حالِه؛ يُروى عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**رُبَّ أَشْعَثَ[3] أَغْبَرَ، مَدفوعٍ بالأبوابِ، لو أقسَمَ على اللهِ لأَبَرَّه**» ذكره مسلم بن الحجاج[4]، ومِن غيرِ [كتاب][5] مُسلم[6] رَحِمَهُٱللَّهُ: «**رُبَّ أشعثَ أغبرَ، ذِي طِمْرَين[7]، لا يُؤْبَه له، لو أقسَمَ على اللهِ لأَبَرَّه**».

ويُروى عن عُمَر بن عُثمان بن شُعْبَة[8] رَحِمَهُٱللَّهُ [١١٠/أ] قال: «رأيتُ في بعض الليالي في المنام كأنَّ قائلاً يقول لي: إذا كان غدا فأتِ مُصلَّى خَولان تُصَلِّ[9] على وليٍّ لنا، قال: فَخَرجتُ قبلَ طلوع الفجرِ خوفَ أنْ يفوتَني، ثمَّ قعدتُ إلى قريبٍ مِن غُروب الشَّمس فلم يُؤْتَ بميِّتٍ إلى ذلك المصلَّى، قال: فانصرفتُ، فبينما أنا بين الآكام[10] فإذا بمَيِّتٍ على رأسِ حمَّالٍ على فَرد[11] باب، وعليه عَبَاءة، فقال لي الحمَّال: يا هذا، إنَّ هذا الميِّت رجلٌ غريب، فهل لك أنْ تُصلِّي عليه؟ فقلتُ في نفسي: أنا قاعِدٌ عليه[12] مُنذُ اليوم، قال: فصلَّيتُ عليه، ثمَّ قال لي

---

(١) في (ش) و(م): (فلا يُحقر به)، وفي (ي): (فلا يُحتقر).

(٢) في (م) و(ي): (ولا يُنظر).

(٣) الأَشْعَث: المُلَبَّدُ الشَّعْر، المُغَبَّر، غير مَدهُون ولا مُرَجَّل. شرح النووي على مسلم (١٧٤/١٦).

(٤) صحيح مسلم [كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الضُّعفاء والخاملين] (١٢١٣/٢) ح(٢٦٢٢) من غير لفظة «أغبر».

(٥) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه [كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب البراء بن مالك] (ص:٨٦٧) ح(٣٨٥٤)، وحسّنه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (١٧٥٨/٣) ح(٦٢٤٨).

(٧) الطِّمْر: الثوب الخَلِق. النهاية في غريب الحديث (ص:٥٦٨).

(٨) لم أقف على ترجمته.

(٩) في (ي): (فصلي).

(١٠) الآكام: مرتفعات دون الجبال أو المواضع التي تكون أرفع مما حولها. انظر: تاج العروس (٢٢٣/٣١).

(١١) في (ش) و(م) و(ي): (فردة).

(١٢) في (ش) و(م) و(ي): (له).

الحمّال: ادخُلْ معي حتَّى أُوَارِيه[١]، فنَزَلْتُ في قبرِه، فصَوَّبَهُ عليَّ فأضجعْتُه، وحَلَلْتُ العُقدَة[٢] عند رأسِهِ فالتفَتَ الميِّتُ إليَّ بوجهِهِ مُتبسِّم[٣]، وقال: سوفَ أَشكُرُكَ عنده[٤] غداً يا أبا عَمرو! ثمَّ عادَ كما كان»[٥].

ويُروى عن أبي عليٍّ الرُّوذبَارِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «قَدِمَ علينا فقيرٌ فماتَ فَدَفنتُه[٦]، فكَشَفْتُ عَن خَدِّه فجعلْتُه على التُّرابِ لِيرحمَ اللهُ غُربتَه، فَفَتَحَ عينيه وقال: يا أبا علي، أَتُذَلِّلُني بينَ يَدَي مَن يُدَلِّلُني[٧]؟! فقلتُ: يا سيدي! أَحياةٌ بعدَ الموت[٨]؟! فقال: بَلَى، أنا مُحِبٌّ للهِ، وكلُّ مُحِبٍّ للهِ فهو حَيٌّ[٩] [١١٠/ب]، يا رُوذبَارِي لأنصُرَنَّك غداً بجاهي[١٠] عندَه»[١١].

وقال أبو سعيد الخرَّاز[١٢]: «كنتُ بمكَّة، فَجُزْتُ من[١٣] بابِ بَني شَيْبَه، فرأيتُ به شابًّا

---

(١) في (ش): (تواريه)، وفي (م) و(ي): (نواريه).

(٢) في (ي): (العقدة من).

(٣) في (ي): (مبتسما).

(٤) في (ي): (عند الله).

(٥) لم أقف على من ذكرها، ولا يُعتمد عليها، ولاسيّما أن المصنف ذكرها بصيغة التمريض.

(٦) في (ي): (فدفناه).

(٧) في (م): (دللني).

(٨) في (ش): (موت).

(٩) هذا الكلام من ترّهات الصوفية التي يلبسون بها على عامة الناس، ومثل هذه القصص هي التي علّقت قلوب كثير من الناس بالقبور وحَرَفَتهم عن توحيد الله، ومن الكتب المهمة التي بيّنت أباطيل القوم كتب ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وخصوصا «الاستقامة» و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، ومناظراته ومناقشاته لهم كثيرة فليُرجع إليها.

(١٠) في (م): (بجاهي غدا).

(١١) أوردها القشيري في الرسالة القشيرية (٢/ ٤٧٤) ومثل هذه الأمور لا يُعتمد فيها على المنامات، والقصص الواهيات التي تروج عند الصوفية بكثرة، وإنما العبرة بما دلّ عليه الكتابُ والسنّة، وما صحّ سنده عن الأئمة الثقات.

(١٢) أَحْمَد بْن عِيسَى البغدادي، أَبُو سَعِيد الخرَّاز، الصوفي، صحب سَريا السّقطي، وذا النون، وقد تكلم فيما يسمونه الفناء وأُثرت عنه عبارات في ذلك، ولأجلها طُعِن فيه وطُرد من مِصر، توفي سنة ٢٧٧هـ، وقيل ٢٨٦هـ. انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٤٥٤)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١٩).

(١٣) في (م) و(ي): (على).

حَسَنَ الوجه ميِّتاً، فنَظَرْتُ في وجهِه فتبَسَّمَ في وجهي وقال: يا أبا سعيد، أَمَا عَلِمْتَ أنَّ الأحِبَاءَ أحياءٌ وإنْ ماتوا؟! وإنَّما يُنقَلُونَ مِن دارٍ إلى دار»[1].

واعلمْ رحمك الله أنَّ الميِّتَ وإنْ كان لا يَتكلَّم، فقد يُسْمِعُه[2][3] اللهُ تعالى كلاماً مِنه، ويُرِيهِ عليه صورةَ حياة، بِشَارةً له بصلاتِه عليه، ودَفْنِه إياه، واشتغالِه به، وقد حَدَّثني الفقيهُ أبو القاسم عبدُ الرحمن بن يحيى القُرَشي[4] رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: لما ماتَ أبي غَسَّلَهُ المقرئُ أبو الحسن بن عطية[5]، قال[6] لي أبو الحسن: لما كَشَفْتُ الثَّوبَ عن وجهِهِ لأُغَسِّلَه ضَحِكَ في وجهي! لا

(١) أوردها القشيري في الرسالة القشيرية (٢/٤٧٥) ويُقال في هذه القصة الذي قيل في التي قبلها.

(٢) في (ي): (يسمع).

(٣) الضمير هنا يعود على من دفن الميت وصلى عليه، أي قد يُسمع اللهُ من غسّل الميت وصلى عليه كلاما من الميت، وقد ذكر شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٨/٣٥٨) أن في هذه الأمة أناساً عاشُوا بعد الموت كان بينهم طائفة في زمن الصَّحابة والتَّابعين، وأمَّا مَن أحيَا اللَّهَ له دابَّتَه بعدَ الموت مِن المؤمنين فمنهم من كان على عهد النَّبيِّ ﷺ ومنهم مَن كان بعدَ مَوتِه ﷺ، وهذا يندرج في الكرامات عند أهل السنة والجماعة، ولكن الذي يُقبل ما ثبت وصح سندُه، والله على كل شيء قدير، وقد ذكر شيخ الإسلام جملة من تلك الكرامات في كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، وأما القصص الواهية والخرافية والروايات التي لا خطام لها ولا زمام فلا يُعوَّلُ عليها، قال البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/٥٨): «قد رُوي في التَّكَلُّم بعد الموت عَن جماعةٍ بأسانيدَ صحيحةٍ»، ومن ذلك ما أخرجه ابن أبي الدنيا في من عاش بعد الموت [(٦/٣١٥) ضمن موسوعته]، والبيهقي في الدلائل (٦/٤٥٤)، عن ربعي بن خراش قال: ماتَ أخٌ لي كان أطولنا صلاة، وأصومنا في اليوم الحار، فسجَّيناه، وجَلَسنَا عنده، فبينما نحن كذلك؛ إذ كشف عن وجهه ثم قال: «السلام عليكم!»، قلت: سبحان الله! أبعد الموت؟ قال: «إنِّي لقيتُ ربِّي، فتلقَّاني برَوْحٍ وريحانٍ، وربٍّ غيرِ غضبان، وكَسَاني ثياباً خُضراً مِن سُندُسٍ وإستبرق، أَسرِعُوا بي إلى رسول الله ﷺ؛ فإنَّه قد أَقسَمَ أن لا يبرح حتَّى أُدرِكه أو آتيه، وإنَّ الأمرَ أهونُ مما تذهبونَ إليه؛ فلا تَغتَرُّوا!»، ثم والله! كأنما كانت نفسه حصاة فأُلقيت في طَست. قال البيهقي عقبه: «هذا إسناد صحيح، لا يشك حديثيٌّ في صحته»، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٤/٤١٣): «وبالجملة؛ فالقصة صحيحة بلا شك، والله على كل شيء قدير».

(٤) عبد الرحمن بن يحيى بن الحسن بن محمَّد القرشي، أبو القاسم الأموي، من أهل إشبيلية، وكان مقرئا مُحدثا، وَله كتاب في الجمع بين الصَّحِيحينِ، وحدَّثَ عنه -المصنّف- عبد الحق الإشبيلي وغيره. انظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص:٣٧٢)، والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (٣/٣٣).

(٥) لم أهتد إلى ترجمته.

(٦) في (ش) و(ي): (فقال).

أَشُكُّ في ذلك ولا أَرتَاب.

وإذا جَازَ الخبَرُ الأول جازَ هذا أيضا، فأبو القاسم وأبو الحسن صادقانِ عَدلانِ مِن أهلِ المعرفة والذَّكاء، وكان[1] يحيى هذا من صَالحِ هذه الأُمَّة، ومن أهلِ العلم، والله أعلم.

وذَكَرَ وليدُ[2] بن عثمان[3] -وكان من الصَّالحين- قال: قَدِمَ علينا[4] إشبيلية[5] رجلٌ أسود، فأقام [١١١/أ] في المسجد الذي كنتُ فيه ثمَّ انتقلَ منه[6] لعلَّةٍ أصابتْه، فأقام في فُرْن[7] يَرقد فيه على الحطَب، ويُتَصَدَّقُ عليه ثمَّ إنَّه مات فَنَقَلْتُه إلى داري لأُغَسِّلَه، [فكشَفتُ عنه الثَّوبَ لأُغَسِّله][8]، فبينما أنا أُغسِّله إذ رأيتُ وجهَهَ قد ابيَضَّ بياضاً شديداً، وصار مثلَ القَمَر ليلةَ البَدرِ حُسْناً، وعَمَّ البياضُ وجهَهُ وعُنُقَه خاصةً دونَ سائر جَسدِه، فرَاعَنِي ما رأيتُ، وأَرعَدْتُ وأصابني دَهَشٌ[9] عظيم، فرددتُ الرِّداء على وجهِهِ وخرجت، وأَنْذَرْتُ[10] جماعةً مِن أصحابي، وجئتُ بهم مَعي، وأَعلَمتُهم قصَّتَه، فلما كَشَفُوا الرِّداء عَن وَجهِهِ رَاعَهُم حُسْنَهُ وجمالَه وابيضَاضَه، وسائرُ جسدِه أسودُ كما كان، وتَسَامَعَ النَّاسُ به، فما كِدنَا نبلُغ قبرَه إلى اللَّيل مِن كثرة الزِّحام على نَعْشِه، وكثرة مَن حَضَر جنازتَه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) هذه الجملة إلى قوله (والله أعلم) ساقطة من جميع النسخ عدا الأصل (ت).

(٢) في (ي): (الوليد).

(٣) لم أجد من ترجم له إلا ما ذكره أبو جعفر الضبي عنه من أنه إشبيلي، من أهل الصلاح والفضل والمعرفة، ذكره ابن مغيث في كتاب التهجد وحكى عنه، ثم ذكر القصة التي أوردها المصنف. انظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص:٤٨١).

(٤) في (ي): (علينا في إشبيلية).

(٥) إِشْبِيلِيَة: مدينة كبيرة عظيمة لم يكن بالأندلس أعظم منها، وكان بها قاعدة ملك الأندلس وسريره، وهي قريبة من البحر يطل عليها جبل الشّرف، ولم يتغير اسمها إلى يومنا هذا، في بلد إسبانيا في أوروبا. انظر: معجم البلدان (١/١٩٥).

(٦) في (م) و(ي): (عنه).

(٧) الفُرْنُ: يريد به -والله أعلم- المكان الذي يُخبَزُ فيه، وهو غير التنُّور. انظر: تاج العروس (٣٥/٥٠٠).

(٨) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٩) الدَّهَش: ذهاب العَقلِ مِن الذَّهَل والوَلَه، وقيل مِن الفَزَع ونحوه. لسان العرب (٦/٣٠٣).

(١٠) في (ش) و(م) و(ي): (فأنذرتُ).

ذَكَرَ هذه القصَّةَ ابنُ مُغيثٍ[1] في كتاب التهجُّد[2]، وذَكَرَها غيرُه أيضا[3].

ويُروى[4] عن عُمَرَ بنِ ذَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه مات رجلٌ مِن جيرانِه وكان مُسْرِفاً على نفسِه، فتحَامَى[5] كثيرٌ مِن النَّاس جنازتَه، فلم يَحضُرها[6] [١١١/ب]، وحَضَرَها[7] عُمَر، فلما دُفِنَ وَقَفَ على قبرِه فقال: «رَحِمَك اللهُ أبا فُلان[8]، فلقد صَحِبتَ عُمُرك بالتَّوحِيد، وعَفَّرْتَ وجهَك بالسُّجود، وإنْ قالوا: مُذنبٌ[9] وذو خطايا! فَمَن مِنَّا غيرُ مُذنِبٍ وغير ذي خطايا[10]؟!»[11].

(١) يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن محمد بن عبد الله بن الصفّار، أبو الوليد، القرطبي، سمع من ابن الأحمر، وابن ثابت، وابن الخراز، وغيرهم، وسمع منه جماعة منهم أبو الوليد الباجي وابن عتاب، ولد سنة ٣٣٨هـ، وولي القضاء في مواضع كثيرة، عني بالحديث جدا، وله مؤلفات كثيرة منها: كتاب محبة الله، وكتاب المستصرخين بالله، وكتاب التهجد، توفي سنة ٤٢٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٧٠)، والديباج المذهب (٢/ ٣٧٤).

(٢) لم أقف على كتابه مطبوعا.

(٣) أوردها الضبي في بغية الملتمس (ص:٤٨١) نقلا عن ابن مغيث.

(٤) في (ش): (ذكر).

(٥) يقال تحاماه النَّاس أَي توَقَّوه واجتَنَبُوه. انظر: لسان العرب (١٤/ ٢٠٠).

(٦) في (ش) و(م): (يحضروها).

(٧) في (ش): (وحضر).

(٨) في (ي): (يا فلان).

(٩) في (ش): (ذو ذنب).

(١٠) في (ش) و(م): (فمن منا غير مذنب وذو خطايا)، وفي (ي): (غير مذنب وذي خطايا).

(١١) أوردها الغزالي في الإحياء (ص:١٨٦٦).

باب ما يقال عند حضور الميت وما جاء في البكاء عليه

ذَكَرَ[(١)] مُسلمُ بن الحجَّاج[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أمِّ سَلَمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا حَضَرْتُم المريضَ أو الميِّت فقولوا خيراً؛ فإنَّ الملائكةَ يُؤمِّنُون على ما تقولون**»، قالت: فلما مات أبو سَلَمة أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله، إنَّ أبا سَلَمَة قد مات، فقال: «**قولي[(٣)]: اللَّهمَّ اغفِرْ لي ولهُ، وأعقِبني مِنهُ عُقبَى حَسَنة**»، قالت: فعلتُ فأعقبَني اللهُ مَن هو خيرٌ لي مِنهُ: مُحمَّداً ﷺ.

وعنها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: دَخَلَ رسولُ الله ﷺ على أبي سَلَمة وقد شَقَّ بصرُه[(٤)]، فأَغمَضَهُ ثمَّ قال[(٥)]: «**إنَّ الرُّوحَ إذا قُبِضَ تَبِعَهُ البصر**»، فَضَجَّ ناسٌ مِن أهلِه فقال: «**لا تَدعُوا على أنفسِكُم** [١١٢/أ] **إلا بخير؛ فإنَّ الملائكةَ يُؤمِّنُون على ما تقولون**»، ثمَّ قال: «**اللَّهمَّ اغفِرْ لأبي سَلَمة، وارفَع درجتَه في المهديين، واخلُفه في عَقِبِه في الغَابرين، واغفِرْ لنا وله يا ربَّ العالمين[(٦)]، وافسَحْ له في قبرِه، ونوِّر له فيه**»[(٧)]، أبو سَلَمة هذا كان زوجَ أمِّ سَلَمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وعن أمِّ سَلَمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: لما مات أبو سَلَمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قلتُ: غَريبٌ وفي أرضِ غُربَة؟! لأَبكِيَنَّهُ بكاءً يُتحدَّثُ به عنه! فكنتُ قد تهيأتُ للبُكاءِ عليه، إذ أقبلَت امرأةٌ مِن الصَّعيدِ[(٨)] تُريد أنْ تُسعِدَني؛ فاستَقبلَها رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**أتُرِيدِينَ أنْ تُدخلي الشَّيطانَ بيتاً أخرَجَهُ اللهُ مِنه؟!**» مرَّتين، قالت: فكَفَفْتُ عن البُكاءِ فلم أَبكِ[(٩)].

---

(١) في (ي): (وعن).

(٢) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المريض أو الميت] (١/٤٠٩) ح(٩١٩).

(٣) في (ش) و(م) و(ي): (فقولي).

(٤) شَقَّ بَصَرُه: أي انفتح ونَظَرَ إلى شيء. انظر: النهاية في غريب الحديث (ص:٤٨٧)، ولسان العرب (١٠/١٨١).

(٥) في (ي): (قال لي).

(٦) في (ش) و(ي): (يا أرحم الراحمين).

(٧) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب في إغماض الميِّت والدُّعاء له إذا حُضِرَ] (١/٤٠٩) ح(٩٢٠).

(٨) المراد بالصَّعِيد هنا: عَوَالِي المدينة، وأصل الصَّعِيد: ما كان على وجه الأرض. شرح النووي على مسلم (٦/٢٢٤).

(٩) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب البكاء على الميِّت] (١/٤١٠) ح(٩٢٢).

وعن عبدِ الله بن عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: لما طُعِنَ عُمَر[1] أُغمِيَ عليه فَصِيحَ عليه، فلما أَفاقَ قال: أمَا عَلِمْتُم أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنَّ الميِّتَ ليُعذَّبُ بِبُكاءِ الحيِّ**»[2]، وعن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أيضا في هذا الحديث قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الميِّتَ يُعذَّبُ**[3] **بِبُكاءِ أهلِهِ عليهِ**»[4][5].

وعنه[6] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ [١١٢/ب] عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ الميِّتَ ليُعذَّبُ بِبعض بُكاءِ أهلِه عليه**»[7]، وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبيِّ ﷺ: «**المُعْوَلُ**[8] **عليه يُعذَّب**»[9].

وعن ابن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: لما مات عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ذكرتُ ذلك لعائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا – يعني: قول عُمَر عن النبيِّ ﷺ في البُكاء على الميِّت- فقالت: يَرحَمُ اللهُ عُمَر، لا واللهِ ما

---

(١) في (ي): (عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ).

(٢) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب الميت يُعذب ببكاء أهله عليه] (٤١٢/١) ح(٩٢٧).

(٣) في (ي): (ليعذب).

(٤) هذه المسألة وقع فيها نزاعٌ بين السَّلف والخلَف والعلماء على عدة أقوال، وأشهرها وأبرزها ثلاثة أقوال: الأول: مَن غَلَّطَ الرُّوَاةَ لأحاديث تعذيب الميت ببكاء أهله عليه، وهذه طريقة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا والشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ وغيرهما، والثاني: من حمَل ذلك على ما إذا أَوصَى به فيُعَذَّب على إيصائه أو مَا إذا كانت عادَتُهم، فيُعَذَّب على ترك النَّهي عَن المنكر، وهذا رأي الجمهور، والثالث: قول من قال أن هذه الأحاديث ثابتة وصحيحة ومعناها أنَّ الميت إذا بكى أهلُه عليه فإنه يعلم بذلك ويتألَّم، وليس المعنى أنَّ الله يعاقبُه بذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة: الأنعام، الآية: ١٦٤]، والعذاب لا يلزم أن يكون عقوبة؛ ألم تر إلى قوله ﷺ: «السَّفَر قِطعةٌ من العذاب» [البخاري (ص:٤٣٤) ح(١٨٠٤) ومسلم (٩٢٧/٢) ح(١٩٢٧)]، والسَّفَرُ ليسَ بعقوبة، لكن يتأذَّى به الإنسان ويتعب، وهكذا الميت إذا بكى أهله عليه فإنه يتألم ويتعب من ذلك، وهذا الأخير ذهب إليه محمد بن جرير وابن تيمية وتلميذه ابن القيّم ورجحه ابن عثيمين رَحِمَهُمُٱللَّهُ. انظر: المجموع شرح المهذب للنووي (٣٠٨/٥)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٣٦٤/٣٤)، تهذيب سنن أبي داود لابن القيم (٢٧٩/٨)، وفتح الباري (١٥٣/٣)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (٤٠٧/١٧).

(٥) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب الميت يُعذب ببكاء أهله عليه] (٤١١/١) ح(٩٢٧).

(٦) هذا الحديث سقط من جميع النسخ عدا الأصل (ت).

(٧) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب الميت يُعذب ببكاء أهله عليه] (٤١٣/١) ح(٩٢٧).

(٨) المُعْوَلُ عليه: أي الذي يُبكَى عليه مِن الموتى. النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٦٥٠).

(٩) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب الميت يُعذب ببكاء أهله عليه] (٤١٢/١) ح(٩٢٧).

حَدَّثَ عُمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ قطّ «**إنَّ اللهَ يُعذِّبُ المؤمن بِبُكاءِ أحد**[1]»، ولكن قال: «**إنَّ اللهَ يَزِيدُ الكافِرَ عذاباً بِبُكاءِ أهلِه عليه**»، قال: وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: حَسْبُكُم القُرآن ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2] قال: وقال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [عند ذلك][3]: واللهُ ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[4][5].

وعن عُروَة بن الزُّبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ذُكِرَ عند عائشةَ[6] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ ابنَ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يرفعُ إلى النبيِّ ﷺ: «**إنَّ الميِّتَ يُعذَّبُ في قبرِه بِبُكاءِ أهلِه**»، قالت: وهل إنَّما قال رسولُ الله: «**إنَّه لَيُعذَّب بخطيئَتِهِ أو بذنبِهِ، وإنَّ أهلَه لَيبكُونَ عليه [١١٣/أ] الآن**»[7].

وعن عَمْرَةَ بنتِ عبدِ الرَّحمن[8] أنَّها سَمِعَت عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وذُكِرَ[9] لها أنَّ عبدَ الله بن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «**إنَّ الميِّتَ ليُعذَّبُ بِبُكاءِ الحيّ**»، فقالت عائشة: يَغفِرُ اللهُ لأبي عبد الرحمن، أَمَا إِنَّه لم يَكْذِب، ولكنَّه نَسِيَ أو أَخطَأ؛ إنَّما مَرَّ رسولُ اللهِ ﷺ على يهوديةٍ[10] يُبكَى عليها، فقال: «**إنَّهم يَبكُونَ عليها، وإنَّها لَتُعذَّبُ في قبرِها**»[11].

قد صَحَّ حديثُ عُمَر وابنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تعذيبِ الميِّت بِبُكاءِ الحيِّ مِن حديثِهما، وصحَّ

---

(١) في (ش): (إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أحد).

(٢) سورة: الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٣) زيادة من (م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) سورة: النجم، الآية: ٤٣.

(٥) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب الميت يُعذب ببكاء أهله عليه] (٤١٣/١) ح(٩٢٩).

(٦) في (م) و(ي): (ذكر ذلك لعائشة).

(٧) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب الميت يُعذب ببكاء أهله عليه] (٤١٤/١) ح(٩٣٢).

(٨) عَمْرَة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأَنصارِيّة المدنية، والدة أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن الأَنصارِي، وكانت في حجر عائشة زوج النَّبِيّ ﷺ، روت عَن جمع من الصحابة، وهي من أثبت الناس في الرواية عن عائشة، قال عنها يحيى بن معين: (ثقة، حجة)، وروى لها الجماعة، توفيت سنة ٩٨هـ، وقيل ١٠٦هـ، وهي بنت سبع وسبعين سنة. انظر: تهذيب الكمال (٢٤١/٣٥) تاريخ الإسلام (١١٥١/٢).

(٩) في (ي): (وقد ذُكر).

(١٠) في (م) و(ي): (بيهودية).

(١١) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب الميت يُعذب ببكاء أهله عليه] (٤١٤/١) ح(٩٣٢).

أيضا حديثُ المغيرة بن شُعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذَكَرَ مُسلم بن الحجَّاج عن المغيرة بن شُعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«مَن نِيحَ عليهِ فإنَّهُ يُعذَّبُ بما نِيحَ عليه يومَ القِيَامة»**[١].

وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إنَّما حدَّثَتْ بما سَمِعَت وأنكَرَت مَا لم تَسمَع، قال بعض العلماء [أو][٢] أكثرهم: إنَّما يُعذَّبُ الميِّتُ بِبُكاءِ الحيِّ [عليه][٣] إذا كانَ البُكاءُ مِن سُنَّةِ الميِّت واختيارِه أو يكون قد وصَّى به؛ وقد رُوِيَ ما يدلُّ على أنَّ الميِّتَ يُصِيبُه عَذابٌ مَا بِبُكاءِ الحيِّ وإنْ لم يكُن [١١٣/ب] مِن سُنَّتِه ولا مِن اختيارِه ولا مما أَوصَى به.

ذَكَرَ[٤] ابنُ أبي خَيثَمةَ[٥] مِن حديث قَيْلَةَ بنتِ مَخرَمَة[٦]، وذَكَرَت عندَ رسولِ الله ﷺ وَلَداً لها مات ثمَّ بَكَتْ فقال رسولُ الله ﷺ: **«أَيُغلَبُ أحدُكم أنْ يُصَاحِبَ صُويحِبَه في الدُّنيا معروفاً؛ فإذا حَالَ بينه وبينه مَن هو أولى به مِنهُ استرجَع ثمَّ قال: اللَّهمَّ آسِني فيما أَمضيتُ وأَعِنِّي على ما أَبقيت؛ فو الذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه إنَّ أحدَكم لَيبكِي فيَسْتَعبِر**[٧] **إليه صويحبه، فيَا عبادَ اللهِ لا تُعذِّبُوا إخوانكم»**، وذَكَره أبو بكر بن أبي شيبة أيضا[٨]، وهو حديث معروف، وإسناده لا بأس به.

---

(١) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب الميت يُعذب ببكاء أهله عليه] (٤١٤/١) ح(٩٣٣).

(٢) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) هذا الحديث سقط من (ش).

(٥) تاريخ ابن أبي خيثمة [السِّفر الثاني] (٨٢٩/٢)، وأخرجه كذلك ابن سعد في الطبقات (٢٤٢/١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/٢٥)، وحسنه ابن حجر في الفتح (١٥٥/٣).

(٦) قَيْلَة بنت مخرمة العنزية وقيل العنبرية وهو الصحيح، والعنبر من تميم، صحابية، هاجرت إِلَى النَّبِي ﷺ مع حريث بن حسان وافد بني بكر بن وائل. انظر: أسد الغابة (٢٣٨/٧)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٣٨/١٤).

(٧) اسْتَعْبَر: جَرَتَ عَبرتُه ودمعتُه وحَزِن. انظر: القاموس المحيط (ص:٤٣٥).

(٨) لم أقف عليه عند ابن أبي شيبة.

ومَسَاقُ[1] هذا الحديث يدلُّ على أنَّ بُكاءَ هذهِ لم يَكُن مِن اختيارِ ابنِها؛ لأنَّ ابنَها صاحبٌ مِن أصحابِ رسولِ اللهِ[2] ﷺ، ولا كان هذا البُكاءُ البكاءَ المعروف في الجاهليَّة؛ الذي كان مِن اختيارِ الميِّت ومما يُوصِي به.

وذَكَرَ البُخاريُّ[3] مِن حديثِ النُّعمان بنِ بَشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أُغمِيَ على عبدِ الله بن رَوَاحَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَعَلَتْ أختُه عَمْرَة تَبكِي وتقول: واجبلاه[4]، واكذا، واكذا، [١١٤/أ] تُعَدِّدُ عليهِ، فقال حين أفاق: «ما قُلتِ شيئاً إلا قيلَ لي: أنتَ كذلك؟!»، قال: فلما ماتَ لم تَبْكِ عليه.

وهذا أيضاً لم يكُن من سُنَّة عبد الله بن رَوَاحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا من اختيارِه، ولا مما وَصَّى[5] به؛ مَنْصِبُه[6] في الدِّين أجلُّ وأرفعُ مِن أنْ كان يأمرُ بهذا أو يُوصِي به.

ومن[7] هذا الباب حديث أبي مُوسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**الميِّتُ يُعذَّبُ بِبُكاء الحيِّ عليه، إذا قالت النَّائِحةُ: وا عَضُداه! وا ناصراه! وا كاسباه! جُبِذَ[8] الميِّتُ وقيل له: أَنتَ عضدها؟! أَنتَ ناصرُها؟! أَنتَ كاسِبُها؟!**»، ذَكَرَه أبو عمر بن عبد البَّر[9] في الاستذكار[10].

---

(١) في (م): (وسياق).

(٢) في (ي): (النبي).

(٣) صحيح البخاري [كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشَّام] (ص:١٠٤٤) ح(٤٢٦٧).

(٤) واجبلاه: أي كنت في عِزَّة ومَنَعَة من أجلك، فكنتَ لي كالجبل. مطالع الأنوار لابن قرقول (٨٩/٢).

(٥) في (ي): (أوصى).

(٦) في (ي): (لأن منصبه).

(٧) في (ش) و(ي): (وفي).

(٨) في (ي): (جُذِب).

(٩) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، أبو عمر، ولد سنة ٣٦٨هـ، وقد أدرك الكبار، وسمع من الأئمة، وطال عمره، وعلا سنده، وكثرت مؤلفاته النافعة، ومن أشهرها التمهيد والاستذكار، قال أبو الوليد الباجي: (لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البر في الحديث، وهو أحفظ أهل المغرب)، توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر: وفيات الأعيان (٦٦/٧)، وسير أعلام النبلاء (١٥٣/١٨).

(١٠) الاستذكار (٧٢/٣)، وأخرجه أحمد (٤٨٨/٣٢) ح(١٩٧١٦)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٤١/٧) ح(٣١٥١).

وأيضا فإنَّ البُكاءَ عند العرب يكون البُكاءُ المعروف، ويكون النِّيَاحة، وقد يكون معها الصِّيَاحُ وضَرْبُ الخدودِ وشَقُّ الجُيُوب، ولا أعلمُ خِلافاً أنَّ هذا[(١)] كلّه حرام، وقد وَرَدَ الوعيدُ على هذا كلِّه[(٢)]؛ ذَكَرَ مُسلم بن الحجَّاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)] مِن حديث أبي بُرْدَة بن أبي مُوسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: وَجِعَ أبو مُوسى وَجَعاً فَغُشِيَ عليه ورأسُه في حِجْرِ امرأةٍ مِن أهله، فَصَاحَت امرأةٌ مِن أهلِه فَلَمْ يَستطِع أنْ يَرُدَّ [١١٤/ب] عليها شيئا، فلما أَفَاقَ قال: «أنا بَرِيءٌ ممَّن بَرِئَ منه رسولُ الله ﷺ؛ [فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ][(٤)] بَرِئَ مِن الصَّالِقَةِ، والحالِقَة، والشَّاقَّة»، وفي لفظٍ آخرَ عن عبد الرحمن بن يَزيد وأبي بردة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالا: أُغمِيَ على أبي مُوسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأقبلَت امرأتُه أمُّ عبدِ الله تَصِيحُ بِرَنَّةٍ، قالا: ثُمَّ أَفَاقَ فقال: أَلَم تَعْلَمِي وكان يُحدِّثُها أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ[(٥)] وَخَرَقَ**»، والصَّالِقَة: هي التي تَرفعُ صوتَها بالعَوِيلِ عند المصيبة، والحالِقَة: التي تَحلِقُ شعرَها عند المصيبة، والشَّاقَّة: التي تَشُقُّ ثوبَها، كلُّ ذلك عند المصيبة.

وذَكَرَ[(٦)] مُسلم [بن الحجَّاج][(٧)] أيضا[(٨)] مِن حديث عبدالله بنِ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**ليسَ مِنَّا مَن ضَرَبَ الخُدودَ، وشَقَّ الجيوب[(٩)]، ودَعَا بدعوى الجاهلية**».

---

(١) في (ش) و(ي): (ذلك).

(٢) قال النووي في المجموع شرح المهذب (٥/٣٠٩): «وأجمعوا كلُّهم على اختلاف مذاهبهم أنَّ المراد بالبكاء [الذي ورد النهي عنه] بصوت ونياحة لا مجرَّدَ دَمْع العين».

(٣) صحيح مسلم [كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية] (١/٥٩) ح(١٠٤).

(٤) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) يقال سَلَق وصَلَق، وهما لغتان صحيحتان، والصَّالِقة والسَّالِقة هي التي ترفع صوتها عند المصيبة كما ذكر المصنّف. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (٢/١١٠).

(٦) في (ي): (ذكر).

(٧) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) صحيح مسلم [كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية] (١/٥٩) ح(١٠٣).

(٩) في (ش) و(م) و(ي): (شق الجيوب وضرب الخدود)، والمثبت من (ت) وهو الموافق لما في مسلم.

وعن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**اثنتانِ في النَّاسِ هما بهم كُفْرٌ: الطَّعن في النَّسَب، والنِّيَاحة على الميِّت**»[1]، وعن أبي مَالكٍ الأشعَريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ [١١٥/أ] ﷺ قال: «**أربعٌ في أمَّتي مِن أمرِ الجاهلية لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ في الأحساب، والطَّعنُ في الأنساب، والاستِسْقَاءُ بالنُّجُوم، والنِّيَاحة**[2]»، وقال: «**النَّائِحَةُ**[3] **إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبلَ مَوتِها، تُقامُ يوم القِيَامة وعَلَيها سِرْبَالٌ مِن قَطِرَانٍ**[4]**، أو دِرْعٌ**[5] **مِن جَرَب**»[6].

وأما البُكاءُ مِن غير نِيَاحةٍ فقد وَرَدَ فيه الإباحة، وهو بُكاءُ الرَّحمةِ والرَّأفَة[7] التي لا يكادُ يخلو مِنها البَشَر، ولا يُوجَد قلبٌ إلا وبِهِ منها[8] أثَر، و[قد][9] قال عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**دَعْهُنَّ يَبكِينَ على أبي سُليمانَ**[10] **مَا لم يكُن نَقْعٌ أو لَقْلَقَة**»[11]، والنَّقْع: ارتِفَاع الصَّوت، واللَّقلَقَة: تَتَابُعُ ذلك، وقال أبو عبيد[12]: «قال [بعضهم][13]: يُريدُ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنَّقْع: وضع التُّرابِ

---

(١) صحيح مسلم [كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة] (٤٩/١) ح(٦٧).

(٢) في (ش) و(م) و(ي): (والنياحة على الميت)، وليست في الأصل (ت) ولا في صحيح مسلم.

(٣) في (ي): (النائحة على الميت).

(٤) السربال: الْقَمِيص، والقطران: شَيْء يتحلب من شجر يهنأ بِهِ الْإِبِل، وَإِنَّمَا جعلت سرابيلهم مِنْهُ لِأَن النَّار إِذا لفحته قوي اشتعالها، فَاشْتَدَّ إحراقها للجلود. كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (١٥٧/٤).

(٥) في (ش) و(ي): (ودرع).

(٦) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة] (٤١٥/١) ح(٩٣٤).

(٧) في (ش): (والرقة).

(٨) في (ش): (إلا وبها منها)، وفي (ي): (إلا وبها منه).

(٩) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١٠) هو خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٥٥٨/٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٣٨/٧)، وذكره البخاري تعليقا في صحيحه [كتاب الجنائز، باب ما يُكره من النياحة على الميّت] (ص:٣١٢)، وصححه ابن حجر في نتائج الأفكار (٢٦٢/٤).

(١٢) القاسم بن سلام بن عبد الله، أبو عبيد الهروي، ولد سنة ١٥٧هـ، سمع من ابن عيينة، وابن المبارك، وخلقا كثيرا، وبرع في القراءات واللغة والفقه وغيرها، وصنّف التصانيف التي سارت بها الركبان، وقد أثنى عليه الأئمة، قال الدارقطني: ثقة إمام جبل، توفي سنة ٢٢٤هـ. انظر: تاريخ بغداد (٣٩٢/١٤)، وسير أعلام النبلاء (٤٩٠/١٠).

(١٣) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

على الرَّأس»، قال أبو عبيد: «وليسَ النَّقع عندي في هذا الحديث إلا الصَّوت الشَّديد، واللَّقلَقة: رَفْعُ الصَّوت»[١].

وأمَّا حديثُ النَّبيِّ ﷺ في هذا الباب في إباحة البُكاءِ مِن غيرِ نِيَاحةٍ ولا صِيَاحٍ فصحيحٌ مشهور؛ ذَكَرَه[٢] مُسلم بن الحجَّاج[٣] عَن أسامةَ بن زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كُنَّا عندَ[٤] النبيِّ ﷺ [١١٥/ب]، فأَرْسَلَتْ إليه إحدى بَناتِه تَدعُوهُ[٥] وتُخبِرُه أنَّ صَبيًّا لها أو ابناً لها في الموت، فقال للرَّسول: «**ارْجِعْ إليها فأَخبِرْها أنَّ للهِ مَا أَخَذ، وله مَا أعطَى، وكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلتَصبِرْ وَلتَحتَسِبْ**»، فعاد الرَّسُولُ فقال: إنَّها قد أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، قال: فقامَ الرَّسولُ[٦] ﷺ، وقامَ معه سَعدُ بن عُبادَة، ومُعاذُ بن جَبَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وانطلقتُ معَهم فَرُفِعَ [إليه][٧] الصَّبيُّ ونفسُهُ تَقَعْقَعُ[٨] كأنَّها فِي شَنَّةٍ[٩]، فَفَاضَت عيناهُ، فقال له سَعدُ بن عُبادة: ما هذا يا رسولَ الله؟ قال: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِه**[١٠]**، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**».

وعَن أنسِ بن مَالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**وُلِدَ لِيَ الليلة غُلامٌ فسَمَّيتُه**[١١] **باسمِ أبي: إبراهيم**»، وذَكَرَ[١٢] الحديث، وفيه: فَدَعَا النبيُّ ﷺ بالصَّبيِّ فضَمَّهُ إليهِ وقالَ مَا شاءَ

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (٣/٢٧٦).

(٢) في (ش) و(م) و(ي): (ذكر).

(٣) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت] (١/ ٤١٠) ح(٩٢٣).

(٤) في (م) و(ي): (مع).

(٥) في (ش): (تعوده).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (رسول الله).

(٧) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) تَقَعْقَع: أي تَضطَرب وتَتَحَرَّك، أراد: كُلَّما صار إلى حال لم يَلبَث أنْ يَنتقل إلى أُخرى تُقَرِّبه مِن الموت. النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٧٦٣).

(٩) الشَّنَّة: القِربة الخلِقَة البالية. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٤٩٤).

(١٠) في (ي): (العباد)، والمثبت من الأصل (ت) هو الموافق لما في صحيح مسلم.

(١١) في (ي): (سميته).

(١٢) في (ش) و(م): (فذكر).

اللهُ أنْ يقول، قال أَنس: لقد رأيتُهُ وهو يَكِيدُ بنفسِهِ بينَ يَدَيْ رسولِ الله ﷺ [١١٦/أ]، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «**تَدمَعُ العَينُ، وَيَحزَنُ القَلْبُ، ولا نَقُولُ إلاَّ مَا يَرضَى رَبُّنَا، وَاللَّهِ يَا إِبرَاهِيمُ إنَّا بكَ لمحزُونُون**»[(١)]، قوله: «يَكِيدُ بنفسِهِ» يعني: يموت.

وعَن عبد الله بنِ عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: اشْتَكَى سَعدُ بنُ عُبَادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَكوَى [له][(٢)]، فأتَى رسولُ اللهِ ﷺ يَعُودُهُ مع عبدِ الرَّحمن بنِ عَوْف، وسَعدِ بن أبي وَقَّاص، وعبدِ الله بن مَسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلما دَخَلَ عليه وَجَدَهُ في غَشِيَّةٍ فقال: «**أَقَد**[(٣)] **قَضَى؟**» قالوا: لا يَا رسولَ الله، قال: فَبَكَى رسولُ اللهِ ﷺ، فلما رأى القومُ بُكَاءَ رسولِ اللهِ ﷺ بَكَوا، فقال: «**ألا تَسمَعُونَ؟ إنَّ اللهَ لا يُعذِّبُ بِدَمعِ العَينِ، ولا بِحُزْنِ القَلْب، ولكنْ**[(٤)] **يُعذِّبُ بهذا**[(٥)] **- وأشار إلى لِسَانِه - أو يَرْحَم**»[(٦)].

وذَكَرَ أبو عبد الرَّحمن النَّسَائي[(٧)] رَحِمَهُ اللَّهُ مِن حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ماتَ مَيِّتٌ[(٨)] مِن آلِ رسولِ الله ﷺ، فاجتَمَع النِّسَاءُ يبكينَ عليه، فقامَ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فنهَاهُنَّ[(٩)] [١١٦/ب]، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**دَعْهُنَّ يَا عُمَر؛ فإنَّ العَينَ دَامِعَةٌ، والفؤادَ مُصابٌ، والعَهدَ قَرِيب**».

---

(١) صحيح مسلم [كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك] (٢/١٠٩٤) ح(٢٣١٥).

(٢) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت) وهي موجودة في صحيح مسلم.

(٣) في (ي): (أو قد)، والمثبت من الأصل (ت) هو الموافق لما في صحيح مسلم.

(٤) في (ش) و(ي): (وإنما)، والمثبت من الأصل (ت) هو الموافق لما في صحيح مسلم.

(٥) في (ش) و(ي): (هذا)، والمثبت من الأصل (ت) هو الموافق لما في صحيح مسلم.

(٦) أخرجه البخاري [كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض] (ص:٣١٥) ح(١٣٠٤)، ومسلم [كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت] (١/٤١٠) ح(٩٢٤).

(٧) السنن الكبرى [كتاب الجنائز، باب الرخصة في البكاء على الميت] (٢/٣٩٤) ح(١٩٩٨)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٨/٩٥) ح(٣٦٠٣).

(٨) في (م) و(ي): (رجل).

(٩) في (ش) و(م) و(ي): (ينهاهن).

وعَن جابرِ بن عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قُتِلَ أبي يوم أُحد، فَجَعلْتُ أَكشِفُ الثَّوبَ عَن وجهِهِ وأَبكِي، وجَعَلَ النَّاسُ ينهونِي[١]، ورسولُ اللهِ لا يَنهَنِي[٢]، وجَعَلَت عَمَّتِي تبكيه، فقال رسول الله ﷺ: «**تَبكِيهِ أو لا تَبكِيهِ، مَا زالَتِ الملائكةُ تُظِلُّهُ بِأجنِحَتِها، حتَّى رَفَعتُمُوه**»[٣].

ويُروَى عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما مَات عُثمان بنُ مَظعُون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَشَفَ النبيُّ ﷺ الثَّوبَ عن وجهِهِ وقَبَّلَ بينَ عَينيهِ وبَكَى بُكاءً طويلا، فلما رُفِعَ على السَّرير قال: «**طُوبى لكَ يا عُثمان، لم تَلْبَسْكَ الدُّنيا ولم تَلْبَسها**»[٤]، وبُكاءُ النَّبيِّ ﷺ على عُثمانَ بنِ مَظعُون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مشهور، ذَكَرَه أبو داود[٥] وغيرُه.

وأمَّا نَعْيُ الميِّتِ والإعلامُ بموتِه[٦] إذا قُصِدَ به[٧] اجتماعُ النَّاسِ للصَّلاةِ [عليه][٨]؛ لما ينالُه مِن دُعَائِهم [١١٧/أ] له، واستغفارِهم ورغبتِهم إلى الله تعالى فيه وسؤالِهم[٩]، ولما يَنالُوا أيضاً مِن ثَوابِ الصَّلاةِ عليه، فَمِنهُ مَفروضٌ ومَندوبٌ إليه، ومِنهُ غيرُ جائز، وقد نَعَى النَّبيُّ ﷺ النَّجَاشِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ للنَّاسِ في اليومِ الذي مات فيهِ وقال: «**استَغفِرُوا لأخيكم**»، وخَرَجَ بالنَّاسِ إلى المصلَّى فَصَفَّ بهم، وصلَّى عليه وَكبَّرَ أربعَ تكبيرات.

---

(١) في (ش): (ينهونني).

(٢) في (ش) و(م): (لا ينهاني)، وفي (ي): (لم ينهاني).

(٣) أخرجه البخاري [كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه] (ص:٣٠٢) ح(١٢٤٤)، ومسلم [كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبدالله بن عمرو بن حرام، والد جابر] (١١٥٣/٢) ح(٢٤٧١).

(٤) أخرجه بهذا اللفظ أبو طاهر المخلص في المخلصيات (٢٩٨/١)، وأشار الذهبي لضعفه في سير أعلام النبلاء (٤٨١/٥).

(٥) سنن أبي داود [كتاب الجنائز، باب في تقبيل الميت] (ص:٥٦٩) ح(٣١٦٣)، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (١٥٧/٣) ح(٦٩٣).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (بسببه).

(٧) في (ش) و(م) و(ي): (بذلك).

(٨) زيادة من (ش) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٩) في (ي): (في سؤالهم).

وكان موتُ النَّجَاشي ببلدٍ بعيدٍ عَن مدينةِ رسولِ الله[1] ﷺ، ذَكَرَ نَعْيَ النَّجَاشيِّ والصَّلاةَ عليه مُسلِمُ بن الحجَّاج[2] وغيرُه مِن حديث أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره، وقد نَعَى النَّبيُّ ﷺ زيدَ بنَ حَارِثة، وجعفرَ بنَ أبي طالب، وعبدَ الله بن رَوَاحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، نَعَاهُم قبلَ أنْ يَجِيءَ خبرُهم، وعيناهُ تَذْرِفَان[3]، قال[4] ﷺ: «**لا يموتُ فيكم ميِّتٌ إلا أعلمتُمُوني به**»[5]، فأَمَرَ ﷺ بأنْ[6] يُعْلَمَ بكلِّ ميِّتٍ يموتُ مِن المسلمينَ ليُصلِّي عليه؛ لما في صلاتِه ﷺ مِن البركةِ والرَّحمة، ولإقامَةِ سُنَّتِه [١١٧/ب] أيضاً في الصَّلاةِ على مَوتى المسلمين، [وفي صلاة المسلمين][7] بعضهم على بَعض، ودعائهم بَعضهم لبعض، وقد قال ﷺ: «**إذا صَلَّيتُم على الميِّتِ فأَخْلِصُوا له الدُّعاء**»، ذَكَرَه أبو داود مِن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[8].

وقال ﷺ: «**مَن صَلَّى على جنازةٍ ولم يَتْبَعْهَا فلَه قِيراط؛ فإنْ تَبِعَها فله قيراطان**»، قيل: وما القيراطان[9]؟ قال: «**أصغرهما مِثْلُ أُحُد**» -يريد مثلَ جَبَلِ أُحُد- ذَكَرَهُ مُسلِمٌ وغيرُه مِن حديث

---

(١) في (ش) و(ي): (مدينة النبي).

(٢) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة] (١/ ٤٢٣) ح(٩٥١).

(٣) أخرجه البخاري [كتاب المغازي، باب غزوة مُؤتة مِن أرض الشَّام] (ص:١٠٤٤) ح(٤٢٦٢).

(٤) من هنا إلى قوله: (ودعائهم بَعضهم لبعض)، ساقط من (م).

(٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى [كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر] (٢/ ٤٦٠) ح(٢١٦٠)، وابن ماجه في سننه [كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على القبر] (ص:٢٦٩) ح(١٥٢٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٢٣٩)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ١٨٤)، عن يَزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَأَى قَبْرًا جَدِيدًا، فَقَالَ: «**مَا هَذَا؟**» قَالُوا: هَذِهِ فُلانَةُ، مَوْلاةُ بَنِي فُلَانٍ، فَعَرَفَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَاتَتْ ظُهْرًا وَأَنْتَ نَائِمٌ قَائِلٌ فَلَمْ نُحِبَّ أَنْ نُوقِظَكَ بِهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفَّ النَّاسَ خَلْفَهُ، وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا، ثُمَّ قَالَ: «**لا يَمُوتُ فِيكُمْ مَيِّتٌ مَا دُمْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ إلا آذَنْتُمُونِي بِهِ؛ فَإِنَّ صَلاتِي لَهُ رَحْمَةٌ**».

(٦) في (ش) و(ي): (أن).

(٧) زيادة من (ش) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) سنن أبي داود [كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت] (ص:٥٧٥) ح(٣١٩٩)، وقوّاه ابن الملقن في البدر المنير (٥/ ٢٦٩)، وحسّنه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ١٧٩) ح(٧٣٢).

(٩) في (ي): (وما القيراط).

أبي هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وغيرِه، وقد تقدَّم[1].

وأمَّا إذا كان نَعْيُ الميِّت والإعلامُ بموتِه ليَجتمعَ[2] النَّاسُ عليه على مَعنى التَّعظِيمِ له والمصيبةِ لفَقْدِهِ والتَّفَاخُرِ بما يَجتَمِعُ له مِن النَّاس ويَحضُرهُ [من][3] الأَشرَاف فهذا لا يَجوز، وعلى هذا يُخرَّجُ نَهيُ النَّبيِّ ﷺ [عن النَّعي][4][5]، وذَكَرَ[6] التِّرمِذيُّ[7] مِن حديث حُذيفة بن اليَمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «إذا مِتُّ فلا تُؤذِنُوا بي أحدا؛ إنِّي أخافُ أنْ يَكونَ نَعْيا؛ فإنِّي سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ نهى[8] عن النَّعْي».

وأمَّا المفروضُ مِن هذا الباب فهو [١١٨/أ] أنْ يُدعَى للصَّلاة على الميِّت مَن تقومُ به سُنَّة الصَّلاة عليه.

---

(١) انظر (ص:٢٦٧).

(٢) في (م) و(ي): (ليجمع).

(٣) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٤) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) هذا هو رأي الجمهور. انظر: الاستذكار (٢٦/٣)، وشرح النووي على مسلم (٢١/٧)، وفتح الباري (١١٦/٣).

(٦) في (م) و(ي): (ذكره).

(٧) جامع الترمذي [كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية النعي] (ص:٢٣٥) ح(٩٨٦)، وحسّنه ابن حجر في الفتح (١١٧/٣)، والألباني في أحكام الجنائز (ص:٤٤).

(٨) في (ش) و(ي): (ينهى).

باب ما يحذر من سوء الخاتمة وما سبق من ذلك لأكثر الخلق في السابقة

اعلمْ رحمك اللهُ تعالى أنَّ هذا أمرٌ إذا ذُكِرَ حقيقَة ذِكْرِهِ انفَطَرَت له القُلُوبُ وتَشَقَّقَت، وانصَدَعَت له الأكبادُ وتَقَطَّعَت، ولولا أنَّ الآجالَ محدودة، والأنفاسَ معدودة، فلا يُتَجاوزُ ذلك المحدود، ولا يُزادُ على ذلك المعدود، لَزَهَقَت الأنفسُ عند أولِ ذِكْرِه زُهُوقاً لا تَجِدُ[١] لسُرعتِه طَعْمَ وَفاةٍ، بل تَكَاد تَنعدِم[٢] انعداماً لا تَعودُ معه إلى وجودٍ ولا حياة، لكنَّها مَرْبُوبةٌ مُدبَّرَةٌ مَقهورةٌ مُصَرَّفَة، تَخرُجُ إذا أُذِنَ لها في الخرُوج، وتَلِجُ إذا أُذِنَ لها في الولوج، وقد كُتِبَ عليها[٣] الوجودُ والبقاءُ فلا انعدام، ولا مَطمَعَ لها في ذلك ولا مَرام[٤].

وما يَمنَعُ القُلُوبَ رحمك اللهُ مِن الانشقَاقِ والانصِدَاع، والانْفِطَارِ والانْقطاع، والذي يَلقَى به هذا المختُومَ له بهذه الخاتمةِ المتوقَّاةِ عذابٌ لا تقوم لهُ السَّماواتُ والأرضُ لشدَّتِه، ولا آخِرَ لمدَّتِه، وما[٥] منَّا أحدٌ إلا [١١٨/ب] ويَخافُ أنْ يكونَ هو، وما الذي أَمَّنَه مِنه، وما الذي حَادَ به عَنه، والخاتمةُ مُغَيَّبَة، والعاقِبَة مَستورَة، والأقدارُ غالبة، والنَّفس كما تَدرِي! والشَّيطانُ منها بحيثُ تَدرِي، وهي مُصْغِيَةٌ إليه، مُلتَفِتةٌ نحوَه، مُقبِلَةٌ عليه، [وأُنشد في هذا المعنى][٦]:

هـي الـنَّفْسُ إنْ تَنظُـرْ إلى الحـقِّ نَظْـرَةً ... فـإنَّ لهـا في غـيرِهِ نَظَـراتِ
وإنْ نَهَضَـتْ يَومـاً إلى اللهِ نَهضَـةً ... فـإنَّ لهـا عَنـه غَـداً نَهَضَـاتِ
إلى اللهِ أَشْـكُوها فبـاللهِ حولهـا ... وبـاللهِ تَمضِـيْ في الأمـورِ وتَـاتِي

---

(١) في (م) و(ي): (لا يجد).

(٢) في (ش): (تكاد تنعدم معه)، وفي (ي): (يكاد ينعدم معه).

(٣) في (م): (لها).

(٤) المَرام: المَطْلَب. تاج العروس (٢٩٥/٣٢).

(٥) في (م) و(ي): (ولا منا).

(٦) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

كَذَا جَرَت الأقلام، وانبَرَمت[1] الأحكام؛ فَقَسَّمَت[2] الخلْقَ إلى قسمين، وفرَّقَتهُم[3] فريقين: شقيٌّ وسعيد، غَوِيٌّ ورشيد، قَرِيبٌ وبعيد، ذَميمٌ وحميد، ارتِفَاعٌ واتِّضاع، اتصالٌ وانقِطَاع، إجابةٌ وامتناع، وأنتَ يا هذا لا تَدرِي[4] بماذا خَرَج[5] سَهمُك، ولا كيفَ ثَبَتَ في هذه الأسماءِ اسمُك.

قــد حَكَــمَ اللهُ بــما شــاءَ مِــن ... وَضْــعِ لمــن شَــاءَ وإِعــلاءِ
وَقَــدَّرَ الأمــرَ عــلى مَــا تَــرَى[6] ... مِــن مَنْــعِ أَقــوَامٍ[7] وإعطَــاءِ
وَانبرَمَــتْ أَحكَامُــهُ في الــوَرَى ... قَبــلُ بإِســعادٍ وإِشــقاءِ [١١٩/أ]
وأنــتَ لا تَــدري بــماذا جَــرَتْ ... طَــيرُكَ[8] في مُحكَــمِ الأَجــزاءِ
هــل بِشَــقَاءٍ أو بِسَــعْدٍ وَهَــلْ ... مَــرَّتْ بِرُشْــدٍ أَو بِــإِغْوَاءِ
فاقــدَحْ زِنَــادَ الخــوفِ بــينَ الحَشَــا ... وَاقْنَــعْ مِــن النَّــومِ بإِغْفَــاءِ
وابْــكِ عــلى نفسِــكَ حتَّــى تَــرَى ... مَــا اســمُكَ في مُثبَــتِ الأســماءِ

وَفي الخبر[9] الصَّحيح عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الرَّجلَ لَيَعمَل عَمَلَ أهلِ الجنَّةِ فيما يَبدُو للنَّاسِ وهو من أهل النَّار، وإنَّ الرَّجلَ لَيَعمَل عَمَلَ أهل النَّارِ فيما يَبدُو للنَّاسِ وهو مِن أهلِ الجنَّة، وإنَّما الأعمالُ بالخواتيم**»[10].

---

(١) انبرمت الأحكام: أي أُحكِمَت، يقال أَبْرَمَ الأَمرَ وبَرَمَه: أي أَحكَمَه. انظر: لسان العرب (١٢/٤٣).

(٢) في (ي): (فقسم).

(٣) في (ش) و(ي): (وفرقهم إلى).

(٤) في (ي): (لا تدري).

(٥) في (ش): (بما خرج سهمك)، وفي (م): (بما خرج به سهمك)، وفي (ي): (بما جرى سهمك)،

(٦) في (ي): (يريد).

(٧) في (ي): (قوم).

(٨) الطَّيْر: الحَظ. تاج العروس (١٢/٤٥٩).

(٩) في (م) و(ي): (ورد).

(١٠) أخرجه البخاري [كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم وما يُخاف منها] (ص:١٦١٤) ح(٦٤٩٣)، ومسلم [كتاب الإيمان، باب غِلَظِ تحريم قتلِ الإنسان نفسَه] (١/٦٢) ح(١١٢).

ورُوي[1] مِن طريقٍ آخر وليسَ فيه «**ما**[2] **يَبدُو للنَّاس**»[3].

وصَحَّ عنه ﷺ أيضا أنَّه قال: «**جَفَّ القَلَمُ بما أنتَ لَاق**»[4]، وقال ﷺ: «**رُفِعَت**[5] **الأقلامُ وجَفَّت الصُّحُف**»[6]، ذَكَرَ هذه الأحاديث مُسلم، والبُخاري، والتِّرمذيُّ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وعند أحدِهم ما ليس عند الآخر، وأنشد بعضُهم:

قَــد جَــرَتِ الأقــلامُ في ذَا الــوَرَى ... بــالخَتْمِ مِــن أمــرِ العلــيمِ الكَــرِيمْ[7]
وَخَطَّــت الشــيءَ عَــلى حُكْمِــهِ ... في عِلمِــهِ السَّــابقِ مِنــهُ القَــديمْ [١١٩/ب]
فَمَــنْ شَــقيٍّ وَسَــعيدٍ[8] وَمِــنْ ... مُثْــرٍ مِــن المــالِ وَعَــارٍ عَــدِيمْ
وَمِــنْ عَزيــزٍ رأسُــهُ في السُّــهَا[9] ... وَمِــن ذَليــلٍ وَجهُــهُ في التُّخُــومْ[10]
وَمِــن صــحيحٍ شُــدَّتْ أَركانُــهُ ... وآخَــرٍ وَاهــيْ المبــانِي سَــقِيمْ
كــلٌّ عــلى مِنهاجِــهِ سَــالِكٌ ... ذَلــكَ تقــديرُ العزيــزِ العلــيمْ

فانظُر رحمك اللهُ كيفَ تَقَرُّ عَينُ عاقلٍ في هذه الدَّار، وكيفَ[11] يَسْتَقِرُّ به فيها قَرَارٌ مع هذه

---

(١) في (ش): (وروي أيضا)، وفي (ي): (ويروى).

(٢) في (ش) و(ي): (فيما).

(٣) أخرجه البخاري [كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة] (ص:٧٩٤) ح(٣٢٠٨)، ومسلم [كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه] (٢/١٢٢٠) ح (٢٦٤٣).

(٤) أخرجه البخاري [كتاب النكاح، باب ما يُكرهُ مِن التَّبَتُّل والخِصَاء] (ص:١٢٩٥) ح(٥٠٧٦).

(٥) في (ش) و(م) و(ي): (جرت).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٤٠٩) ح(٢٦٦٩)، والترمذي في جامعه [كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول ﷺ، باب٥٩] (ص:٥٦٦) ح(٢٥١٦)، وحسّنه ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٤٦٢)، وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح (٣/١٤٥٩) ح(٥٣٠٢).

(٧) في (م): (الحكيم العليم)، وفي (ي): (العليم الحكيم).

(٨) في (ي): (فمن سعيد وشقي).

(٩) السُّها: كَوْكَب صغير، والمراد أن مكانته تكون في عُلُوٍّ. انظر: تاج العروس (٣٨/٣٤٣).

(١٠) التُّخومُ: الحدود التي تفصل بين الأراضي، ومراده أنه يكون في منزلة مهينة وحقيرة. انظر: القاموس المحيط (ص:١٠٨٢).

(١١) في (ش): (أم كيف).

الحال، وتَوقُّع هذا المآل، واشتغال هذا الخَاطِر، وتَقَسُّم[1] هذا البال.

كلا لا حالَ لهُ ولا قرار، ولا رَبعَ ولا دَار، ولا قَلْب إلا مُستَطَار[2]، ولا نَومٌ يَنَامُه إلا غِرَار[3]، حتَّى يَدرِي أينَ مَسْقَطُ رأسِه، ومَحطُّ رَحْلِه، ومَا المَوْرِدُ وما المَنْهَل[4]، [وفي أيِّ المحالِّ يحتلّ][5]، وفي أيِّ المنازِلِ بَعدَ الموت يَنْزِل، كما قالَ الأوَّل:

وكيفَ تنامُ العينُ وهيَ قَرِيرةٌ ... ولم تَدْرِ في أيِّ المنازلِ تَنْزِلِ

وقالَ[6] غيرُه:

وكيفَ بالنَّومِ على زَأْرَةٍ ... مِن أَسَدٍ يَكْشِرُ أَنيابَهُ
وأنتَ ذا في[7] غيرِ مُستَعتَبٍ ... في منزلٍ قد كُسِرَتْ أبوابُهُ [١٢٠/أ]
وَثُلِّمَتْ بالرَّوْعِ حِيطَانُهُ ... وَفُرِّقَتْ[8] بالخوفِ حُجَّابُهُ

لكنَّ حِجَابَ الغَفلةِ الذي غَطَّى على القُلُوبِ كَثيفٌ فلا يَرَى ما وراءه، والوِقْرُ الذي في الآذان عَظُمَ فلا يَسمَعُ مِن ناصِحٍ دُعاءَه.

رُوي في الصَّحيح[9] عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يُجاء بالموتِ يومَ القِيَامة كأنَّه كَبْشٌ أَمْلَح[10]؛ فيُوقَف بين الجنَّةِ والنَّارِ فيُقال: يَا أهلَ الجنَّةِ هل تَعرِفُون هذا؟ قال: فَيَشْرَئِبُّونَ[11] ويَنْظُرُونَ**

(١) في (ش): (وتقسيم).

(٢) قلب مُستطار: أي منتشر متشتت. انظر: لسان العرب (٥١٣/٤).

(٣) الغِرار: القَلِيل من النَّوم. القاموس المحيط (ص:٤٥٠).

(٤) المَنْهَل: المشرَب، ثمَّ كَثُرَ ذلك حتَّى سُمِّيَتْ مَنازل المسافرين عَلَى المياه مَناهِل. انظر: لسان العرب (٦٨١/١١).

(٥) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت)، إلا أنه في (ي): (يحلل) بدل (يحتل).

(٦) من هنا إلى قوله: (ناصح دعاءه) ساقط من (ش) و(م).

(٧) في (ي): (في ذا).

(٨) في (ي): (افترقت).

(٩) أخرجه البخاري [كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾] (ص:١١٧٨) ح(٤٧٣٠)، ومسلم [كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء] (١٣٠٦/٢) ح(٢٨٤٩).

(١٠) الأَمْلَح: الذي بياضُه أكثر مِن سَوَادِه. النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٨٨٠).

(١١) يَشْرَئِبُّون أي يَرفعُون رُؤسَهم لينظُرُوا إليه. النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٤٧١).

ويقولون: نعم؛ هذا الموت، ثمَّ يُقالُ: يا أهل النَّار هل تَعرِفُون هذا؟ قال: فَيَشْرَئِبُّونَ ويَنْظُرونَ ويقولون: نعم؛ هذا الموت، قال: فيؤمر به فيُذْبَح ثمَّ يُقالُ: يا أهل الجنَّةِ خُلُودٌ فلا مَوت، ويا أهلَ النَّارِ خُلُودٌ فلا مَوت، ثمَّ قَرَأَ رسولُ الله ﷺ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] **وأَشارَ بيدِه إلى الدُّنيا**»، وقال البُخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [وهؤلاء في غفلةٍ][2] أهل الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾».

فانْظُر رحمك الله إلى عظيمِ هذه الغَفْلَة، وكثافةِ حُجُبِها، وكيفَ مَنَعَت مِن النَّظَر في هذا الحديث [١٢٠/ب]، والفِكْرَةِ فيه، والعمل بمُقتضَاه.

وقد بَكَى أُولو[3] الألباب على هذا؛ فأكثَرُوا وسَهِرُوا مِن أجلِه اللَّيالي الطَّويلة وأَسهَرُوا، ورَامَ[4] عَاذِلُوهم كَفَّهُم عمَّا هم فيه فَلَم يَقدِرُوا، وكَلَّمُوهم في الإقْصَارِ فلم يَقْصُروا ولم يَسمَعُوا ولم يُبْصِرُوا، وذلك للعِلم الذي لَاحَ لهم[5]، والتأييد الذي شَملَهم، والتوفيق[6] الذي قَطَعَ عنهم ما صدَّهم عن طريقِ اللهِ ﷻ وشَغَلَهم، وربَّما هَبَّت عليهم نَفَحَاتُ الرَّجَاء فاستَبشَروا، وسَكَنُوا مِن ذلك الهيَجان وفَتَرُوا، ثمَّ ذَكَرُوا ما هم مُعرَّضُون له فَعَادُوا لما كانوا عليه من الاجتهادِ وربَّما زادُوا عليه وأكثرُوا!

ومع هذا فإنَّهم لشدَّةِ خوفِهم وكثرةِ جَزَعِهم يَحسبونَ كلَّ صيحةٍ عليهم، ويظنُّونَ أنَّ كلَّ إشارةٍ إنَّما يُشارُ بها إليهم؛ كما يُروى[7] أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ قارئاً يَقرأ: ﴿وَٱلطُّورِ

---

(١) السورة: مريم، الآية: ٣٩.

(٢) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت)، وهي موافقة لما في صحيح البخاري.

(٣) في (ش): (أهل).

(٤) رَام أي طَلَب، مأخوذ من الرَّوْم. انظر: تاج العروس (٣٢/ ٢٩١).

(٥) في (ش): (بهم).

(٦) في (ش): (والطريق).

(٧) في (م) و(ي): (روي).

﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾[1] فقال: هذا قَسَمٌ حقٌّ، فلما بَلَغَ القارئُ إلى قولِه ﷻ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ﴾[2] ظَنَّ أنَّ العذابَ قد وَقَعَ به فَغُشِيَ عليه[3] [١٢١/أ].

وسَمِعَ [آخر][4] قارئاً يقرأُ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[5] فَغُشِيَ عليه أو آيةً نحوها[6].

ومَرَّ آخرُ على رجلٍ يبيعُ الخِيَارَ ويقول[7]: الخِيَارُ عشرةٌ بدَانِق[8] فَغُشِيَ عليه، فلما أفاقَ قِيلَ له: مِمَّ غُشِيَ عليك؟ فقال: أَوَمَا سَمِعتَهُ يقولُ: الخِيَارُ عَشرة[9] بدانِق؟ وإذا كانت قيمةُ الخِيَار هذه، فكم تكونُ قِيمَتي وقيمةُ أمثالي؟![10]

فانْظُرْ إلى هذا، لم يُلْقِ بالَهُ إلى أنَّه الخِيَارُ المأكولُ؛ لشدَّةِ خوفِه وسوءِ ظنِّهِ بنفسِه.

والأخبارُ في هذا البابِ كثيرة، فَلْتَسلُك رحمك الله على مِنهاج هؤلاء العُقلاء، وَلْتَمش

---

(١) السورة: الطور، الآية: ١-٢.

(٢) السورة: الطور، الآية: ٧.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠٨/٤٤)، وابن كثير في تفسيره (٤٣٠/٧)، وعزاه لابن أبي الدنيا، ولم أقف عليه في كتبه المطبوعة، وفيه أن عمر قال: «قَسَمٌ وربِّ الكعبةِ حقٌّ، فَنَزَلَ عَن حمارِه واستَنَدَ إلى حائط، فمَكَثَ مَلِيًّا، ثمَّ رَجَعَ إلى منزله، فمَكَثَ شَهرًا يَعودُهُ النَّاس، لا يَدرونَ مَا مرَضُه». وقد أخرج ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء [(١٢٦/٣) ضمن موسوعته] عن الشعبي، قال: سَمِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ﴾، فَجَعَلَ يَبكِي حتَّى اشتَدَّ بُكاؤُه ثمَّ خَرَّ يَضطَرِبُ، فقيل له في ذلك فقال: «دَعُونِي، فإِنِّي سَمِعتُ قَسَمَ حَقٍّ مِن رَبِّي»، وأخرج أبو نعيم في حلية الأولياء (٥١/١) عن الحسَنِ، قال: «كان عُمرُ يَمُرُّ بِالآيةِ في وردِهِ فَتَخْنُقُهُ فيَبكِي حَتَّى يَسقطَ ثمَّ يَلزَمُ بيتَهُ حتَّى يُعاد، يَحسبُونه مريضًا».

(٤) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) السورة: الحاقة، الآية: ٣٠.

(٦) أورد الذّهبي في سير أعلام النبلاء (٤٤٤/٨) عن محمَّد بن نَاجِيَة، قال: «صَلَّيتُ خَلْفَ الفُضيل، فقرأ: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾ في الصُّبح، فلما بَلَغَ إلى قوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ غَلَبَه البُكاءُ، فَسَقَطَ ابنُه عَلِيٌّ مَغشِيّاً عليه».

(٧) في (ي): (وهو يقول).

(٨) الدّانِق: سُدس الدِّينار، والدِّرهم. تاج العروس (٣١٠/٢٥).

(٩) في (ي): (العشرة).

(١٠) أورده القشيري في الرسالة القشيرية (٥١٧/٢).

على آثارِ هؤلاء الفُضلاء، وَلْتتزيَّن بزينةِ هؤلاء الحُكماء، وأَدِمْ حَسرَتَك، وأَطِلْ فَرَقَكَ[1][2]، وامزُجْ بِدَمِ الفُؤادِ عَبرَتَك، وابْكِ ثمَّ ابْكِ، وَصِلِ البُكاءَ بالبُكاء، والأَسى بالأسى، حتَّى تنكشفَ لك هذه الغَايَة، وتَنجَلِي عنك[3] هذه العِماية؛ كما قال الأوَّلُ -وقد دُعِيَ إلى الخلافة وكان قد تعرَّضَ له دونَها مُتعرِّضٌ[4]-:

رُوَيْدَكَ حتَّى تَنْجَلي[5] عمَّ تَنْجَلي غَيايَةُ[6][7] هذا العَارِضِ

وبَكَى سُفيانُ الثَّوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ليلةً إلى الصَّباح، فقيل له: أَبكَاؤُك هذا على الذُّنوب؟ فأَخَذَ تِبْنَةً مِن الأرضِ وقال: «الذُّنوبُ أهوَنُ مِن هذا! إنَّما أَبكِي خوفَ الخاتمة»[9].

وبَكَى [سُفيان و][10] غيرُ سُفيان؛ لأنَّه الأمرُ الذي يُبكى [عليه][11]، ويُصْرَفُ الاهتمامُ كلُّه إليه، وقال القائل[12]:

والذي أَبكَى الجفونَ دَماً فَغَدَت مِن ذَاكَ في غُدُرِ[13]
سَابقٌ لم يَدرِ كيفَ جَرَى في القضاءِ الحَتْمِ والقَدَرِ
وأمورٌ في الوَرَى خَفِيَتْ عَن ذوي الألبابِ والنَّظَرِ

(١) في (ش) و(م) و(ي): (زفرتك).

(٢) الفَرَق: الخوف. لسان العرب (١٠/٣٠٤).

(٣) في (ش) و(ي): (لك).

(٤) في (ش) و(م) و(ي): (متعرض دونها).

(٥) في (ش) و(م) و(ي): (تنظري).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (عماية).

(٧) الغَيايَة: كُلُّ ما أظَلَّ الإنسان من فوقِ رأسِه كالسَّحابةِ ونحوها. القاموس المحيط (ص:١٣٢٠).

(٨) ذكره أبو تمام في ديوان الحماسة (ص:٦٩)، وقد نسبه لرجل من بني أسد.

(٩) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٦١).

(١٠) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١١) زيادة من (م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(١٢) من هنا إلى نهاية الأبيات ساقط من (ش) و(م).

(١٣) غُدُر جمع غَدِير. انظر: لسان العرب (٥/٩).

فَـــدَعِ الأنفـــاسَ صـــاعدةً وَدُمُـــوعَ العـــينِ تَنْحَـــدِرِ
وابْـــكِ لا جَفَّـــت دُمُوعُـــكَ مـــا ضَـــاعَ مِـــن أيامِـــكَ الغُـــرَرِ

وقيلَ[1]: لا تَكُفَّ دَمعَكَ حتَّى تَرَى في المعادِ رَبعَك، وقيل: لا تُكَحِّلْ عينَكَ بنومٍ حتَّى تَرَى حالَك بعدَ اليوم، وقد قيل: لا تَبِتْ [وأنتَ][2] مَسرور حتَّى تَرى[3] عاقبةَ الأمور، وقيل: [لا يخصَب لك جَنَاب[4]][5]، ولا تأنس بِكَعَابٍ[6] حتَّى تَرَى ما خُطَّ لكَ[7] في أمِّ الكِتابِ وتَستَبينَ العاقبةَ والمآب، وأنشد [١٢٢/أ]:

حَاسِبْ النَّفسَ قبلَ يومِ الحسابِ وأَذِقْهَـــا العـــذابَ قبـــلَ العـــذابِ
وأَصِـــبْها مِـــن الأسَـــى بشُـــواظٍ[8] يُنْضِجُ[9] اللَّحمَ قبلَ نُضْجِ الإهابِ
وإذا مَـــا بكيـــتَ يومـــاً بـــدَمعٍ فَبِـــدَمعٍ مِـــن الفُـــؤادِ مُشَـــابِ
وحَـــذَارِ حَـــذَارِ أنْ تَتَهَنَّـــا بِطَعَـــامٍ تنالُـــهُ أو شَرابِ
أو مَنـــامٍ تَنـــامُ بالليـــلِ حتَّـــى تَســـتَبينَ المـــآبَ[10] يـــومَ المـــآبِ

وقيل: يا ابنَ آدم! الأقلامُ عليك تجرِي وأنتَ في غَفلَةٍ لا تدري، يا ابنَ آدم! دَعِ المغَاني والآثار[11]، والمنازلَ والديار، والتنافُسَ في هذه الدَّار، حتَّى تَرَى ما فَعلَت في أمرِك الأقدار،

---

(١) في (ش): (وقد قيل).

(٢) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) في (ي): (تعلم).

(٤) يقال أَخْصَبَ جَنَابُ القوم وهو ما حولهم، وفُلان خَصِيب الجناب أي خَصِيبُ الناحِيةِ. انظر: تاج العروس (٢/٣٦٥).

(٥) في الأصل (ت) جملة غير مفهومة، والمثبت من (ش) و(م) و(ي).

(٦) الكَعَاب: المرأة حين يَبدُو ثديُها للنُّهُود. تاج العروس (٤/١٥٢).

(٧) في (ش): (ما حظك).

(٨) الشِّواظ والشُّواظ: اللَّهَب الذي لا دُخان فيه. لسان العرب (٧/٤٤٦).

(٩) في (ش) و(م): (تنضج).

(١٠) في (ي): (المآل).

(١١) في (ي): (المغاني والأوطار).

سَمِعَ[١] بعضُ الصالحينَ مُنشداً يُنشِد:

أيَـا راهِبـي نَجْـرانَ مَـا فعلَـتْ هِنْـدُ؟!(٢) ....

فَبَكَى ليلَتَهُ كلَّها(٣)، فلما أَصبَحَ قيلَ له: مَا كانَ شأنُك البارِحة، وما الذي أبكاك؟ فقال: سَمِعتُ مُنشداً يُنشِد:

أيَـا رَاهِبـي نَجْـرَانَ مَـا فَعلَـتْ هِنْـدُ؟! ....

فقلتُ في نفسي: ما فعلَتْ الأقدارُ فيَّ وماذا جَرَت بِهِ عليَّ؟!(٤)

وقد عَلِمْتَ رحمك اللهُ أنَّ النَّاسَ صِنفان: صِنفٌ مُقرَّبٌ مُصان، وآخرُ مُبعَدٌ مُهان، صِنْفٌ نُصِبَتْ [١٢٢/ب] له(٥) الأسرَّةُ والحِجَال، والأرائِكُ والكِلَال، وجُمعت لهم الرَّغَائِبُ والآمال(٦)، وآخرون أُعِدَّت لهم الأَراقِمُ والصِّلَال، والمقَامِعُ والأغلال، وضروبُ الأهوالِ والأنكَال، وأنتَ لا تَعلَمُ مِن أيِّهما أنتَ، ولا في أيِّ الفريقينِ كُتِبتَ، [وأنشدوا](٧):

نَزَلُـوا بمكَّـةَ في قبائـلِ نَوفَـلِ ... وَنَزَلـتَ بالبَيـدَاءِ أَبعـدَ مَنْـزِلِ

وَتَقلَّبُـوا فَـرِحينَ تحـتَ ظلالِهـمْ(٨) ... وَطُرِحْـتَ بالصَّـحراءِ غـيرَ مُظَلَّـلِ

وسُـقُوا مِـن الصَّـافي الـمُعتَّقِ رِيُّهُـم ... وَسُـقِيتَ دَمعـةَ وَالِـهٍ مُتَمَلْمِـلِ(٩)

يَـا قِسـمَةً قُسِـمَتْ وَلم تَعلَـمْ(١٠) بِهـا ... وَقَضِـيَّةً ثَبَتَـت في الأمـرِ(١١) الأوَّلِ

---

(١) في (ش) و(ي): (وسمع).

(٢) ذكر هذا البيت التنوخي في نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (٧/٢٢٦) وتتمته: «أَقَامَت عَلى عهدي وأنّى لها عَهْدُ».

(٣) في (م): (ليلته إلى الصباح).

(٤) لم أقف عليها.

(٥) في (ش) و(ي): (لهم).

(٦) في الأصل (ت): (الأموال)، ولعله خطأ إذ الكلام عن الآخرة، والمثبت من النسخ (ش) و(م) و(ي).

(٧) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٨) في (ش) و(م) و(ي): (ظلالها).

(٩) في (ي): (متملل).

(١٠) في (ي): (يعلم).

(١١) في (ي): (وأمرٍ أول).

هَـل فيـكَ للمَلِـك المهـيمِنِ نَظْـرَةٌ فَتُزِيـلَ مِـن دَاءِ البُعـاد الـمُعضَلِ
فأجـابَ يُسْـمِعَ نفسَـهُ [عـن نفسِـهِ](١) والعَقْـلُ يَسـمعُها إذا لم تَعقـلِ
[هيهـاتَ قـد سَـبَقَ القضـاءُ بـما تَـرَى فَـاكْفُفْ سُـؤَالكَ بعـدَ ذَا أو فَاسـأَلِ](٢)

البيتُ الأوَّل قديم(٣)، وقيل: مَن قَعَدَ به جِدُّهُ لم يَنهَض به جَدُّه، قال أبو القاسم القُشَيرِي(٤) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أبو عليٍّ الدَّقَّاق(٥) رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيراً ما يُنشِد:

مَـا حِيلَتِـي تفعـلُ الأقـدارُ مـا أُمِـرَت والنَّـاسُ مَـا بـين ذِي غَـيٍّ وذِي رَشَـدِ

وقال: إذا كان الرِّضا والغضبُ صفةً أزلية(٦)، فما تَفعل(٧) [١٢٣/أ] الأذيالُ المُقصِّرة، والأقدامُ المورّمة، والوجوهُ المُصفرة؟!

---

(١) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٢) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) ذكره أبو علي القالي في أماليه (٢٠٢/١)، ونسبه لعبيد الله بن إسحاق بن سلام.

(٤) عبد الكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة، أبو القاسم القشيري، الشافعي، الصوفي، الأشعري، ولد سنة ٣٧٥هـ، تتلمذ على الإسفراييني، وابن فورك، وغيرهم، وصَحِبَ الدَّقَّاق، وكان حَسَن الوعظ، وهو صاحب «الرسالة» المشهورة، وقد أكثر فيها من الواهيات والأحاديث الموضوعة، توفي سنة ٤٦٥هـ. انظر: الاستقامة لابن تيمية (٨٢/١)، وسير أعلام النبلاء (٢٢٧/١٨)، والبداية والنهاية (٤٠/١٦).

(٥) الحَسَن بْن عليّ بْن محمد، أبو عليّ الدّقّاق النَّيْسابوريّ، الشافعي، من شيوخ الصُّوفيّة، وهو شيخ القُشَيْريّ، سَمِعَ أبا عَمْرو بْن حمدان، وأبا الهيثم الكشميهنيّ، وأبا عليّ الشبويي، وكان بارعا في اللغة، وله كلمات حسنة، وحكيت عنه حكايات منكرة الله أعلم بصحتها، توفي سنة ٤٠٥هـ. انظر: الاستقامة (٣٨٢/١)، وتاريخ الإسلام (١٠٤/٩)، والبداية والنهاية (٥٩١/١٥).

(٦) هذا الكلام مخالف لمعتقد أهل السنة والجماعة؛ إذ صفة الغضب والرضا بالنسبة لله ﷻ تعتبر من الصفات الفعلية الخبرية المتعلقة بالمشيئة، وأما عند الأشاعرة فهي صفات لازمة لذاته، قديمة أزليَّة، فلا يرضى في وقتٍ دونَ وقت، ولا يغضب في وقتٍ دون وقت، وهذا مخالف للأدلة ففي حديث الشَّفاعة: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**» [أخرجه البخاري (ص:٨٢٠) ح(٣٣٤٠)]. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/٣)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٦٨٥-٦٨٧/٢).

(٧) في (ش) و(ي): (ينفع)، وفي (م): (تنفع).

وقيل: يا ابنَ آدم! أيُّ شيءٍ يَمنعُكَ وأيُّ مكانٍ يَعصِمُكَ[1] إذا كانت الأقدارُ تَطلبك؟!

مُرَّ[2] على بعض الصَّالحين بيهوديٍّ ميِّتٍ قد أوصَى أن يُدفَنَ ببيتِ المقدس، فقال: أَيُكَابِرُ هؤلاء الأقدار؟! أَمَا عَلِمُوا أنَّهم لو دَفنُوه في الفراديسِ العُلى[3][4] لجاءت لَظَى بأنكَالها حتَّى تأخذَهُ إليها وتَنطلِق به مَعها؟![5]

وقال آخر: مَن حُكِمَ له بالسَّعادَة لا يَشقَى أبداً وإن أَلَحَّ غاويه، وكَثُر مُعَادِيه، وأُحِيطَ به مِن جميع نوَاحيه، ومَن حُكِمَ له بالشَّقَاء[6] لا يَسْعَدُ أبداً وإنْ عُمِّرَ نادِيه[7]، وأَخْصَب وَادِيه، وحَسُنت أوائله ومَبَادِيه، كمْ مِن عابدٍ ظَهرَت عليه أنوارُ العِبادة، وآثارُ الإرادة، وبَدَت منه مَخايلُ السَّعادة، وارتَفَع صِيْتُه وانتَشَرَ في الآفاقِ ذِكْرُه، وعَظُمَ في النَّاس شأنُهُ وقَدْرُه، جَمَحَت[8] به الأقدارُ جَمْحَةً رَدَّتْهُ على عَقِبَيه، وسَلَبَتْهُ ما كان في يَدَيه، وأَخَذَت بُنيانَهُ مِن قواعدِه فألقَتْهُ عليه، فنعوذُ[9] باللهِ مِن دَرَكِ الشَّقَاء، وجَهْدِ البَلاء، وشماتةِ الأعداء، برحمته[10] [١٢٣/ب].

---

(١) في (ش) و(ي): (يسعك).

(٢) هذ الفقرة سقطت من (ش) و(م).

(٣) في (ي): (الفردوس الأعلى).

(٤) الفَراديس: مَوضِع بالشَّام. لسان العرب (٦/ ١٦٤).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) في (ي): (بالشقاوة).

(٧) النادِي: المجلِس. انظر: القاموس المحيط (ص:١٣٣٨).

(٨) جَمَحت: ذَهَبت به ذهابا مُسرعاً. انظر: تاج العروس (٦/ ٣٤٥).

(٩) في (ش): (نعوذ)، وفي (م) و(ي): (ونعوذ).

(١٠) لم أقف على القائل.

واعلم رحمك الله أنَّ لسوءِ الخاتمةِ -أعاذنا اللهُ منها- أسباباً، ولها طُرُقٌ وأبواب(١)، أَعظمُها الإكبابُ على الدُّنيا، والإعراضُ عن الأُخرى، والإقدامُ بالمعصية على اللهِ تعالى، وربَّما غَلَبَ على الإنسان ضَرْبٌ مِن الخطيئة، ونوعٌ مِن المعصية، وجانبٌ مِن الإعراض، ونصيبٌ مِن الإقدام(٢)، فَمَلَكَ قَلْبَه، وسَبَى عقلَه(٣)، وأطفأَ نورَه، وأَرسَلَ عليه حُجُبَهُ فلم تَنفَعْ فيه تَذْكِرَة، ولا نَجَعَت فيه مَوعِظَة، فربَّما جاءَه الموتُ على ذلك، فَسَمِعَ النِّدَاءَ مِن مكانٍ بعيدٍ فلم يَتبيَّن المراد، ولا عَلِمَ مَا أراد، وإنْ أعادَ عليه وأعاد.

يُروَى(٤) أنَّ بعضَ رجالِ النَّاصِر بن عِلْنَاس(٥) نَزَلَ به الموتُ فَجَعَل ابنُه يقول له: قُل: لا إله إلا الله، فقال: النَّاصِرُ يا مولاي، فأعادَ عليه فأعادَ هو، ثمَّ أَصَابَتْهُ غَشية، فلما أفاقَ قال: النَّاصِر مولاي، فكانَ(٦) هكذا؛ كلما قيل له: قُل: لا إله إلا الله، قال: النَّاصِرُ مولاي، ثمَّ قال لابنِه: يا فُلان! النَّاصِر إنَّما يَعرِفُك بسَيفِك، فالقَتلَ ثمَّ القتلَ، ثمَّ مات(٧).

وقيل لآخر - ممن أَعرِفُه- وقد نَزَل به الموتُ: قُل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: الدَّارُ الفُلانية، أَصلِحُوا فيها كذا، والجِنَان [١٢٤/أ] الفُلاني اعملُوا(٨) فيه كذا!

هذا فيما حُدِّثْتُ به(٩) ولم أَشْهَده.

---

(١) في (ي): (ولها طرقا وأبوابا).

(٢) في (ي): (الافتراء).

(٣) في (م): (لبّه).

(٤) من هنا إلى قوله: (كما غَلَب على ذينك الرَّجلين ما كانا فيه) ساقط من (ش) و(م).

(٥) الناصِر بن عِلْنَاس بن حَمَّاد بن بُلُكِّيْنَ بن زِيْرِي الصّنْهَاجِيّ، البَرْبَرِيّ، مَلِك المغرب، وهو الذي أنشأ مدينة بجاية الناصرية، وكانت دولته سبعا وعشرين سنة، قهر ابنَ عمه بُلُكِّين بن محمَّد وغَدَرَ به، وأخذ منه الملك بعد أن تَمَلَّكَ خمسَ سنين، توفي سنة ٤٨١هـ. انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣٢١/٨)، وسير أعلام النبلاء (٥٩٧/١٨).

(٦) في (ي): (وكان).

(٧) لم أقف عليها.

(٨) في (ي): (افعلوا).

(٩) في (ي): (عنه).

وفيما أَذِنَ لي أبو طاهرٍ السِّلَفي[1] أن أُحدِّث به عنه -وكتب إلى مُسمَّى الدِّيوان الذي وَقَعَ فيه [هذا الحديث][2]-: أنَّ رجلاً نَزَلَ به الموتُ فقيل له: قُل: لا إله إلا الله، فَجَعَل يقولُ بالفارسية: ده يا زده دوازده، تفسيره: عشرة، أحد عشر، اثنا عشر!

كان الرَّجلُ مِن أهل العملِ والدِّيوان، فَغَلَب عليه الحِسابُ والميزان، كما غَلَب على ذينك الرَّجلين ما كانا فيه.

وقيل لآخر وقد نَزَلَ به الموتُ[3]: قُل: لا إله إلا الله، فَجَعَلَ يقولُ: أينَ الطَّريقُ إلى حَمَّامِ مِنْجَابِ؟![4]

وهذا الكلامُ له[5] قصة، وذلك أنَّ رجلاً كان واقفاً بإزاء دارِه[6]، وكان بابُها يُشبِهُ بابَ حَمَّام، فَمَرَّت به جاريةٌ لها مَنظَرٌ وهي تقول: أينَ الطَّريقُ إلى حَمَّام مِنجَاب؟ فقال لها: هذا حَمَّامُ مِنجَاب! وأشار إلى دارِه، فَدَخَلَت الدَّارَ ودَخَل[7] وراءَها، فلما رَأَت نفسَها معَه في دارٍ وليسَ[8] بحمَّامٍ عَلِمَت أنَّه[9] خَدَعَها، فَأَظْهَرت له البِشْرَ والفَرَحَ باجتماعها معه على تِلكَ

---

(١) أحمد بن محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الأَصْبَهَانِيّ الجَرْوَانِيّ السِّلَفيّ، ولُقِّب بذلك لأنّ جدّه إبراهيم كان يقال له: سِلَفَة؛ لأنَّه كان مَشْقُوق إحدى الشَّفَتَين، ولد سنة ٤٧٥هـ أو قبلها بسنة، وقد عمَّر حتى جاوز المئة، وارتحل في طلب العلم، وله أقل من عشرين سنة، وعدة شيوخ الحافظ بأصبهان -فقط- تزيد على ست مئة نفس، وكان شافعيّا، وله تصانيف كثيرة، وكان يستحسن الشعر، وينظمه، مع ديانة وورعٍ وعلمٍ وَافِر، توفي سنة ٥٧٦هـ. انظر: تاريخ دمشق (٢٠٨/٥)، وسير أعلام النبلاء (٥/٢١)، والبداية والنهاية (٥٤٨/١٦).

(٢) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) في (ش) و(م) و(ي): (كما روي أن رجلا نزل به الموت فقيل له).

(٤) أخرجه هذا الأثر والذي قبله ابن أبي الدنيا في المحتضرين [(٣٨٦/٥) ضمن موسوعته]، والبيهقيُّ في شعب الإيمان (٤٨٥/٨)، وقال البيهقيُّ بعد إيراده: «هذا رجلٌ اسْتَدَلَّتْهُ امرأةٌ إلى الحمَّام، فَدَلَّها إلى منزلِه، فقالَه عند الموت».

(٥) في (ي): (فيه).

(٦) في (ي): (على باب داره).

(٧) في (ش) و(م) و(ي): (فدخل).

(٨) في (ش) و(ي): (في داره وليست)، وفي (م): (في دار وليست).

(٩) في (ش) و(م): (بأنه).

الخَلْوَة وفي تِلكَ الدَّار، وقالت له: يَصلُحُ أنْ يكون معنا ما نُطيِّبُ(١) به عَيْشنا، وتَقَرُّ به أعيُننا(٢)، فقال [١٢٤/ب] لها: السَّاعةَ آتيكِ بكلِّ مَا تُريدين، وبكلِّ ما تَشتَهين، وخَرَجَ وتَرَكها في الدَّار ولم يُغْلِقها(٣)، وتَرَكَها محلولةً(٤) على حالِها، وأَخَذَ ما يَصلُح لهما وَرَجَع ودَخَل الدَّارَ فَوَجَدَها قد خَرَجَت وذَهَبت، ولم(٥) يَجِد لها أثراً، فَهَامَ الرَّجلُ بها، وأَكثَرَ الذِّكْرَ لها، والجَزَعَ عليها، وجَعَلَ يمشي في الطُّرُق والأزِقَّة(٦) وهو يقول:

يَـا رُبَّ قائلــةٍ تقــولُ إذْ بَلَغَــت(٧) ... أيــنَ(٨) الطَّريــقُ إلى حَمَّــامِ مِنْجَــابِ

فبعدَ أشهُرٍ مَرَّ في أحد الأزِقَّة وهو(٩) على حالِه يُنشِدُ:

يَــا رُبَّ قائلــةٍ تقــولُ إذْ بَلَغَــت ... أيــنَ الطَّريــقُ إلى حَمَّــامِ مِنْجَــابِ

وإذا الجارية(١٠) تُجاوِبُه مِن طاقٍ وتقول:

قَرْنَــان(١١)(١٢) هــلَّا جَعَلْــتَ لهــا إذْ ظَفِــرْتَ ... حِــرْزَاً عــلى الــدَّارِ أو قُفْــلاً عــلى البــابِ

فَزَاد هَيَمانُه، واشتَدَّ هَيَجَانُه، ولم يَزَلْ على ذلكَ حتَّى كان مِن أمرِه مَا ذُكِر، ونعوذُ باللهِ مِن الفتن والمِحَن(١٣).

---

(١) في (ي): (عندنا ما يطيب).

(٢) في (ش): (وتقر به عيوننا)، و(م): (ونقر به عيوننا)، وفي (ي): (ويقر به عيوننا).

(٣) في (ش) و(م): (يقفلها).

(٤) في (ش) و(م) و(ي): (مفتوحة).

(٥) في (ي): (فلم).

(٦) الأزِقَّة: جمعها زُقَاق، وهي الطَّريق الضيِّق دُونَ السِّكَّة. انظر: لسان العرب (١٤٣/١٠).

(٧) في (ش): (إذ تلفت)، وفي (ي): (يا رب قائلة يوما وقد تعبت)، وتكرر هذا في البيت الذي يليه.

(٨) في (ش) و(م): (كيف)، وتكرر هذا في البيت الذي يليه.

(٩) في (ي): (وهو يقول).

(١٠) في (ش) و(ي): (بجارية).

(١١) في (م): (حيران)، وفي (ي): (تراك).

(١٢) القَرْنان: يوصف بها الرَّجل الَّذي لا غَيرَة له. لسان العرب (٣٣٨/١٣).

(١٣) في (ش) و(ي): (من المحن والفتن).

ويُروى أنَّ رجلاً عَلِقَ[(١)(٢)] شخصاً واشتَدَّ[(٣)] كَلَفُه به، وتمكَّنَ حُبُّه مِن قلبِه حتَّى وَقَعَ لما به، وَلَزِمَ الفِرَاشَ بسببِه[(٤)]، وتَمَنَّعَ ذلك الشَّخصُ عليه، واشتَدَّ نِفَارُه عنه، فلم تَزَل الوسائطُ تمشي بينهما حتَّى وَعَدَ بأنه يعودُه، فأُخبِرَ البائِسُ [١٢٥/أ] بذلك[(٥)] فَفَرِح، واشتَدَّ سرورُه، وانجلى غَمُّه[(٦)]، وجَعَلَ يَنتظِرُ الميعادَ[(٧)] الذي ضَرَبَ له، فبينما هو على ذلك إذ جاءَه الماشي بينهما وقال: إنَّه وَصَلَ معي إلى بعضِ الطَّريقِ وَرَجَع، فَرَغِبتُ إليهِ وكَلَّمتُه في إنجازِ وَعدِه، والوفاءِ بعهدِه، فقال: [إنِّي أخاف الفضيحة][(٨)] وإنَّه ذكرني وبوَّح لي: ولا أَدخُل مَداخِلَ الرَّيْب[(٩)]، ولا أُعرِّض نفسِي لمواقع التُّهم، فَعَاوَدتُه وسألتُه فأَبَى وانصَرَف، فلما سَمِعَ البائِسُ هذا سُقِطَ في يدِه، وعَادَ إلى أشدّ مما كان به[(١٠)]، وبَدَت عليه علامةُ[(١١)] الموتِ وأَمَارَتُه، قال الرَّاوي: فسمعتُه يقولُ -وهو في[(١٢)] تلك الحال-:

أَسْلَمُ[(١٣)] يا راحةَ العَليلِ ... وبُرْءَ ذَا المُدْنِفِ[(١٤)] النَّحِيلِ
رِضَاك أَشهَى إلى فؤادِي ... [مِن رَحمةِ الخالقِ الجليلِ][(١)(٢)]

---

(١) في (ش) و(ي): (عشق).

(٢) عَلِقَ أي عَشِق. انظر: تاج العروس (٢/٢٢٣).

(٣) في (ش) و(ي): (فاشتد).

(٤) في (ي): (من أجله).

(٥) في (ش): (فأخبر ذلك)، وفي (ي): (فأخبر بذلك).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (همه).

(٧) في (ش) و(م): (ينتظره للميعاد).

(٨) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٩) في (ش) و(م): (السوء).

(١٠) في (ش): (عليه).

(١١) في (ش) و(ي): (علائم).

(١٢) في (ش) و(ي): (على).

(١٣) في (ي): (سلم).

(١٤) الدَّنَف: المرض المُلاَزِم المُزمِن. انظر: تاج العروس (٢٣/٣٠٩).

قال: فقلتُ له: يا فلان! اتَّقِ اللهَ! فقال: قد كان، [فقمتُ عنه] فما جاوزتُ بابَ دارِه حتَّى سَمِعْتَ صيحةَ الموتِ قد قامَت عليه، ونعوذُ[3] باللهِ مِن سُوءِ العاقبة، وشُؤْم الخاتمة بكَرمِه[4].

---

(١) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، وفي النسخة (ت) ترك الناسخ هذا الشطر فارغا.

(٢) وهذا القول من أعظم الكفر والضلال، فنعوذ بالله من خاتمة السوء.

(٣) في (ش) و(م) و(ي): (فنعوذ).

(٤) ذكرها ابن حزم في طوق الحمامة (ص:٣١٥)، وابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢٤٦/١٥) في ترجمة أحمد بن كليب وهو صاحب القصة القائل لهذه الأبيات.

واعلم أنَّ سُوءَ الخاتمة -أعاذَنا اللهُ منها- لا يكونُ(١) لمن استقامَ ظاهِرُه، وصَلُح باطنُه، ما سُمِع بهذا، ولا عُلِمَ به والحمد لله ربِّ العالمين، وإنَّما يكونُ(٢) [١٢٥/ب] ذلك لمن كان له فسادٌ في العَقل، أو إصرارٌ(٣) على الكبائر، وإقدامٌ(٤) على العَظائم، فربَّما غَلَبَ ذلك عليه حتَّى ينزِلَ به(٥) الموتُ قبلَ التَّوبة، ويَثِبَ عليه قبلَ الإنابة، ويأخُذَه قبلَ إصلاح الطَّوِيَّة، فيَصطَلِمهُ(٦) الشَّيطانُ عند تِلكَ الصَّدمة، ويختَطِفَه(٧) عند تِلكَ الدَّهشَة، والعياذُ بالله ثمَّ العياذُ به(٨).

أو يكون لمن كان مُستقيماً ثم(٩) يَتغيَّرْ عن(١٠) حالِه، ويخرُجْ عن سُنَّتِه، ويأخُذْ في غيرِ طريقِه، فيكون ذلك سبباً لسُوءِ خاتمته، وشُؤْمِ عاقبته، والعياذُ باللهِ تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾(١١).

وقد سَمِعْتَ بقصَّةِ بِلعَامِ بنِ باعورَاء، وما كان آتاه اللهُ ﷻ مِن آياته، وأطلعَهُ عليه مِن بيِّنَاتِه، وما أَرَاهُ مِن عجائبِ مَلكُوتِه، أَخْلَدَ إلى الأرضِ واتَّبعَ هَوَاه، فَسَلَبَه اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جميعَ ما كان أَعطَاه، وتَرَكَهُ معَ مَن استَمالَهُ وأَغوَاه(١٢).

---

(١) في (ش) و(م): (لا تكون).

(٢) في (م): (تكون).

(٣) في (ي): (وإصرار).

(٤) في (ش) و(م): (أو إقدام).

(٥) في (ي): (عليه).

(٦) يصْطَلِمُه: أي يسْتَأْصِله. انظر: القاموس المحيط (ص:١١٣٠).

(٧) في (ش): (وتختطفه).

(٨) في (ي): (بالله).

(٩) في (ي): (لم).

(١٠) في (ش): (من).

(١١) السورة: الرعد، الآية: ١١.

(١٢) انظر تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف:١٧٥] في تفسير ابن كثير (٥١٠/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٨٣/٩).

ويُروى أنَّه كان بِمِصْرَ رجلٌ مُلتزمٌ[1] مسجداً للأذانِ والصَّلاةِ، وعليه بَهاءُ الطَّاعة، وأنوارُ العبادَة [١٢٦/أ]، فَرَقى يوماً [المنارة على عادته][2] للأذان، وكان تحتَ المنارَةِ دارٌ لنصرانيٍّ ذِمِّيّ، فاطَّلَعَ فيها، فرَأَى ابنةَ صاحبِ الدَّارِ فافْتُتِنَ بها، فتَرَكَ الأذانَ وَنَزَلَ إليها، ودَخَل الدَّارَ عليها، فقالت له: ما شأنُك؟ ما[3] تُريد؟ قال: أنتِ أُرِيد! قالت: لماذا؟ قال لها: قد سَبَيْتي لُبِّي، وأخذْتِ بمجامِعِ قلبِي، قالت [له][4]: لا أُجيبُكَ إلى رِيبَة، قال لها: أَتزَوَّجُكِ؟ قالت: أنتَ مُسلِمٌ -وهي[5] نصرانيَّة-، وأبِي لا يُزوِّجُني منك، قال لها: أَتَنَصَّر[6]، قالت: إنْ فَعَلْتَ أَفْعَل، فَتَنَصَّرَ الرَّجلُ لِيَتزوَّجَها، وأقامَ معهم فِي الدَّار، فلما كان فِي أثناءِ ذلك اليومِ رَقَى إلى سَطحٍ كان فِي الدَّارِ فَسَقَطَ منهُ فماتَ، فلا هو بدينِه ولا هو بها![7] فنعوذُ باللهِ ثمَّ نعوذُ بالله تعالى[8].

(١) في (ش) و(م) و(ي): (يلزم).

(٢) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٣) في (ي): (وما تريد).

(٤) زيادة من (ش) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) في (ش) و(م): (وأنا نصرانية).

(٦) في الأصل (ت): (يتنصر)، وهي غير مناسبة للسياق، والمثبت من (ش) و(م) و(ي).

(٧) في (ش) و(م) و(ي): (فلا هو بها ولا هو بدينه)، وفي (ي) بزيادة (اتصل).

(٨) أوردها ابن الجوزي في ذم الهوى (ص:٤٥٩) وذكر أن هذا الرجل كان من أهل بغداد ويقال له صالح المؤذِّن.

باب تلقين الميت بعد الدفن(1) والدعاء له وقراءة القرآن عنده وذكر محاسنه والسكوت عن مساوئه

يُروى عن أبي أمامةَ البَاهليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا ماتَ أحدُكم فسَوَّيتُم عليه التُّرابَ(2)، فليَقُمْ أَحدُكم على رأسِ قبرِه ثمَّ يقول: يا فُلانَ بنَ فلانة؛ فإنَّه يَسمَعُ ولا يُجيب، ثمَّ ليَقُل: يا فُلانَ بن فُلانة** [126/ب] **-الثانية-؛ فإنَّه يَستَوي قاعداً(3)، ثمَّ ليَقُل: يا فُلانَ ابنَ فُلانة؛ فإنَّه يقولُ: أَرشِدْنَا رحمك(4) الله، ولكنَّكُم لا تَسمَعُون، فيقول: اذْكُرْ مَا خَرَجْتَ عليه مِن الدُّنيا(5): شهادةَ أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ مُحمَّداً رسولُ الله ﷺ، وأنَّكَ رَضِيتَ بالله ربًّا، وبالإسلامِ دِيناً، وبمُحمَّدٍ ﷺ نبيّا، وبالقُرآنِ إماما؛ فإنَّ مُنكَراً ونكِيراً يأخذُ كلُّ واحدٍ منهما [بِيَدِ صاحبِه](6) ويقول: انْطَلِقْ بِنا، ما يُقْعِدُنا عندَ هذا وقد لُقِّنَ حُجَّتَه؟! ويكون اللهُ حجيجهما دَونَه(7)**»، فقال رجلٌ: يا رسولَ الله، فإنْ لم تُعرَف(8) أُمُّه؟ قال: «**يَنْسِبُه(9) إلى أُمِّه حَوَاء**»(10).

---

(1) تلقين الميت بعد الدفن لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل هو من البدع، والحديث المروي في ذلك لا يصح كما سيأتي. انظر: المغني لابن قدامة (437/3)، وزاد المعاد لابن القيم (504/1)، وعون المعبود للعظيم آبادي (282/8)، وفتاوى اللجنة الدائمة -المجموعة الأولى- (339/8)، وأحكام المقابر للسحيباني (ص:373).

(2) في (ش): (التراب عليه).

(3) في (ش) و(م) و(ي): (جالسا).

(4) في (ي): (يرحمك).

(5) في (ي): (دار الدنيا).

(6) زيادة من (ش) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(7) في (م) و(ي): (حجيجه دونهما).

(8) في (م): (يعرف).

(9) في (م): (نسبه).

(10) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (298/8) ح(7979)، وقال ابن القيّم في تهذيب سنن أبي داود (2338/5): «متَّفق على ضعفِه»، وضعّفه الألباني في إرواء الغليل (203/3) ح(753).

قال[1] شَبيبُ بنُ شَيبة[2][3]: «أوصتْنِي أمِّي عند موتِها فقالت لي: يا بُني، إذا دَفَنتَنِي فقُمْ عندَ قبرِي وقُل: يا أمَّ شَيبة قولي: لا إله إلا الله، قال: فلما دَفنتُها قُمْتُ عندَ قبرِها فقلتُ: يا أمَّ شيبةَ قولي: لا إله إلا الله، ثمَّ انصرَفتُ، فلما كان مِن اللَّيلِ رأيتُها في النومِ فقالت [لي][4]: يا بُنيَّ كِدْتُ أنْ أَهلِكَ لولا أنْ تَدارَكَتنِي لا إله إلا الله، فلقد حَفِظْتَ وصيتي يا بُني»[5].

ويُروى عن النبيِّ ﷺ أنَّه حَضَرَ جنازةَ [١٢٧/أ] رجل، فلما دُفِنَ قال: «**سَلُوا**[6] **لأخيكُم التَّثبِيت؛ فإنَّه الآنَ يُسأل**»[7].

ويُروى عن بعضِ الصَّالحينَ [أنَّه][8] قال: ماتَ أخٌ لي، فرأيتُه في النَّومِ، فقلتُ له: يا أخي، ما كان حالُك حينَ وُضِعْتَ في قبرِك؟ قال: أتاني آتٍ بشِهابٍ مِن نار، فلولا أنَّ داعياً دعا لي لهلكْتُ![9]

---

(١) ورد هذا الأثر في (ش) و(م) بعد قوله: (فلولا أنَّ داعياً دعا لي لهلكْتُ).

(٢) في (ش) و(م) و(ي): (شبيب بن أبي شيبة).

(٣) هو شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو بن الأَهْتَم، أبو مَعمرٍ التَّمِيمِيّ المِنقَرِيّ البَصرِيّ، أحد الخطباء البلغاء، والإخباريين المشهورين، روى عن الحسن، وابن سيرين، وطائفة، وعنه الأصمعيّ، وعِدَّة، واختلف المحدثون في توثيقه، وقدم بغداد في أيام المنصور فاتصل به، وبالمهدي من بعده، وكان كريما عليهما، أثيرا عندهما، توفي سنة نيِّف وستِّين ومائة. انظر: تاريخ بغداد (١٠/٣٧٧)، وتاريخ الإسلام (٤/٤٠٥).

(٤) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات [(٦/٢١٦) ضمن موسوعته] وليس في هذه القصة على فرض ثبوتها حجة، فالمنامات لا يُبنى عليها في هذا الباب، وإنما الحجة فيما ثبت بالأدلة الشرعية المعتبرة.

(٦) في (ي): (سلوا الله).

(٧) أخرجه أبو داود في سننه [كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت] (ص:٥٧٩) ح(٣٢٢١) عن عثمان بن عفان، قال: كان النبيُّ ﷺ إذا فَرَغَ مِن دَفنِ الميِّت وَقَفَ عليه فقال: «اسْتَغفِرُوا لأخيكُم، وسَلُوا له بالتثبيت؛ فإنَّه الآن يُسألُ»، وحسّنه النووي في الأذكار (ص:١٦٢)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص:١٩٨).

(٨) زيادة من (ش) و(م) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٩) أورده ابن القيم في الروح (ص:٩٠)، وابن رجب في أهوال القبور (ص:١٦)، ونسباه لابن أبي الدُّنيا، وبحثتُ عنه في كتبه المطبوعة ولم أجده.

ويُروى[1] أنَّ رجلاً قال: رأيتُ رجلاً -وذَكَرَ[2] رجلاً معروفاً- قال: رأيتُه في النَّومِ كأنَّه[3] قد مَات وحُمِلَ إلى قبرِه، وكنتُ ممن شَهِدَه، فرأيتُه قد وُضِعَ في قبرِه، فرأيتُ باباً قد فُتِحَ في جانبِ القبرِ كأنَّه بابُ مَغَارَةٍ، وهي مملوءةٌ ظُلْمة، فَخَرَجَ مِن ذلك الباب أسودانِ مَهيبا[4] المنظر، فأخذا ذلك الميِّتَ وجَعَلَا يجرَّانه[5] إلى المغَارَةِ، فجعل النَّاسُ أيديهم في ذلك الميِّت يَجرُّونه[6] إليهم، والأسودان يجرَّانه[7] إلى المغَارَةِ، والميِّتُ ساكت، فبينما هم كذلك إذ أقبلَ رجلٌ كان مَشهوراً بالعبادَة، وكان ذلك الميِّتُ يُحسِنُ إليه، فلما رآه الميِّتُ استغَاثَ به: يا فُلان! فقال ذلك الرَّجل: سلامه[8]، لا بأس، وأَخَذَ بيدِهِ[9] واستنقذَهُ[10] منهما، وقَعَد[11] الميِّتُ يذكر الله، وإذا بثوبٍ قد وقَعَ[12] من السَّماء فألبَسَه [١٢٧/ب] الرَّجلُ ذلك الميِّتَ ثمَّ صَعَدَ به إلى السَّماء.

قال الرَّاوي: فاستيقَظْتُ فوجدتُ ذلك الرَّجلَ المجبوذَ قد مات، وكنتُ ممن حَضَرَ[13] جنازتَه[14].

---

(١) في (ي): (وروي).

(٢) في (ي): (وقد ذكر).

(٣) في (ش) و(ي): (وكأنه).

(٤) في (م) و(ي): (مهيبان).

(٥) في (ش) و(م): (يجبذانه)، وفي (ي): (يجذبانه).

(٦) في (ش) و(م): (يجبذونه)، وفي (ي): (يجذبونه).

(٧) في (ش) و(م): (يجبذانه)، وفي (ي): (يجذبانه).

(٨) في (ي): (سلام).

(٩) في (ي): (يده).

(١٠) في (ش): (فاستنقذه).

(١١) في (ش) و(م) و(ي): (فاستنقذه).

(١٢) في (ي): (وضع).

(١٣) في (ش) و(م) و(ي): (شهد).

(١٤) لم أقف عليها.

فأوَّلَ أهلُ العلم بالتَّأويلِ [أنَّ][1] ذلك الجبذ[2] الذي كان النَّاسُ يجبذون[3] ذلك الميِّت: دُعاؤهم له ورغبتهم إلى الله تعالى فيه، وأَخْذُ ذلك الرُّجل بيدِ الميِّتِ هو: دعاؤُه له وثوابُ الخيرِ الذي كان يعملُ معه، وهذه الحكاية صحيحة.

وذَكَر[4] مُسلمُ بن الحجَّاج[5] رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن حديث عبد الرحمن بن شُماسَة المهرِي، قال: حَضَرنا عَمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو في سياق الموتِ فبكى طويلاً ثمَّ حوَّل وَجهَه إلى الجدارِ فجَعَل ابنُه يقول: يا أبَتَاهُ؟[6] أَمَا بَشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بكذا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ [بكذا][7]؟ فأَقبلَ بوجهِه فقال: إنَّ أفضلَ ما نُعِدُّ شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ مُحمَّداً رسولُ الله، إني [قد][8] كنتُ على أطباقٍ ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشدُّ بُغضاً لرسولِ الله ﷺ مِنِّي، ولا أحبَّ إليَّ أنْ أكونَ قد اسْتَمْكَنْتُ منه فقَتَلْتُه، فلو مِتُّ على تلك الحالِ لكنتُ مِن أهلِ النَّار، فلما [١٢٨/أ] جَعَلَ اللهُ الإسلامَ في قلبِي أتيتُ النَّبيَّ ﷺ فقلتُ: ابسُط يمينَك فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يمينَهُ فقَبَضْتُ يدي، قال: «**مالَكَ يا عمرو؟**»، قال: قلتُ: أردتُ أنْ اشتَرِط، قال: «**تشتَرِطُ ماذا؟**»، قلتُ: أنْ يُغفَرَ لي، قال: «**أَمَا عَلِمْتَ أنَّ الإسلامَ يَهدِمُ ما كان قَبلَه، وأنَّ الهجرَةَ تهدِمُ ما كان قبلَها، وأنَّ الحجَّ يهدِمُ ما كان قبلَه**»، وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ مِن رسولِ اللهِ ﷺ، ولا أجلَّ في عيني مِنه، وما كنتُ أُطيقُ أنْ أملأَ عَيني منهُ إجلالاً له، ولو[9] سُئلْتُ أنْ أَصِفَهُ ما

---

(١) زيادة من (ش) و(ي)، غير موجودة في الأصل (ت).

(٢) في (ي): (الجذب).

(٣) في (ي): (يجذبون).

(٤) في (ي): (وروى).

(٥) صحيح مسلم [كتاب الجنائز، باب كون الإسلام يهدم ما قبله] (١/٦٦) ح(١٢١).

(٦) في (ش) و(م) و(ي): (ما يبكيك يا أبتاه)، وما في الأصل هو الموافق لما في صحيح مسلم.

(٧) زيادة من (ي)، غير موجودة في الأصل (ت)، وهي في صحيح مسلم.

(٨) زيادة من (ش)، غير موجودة في الأصل (ت)، وهي في صحيح مسلم.

(٩) في (ي): (فلو).

أَطَقْتُ[1] ذلك؛ لأنِّي لم أَكُن أملأُ عَيني مِنه، فلو مِتُّ على تلك الحال لَرجَوتُ أنْ أكونَ مِن أهلِ الجنَّة، ثمَّ وَلِينا أشياءَ مَا أَدري مَا حالي فيها، فإذا أنا مِتُّ فلا تَصحبني نَائحةٌ ولا نار، فإذا دَفَنتُمُوني فَشُنُّوا عليَّ التُّرابَ شَنًّا ثمَّ أَقيمُوا حولَ قبرِي قدرَ ما تُنحرُ[2] جَزورٌ ويُقسَّمُ لحمُها[3] حتَّى أَستأنِسَ بكم، وأنظُرُ ماذا أُراجعُ بِه رُسُل ربِّي.

قولُه: «حتَّى استأنِسَ بكم» يُريد أنْ يستأنِسَ بدُعائِهم له، وبذِكرِهم الله ﷻ عنده.

وذَكَر أبو عبد الرحمن النَّسائي[4] رَحِمَهُ اللَّهُ مِن حديث [١٢٨/ب] مَعقِلِ بنِ يَسَارٍ المزَني عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**اقرأوا يس عند موتاكم**»، وهذا يَحتَمِلُ أنْ تكونَ هذه القراءةُ عندَ الميِّت في حالِ مَوتِه[5]، ويحتملُ أنْ تكونَ عندَ قبرِه[6].

---

(١) في (ي): (لم أُطق).

(٢) في (ي): (يُنحر).

(٣) الذي يظهر أن هذا اجتهاد منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واتّباعُ سنّة النبيِّ ﷺ أولى، فلم يكن ﷺ يقف أو يجلس عند القبر بعد الدفن قدرَ ما تُنحر الجَزور ويقسَّم لحمها، ولم يأمر أصحابه بذلك، غاية ما هنالك أنه أمرهم أن يستغفروا لصاحب القبر، ويسألوا له التثبيت، كما مرّ في الحديث الذي ذكره المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز (١٤/ ١٣٤)، والتعليق على صحيح مسلم للعثيمين (١/ ٣٥٨).

(٤) السنن الكبرى [عمل اليوم والليلة، ما يُقرأ على الميّت] (٩/ ٣٩٤) ح(١٠٨٤٦)، وقال ابن القطان في بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٥/ ٤٩): «لا يصح»، وضعّفه النووي في الأذكار (ص:١٤٤)، والألباني في الإرواء (٣/ ١٥٠) ح(٦٨٨).

(٥) في (ي): (القراءة عند موته).

(٦) تقدم أن الحديث لا يصح ولو صح فإنَّ معناه قراءتها على المحتضر عند موته وذلك لوجوه:

الأول: أنه نظير قوله ﷺ: «**لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله**».

الثاني: انتفاع المحتضر بهذه السورة لما فيها من التوحيد والمعاد والبشرى بالجنة لأهل التوحيد وغبطة من مات عليه؛ فإنَّ هذه السورة قلب القرآن ولها خاصية عجيبة في قراءتها عند المحتضر.

الثالث: أنَّ هذا عمل الناس وعادتهم قديما وحديثا، يقرأون (يس) عند المحتضر.

الرابع: أنَّ الصَّحابة لو فهموا منه قراءتها عند القبر لما أَخَلُّوا به، وكان ذلك أمرا معتادا مشهورا بينهم.

الخامس: أنَّ انتفاعه باستماعها وحضور قلبه وذهنه إنما هو في قراءتها في آخر عهده بالدنيا وأما قراءتها عند قبره فإنَّه لا يُثاب عليه لأنَّ الثَّواب إمَّا بالقراءةِ أو بالاستماع، وهو عملٌ وقد انقطع من الميِّت. انظر: الروح لابن القيّم (ص:١١).

ويُروى عن عبدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّه أَمَرَ أنْ تُقرأ عندَ قبرِه سُورَة البقرة[١]، ويُروى[٢] إباحة قراءةِ القرآن[٣] عندَ القبرِ عن العلاءِ بن عبد الرحمن[٤].

ويُروى أيضا أنَّ أحمدَ بنَ حنبل رَحِمَهُٱللَّهُ رَجَعَ إلى هذا بعدما كان يُنكرِهُ[٥].

وذَكَرَ أبو داودَ[٦] رَحِمَهُٱللَّهُ مِن حديثِ عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**اذكُرُوا محاسِنَ موتاكم، وكُفُّوا عن مساوئهم**».

وعنها[٧] رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: ذُكِرَ عندَ رسولِ الله ﷺ هالكٌ بسوءٍ فقال رسولُ الله ﷺ: «**لا تَذكُروا هلكاكم[٨] إلا بخير**»[٩].

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٦/٤)، وضعفه الألباني في أحكام الجنائز (ص:٢٤٤)، وليس فيه أنه عن ابن عمر وإنما عن العلاء بن اللَّجلاج عن أبيه مرفوعا عن النبي ﷺ.

(٢) في (ش) و(م) و(ي): (وقد روي).

(٣) في (ي): (إباحة القراءة).

(٤) العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحُرَقي، أَبُو شبل المدني، مولى الحرقة من جهينة، روى عن إسحاق مولى زائدة، وأنس ابن مالك، وسالم بن عبد الله بن عمر، وغيرهم، وروى عنه الثوري، وابن عيينة، وغيرهم، وقد تكلم العلماء في حفظه وروايته واختلفوا فيه، توفي سنة ١٣٨هـ. انظر: تهذيب الكمال (٥٢٠/٢٢)، وتاريخ الإسلام (٧٠٦/٣).

(٥) قال الألباني: «في ثبوت هذه القصة نظر» وذكر في تضعيفها أربعة أوجه كما في أحكام الجنائز (ص:٢٤١)، وينبغي أن يُعلم أنَّ جمهور السلف على كراهة القراءة عند القبر كأبي حنيفة ومالك ورواية عن أحمد أنها بدعة ولا يُحفظ عن الشافعي في هذه المسألة كلام وذلك لأن ذلك كان عنده بدعة، والنبيَّ ﷺ لم يفعل ذلك، ولم يكن عليه الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ولا السلف الصالح، قال أبو داود: سمعتُ أحمد سُئل عن القراءة عند القبر؟ فقال: لا. انظر: مسائل الإمام أحمد برواية أبي داود (ص:٢٢٤)، والمغني (٥١٨/٣)، وحاشية الشلبي على تبيين الحقائق (٢٤٦/١)، واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢٦٤/٢)، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٤٢٣/١)، وأحكام المقابر للسحيباني (ص:٣٨٦).

(٦) سنن أبي داود [كتاب الأدب، باب في النهي عن سب الأموات] (ص:٨٨٦) ح(٤٩٠٠) عن ابن عمر، وضعفه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (٥٢٨/١) ح(١٦٧٨).

(٧) في (ي): (وعن عائشة).

(٨) في الأصل (ت): (موتاكم)، والمثبت من (ش) و(م) و(ي)، وهو الموافق لما في سنن النسائي.

(٩) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٤٢٦/٢) ح(٢٠٧٣)، وجوّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء (ص:١٠١٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٢١٧/٢) ح(٧٢٧١).

وذَكَر[1] البُخاريُّ[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنها رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تَسبُّوا الأمواتَ؛ فإنَّهم قد أَفْضَوا إلى ما قَدَّمُوا**»[١٢٩/أ].

(١) في (ي): (وروى).

(٢) صحيح البخاري [كتاب الجنائز، باب ما ينهى من سب الأموات] (ص:٣٣٧) ح(١٣٩٣).

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الفرق والطوائف

فهرس البلدان

فهرس الأعلام

أ

ب

ث

ج

ح

ش

ط

ع

ف

ق

ك

م

ن

هـ

و

ي

أبو

ابن

أم

الأنساب والألقاب

فهرس المصادر والمراجع[1]

* القرآن الكريم

(أ)

١- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين لمحمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٢- أحكام الجنائز لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣- أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية للدكتور عبدالله بن عمر السحيباني، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٤- إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ)، ومعه المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار لأبي الفضل زين الدين العراقي (٨٠٦هـ)، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٥- آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، لابن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: سليمان الحرش، دار النوادر، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٦- أدب الدين والدنيا لأبي الحسن الماوردي (٤٥٠هـ)، دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ

٧- الأذكار لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٨- الأربعون الودعانية الموضوعة، لمحمد بن علي بن ودعان الموصلي (٤٩٤هـ)، تحقيق علي حسن عبدالحميد، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٩- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

---

(١) كل مرجع لم أذكر من طبعه أو سنة طبعاته أو محققه فإني لم أجد ذلك عند البحث عن معلوماته.

١٠- الاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (٤٦٣هـ)، تحقيق سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١١- الاستقامة لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم عز الدين ابن الأثير (٦٣٠هـ)، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٣- الإصابة في تمييز الصحابة أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق عبدالله التركي، عالم الكتب ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

١٤- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٥- ألف باء في أنواع الآداب وفنون المحاضرات واللغة لأبي الحجاج يوسف بن محمد البلوي (٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

١٦- الأمالي في لغة العرب لأبي علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (٣٥٦هـ)، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.

١٧- أهوال القبور لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (٧٩٥هـ)، تحقيق عاطف صابر شاهين، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(ب)

١٨- البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (٨٠٤هـ)، تحقيق مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٩- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث لأبي محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (٢٨٢هـ)، المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ)، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٢٠- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (٥٩٩هـ)، دار الكاتب العربي، القاهرة، عام النشر ١٩٦٧م.

٢١- بدائع الفوائد لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، الرياض.

٢٢- البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

٢٣- بستان الواعظين ورياض السامعين لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٤- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

(ت)

٢٥- تاج العروس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى،

الزَّبيدي (١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٢٦- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق بشار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
٢٧- تاريخ داريا لأبي علي عبد الجبار بن عبد الله بن محمد الخولاني الداراني المعروف بابن مهنا (٣٧٠هـ) بعناية سعيد الأفغاني، مطبعة البرقي، دمشق ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
٢٨- تاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٢٩- تاريخ الرسل والملوك الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ.
٣٠- التاريخ الكبير لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، دار الفكر، مصورة عن دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان.
٣١- التاريخ الكبير [السفر الثاني] لأبي بكر أحمد بن أبي خيثمة (٢٧٩هـ)، تحقيق صلاح بن فتحي هلال، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٣٢- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ لعثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (٧٤٣هـ) والحاشية لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (١٠٢١هـ) مصورة من المكتب الإسلامي عن المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة الثانية.
٣٣- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (١٣٥٣هـ)، اعتنى بها يوسف الحاج أحمد، دار الفيحاء، سورية- دمشق، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
٣٤- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ)، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣٥- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم، دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
٣٦- التعليق على صحيح مسلم لمحمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ)، إشراف مؤسسة الشيخ الخيرية، مكتبة الرشد –الرياض، الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ.
٣٧- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٨- التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (٦٥٨هـ)، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٣٩- تلخيص المستدرك لأبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ)، مطبوع مع المستدرك، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٤٠- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
٤١- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (٣٧٣هـ)، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٤٢- التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل لعبدالرحمن بن يحيى المعلمي (١٣٨٦هـ)، تحقيق محمد عزير شمس ومحمد أجمل إصلاحي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ.
٤٣- تهذيب الأسرار لعبدالملك بن محمد إبراهيم النيسابوري الخركوشي (٤٠٧هـ)، تحقيق بسام محمد بارود، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩م.

٤٥- تهذيب السنن لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق إسماعيل مرحبا، مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٤٦- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج جمال الدين ابن الزكي أبي محمد المزي (٧٤٢هـ)، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٠ – ١٩٨٠م.

٤٧- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

(ث)

٤٨- الثبات عند الممات لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق عبد الله الليثي الأنصاري، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

(ج)

٤٩- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (٣١٠هـ) تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٥٠- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (٧٩٥هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٥١- الجامع الكبير (سنن الترمذي) لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (٢٧٩هـ)، حكم على أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني

واعتنى به مشهور حسن سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.
٥٢- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
٥٣- الجرح والتعديل لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي (٣٢٧هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٤- جمهرة الأمثال لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (نحو ٣٩٥هـ)، دار الفكر، بيروت.
٥٥- جمل من أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (٢٧٩هـ)، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٥٦- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق علي حسن ناصر، وعبد العزيز العسكر، وحمدان محمد، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٥٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (٨٧٥هـ) تحقيق محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(ح)

٥٨- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (١٢٣٠هـ)، دار الفكر.
٥٩- حاشية السيوطي على سنن النسائي لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٦٠- حديث أبي الفضل الزهري لأبي الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن العوفي الزهري

(٣٨١هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور حسن بن محمد بن علي شبالة البلوط، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٦١- حفظ العمر لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٦٢- حلية الأولياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ)، دار الفكر.

(خ)

٦٣- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى : ٦٧٦هـ)، تحقيق حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(د)

٦٤- الدر المنثور في التفسير بالماثور لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ.٢٠٠٣م.

٦٥- دلائل النبوة، البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٦٦- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (٧٩٩هـ)، تحقيق محمد الأحمدي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

٦٧- ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٦٨- ديوان أبي فراس الحمداني، شرح الدكتور خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٦٩- ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي (٢٣١هـ)، برواية الجواليقي، شرحه وعلق عليه أحمد بسج، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٧٠- ديوان ديك الجن، حققه أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري، دار الثقافة، بيروت.
٧١- ديوان النابغة الذبياني شرح وتقديم عباس عبدالساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(ذ)

٧٢- الذريعة إلى مكارم الشريعة لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق أبو اليزيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٧٣- ذم الهوى لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(٥٩٧هـ)، تحقيق عصام الحرستاني ومحمد الزغلي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
٧٤- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبدالله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (٧٠٣هـ)، تحقيق إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٢م.

(ر)

٧٥- الرسالة القشيرية لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (٤٦٥هـ)، تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.
٧٦- الرعاية لحقوق الله لأبي عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي (٢٤٣هـ)، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة.
٧٧- الروح لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٧٨- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (٣٥٤هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.

(ز)

٧٩- الزهد لأبي السَّرِي هَنَّاد بن السَّرِي بن مصعب بن أبي بكر بن شبر بن صعفوق بن عمرو بن زرارة بن عدس بن زيد التميمي الدارمي الكوفي (٢٤٣هـ)، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٨٠- الزهد لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، دار الكتب العلمية.

٨١- الزهد والرقائق لابن المبارك (ويليه زوائد نُعيم بن حماد) لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المرْوزي (١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، وهي مصورة من الطبعة الهندية، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ.

٨٢- الزهد الكبير لأبي بكر البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م.

٨٣- الزهد لوكيع لأبي سفيان وكيع بن الجراح (١٩٧هـ) تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٨٣- زهر الآداب وثمر الألباب لإبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (٤٥٣هـ)، دار الجيل، بيروت.

(س)

٨٤- سراج الملوك لأبي بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (٥٢٠هـ) الناشر: من أوائل المطبوعات العربية، مصر، ١٢٨٩هـ، ١٨٧٢م.

٨٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٨٦- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
٨٧- سنن ابن ماجه لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٣هـ)، حكم على أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني واعتنى به مشهور حسن سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.
٨٨- سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث، أبو داود السجستاني (٢٧٥هـ)، حكم على أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني واعتنى به مشهور حسن سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية.
٨٩- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق عبدالرحمن المعلمي وآخرين، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد تصوير دار النوادر، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م.
٩٠- السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (٣٠٣هـ)، حققه حسن عبد المنعم شلبي، وقدم له عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٩١- سير أعلام النبلاء لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
٩٢- سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه لعبد الله بن عبد الحكم، أبو محمد المصري (٢١٤هـ)، تحقيق أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٩٣- سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(ش)

٩٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد (١٠٨٩هـ)، حققه محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

٩٥- شرح الأصبهانية لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

٩٦- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، الطبعة العشرون ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٩٧- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٩٨- شرح العقيدة الطحاوية لمحمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي (٧٩٢هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٩٩- شرح المعلقات السبع لأبي عبدالله حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني (٤٨٦هـ)، تحقيق عمر الطبّاع، دار الأرقم، بيروت.

(ص)

١٠٠- صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٠١- صحيح الجامع الصغير وزياداته لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، طبعة المكتب الإسلامي.
١٠٢- صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٠٣- صفة الصفوة لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(٥٩٧هـ)، ت:أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(ض)

١٠٤- ضعيف التَّرغيب والترهيب لأبي عبدالرحمن محمد ناصر الدّين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

(ط)

١٠٥- طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (٨٥١هـ)، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
١٠٦- طبقات الشافعيين لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق أحمد هاشم، ومحمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٠٧- طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد السُّلمي (٤١٢هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
١٠٨- الطبقات الكبرى لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البغدادي المعروف بابن سعد (٢٣٠هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ

- ١٩٩٠م.
١٠٩- طوق الحمامة لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.
١١٠- الطيوريات، انتخاب: صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني (٥٧٦هـ) من أصول: أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي الطيوري (٥٠٠هـ)، تحقيق دسمان يحيى معالي، وعباس صخر الحسن، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

(ع)

١١١- عبدالحق الإشبيلي وآثاره الحديثية لمحمد الوشيق، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
١١٢- العلل ومعرفة الرجال لأحمد (٢٤١هـ)، رواية ابنه عبد الله، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، دار القبس، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.
١١٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي عبدالرحمن محمد أشرف العظيم آبادي (قبل ١٣٢٢هـ)، تحقيق يوسف الحاج، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

(غ)

١١٤- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ)، اعتناء الدكتور محمد عبدالمعيد خان، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

(ف)

١١٥- فتاوى نور على الدرب لأبي عبدالله عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ)، جمعها

الدكتور محمد بن سعد الشويعر، وقدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، طبعتها الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.
١١٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، وعليه تعليقات العلامة عبد العزيز بن باز.
١١٧- الفوائد والأخبار والحكايات عن الشافعي وحاتم الأصم ومعروف الكرخي وغيرهم للحَسَن بن الْحُسَيْن بن حمكان أَبُو عَلِيّ الهمذاني (٤٠٥هـ)، تحقيق: الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

(ق)

١١٨- القاموس المحيط لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (٨١٧هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
١١٩- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لأبي طالب محمد بن علي المكي (٣٨٦هـ)، تحقيق عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

(ك)

١٢٠- الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (٦٣٠هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
١٢١- الكامل في اللغة والأدب لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (٢٨٥هـ)، تحقيق محمد أبو

الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٢٢- كشف الأستار عن زوائد البزار لنور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (٨٠٧هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٢٣- كشف المشكل من حديث الصحيحين لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.
١٢٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (٤٢٧هـ)، تحقيق أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٢٥- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (٩٧٥هـ)، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

(ل)

١٢٦- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
١٢٧- لسان الميزان لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ -١٩٧١م.

(م)

١٢٨- مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد

الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق مصطفى الذهبي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٢٩- المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (٣٣٣هـ)، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، ١٤١٩هـ.

١٣٠- المجتبى (المعروف بالسنن الصغرى) لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل، دار التأصيل – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٣١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

١٣٢- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي (٧٩٥هـ) تحقيق أبي مصعب طلعت الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

١٣٣- المجموع شرح المهذب لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، مكتبة الإرشاد، جدة.

١٣٤- مجموع الفتاوى لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، باعتناء الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة النبوية ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٣٥- المحيط في اللغة لأبي القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس الطالقاني (٣٨٥هـ)، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ -١٩٩٤ م، الطبعة الأولى.

١٣٦- مختصر الشمائل المحمدية لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المكتبة الإسلامية - عمان – الأردن، اختصره وحققه محمد ناصر

الدين الألباني.
١٣٧- المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص لمحمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي المخَلِّص (٣٩٣هـ)، تحقيق نبيل سعد الدين جرار، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لدولة قطر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٣٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (٣٤٦هـ)، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، قم، ١٤٠٩هـ.
١٣٩- مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجستاني (٢٧٥هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله، مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١٤٠- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ)، بإشراف يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.
١٤١- مسند ابن أبي شيبة لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (٢٣٥هـ)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي وأحمد المزيدي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
١٤٢- مسند أبي يعلى لأبي يعلى أحمد بن علي بن المُثنى الموصلي (٣٠٧هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٤٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون بإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١٤٤- مسند البزار المطبوع باسم البحر الزخار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (٢٩٢هـ)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى.
١٤٥- مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين،

التبريزي (٧٤١هـ)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م.
١٤٦- مُصنف ابن أبي شيبة لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (٢٣٥هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، جدة الطبعة الأولى ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
١٤٧- المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
١٤٨- مطالع الأنوار على صحاح الآثار لأبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني، ابن قرقول (٥٦٩هـ)، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.
١٤٩- معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٥٠- معجم البلدان لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٦٢٦هـ)، تحقيق فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥١- معجم الشعراء لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (٣٨٤هـ)، بتصحيح وتعليق الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٥٢- المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (٦٥٨هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، لطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
١٥٣- المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني (٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.
١٥٤- معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (١٤٢٤هـ)،

بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٥٥- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية للمقدم عاتق بن غيث البلادي، دار مكة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٥٦- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٥٧- معرفة الصحابة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٥٨- المعرفة والتاريخ لأبي يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي (٢٧٧هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
١٥٩- المغني لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ، الشهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، طبعة عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة، سنة النشر: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٦٠- المقلق لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٦١- المنازل والديار لأبي المظفر أسامة بن منقذ الشيزري (٥٨٤هـ)، تحقيق مصطفى حجازي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١٦٢- مناقب الإمام أحمد لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.
١٦٣- المنتخب من غريب كلام العرب لأبي الحسن علي بن الحسن الهُنائي الأزدي الملقب بـ «كراع النمل» (بعد ٣٠٩هـ) تحقيق محمد بن أحمد العمري، مطبوعات جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١٦٤- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (٥٩٧هـ)،

تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

١٦٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

١٦٦- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس تقي الدين المقريزي (٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٦٧- الموطأ لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان - أبو ظبي – الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٦٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبدالله شمس الدين محمد الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق محمد رضوان عرقسوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

(ن)

١٦٩- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار ابن كثير، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٧٠- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة لأبي علي محسن بن علي بن محمد التنوخي البصري (٣٨٤هـ)، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

١٧١- النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ)، أشرف عليه علي حسن عبدالحميد الحلبي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الخامسة ١٤٣٠هـ.

١٧٢- نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي (نحو ٣٢٠هـ)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.

(و)

١٧٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

(ي)

١٧٤- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ)، تحقيق مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

فهرس الموضوعات